ليا ليفرو

وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة

ترجمة: هبة ربيع

2827

المركز القومى للترجمة

وسائل الإعلام الجديدة
البديلة والناشطة

المركز القومى للترجمة

تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور

مدير المركز: أنور مغيث

- العدد: 2827
- وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة
- ليا ليفرو
- هبة ربيع
- اللغة: الإنجليزية
- الطبعة الأولى 2016

هذه ترجمة كتاب:

Alternative and Activist New Media (1st editon)

By: Leah A. Lievrouw

First published in 2011 by Polity Press.

This edition is published by arrangement with Polity Press Ltd., Cambridge

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.

E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة

تأليف : ليا ليفرو
ترجمة : هبة ربيع

2016

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

ليفرو؛ ليا.
وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة / تأليف: ليا ليفرو؛
ترجمة: هبة ربيع
ط١ - القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠١٦
٣١٢ ص؛ ٢٤ سم
١- وسائل الإعلام؟
(أ) ربيع، هبة (مترجمة)
(ب) العنوان ٠٠١,٥

رقم الإيداع ١٦٩٢٤ / ٢٠١٥
الترقيم الدولى I.S.B.N. 978-977-92-0394-2
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

الفصل الأول

مقدمة

خلال معظم القرن العشرين سيطرت بضع شركات ومؤسسات على صناعات وسائل الإعلام والمعلومات خاصة فى الولايات المتحدة، وأوربا، وفى مناطق ثرية أخرى من العالم، وساعد نمط نظام الإنتاج والتوزيع الصناعى الضخم على وصول كل أنواع المواد الثقافية: من كتب، وصحف، وسينما، وموسيقى، وبرامج تليفزيون، وراديو، إلى الجماهير الغفيرة، كما ساعد على توليد ثقافة إعلام "سائدة" يُنظر فيها إلى الناس بشكل أساسى باعتبارهم "رأيًا عاما ، أو أسواقًا، أو جماهير جماعية، فى المقابل كافح كل من المطابع الصغيرة، والصحف البديلة، وصحف تحت الأرض، وصانعى الأفلام، والموسيقيين المستقلين، ومحطات الإذاعة منخفضة الإمكانات المعتمدة على القرصنة كى تقدم رؤى، وخيارات ثقافية مختلفة؛ لكن غالبا ما كان نجاحهم قصير الأمد، ومفتقدا إلى العديد من الموارد الضرورية للمنافسة فى سوق إعلام شديد المركزية، والرأسمالية، ومعظم من تبقوا فى الهوامش الثقافية استوعبهم اللاعبون الكبار، أو اختفوا تماما.

خلال الثلاثة عقود الأخيرة، على الرغم من أن انتشار، وتقارب تكنولوجيات وسائل الإعلام والمعلومات الشبكية ساعد على توليد نهضة من أنواع وأساليب جديدة من الاتصالات، كما أعاد تعريف ارتباط الناس بوسائل الإعلام. فإن سيطرة ممثلى الشركات الكبرى والمؤسسات – لا تزال موجودة بالطبع– لكن لم تعد محكمة كما كانت من قبل، وأصبحت امتيازاتهم فى السوق ونماذج أعمالهم التجارية تحت تهديد مجموعة

من المتنافسين على وقت الناس، وأموالهم وانتباههم، كما أصبح جمهور وسائل الإعلام ومستهلكوه الآن مستخدمى وسائل الإعلام، ومنغمسين فى بيئات معقدة من التقسيمات، والتنويعات، والشبكات، والمجتمعات، والمعارف، وخلق هذا المشهد المتغير فرصا غير مسبوقة للتعبير والتفاعل، خاصةً بين النشطاء، والفنانين، والمجموعات السياسية والثقافية الأخرى حول العالم، الذين وجدوا فى وسائل الإعلام الجديدة أدوات غير باهظة الثمن، وقوية لتحدى معطيات الثقافة السائدة أو الشعبية، كما أصبحت مواقع الويب، وأجهزة التليفون المحمول، والتصوير الرقمى، ومدونات الفيديو والصوت، والويكى، وأنظمة تبادل الملفات، ووسائل الإعلام الاجتماعية، والبرمجيات مفتوحة المصدر كلها أدوات تسمح للمجموعات الاجتماعية مختلفة الاهتمامات ببناء مجتمعات والحفاظ عليها، وكسب إمكانية رؤية وصوت كى تقدم رؤى بديلة أو هامشية، وإنتاج وتبادل مصادر معلوماتهم عن: اصنعها بنفسك Do- it- Yourself (DIY)، أو المقاومة، أو الرد على، أو غير ذلك من أساليب مواجهة وسائل الإعلام، والثقافة، والسياسة، والسلطة المسيطرة.

فى نفس الوقت: طرحت بيئة وسائل الإعلام الجديدة الناشئة[١] مشكلات معقدة حول العدالة الاجتماعية، والتضامن، والخصوصية، والأمان، والمشاركة الاقتصادية والسياسية، والحرية، والتحكم، والخبرة فى مواجهة المعرفة العادية/الشعبية، وغيرها، وفى سياق الإعلام المعاصر، فإن جزءاً فقط من القصة يحكيه منظور العمليات والتأثيرات المألوفة التى حركت دراسات وأبحاث الإعلام الجماهيرى التقليدى، وديناميكية الإنتاج، والاستهلاك فى دراسات الإعلام النقدية.

أما اليوم؛ فتميز دورة نشطة ومثيرة للجدل من التقاط، واختيار، وتدمير كل من المعلومات، والمحتوى، والتفاعل الشخصى، وبنية النظام والعلاقة بين المراكز المؤسسية السائدة وبين حدود ثقافة الإعلام التفاعلية، والتشاركية والمتسعة باطراد (علاقة سماها بجدارة المصمم والناقد الإعلامى بيتر لونفيلد Peter Lunenfeld – سيأتى ذكره فيما بعد – الحرب بين التحميل والتنزيل) .

منذ أيام إنترنت ما قبل التصفح فى السبعينيات والثمانينيات وحتى (ويب ٢) اليوم يتزايد التوتر بين ما أسميه رؤيتين متنافستين حول الإنترنت وأنظمة وسائل الإعلام الجديدة الأخرى؛ هما الرؤية الحدية ورؤية خط الإنتاج (ليفرو Lievrouw, 2006a, 2008)، من ناحية تُعد رؤية خط الإنتاج أو المركزية وسائل الإعلام التقليدية والجديدة متماثلتين تماماً مثل "مصانع" عديدة لإنتاج وتوزيع المنتجات الثقافية المعدة للاستهلاك على نطاق صناعى، من ناحية أخرى تعتبر الرؤية الحدودية أو الحدية وسائل الإعلام كمكان للمشاركة، والتحدث، والتفاعل، والإبداع، ويعتبر نمو وتوسع أرشيف منتجات ومحتوى وسائل الإعلام بمثابة موارد دفينة يمكن إعادة تصميمها وتقديمها من قبل المستخدمين "المفتشين فى أرشيف وسائل الإعلام العالمى .. [حيث] كل البيانات فى العالم ... تشكل متنزها واحدا كبيرا وجميلا (لوفينك Lovink 1997، ص٥٩)، وبينما تميل رؤية خط الإنتاج إلى النظر إلى تكنولوجيا وسائل الإعلام والمحتوى من حيث الملكية وحراسة البوابة، والإنتاج والاستهلاك، فإن الرؤية الحدية تهتم أكثر بتقييم السمعة، والمصداقية، والإبداع، والتبادلية، والصوت، والثقة فضلا عن الملكية، ولاعتبار تكنولوجيات المعلومات والإعلام فرصا للإبداع والاتصال فضلا عن الاستهلاك، ساعدت هذه الرؤى المتناقضة فى تشكيل فهم شعبى للدور الثقافى والاقتصادى المناسب لوسائل الإعلام الجديدة خلال العقود الثلاثة الأخيرة، بالإضافة إلى التصميم التقنى للأنظمة نفسها، ومهدت الخلافات حول ما الهدف من وسائل الإعلام الجديدة؟ ومن الذى يستخدمها؟ ومن الذى يقرر الطريق لصعود مشاريع وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة الحالية؟.

يستكشف هذا الكتاب تلك الرؤى المتنافسة من خلال تسليط الضوء على العديد من العائلات أو الأنواع الرئيسية من مشاريع وسائل الإعلام الجديدة المعاصرة التى تبنت رؤية بديلة، أو ناشطة، أو معارضة بوضوح، استعرض الجذور الثقافية والمفاهيمية لتلك المشاريع فى وسائل الإعلام البديلة، ونظريات الحركة الاجتماعية الجديدة، والفن الناشط، والملامح المميزة لمشاريع وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة التى يمكن أن تُعزى إليها تلك السوابق التاريخية، وفى الفصول التالية أمثلة مهمة لكل نوع توضح

كيف وظف مبدعو مشاريع بديلة وناشطة محددة إمكانات وسمات وسائل الإعلام الجديدة من أجل حشد الدعم والمشاركة، أو تحقيق أهدافهم لصالح التغيير الاجتماعي، والسياسي، والثقافي.

عموما؛ هذا الكتاب لديه أيضا هدف نظري سوف أعود إليه في الفصل الختامي، وأتمنى توضيح أن مشاريع الإعلام الجديدة البديلة والناشطة توفر دعما تجريبيا قويا للمنظور النظري حول عمليات الاتصال، والعمل الإبداعي، وثقافة الإعلام - منظور الوساطة- الذي تطور في مجال الاتصال في العقود الأخيرة استجابةً لظهور تكنولوجيات وسائل الإعلام الجديدة، وتكنولوجيات المعلومات القائمة على شبكات الحوسبة والاتصالات (ليفرو Livrouw, 2009)؛ حيث تحدت وسائل الإعلام الجديدة تمييز المجال التقليدي بين التفاعل بين الأشخاص/المجموعة من ناحية، ووسائل الإعلام الجماهيرية من ناحية أخرى، وبين الأسلوب السلوكي "الإداري" لدراسات الإعلام الأمريكية والأسلوب الثقافي "النقدي" لدراسات الإعلام الأوربية/البريطانية، وجرى تمييز المعرفة داخل النظام على هذا المنوال منذ تأسيس المجال.

الوساطة: على النقيض، يمكن فهمها بكل معنى الكلمة، أي استخدام قنوات تكنولوجية لتوسيع أو تعزيز الاتصال، وعملية المشاركة، أو التداخل في إبداع وتبادل المعنى بين الأشخاص، لأنه من منظور الوساطة، يعتبر التفاعل بين الأشخاص، ووسائل الإعلام، والسلوك، والثقافة جوانب مكملة، ومحددة الجوانب بالتبادل لظاهرة الاتصال ككل، وليست مجالات منفصلة ومتنافسة من الناحية التحليلية، علاوة على ذلك، تتألف الوساطة من نمطين مترابطين للفعل الاتصالي الذي يتناقض مع ديناميكيات الإنتاج - الاستهلاك و"التأثيرات" الخطية، أو نماذج رجع الصدى المتصلة بالإعلام الجماهيري، أحد الأنماط هو إعادة التشكيل، حيث يعدل المستخدمون ويكيفون تقنيات وأنظمة وسائل الإعلام كما يحتاجونها لتناسب أهدافهم أو اهتماماتهم المتعددة، أما النمط الثاني - وهنا أستعير المصطلح من جاي بولتر Jay Bolter وروبرت جروزين Robert Grusin (1999) فهو معالجة المحتوى، والأشكال، وهياكل علاقات الاتصال،

حيث يستعير المستخدمون، أو يكيفون، أو يعيدون مزج المواد، والتعبيرات، والتفاعلات الموجودة لإبداع عالم مستمر الامتداد من الأعمال والأفكار الجديدة المبتكرة(٢)، فى مكان آخر، اقترحتُ أن إعادة التشكيل والمعالجة علامتان مميزتان لعمليات الاتصال المعاصر، والعمل الإبداعى، ولثقافة الإعلام (ليفرو Lievrouw, 2006a, 2008)، وتسمح إعادة التشكيل والمعالجة للناس بالتغلب على ثبات تقنيات وسائل الإعلام التقليدية، والنظم المؤسسية، وبالتفاوض على الحدود بين التفاعل بين الأشخاص والإعلام الجماهيرى، ومعالجتها، وطمسها، كما أنها أيضا إستراتيجيات حيوية، وحتمية فى فن ونشاط وسائل الإعلام الجديدة.

ليست الوساطة مفهومًا جديدًا فى دراسات الإعلام، وتعود محاولات تنظير التقاطع بين عمليات الاتصال بوساطة التكنولوجيا وبين التفاعل بين الأشخاص على الأقل بقدر ما إلى نظرية إليو كاتز Elihu Katz وبول لازرفيلد Paul Lazarsfeld حول التأثير الشخصى وتدفق تأثيرات الإعلام الجماهيرى على مرحلتين (كاتز Katz، لازرفيلد [1995] Lazarsfeld, 2006)، على الرغم من أن الحاجة إلى جسر نظرى بين عمليات الاتصال الجماهيرى وبين الأشخاص أصبحت حادة فى الثمانينيات والتسعينيات بسبب انتشار وسائل الإعلام الجديدة فى الحياة اليومية، والعمل، والترفيه؛ فإن بعض الباحثين سعوا إلى الابتعاد عن اعتبار "وسائل الإعلام" كيانات مؤسسية ثابتة نسبيًا، ومستقرة، ومسلوبة الشخصية، وأنها تمارس تأثيرات على العامة كى يركزوا على ما يفعله العامة بوسائل الإعلام كى يتعاملوا مع أنظمة الاتصال ومع بعضهم بعضًا، بحلول نهاية الثمانينيات، تبنى الباحثون والنقاد مصطلح "الوساطة" ليشيروا إلى مدخل جديد يعيد تشكيل ارتباط الناس بوسائل الإعلام من حيث السلطة، والعمل الاتصالى، والتمثيل، ولا سيما التفاعل (جومبرت Gumpert، وكاثكارت Cathcart, 1990, 1986؛ وراجع أيضًا ألتيد Altheide، وسنو Snow, 1998؛ وأندرسون Anderson، وماير Meyer, 1988؛ وهوكنز Hawkins، وفمن Wiemann، وبنجرى Pingree, 1988؛ وليفرو Lievrouw، وروبن Ruben, 1990؛ وليفنجستون Livingstone, 2009)، وفى الفصل الأخير أعود إلى

هذا الموضوع لمناقشة الوساطة باعتبارها وسيلة ممكنة قدمًا لفهم استخدام الناس لتكنولوجيات الإعلام الجديد لعمل، وتبادل، وتغيير المجتمع والثقافة.

فى بقية هذا الفصل: أضع بعض التعريفات بهدف المساعدة فى تأطير النقاش فى بقية الكتاب، وأبدأ بتعريف وسائل الإعلام الجديدة الذى يشمل الآثار التكنولوجية، والممارسات الاتصالية، والترتيبات المؤسسية، وأناقش السمات التى جعلت وسائل الإعلام الجديدة "جديدة"، والنظر فى كيف ينطبق هذا التعريف فى سياق وسائل الإعلام الجديدة الناشطة/البديلة، وأستعرض النقاط الرئيسية لنظرية نوع وسائل الإعلام، وأربط ذلك بالأشكال الناشئة من نشاط وسائل الإعلام الجديدة ، وأختم بلمحة موجزة عن الفصول اللاحقة.

تعريف وسائل الإعلام الجديدة

كى نفهم مشاريع وسائل الإعلام الجديدة الناشطة البديلة، علينا أولا تقرير ما الذى نقصده بمصطلح "وسائل الإعلام الجديدة"، أصبحت الجملة شيئًا من الدارج الثقافى - غالبًا ما يستخدمها الناس دون أن تكون لديهم فكرة واضحة أو محددة عما الذى تعنيه أو تتضمنه (ولا تتضمنه)، فى الاستخدام اليومى، الحدود بين ما يقصده الناس بوسائل الإعلام الجديدة غامضة، هل نعنى بوسائل الإعلام الجديدة أحدث الأدوات التكنولوجية، أو أشكال جديدة من الترفيه، أو طرقا معقدة للبحث عن المعلومات، أو(بأكثر الاستخدام شيوعًا) مجرد أى شىء له علاقة بالإنترنت؟ بوضوح، الوصول لتعريف أكثر دقة هو شىء أساسى إذا كان الهدف هو وصف وسائل الإعلام الجديدة بشكل عام، ووسائل الإعلام الجديدة الناشطة/البديلة بشكل خاص.

فى مجال الاتصال: سلك الباحثون مداخل عديدة لتعريف تكنولوجيات وسائل الإعلام والاتصال على مر الزمن، يصنف أحد المداخل الشائعة وسائل الإعلام وفقًا لسماتها أو قدراتها التكنولوجية، خاصةً تلك التى تتوافق مع الحواس والسلوك الإنسانى: على سبيل المثال ما زالت الصور المتحركة مقابل الثابتة، والصوتية مقابل الصامتة، والإرسال فى اتجاه واحد فى مقابل فى اتجاهين (أو أكثر)، والنص فى

مقابل الصور، وإرسال الإشارات عبر الكابلات في مقابل عبر الهواء (البث)، والورق مقابل الشاشة (على سبيل المثال دورلك Durlak, 1978؛ بول Pool, 1983؛ شارم Schramm, 1997؛ ستيور Steuer, 1995)، مدخل آخر مستخدم على نطاق واسع في كتب الاتصال التمهيدية يعرِّف تقنيات الاتصال وفقًا للمحتوى الذي تنتجه، كيف يدرك الناس المحتوى الذي يستقبلونه أم يستهلكونه، وكيف يؤثر هذا المحتوى عليهم سواء كان في شكل برامج تليفزيونية، أم صحف مطبوعة، أم كتب، أم أفلام روائية طويلة، أو ألعاب كمبيوتر، أو أي شكل آخر، بينما يُعد مدخل ثالث أنظمة وسائل الإعلام المختلفة (أي التكنولوجيات، والمنظمات التي تمتلكها وتديرها) كمؤسسات أو صناعات قد تكون منظمة ومحكومة لتحقيق أهداف اجتماعية، وثقافية، واقتصادية متنوعة (مثل العائد على استثمار مالكي الأسهم، أو حريات التعبير والصحافة، أو التزامات الخدمة العالمية، والمشاركة السياسية، أو الحفاظ على الثقافة والأخلاق العامة)، بالإضافة إلى نقل المحتوى، أيًا كان المدخل، يميل باحثو الاتصال تاريخيًا لرؤية عملية الاتصال نفسها بوصفها مسألة منفصلة عن الأجهزة والأساليب التي يستخدمها الناس للقيام بذلك، لذا تُعرَّف تكنولوجيات الاتصال والإعلام تقنيًا باعتبارها وسائل لتحقيق غاية، أو تَدَخل في عملية غير مشوهة مختلفة من التفاعل والتعبير الإنساني"الحقيقي"، وليست جانبا أساسيا ومكملا من الاتصال نفسه، أما في حالة وسائل الإعلام الجديدة، على الرغم من أنه ليس من السهل عمل هذه الفروق البسيطة، فإن وسائل الإعلام الجديدة لا تدمج أو تعيد خلط سمات وقدرات جميع أنواع تكنولوجيات المعلومات والإعلام والمحتوى فقط، بل إنها أيضًا تطمس التقسيم المعتاد بين منتجي الإعلام ومستهلكيه، وبين هؤلاء الذين يصممون النظم والذين يستخدمونها، وفي الحقيقة أحد أكثر الأشياء اللافتة للنظر بشأن وسائل الإعلام الجديدة هي؛ لماذا يمكننا الاستمرار في تسميتها "جديدة"- هل لأنها نتاج تداخل مستمر من الأنشطة، والخدمات، والأنظمة والاستخدامات المبتكرة التي تدمج أو حتى تقضي على التمييز المألوف بين المكالمات التليفونية، أو الأفلام، أو الخطابات، أو الصحف، أو التليفزيون، أو التصوير الفوتوغرافي، أو الموسيقى، على سبيل المثال.

اقترحتُ وزميلتي سونيا ليفنجستون Sonia Livingstone نوعا مختلفا من التعريف لوسائل الإعلام الجديدة، هو أحد التعريفات -كما أتمنى توضيحه فى القسم التالى- الذى قد يكون مفيداً نسبيا لتحليل مشاريع وسائل الإعلام الناشطة والبديلة (ليفرو Lievrouw، ليفنجستون Livingstone, 2006, 2002)، لنبدأ به، عرّفنا وسائل الإعلام الجديدة بأنها: تقنيات المعلومات والاتصال وسياقاتها الاجتماعية التى تتضمن ثلاثة عناصر رئيسة:

(١) الأدوات المادية أو الأجهزة التى تمكن وتوسع قدرات الناس على الاتصال وتشارك المعنى.

(٢) وأنشطة الاتصال أو الممارسات التى ينخرط فيها الناس عندما يطورون ويستخدمون هذه الأجهزة.

(٣) والترتيبات الاجتماعية والأشكال التنظيمية الأوسع التى يبدعها الناس، وينشئونها حول الأدوات، والممارسات.

على سبيل المثال: فى حالة أجهزة التليفون المحمول قد يتضمن هذا التعريف أجهزة النظام والمكونات البرمجية (الهواتف، وأبراج التقوية، والأقمار الصناعية، والكابلات تحت البحر، وأنظمة التحكم، والكمبيوترات التى تتعقب المكالمات وتصدر الفواتير شهريا)، وكيف يستخدم الناس أجهزة التليفون المحمول (المكالمات الصوتية، والرسائل النصية، ودخول الويب، والبريد الصوتى، والمشتركون الذين يستخدمون خدمات تعاقدية طويلة الأجل، أو يدفعون قدر الاستخدام، وبطاقات زيادة الرصيد)، والطرق التى تنظم المستخدمين والأنظمة (شركات القطاع الخاص، وعملاؤهم، واللوائح الحكومية على الأسعار والمنافسة، وما إذا كان يمكن مراقبة المكالمات من قِبَل أجهزة تطبيق القانون أو من قِبَل الآباء القلقين).

بالطبع، كل أنظمة الاتصال، ليس فقط وسائل الإعلام الجديدة، تتضمن هذه العناصر الثلاثة، بدايةً من الخطابات المكتوبة بخط اليد الموضوعة فى مظاريف مختومة

ومرسلة إلى المُستقبلين عبر البريد العادى، وحتى الأنظمة المالية المحوسبة بكثافة هائلة، والتى تنفذ عمليات التداول الفورى فى الأسواق العالمية، قد نعرِّف الأدوات، والممارسات، والتنظيمات الاجتماعية التى ينطوى عليها أى نظام معين، الخطوة التالية فى تعريف وسائل الإعلام الجديدة هى: ذكر ما الذى يجعل أدواتها، وممارساتها، وترتيباتها مختلفة عن الأنظمة التكنولوجية الأخرى، بما فيها الأنواع الأقدم من وسائل الإعلام، ويمكننا هنا الإشارة إلى أربعة عوامل رئيسية تميز وسائل الإعلام الجديدة.

عاملان منهما لهما علاقة بالأساليب التى تميل وسائل الإعلام الجديدة بالتطور بها مع مرور الزمن - أى كيف شكَّلها وصممها المجتمع ومستخدموها، أحد العوامل هو أن وسائل الإعلام الجديدة تطورت مع مرور الزمن كتكنولوجيات هجينة أو مؤلفة - قاومت الاستقرار أو "الإغلاق" وتغيرت باستمرار نتيجة للجمع بين النظم الأقدم الموجودة (مثل تسجيل الفيديو) والابتكارات (البرمجيات التى تسهل تحميل الفيديوهات على اليوتيوب)، والنقطة المهمة هنا، أن وسائل الإعلام الجديدة هى منتج من أفكار الناس، وقراراتهم، وأفعالهم؛ حيث يدمجون التقنيات، والاستخدامات، والأغراض الجديدة والقديمة، ولا يعنى هذا أن التكنولوجيا ستعمل تماما كما "يُفترض" لها، لأنه يمكننا دائما التنبؤ كيف قد يُستخدم نظام أو يُعاد تصميمه لاحقا، أو أن بعض التكنولوجيات لن تصبح متأصلة، وروتينية، ومن الصعب تغييرها[٣]، بل يعنى هذا أن الناس يوجهون ويرشدون التغيرات التكنولوجية - فالتكنولوجيات لا تتطور فقط بنفسها فى بعض الاتجاهات الحتمية.

مثال شهير: هو الأربانت ARPA NET، النموذج الأولى المبكر والسالف لإنترنت السوم (أبات Abbate, 1999؛ وليفرو Lievrouw, b2006)، وصمم الأربانت (ARPA NET) مهندسون وعلماء يعملون لصالح وكالة مشروع بحثى متقدم فى وزارة الدفاع الأمريكية التى تربط أنظمة الهاتف بعيد المسافة وأجهزة الكمبيوتر كى تستطيع تبادل القدرة على معالجة البيانات العلمية عبر شبكة مختارة من أندر، وأغلى، وأعقد أجهزة

الكمبيوتر المركزية، وتم تصميم النظام لإعادة توجيه البيانات لأجهزة الكمبيوتر المختلفة تلقائيا إذا فشل جزء من النظام (تعرض لهجمة عسكرية مثلا)، ولم يتوقع هؤلاء المهندسون والعلماء أبدًا أن برنامجا بسيطا يسمح لعاملى المشروع بتبادل، وتخزين، وإعادة توجيه التلغرافات "رسائل البريد الإلكترونية" أن يصبح بسرعة الميزة الأكثر استخدامًا للنظام (نويل Newell، وسبرول Sproull, 1982)، وبالتالى "التطبيق القاتل" الأول فى العالم، أو أن ذلك البريد الإلكترونى سوف يطلق عصرا جديدا تمامًا من الاتصال بوساطة الكمبيوتر، ويمهد الطريق لأشكال أخرى من التعبير والتفاعل الرقمى، ويوضح شكلان نمو شبكة الإنترنت المتزايد خلال فترة خمسة وعشرين عاما منذ عام ١٩٨٠ حتى ٢٠٠٥ فى تاريخ أربانت المبكر، ويضمن ألين نويل Allen Newell وروبرت سبرول Robert Sproull (1982) رسما توضيحيا للنظام من الداخل فى عام ١٩٨٠ الذى تضمن عدة مئات فقط من أجهزة الكمبيوتر، وعلى النقيض؛ رسم مات بريت Matt Britt2005، خريطة جزئية لشبكة الإنترنت تحتوى على عدد لا يحصى ولا يعد من أعقد أجهزة الكمبيوتر. (انظر http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Internet_map_1024.jpg)

بالتأكيد، أصبحت بعض التكنولوجيات والاستخدامات مستقرة وروتينية، من الصعب أن نتخيل العالم بدون البريد الإلكترونى اليوم، لكن لأنه من السهل نسبيا التفكير فى تكنولوجيات الإعلام الجديد (فى الحقيقة، صُمم معظمها بتأن كى يمكن تعديلها)، وإبداع، وارتجال استخدامات وأنواع جديدة من المحتوى؛ بأنها تميل ليس فقط إلى التغيير بسرعة أكبر من سرعة أنظمة الإعلام فى الماضى، لكن أيضًا للاستمرار فى التغيير - وهو السبب فى أنه خلال العقود الأخيرة واصلنا التفكير فى وسائل الإعلام الجديدة باعتبارها "جديدة" كهدف متحرك.

عامل آخر يميز وسائل الإعلام الجديدة عن وسائل الإعلام الجماهيرية: هو أن النظم الأحدث صُممت وطُورت كإعادة تنظيم مستمر، وكشف، وتكنولوجيات ويب من

نقطة إلى نقطة، ومنظمات، ومستخدمين - أى كشبكة الشبكات، وفى هذا الصدد، تشبه بنية أنظمة وسائل الإعلام الجديدة إلى حد كبير التليفون والتلغراف المبكر أكثر من النشر أو البث، وهذا ليس مفاجئًا نظرًا لأن وسائل الإعلام الجديدة أنشئت على أساس نظام الاتصالات العالمى منذ الأربانت فصاعداً.

فى شبكات عالم اليوم يمكن لأى نقطة أن تتصل بأى نقطة أخرى، على نمط التليفون؛ حيث يمكن تقنيا لأى مستخدم استعادة، وتبادل الرسائل أو البرامج من أى مستخدم آخر، أو موقع على حسب الطلب، وتوضح السمة الجوهرية لوسائل الإعلام الجديدة قوة البنية الشبكية، والروابط الفائقة التى لا تربط فقط أحد الأماكن، أو الوثائق، أو الموارد بأخرى على شبكة الإنترنت، لكنها أيضا تفتح مسارا واسعا ومشروطا للغاية من الربط التالى الذى يمكن المستخدمين من الانتقال بين المواقع، والموارد، والناس بعوائق تكنولوجية قليلة، وهو ما يتناقض تناقضا كبيرا مع أنظمة الإعلام الجماهيرى التقليدى التى يولد فيها عدد قليل نسبيا من المبدعين أو المنتجين الكبار "منتجات" إعلامية من أجل التوزيع والاستهلاك الجماهيرى، وصُممت وسائل الإعلام الجماهيرية حول افتراض أن هناك - وينبغى أن يكون - مساراً خطيا ومباشراً من مرسل الرسالة إلى مستقبلها، من المنتج إلى المستهلك، من بداية إلى نهاية البرنامج، أو من نوع منتج إلى آخر، كما فى سوق النشر الجماهيرى، والسينما، والبث التليفزيونى على سبيل المثال.

البنية الشبكية لوسائل الإعلام الجديدة مُصممة كى تسمح إلى تكنولوجيات متنوعة (التليفون، والفيديو، والصوت المسجل، والوثائق النصية، وقواعد البيانات) وإلى المستخدمين بالاتصال وعدم الاتصال بالشبكة كما تتطلب الاستخدامات والأغراض المختلفة، بينما ليس هناك شك أن بعض عناصر وسائل الإعلام الجديدة الشبكية أصبحت أكثر مركزية نسبيا، ومستقرة بمرور الوقت، وأن صناعات وسائل الإعلام القديمة كيَّفت بعض منتجاتها لتلائم منصات وسائل الإعلام الجديدة، فإن انفتاح النظام المستمر على الابتكار (بما فيه من تخريب أو حلول) من أى مكان من الشبكة

يشكل اختلافًا جوهريًا عن الأنظمة التقليدية الأقدم (فى الحقيقة؛ هذا التوتر بين السيطرة والانفتاح هو فى قلب وسائل الإعلام المتنافسة ووجهات النظر الرائدة المذكورة فى بداية هذا الفصل)، أصبحت كلمة "شبكة" طريقة شائعة - لدرجة الإكليشيه- لوصف كل من الأنظمة التكنولوجية المترابطة وأنماط العلاقات الاجتماعية والتنظيمية التى تعكسها وتدعمها، مرة أخرى يشكل هذا تغيرا كبيرا عن صناعات وأنظمة وسائل الإعلام الجماهيرية التى تقوم بنيتها بشكل أساسى حول أشكال تنظيمية تراتبية هرمية من أعلى إلى أسفل كى تضمن التحكم المركزى، وتسهل الإنتاج والتوزيع الجماهيرى الموثوق من منتجات الإعلام إلى الجماهير الغفيرة، فضلا عن جمع وإعادة تدفقات ثابتة من الأرباح إلى المنتجين مرة أخرى.

العاملان الآخران اللذان يجعلان الإعلام الجديد جديداً لهما علاقة بعواقبهما أو نتائجهما على المجتمع والثقافة، الأول: هو إحساس الانتشار الواسع الذى يشجعانه، الوجود الواضح لوسائل الإعلام الجديدة فى كل مكان، وكل وقت، مما يؤثر على كل شخص فى المجتمعات التى تستخدمها، سواء استخدمها أم لم يستخدمها كل الأفراد بشكل مباشر[٤]، بالطبع لا تتوافر وسائل الإعلام الجديدة فى كل مكان، لكل شخص ولأى شىء بنفس الدرجة، وفى الواقع أصبح استمرار التفاوت وعدم المساواة بين المناطق الجغرافية والمجموعات الاجتماعية فى دخول الإنترنت موضوع دراسات عديدة ومناقشات دائمة حول "فجوات رقمية" عديدة (نوريس Norris, 2001، ورشور Warschauer, 2004)، لكن خلال العقود القليلة الماضية خاصةً منذ ظهور متصفحات الويب فى أوائل التسعينيات (التى جعلت مصادر معلومات على الشبكة أكثر تنوعًا فى متناول مزيد من الناس أكثر من ذى قبل)، وصل العديدون إلى افتراض - صوابًا أم خطأً - أن تكنولوجيات وسائل الإعلام الجديدة وتطبيقاتها سوف تصبح فى متناول الجميع فى النهاية كما ينبغى لها، وتعتبر خدمة عامة مثلها مثل خدمات الكهرباء، أو المياه، أو الاتصالات التليفونية أو أى ضروريات حياة أخرى فى المجتمعات المتقدمة[٥]، ولا يزال مدى وكيفية تحقيق هذا الافتراض فى الواقع فى شكل فرص وصول أكبر للناس فى المناطق أو المجموعات المحرومة سؤالا مفتوحًا.

أما العامل الرابع الذى يميز وسائل الإعلام الجديدة عن أنظمة الإعلام الأخرى فهو كونها تفاعلية بشكل أساسى، وتمنح المستخدمين درجة غير مسبوقة من الانتقائية والوصول لاختياراتهم من المعلومات والموارد الثقافية، ولتفاعلاتهم وتعبيراتهم الشخصية، وينبع الشعور بالتفاعلية إلى حد ما من بنية نقطة إلى نقطة الشبكية الخاصة بنظم وسائل الإعلام الجديدة المذكورة سابقًا؛ بسبب أن البنية التحتية على نمط أنظمة شبكات الهاتف وليس البث الإذاعى أو التليفزيونى، وتشكل الفورية، والاستجابة، والحضور الاجتماعى للمعلومات والأشخاص الآخرين التى يختبرها مستخدمو وسائل الإعلام الجديدة خبرة مختلفة نوعيا عن الارتباط بوسائل الإعلام، وتخلق توقعات مختلفة حول ما تستطيعه وسائل الإعلام الجديدة وما ينبغى أن تستخدم لصالحه عند مقارنتها بأنظمة وسائل الإعلام الجماهيرية التقليدية، وفى الوقت نفسه تستطيع الأنظمة التفاعلية وشديدة الانتقائية تعزيز شعور الإيمان بالذات والتمركز حول الذات، والتفتت الثقافى، والعارضة، كما تعزز الاعتقاد بأن الوصول الفورى إلى المعلومات السريعة التى تناسب الاهتمامات الشخصية والتفضيلات الفردية أكثر قيمة أو جاذبية من معرفة الخبراء العميقة، وهو ما أطلق عليه بعض النقاد اسم "يوميا لى Daily Me" (نيجروبونت Negroponte, 1995؛ وسنستين Sunstein, 2007)، وراجع أيضا محاكاة ساخرة وثائقية EPIC 2015 المناقشة فى الفصل الخامس.

تُعرَّف التفاعلية منذ فترة طويلة كخاصية مميزة لوسائل الإعلام الجديدة وتكنولوجيا المعلومات، وكانت محور مجموعة كبيرة من المؤلفات فى دراسات الإعلام بالفعل [على سبيل المثال، تتضمن معالجات المفهوم فى الدراسات المبكرة لوسائل الإعلام الجديدة دراسة رفائيل Rafaeli (1988)، رايس Rice (1984)، وروجرز Rogers (1986)]، إلا أنها مهمة بصفة خاصة فى عملية التغيير الاجتماعى/السياسى لأنها تدعم أو توفر الظروف من أجل المشاركة التى هى عنصر أساسى من وسائل الإعلام الجديدة الناشطة والبديلة (كما سنرى خلال هذا الكتاب)، قد تكون قدرة أنظمة وسائل الإعلام الجماهيرية على الإقناع هائلة، لكن النمط الأساسى لارتباط العامة بوسائل الإعلام

الجماهيرية هو الاستقبال (حتى من منظور "الجمهور النشط"، راجع الفصل الثامن)؛ لأن التعرض أو استقبال رسالة قد يثيران فعلاً من جانب المتلقى، وقد لا يثيران، وفى الحقيقة كُرست معظم الدراسات حول تأثيرات وسائل الإعلام التقليدية إلى فهم ما الشروط والاستعدادات الضرورية لتحويل استقبال رسالة إلى فعل، وعلى النقيض لا ترسل أنظمة وسائل الإعلام الجديدة المحتوى فقط، بل يجب على الناس استخدامها بنشاط لفعل شىء ما، على سبيل المثال؛ البحث، والتشارك، والتوصية، والربط، والنقاش، إلى آخره، الاستخدام هو بالتعريف، الفعل الذى قد يشجع مستخدمى وسائل الإعلام الجديدة نحو الانخراط فى المشاركة الاجتماعية والثقافية أكثر على شبكة الإنترنت وفى الواقع، قد نجادل بأن هناك خطوة أقصر من الاستخدام/التفاعل إلى المشاركة عن التى من التعرض/الاستقبال إلى المشاركة.

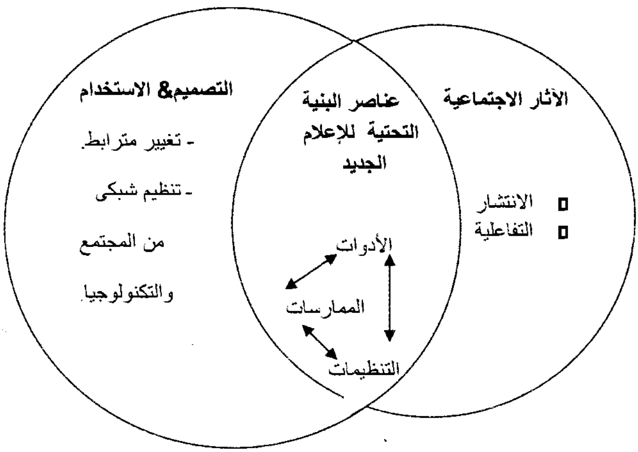
أصبحت المشاركة مثل التفاعلية، مفهوما أساسيا وجوهريا فى دراسات وسائل الإعلام الجديدة، على سبيل المثال: ناقش مارك دييز Mark Deuze (2006) ثلاثة أنماط من الارتباط بوسائل الإعلام الجديدة: المشاركة، والمعالجة، والاقتطاف (سوف نعود لمفهوم المعالجة فى الفصل الختامى، وسنناقش الاقتطاف كإستراتيجية اتصالية فى وسائل الإعلام الجديدة الناشطة والبديلة فى الفصل الثانى)، يؤكد دييز Deuze، أن المشاركة تجعل من الناس "عملاء نشيطين فى عملية صنع المعنى"(ص٦٦)، وتعزز وسائل الإعلام الجديدة المشاركة فى هذا المعنى التفاعلى والاستدلالى بشكل أساسى، وبالتالى فإنها توفر أيضاً المنصات الضرورية إلى الصحافة التشاركية، والديمقراطية التشاركية، إلى آخره، ويركز هنرى جنكيز Henry Jenkis (2006) على إنتاج وتوزيع "سلع" الثقافة الشعبية عبر وسائل الإعلام الجديد، يقول: على الرغم من أن كلمتى المشاركة والتفاعلية "غالبا ما تستخدمان بالتبادل"(ص١٣٣)، فإنهما مفهومان متمايزان، تشير التفاعلية إلى "الطريقة التى صُممت بها التكنولوجيات الجديدة لتصبح أكثر استجابة لرد فعل المستهلك"(ص١٣٣)، بينما تعتمد المشاركة على "البروتوكولات الثقافيَّة والممارسة"(ص٢٣).

كما يمكن اعتبار المشاركة النقطة التى تتحول عندها معرفة الفرد أو قدرته على الفعل فى الواقع إلى فعل اتصالى (ليفرو Lievrouw, 2001)، والتفاعلية شرط ثقافى، واجتماعى، وتكنولوجى ضرورى لدعم التفاعل والذى بدوره شرط ضرورى من أجل المشاركة، قد نفكر فى التفاعلية باعتبارها سمة البنية التحتية الإعلامية (صياغة الأدوات، والممارسات، والترتيبات الاجتماعية) والمشاركة باعتبارها شكلاً معيناً من الفعل المدعوم بتلك البنية التحتية، لكن كلا منهما يعتمد على الآخر، وتقدم وسائل الإعلام الجديدة "التفاعلية" فرصًا أكثر للفعل الاتصالى، والتفاعل، أكثر من معظم أشكال وسائل الإعلام الجماهيرية، وبالتالى فرصًا أكثر للمشاركة.

توجد أمثلة على المشاركة خلال هذا الكتاب، لكن بالرجوع إلى الأربع سمات الرئيسة التى تجعل وسائل الإعلام الجديدة جديدة - هجينة، وشبكية البنية، وواسعة الانتشار، وتفاعلية - تؤثر تلك السمات على بعضها البعض أيضًا، كما تساعد عناصر الاستخدام والتصميم (التهجين، والشبكات) فى تشكيل نتائج النظم الاجتماعية (الانتشار، والتفاعلية)، وبدورها تؤثر النتائج الاجتماعية على الاستخدام المتواصل واختيارات التصميم المستقبلية، ومرة أخرى باستخدام مثال التليفونات الخلوية والمسماة بالجيل الثالث أو تليفونات التطبيقات "App" phones، والمصممة لربط نطاق من خدمات الشبكة الجديدة والقائمة من (مكالمات صوتية، ورسائل نصية، وتصفح الويب، وإرسال الموسيقى إلكترونيا، والفيديو حسب الطلب)، لأن هذه الخدمات أصبحت جزءًا روتينيا من استخدام الناس للهواتف المحمولة فإن توقعاتهم سوف تؤثر طبيعيا على التصميم والتسويق وحتى على المزايا والخدمات الأحدث.

باختصار، يمكن تعريف وسائل الإعلام الجديدة (مثل تكنولوجيات الاتصال الأخرى) بأنها دمج الأدوات المادية، وممارسات الناس، والترتيبات الاجتماعية والتنظيمية المشاركة فى عملية الاتصال الإنسانى [أنظر شكل (١-٣)]، وعلى الرغم من أنها مختلفة عن أشكال وأنظمة وسائل الإعلام التقليدية الأخرى فى أربعة نطاقات

مهمة: من ناحية تصميمها، واستخدامها، فهى مهجنة باستمرار، وشبكية بشكل معقد وديناميكى، ومن ناحية نتائجها الاجتماعية: يعد الناس وسائل الإعلام الجديدة الآن أمراً مسلماً به كونها واسعة الانتشار ومتفاعلة (بسبب كون التفاعلية شرطاً ضروريا للمشاركة الاجتماعية، والسياسية، والثقافية)، ومع مرور الوقت، تستمر عوامل التصميم والاستخدام من ناحية، والنتائج الاجتماعية من ناحية أخرى فى التأثير على بعضها البعضًا بالتبادل، لأن التكنولوجيا - مجموعة من الأدوات، والممارسات، والترتيبات - تتطور.



يوضح شكل (١-٣) تعريف وسائل الإعلام الجديدة

تعريف وسائل الإعلام الجديدة الناشطة/ البديلة

يعطى التعريف فى الأعلى إحساساً واسعاً لماهية وسائل الإعلام الجديدة وكيف يدركها ويستخدمها الناس، لكن ما الذى يجعل استخدام وسائل إعلام جديدة معينة "بديلا" أو"ناشطا"؟

خلال العقد الماضى استكشف عدد من الكُتاب استخدامات وسائل الإعلام، بما فيها وسائل الإعلام الجديدة وتكنولوجيات المعلومات فى الحركات السياسية، والاجتماعية، والثقافية، وكما ذكر باحث الإعلام جون داوننج John Downing (2008) تحولت هذه المجموعة من المؤلفات من التركيز على استخدامات تكنولوجيات الاتصال، وخاصةً استخدام وسائل الإعلام الجماهيرية، من قِبَل الحملات السياسية السائدة والأحزاب إلى التركيز أكثر على انخراط المواطنين، أو النشطاء، أو المجتمع فى القضايا والحركات من خلال الإنترنت والتكنولوجيات ذات الصلة (انظر أيضًا سيلفر Silver, 2003)، كما ركزت مؤلفات أخرى على وسائل الإعلام التكتيكية ردًا على ما بعد سقوط الشيوعية فى أوربا عام ١٩٨٩، وفشل حركات اليسار الثورى، و"الانتصار" الظاهرى لرأسمالية السوق، وأشار منظرو الإعلام التكتيكى، لاسيما جيرت لوفينك Geert Lovink وديفيد جارسيا David Garcia إن وسط التفتت الثقافى والموضوعية الراديكالية لما بعد الحداثة يكون السبيل الوحيدة التى يمكن الاحتفاظ بها قُدما من أجل النشاط السياسى هى لحظات قصيرة، وعابرة، وسريعة الاستجابة، وهائمة من "المقاومة"، وليس الثورة (كوبت Cubitt, 2006؛ جارسيا Garcia، لوفينك Lovink, 1997)، وعلى الرغم من أن النقاد يؤكدون أن مثل هذا المدخل - خاصةً إن كله تكتيكى وليس استراتيجى - من السهل جدا أن تتشارك المصالح السياسية والاقتصادية السائدة فى اختياره، فإن تلك "المقاومة" المنتشرة ليست بديلا عن التغيير الثورى الجِذرى: "تخلت وسائل الإعلام التكتيكية عن جزء كبير جدا لصالح مؤيدى الليبرالية الجديدة (راى Ray, 2006، ص ٣٢) .

عمومًا، يعامل المحللون مشاريع وسائل الإعلام الجديدة الناشطة والبديلة باعتبارها التجسيد الأحدث لخط تاريخى طويل يبدأ من وسائل الإعلام الراديكالية، التى تعمل تحت الأرض، أو الأناركية (الفوضوية)؛ وتضم كلا من الصحف، ودور النشر الصغيرة، وإذاعات القرصنة أو تحت الأرض، والفيديوهات المفتوحة للعامة، وقد لاحظ كُتاب مختلفون الجودة التجريبية للمشاريع البديلة والناشطة التى توظف أشكال وأدوات كل من وسائل الإعلام الجديدة والجماهيرية، والتنوع فى وجهات النظر والقيم

المُعبَر عنها، والانتقائية، أو الطبيعة الثقافية الخاصة لجماهيرهم، وطبيعة الهواية أو التطوعية للمشاركة، وهامشية هذه المشاريع فى معارضة مؤسسات الإعلام الراسخة (أتون Atton, 2002؛ داوننج Downing، وآخرون، ٢٠٠١؛ ماكجورى McCaughey، أيرس Ayers, 2003 وميكل Meikle, 2002؛ وفان دى دونك van de Donk، وآخرون، ٢٠٠٤، فيج Vegh, 2003)، وعلى سبيل المثال؛ تُعرف ساندرا برامان Sandra Braman (2002) أربع سمات لوسائل الإعلام البديلة وتؤكد أن جميعهم موجودون فى الإعلام التكتيكى: "استخدام الوسيلة كمحتوى، ورفض الأيديولوجيا (الفكر)، والمزج بين السياسة والفن، وتقدير قدرة المعلومات الرقمية على تحقيق الأشياء مباشرةً".

مع ذلك قليل من هؤلاء المراقبين حاولوا تحديد ما إذا كان هناك أى شىء يميز المشاريع البديلة التى تستخدم وسائل إعلام جماهيرية تقليدية عن التى تستخدم وسائل الإعلام الجديدة/المتنوعة على شبكة الإنترنت، وطبق بعض الباحثين مفاهيم من بحوث الاتصال الجماهيرى الكلاسيكية (مثل نظرية الاستخدامات والإشباعات)، أو من الدراسات الإعلامية (ثالوث الإنتاج، النص، والجمهور) على حالات من وسائل الإعلام الجديدة، ويميل آخرون إلى إبراز الاختلافات بين وسائل الإعلام الجماهيرية والجديدة باعتبارها شىء بسيط من فرص أكبر للتفاعلية، أو المشاركة، أو رجع الصدى بدون التحقق بعمق من ماهية هذه الظواهر، أو لماذا هى مميزة، ويعارض بعض الكُتاب فى تحديد ما المشاريع أو القضايا البديلة أو الناشطة حقيقةً، وما هو غير ذلك، على سبيل المثال ترفض مارثا ماكجورى Martha McCaughey ومايكل أيرس Michael Ayers, 2003، ص١٤) فى مقدمة كتابهم عن النشاط على شبكة الإنترنت Cyberactivism تحديد ما الذى "يُمكن اعتباره "نشاطًا مشروعًا على شبكة الإنترنت" لأن المشاريع التى تبدو راديكالية أو معارضة من وجهة نظر قد تبدو ملتزمة أو فعالة بشكل غير كافٍ من منظور آخر، بينما يؤكد داوننج Downing، الذى نشر بغزارة فى موضوع الإعلام الراديكالى إنه: "ينبغى أن يكون السياق والنتائج هما الدليلين الرئيسين فى تعريف وسائل الإعلام البديلة الراديكالية نظرًا لمجموعة من القضايا، والعوامل، والاهتمامات، والمعانى المتضمنة" (داوننج Downing وآخرون، ٢٠٠١، ص x).

أحد الباحثين الذى صنع فروقا واضحة، هو كريس أتون Chris Atton، على الرغم من أن تحليلاته الدقيقه لوسائل الإعلام الجماهيرية البديلة و"الإنترنت البديلة" تحدد الاختلافات بين المشاريع السائدة والبديلة، فإنه أكد أنه بمرور الوقت تسعى وسائل الإعلام البديلة لأن تصبح تشاركية، وتحررية، وغير تجارية، وأصيلة (أى مخلصة إلى وجهة نظر المجتمع أو تجربته)، ومعادية للمؤسسية، أى تجمع ما بين "التعبير الإبداعى والمسئولية الاجتماعية" (أتون Atton, 2002، ص١٣-١٤)، بأسلوب يبتعد عن أساليب معظم وسائل الإعلام الرئيسة السائدة، علاوة على أن الإنترنت البديل يجمع ما بين السياسى والثقافى عبر مدى متنوع، ومتميز حتى من المشاريع، على الرغم من أن البعض (مثل مواقع إنديميديا(*) Indymedia أو مدونات التيار اليمينى) قد يميل أكثر إلى الاتجاه السياسى، بينما تميل أخرى (مثل مشاريع ثقافة التشويش أو الأعمال الفنية التى تتحدى قوانين حق النشر) إلى الاتجاه الثقافى، مع ذلك يركز أتون Atton فى النهاية على سمة المعارضة الصريحة لمشاريع وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة، وبشكل خاص على طبيعة هذه المشاريع كأفعال فى حد ذاتها، وليست اتصالا حول أفعال "حقيقية" أخرى (ما أسماه ستافان وارى Stefan Wray [1998] نشاط الفعل مقابل نشاط الكلمة)، وبالتالى، عرَّف أتون Atton الإنترنت البديلة بأنها: "مجموعة من المشاريع، والتدخلات، والشبكات الإعلامية التى تعمل ضد، أو تسعى إلى تطوير أشكال مختلفة عن الطرق السائدة، والمتوقعة (والمقبولة على نطاق واسع) من "عمل" وسائل الإعلام" (أتون Atton, 2004، ص ix) .

لهذا بأخذ إشارة من وصف أتون Atton، قد نعيد صياغة تعريف عام لوسائل الإعلام الجديدة المذكور أعلاه لنقترح أن وسائل الإعلام الجديدة المناضلة/البديلة توظف أو تكيف أدوات الاتصالات، والممارسات، والأنساق الاجتماعية لتكنولوجيات

(*) مواقع تتبع حركة الإعلام المستقل Independent Media (Indymedia) http://www.indymedia.org/en/index.shtml وسيأتى ذكرها بالتفصيل فى الفصل الخامس. المترجمة.

الاتصالات والمعلومات الجديدة كى تتحدى أو تغير من الطرق السائدة، أو المتوقعة، أو المقبولة عمل المجتمع، والثقافة، والسياسة.

يستفيد مبدعو مشاريع وسائل الإعلام الجديدة من الطبيعة الهجينة، والشبكية التى تمتاز بها البنية التحتية لوسائل الإعلام الجديدة، ومن الانتشار والتفاعلية اللتين تقدمهما إلى المستخدمين كى ينشئوا مشاريع مبتكرة تسمح للناس بتوسيع شبكاتهم الاجتماعية واتصالاتهم الشخصية، وإنتاج وتشارك معلوماتهم حول "اصنعه بنفسك"، والمقاومة، أو"الرد"، أو غير ذلك من أساليب النقد والتدخل فى الظروف السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية السائدة، أى أن مشاريع وسائل الإعلام الجديدة الناشطة/البديلة لا تعكس أو تنتقد فقط وسائل الإعلام والثقافة السائدة، إنما تشكلهما وتتدخل فيهما.

نظرية الإعلام الجديد والنوع

بداية من الفصل الثالث وحتى السابع، سوف ترجع المناقشة إلى خمسة أنواع رئيسة من مشاريع وسائل الإعلام الجديدة المعاصرة البديلة والناشطة: تشويش الثقافة، والحوسبة البديلة، والصحافة التشاركية، والتعبئة بوساطة شبكات الكومبيوتر، والمعرفة المشاعية، وترتبط كل واحدة من هذه الأشكال بمجال مختلف من الحياة الاجتماعية، أو الثقافة، أو الممارسة التكنولوجية، على سبيل المثال؛ يستعير تشويش الثقافة، ويعلق عليها، ويدمر عناصر من الثقافة الشعبية، مثل: المواد الترفيهية، والإعلانات، والفن، والموسيقى، والأدب، والسينما، إلى آخره، بينما الحوسبة البديلة تنتقد وتعيد تعريف البنية التحتية لتكنولوجيات الاتصال والمعلومات فى نفس الوقت، وتوظف مشاريع الصحافة التشاركية الخاصة بالهواة أو المتطوعين الأخلاقيات والممارسات المهنية لتحرير الأخبار والرأى التحريرى من أجل تغطية المجتمعات، والموضوعات، ووجهات النظر التى تتجاهلها الصحافة الرئيسية السائدة، أما التعبئة

بوساطة شبكات الكمبيوتر فتوسع وتنشط قوة العلاقات والتنظيمات الاجتماعية المحلية "الحية" - مثل شبكات القرابة والدعم الاجتماعى، أو الاتحادات المهنية، أو شبكات مشورة الخبراء، أما مشاريع المعرفة المشاعية فتعيد تنظيم وتصنيف المعلومات بطرق يمكنها تحدى أو تعيد صياغة تصنيفات المعرفة المتخصصة القائمة من المجالات والمؤسسات الثقافية السائدة، لكن قبل النظر فى كل تلك الأنواع على حدة، من المفيد القول: ما النوع؟ وكيف تلعب الأنواع دورًا فى وسائل الإعلام عامةً وفى وسائل الإعلام الجديدة خاصةً؟

بادئ ذى بدء، مفهوم النوع له تاريخ طويل فى دراسة الاتصال، بدايةً من تصنيف أرسطو للأنواع المختلفة للبلاغة وقوتها على التأثير أو إقناع المستمعين وحتى تحليل الأشكال الأدبية الرئيسية مثل الشعر والرواية، وحتى تصنيف الأفلام والعروض التليفزيونية وفقًا لأساليبها، وشكلها، ومحتواها (مثلا أفلام الغرب، أوالحركة، أو المواقف الكوميدية، أو عروض الألعاب/برامج المسابقات، أو برامج الواقع، أو أخبار)، ومنذ التسعينيات نظر الباحثون أيضًا إلى فئات متنوعة من الاتصال الفورى عبر الإنترنت باعتبارها أنواعًا، وتشمل: البريد الإلكترونى، والمواقع الشخصية، وصفحات الأسئلة الأكثر شيوعا، والمدونات، والصحف الفورية على شبكة الإنترنت، وسعت هذه الدراسات إلى فهم أوجه الشبه بين الأنواع الفورية على شبكة الإنترنت وبين الفئات الأكثر تقليدية من المحتوى الإعلامى، لكن قد يكون الأكثر أهمية أنهم اختبروا كيف قد تتطور الأنواع الجديدة وتحيد عن الأشكال المألوفة أكثر حيث يفهمها الناس ويستخدمونها بشكل مختلف، وحيث تصبح الأدوات التكنولوجية الحديثة متاحة.

بشكل أساسى؛ النوع هو فئة من التعبير أو الاتصال المفيد أو ذو معنى بين أفراد مجتمع معين أو خلال موقف محدد(٦)، وتتسم الأنواع بأن لديها شكلاً وغرضًا: ولهذا؛ فإن لها سمات مادية نموذجية أو تتبع عقود صيغة محددة، وتسمح للناس بالتعبير عن أنفسهم بشكل مناسب، وبتحقيق أغراضهم المتنوعة أو نيَّاتهم فى موقف معين، على الرغم من أن سمات الأنواع قد تعتمد إلى حد كبير على تكنولوجيات الاتصال أو

الإعلام المستخدمة فى إنتاجها، فإن النوع والوسيلة ليسا نفس الشىء - غالبًا ما ينشأ النوع فى إحدى الوسائل ثم يُنقل إلى وسائل أخرى، على سبيل المثال؛ كانت قصص الغرب الأمريكى فيما مضى نوعًا شعبيا من الروايات المطبوعة التى انتقلت فيما بعد إلى السينما والتليفزيون، فى الحقيقة أحد أكثر الجوانب إثارة للاهتمام فى الأنواع هو كيف يكيفها الناس ويعدلونها عندما تصبح هناك تكنولوجيات اتصال جديدة متاحة فى سياقات اجتماعية مختلفة؟ (أورليكوسكى Orlikowski، وياتس Yates, 1992).

الأنواع لها سمات مهمة أخرى عديدة ذات صلة بمشاريع وسائل الإعلام الجديدة الناشطة والبديلة، أولاً: إنها تساعد على "الوساطة" أو تيسير الاتصال بين أفراد المجتمعات، أو كما يقول فيل أجرى Phil Agre, 1998، ص٨١) الأنواع هى: "نقطة الالتقاء بين عملية إنتاج المواد الإعلامية وعملية استخدامها"، ويذكر كُتاب تحليل أنواع الويب An analysis of Web genres أن" الأنواع مفيدة لأنها تجعل الاتصال مُميزًا ومفهومًا بسهولة أكثر للمستقبلين"(ويليامز Williams، وكروستون Crowston, 2000، ص٢٠٣)، وفى معرض التعليق على وسائل الإعلام الجماهيرية أحادية الاتجاه مثل السينما، والتليفزيون لاحظ دينيس ماكويل Denis McQuail أن: "الأنواع قد تُعد كجهاز عملى لمساعدة أى وسيلة إعلام جماهيرى على الإنتاج بشكل مستقر وفاعل ولربط إنتاجها بتوقعات جمهورها ... وهى آلية لتنظيم العلاقات بين المنتجين والمستهلكين" (ماكويل McQuail, 2005، ص٣٧٠).

وبالتالى، الأنواع هى وسائل لإبداع وصيانة المجتمع والسياق الاجتماعى، والمنتجات الثقافية لتلك المجتمعات والسياقات، لكن يمكن تصنيفها أيضًا إلى مجموعات معينة أو مواقف قد لا يفهمها الدخلاء، لهذا يمكن أن تمثل الأنواع كحدود أو علامات تفصل الدخلاء وتحفظ قوة الموجودين بالداخل، كما بالنسبة إلى الثقافة الخاصة للشباب على سبيل المثال (هيبدج Hebdige, 1979)، وتشير سونيا ليفنجستون Sonia Livingstone إلى أن: "الأنواع المختلفة مهتمة بإنشاء وجهات نظر عالمية مختلفة"

(ليفنجستون Livingstone, 1990، ص١٥٥)، كما لاحظ دانيال شاندلر Daniel Chandler (2000) أن: "أى نص يتطلب ما يُسمى أحيانًا "رأس مال ثقافيًا" بواسطة جمهوره ليكون للنص معنى، وفى الواقع "تعريف نوع معين هو علامة على العضوية فى مجتمع معين" (ويليامز Williams، كروستون Crowston, 2000، ص٢٠٣).

نقطة أخرى مهمة حول الأنواع: هى أنها ليست ثابتة أو إستاتيكية، لكنها أنماط اتصال وتعبير نشطة وديناميكية تتغير مع ظروف واهتمامات مستخدميها، فعلى سبيل المثال؛ ظلت بعض الأنواع (الرواية اللغز، والمواقف الكوميدية التليفزيونية، ومقال المجلة العلمي، وافتتاحية الصحيفة، والبريد الإلكترونى) مستقرة نسبيا مع مرور الوقت لأنها ظلت دائمًا ذات معنى ومفيدة للناس الذين يستخدمونها، وبالتالى شعروا بعدم الحاجة إلى تغييرها، لكن قد تتغير أنواع أخرى بسرعة مثل المجتمعات التى أبدعتها ونشرتها، وتتضمن الأمثلة الحديثة البارزة مزج كل من صفحات الويب الشخصية، والتراسل الفورى"الدردشة"، والتوسيم Tagging، ووضع الإشارات المرجعية Bookmarking، والترفيه فى وسائل الإعلام الاجتماعى مثل تويتر وفيسبوك، بالإضافة إلى "مزيج mash ups - "اصنعه بنفسك من مقاطع الفيديو والموسيقى مثل تلك التى يجرى مشاركتها بين معجبى الرسوم المتحركة اليابانية ممن فى سن المدرسة الثانوية (إيتو Ito, 2009, [2008])، وكما تشير هذه الأمثلة، الأنواع ليست مستقلة بذاتها: عادةً ما يوظف أفراد المجتمع مجموعة متنوعة من الأنواع المتكاملة فى تفاعلاتهم، وهو ما يُسمى نظم الأنواع (Bazerman, 1995)، أو ذخيرة واسعة من الأنواع (أورليكوسكى Orlikowski، وياتس Yates, 1994).

لتوضيح هذه النقاط الأولية حول الأنواع، ومن ثم يمكننا تحديد الخمسة أنواع الرئيسية التى نتناولها فى هذا الكتاب، إلى جانب المجالات الثقافية/الاجتماعية التى تهتم بها، وبعض أشكالها النموذجية واستخداماتها (انظر جدول ١-١).

تشويش الثقافة: هو النوع الذى ينتقد الثقافة الشعبية/السائدة، لاسيما الشركات الرأسمالية، والتجارية، والاستهلاكية، هنا، يخصص فنانو الإعلام والنشطاء عناصر من الثقافة الشعبية و"يعيدون توظيفها" لصنع أعمال جديدة مع لمحة سخرية أو تدميرية - بعبارة أخرى "ينقب" تشويش الثقافة فى الثقافة السائدة كى ينتقدها، كإستراتيجية لعمل فن سياسى، يسبق تشويش الثقافة ظهور الإنترنت (وكما سنرى فى الفصل التالى، كثير من تكتيكاتها المميزة نشأت فى الدادئية Dada(*) الأوربية والموقفية Situationism)، استعارت مشاريع تشويش الثقافة المبكرة عناصر من وسائل الإعلام الجماهيرية، ومصادر الثقافة الشعبية، لا سيما الإعلانات المطبوعة والإذاعية، واتصالات الشركات المصورة (مثل: اللوجو، الشعارات، والمنتجات).

وتتضمن الأمثلة الكلاسيكية أعمال المجلة الكندية وموقع أدباستر Adbuster (http://www.adbusters.org)، وعلى الرغم من أنه بميلاد شبكة الويب العنكبوتية، تبنى نشطاء الإنترنت وفنانو الإعلام الرقمى سريعًا نفس الإستراتيجيات الإعلامية فى التسعينيات، متضمنة إطلاق "الميمات memes(**)"، ولهذا سُمى تسويق "عصابات guerrilla" أو "فيروسى"، فإن العاملين فى تشويش الثقافة ينبغى عليهم التعامل مع دورة مستمرة من "التشويش العكسى" حيث يعيد العاملون فى التسويق السائد تخصيص أو استعادة الرسائل والأساليب الراديكالية أو المعارضة (هيبدج Hebdige, 1979) كى يمنحوا منتجاتهم صورة لطيفة أو معارضة ثقافية أو ضد السائدة، وسوف نستكشف المزيد حول خلفية وإستراتيجيات تشويش الثقافة فى الفصل الثالث.

(*) دادائية (بالإنجليزية: Dada)، هى حركة ثقافية انطلقت من زيوريخ (سويسرا)، أثناء الحرب العالمية الأولى، كنوع من معاداة الحرب، بعيداً عن المجال السياسى، وإنما من خلال محاربة الفن السائد. يطلق عليها أيضًا (الدادائية)، وقد برزت فى الفترة ما بين عامى: ١٩١٦ و ١٩٢١. أثرت الحركة على كل ما له علاقة بالفنون البصرية، الأدب، والشعر، والفن الفوتوغرافى، ونظريات الفن، والمسرح، والتصميم. وسيتناول الكتاب الدادائية والموقفية بتفصيل أكبر فى الفصل الثانى. (المترجمة).

(**) لفظ استحدثه عام ١٩٧٦ البيولوجى ريتشارد داوكنز، ويشير هذا المصطلح إلى "وحدة المعلومات الثقافية" التى يمكن نقلها من عقل لآخر بطريقة مشابهة لانتقال الجينات من فرد لآخر خلال عملية التكاثر؛ حيث تعتبر الجينات وحدة المعلومات الوراثية، سرعان ما ظهر لاحقا علم خاص يدعى علم الميميات يعنى بدراسة هذه الفكرة وتطبيقاتها. http://en.wikipedia.org/wiki/Meme. (المترجمة).

جدول (١-١) أنواع وسائل الإعلام الجديدة الناشطة والبديلة

النوع	النطاق الاجتماعي	الأشكال	الأغراض
تشويش الثقافة	الثقافة الشعبية، والإعلام السائد، وشركات الإعلان.	صور، وصوت، ونصوص مناسبة من الثقافة الشعبية.	النقد الثقافي، والتعليق الاقتصادي والسياسي.
الحوسبة البديلة	الحوسبة، والاتصالات، والبنية التحتية للإعلام (الأجهزة والبرمجيات).	القرصنة Hacking، وتصميم نظام مفتوح المصدر، ومشاركة الملفات.	الدخول المفتوح إلى تكنولوجيا المعلومات، واستخدامها.
الصحافة التشاركية	التقارير، والأخبار، والتعليق، والرأي العام.	خدمات الصحف الفورية على الإنترنت، والمدونات، وإنديميديا	تغطية مجموعات وقضايا تنقصها التغطية، والتحقيقات الاستقصائية.
التعبئة بوساطة شبكات الكمبيوتر	الحركات الاجتماعية، وحركات الهوية، والسياسة الثقافية، وأنماط الحياة.	وسائل الإعلام الاجتماعي، والحشد بالبريد الإلكتروني، والعوالم الافتراضية، والمدونات	التعبئة الناشطة، وأمثلة من أنماط الحياة (التنبؤية).
المعرفة المشاعية	الخبرة، والأنظمة والمؤسسات الأكاديمية/التقنية، والمعرفة المباحة اجتماعيا.	التوسيم، وضع إشارات مرجعية، والويكي، و"حشد المصادر"	تعبئة معرفة الهواة "الدخيلة"، والتجميع شامل، وتنظيم المعرفة المتنوعة والسرية.

يتعلق نوع الحوسبة البديلة بالأجهزة، والبرامج، والسلطة المؤسسية وحراسة بوابة البنية التحتية المادية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، إنه عالم المبرمجين ذوى المهارات العالية والمهندسين الذين يعارضون ويحاولون التغلب على القيود التجارية أو السياسية المفروضة على الحصول على المعلومات أو تكنولوجيا المعلومات، أو على حد تعبير الناشط الإعلامى مارك ديرى Mark Dery يمكن اعتبارها - مثل " قرصنة الكمبيوتر المحظورة لكن بقصد فضح مخالفات المؤسسات أو الشركات" (Dery, 1993، التأكيد فى النص الأصلى) - وغالبا ما يُشار إلى هذة الممارسة باعتبارها قرصنة ناشطة hacktivism، وبالتالى تجمع الحوسبة البديلة ما بين الخبرة التقنية والالتزامات الأخلاقية الواضحة (أى لا يتم الاضطلاع بها فقط لتحقيق مكاسب شخصية أو التسلية، أو لأغراض إجرامية، انظر نيسينباوم Nissenbaum, 2004)، وتشمل مجموعة الأنشطة التى يمكن تصنيفها كحوسبة بديلة كلا من تطوير ونشر البرمجيات مفتوحة المصدر المجانية، لدرجة أن مصممى البرامج مفتوحة المصدر يعدونها انتقادا إلى تكنولوجيات الملكية (انظر البيان التأسيسى لمؤسسة البرمجيات المجانية، http://www.gnu.org)، بالإضافة إلى زرع أجزاء صغيرة خفية من الشفرة أو "بيض عيد الفصح" فى البرمجيات لإقرار مساهمة مبرمجين غير مرخص لهم من ناحية أخرى أو لإنتاج استجابات نظام غير متوقعه، وإظهار مدى حساسية البرامج المعروفة للفيروس أو الخروقات الأمنية علانيةً (غالبًا رغم اعتراضات صاحب النظام).

كما تشمل الحوسبة البديلة أيضًا تطوير البرامج أو النظم التى تراوغ أو تخرب مراقبة الدولة أو المراقبة التجارية والرقابة، وتشفير البيانات والاتصالات، أو تعطيل إدارة الحقوق الرقمية أو برامج الحماية ضد النسخ باسم حماية خصوصية المستخدمين، أو مساءلة الشركات أو الحكومات، أو حرية المعلومات على سبيل المثال؛ وتشمل التكتيكات الأكثر تطرفًا التخريب الموجه ضد المنظمات التى يعدها النشطاء متورطة فى أنشطة استغلالية، أو غير عادلة، أو فاسدة مثل "عاصفة - بينج" ping - storm(*)، أو هجمات

(*) بينج Ping: نظام لاختبار إذا ما كانت نظم الإنترنت تستجيب وما المدة التى تستغرقها بالملى ثانية للاستجابة (المترجم).

قطع الخدمة التى تزيد من العبء على خوادم المنظمة، و"قنبلة جوجل" التى تتلاعب فى ترتيب صفحة المنظمة على شبكة الإنترنت فى النتائج المقدمة من محركات البحث، أو إعادة توجيه الباحثين إلى صفحات ويب "محاكاة ساخرة spoof" تشبه الموقع الأصلى للمنظمة، لكن تضم محتوى نقديًا، للتأثير السياسى أو الساخر، وكما سنرى فى الفصل الرابع، غالبًا ما تتبع الحوسبة البديلة القيم الليبرالية والمعارضة ثقافيًا التى طورها مبرمجون من ذوى الكفاءة العالية فى الستينيات والسبعينيات، مَنْ يصفون أنفسهم بالقراصنة، الذين يعتبرون الحوسبة قوة من أجل التحول الاجتماعى التدريجى والتعبير الشخصى (نيسنباوم Nissenbaum, 2004؛ وتيرنر Turner, 2006).

مشاريع الصحافة التشاركية، لا سيما إنديميديا: هى خدمات ووسائل أخبار بديلة، أو راديكالية، أو نقدية قائمة على الويب تتبنى ممارسات وفلسفة الصحافة العامة، أو المدنية، أو صحافة المواطن، أو التشاركية، أو "مفتوحة المصدر" كى توفر بدائل إلى الأخبار ومقالات الرأى السائدة، ويشمل هذا النوع خدمات الأخبار على شبكة الإنترنت التى تُجمع وتُنشر فيها الأخبار بنفس طريقة المنشورات التقليدية المطبوعة وعلى شبكة الإنترنت، بالإضافة إلى مدونات الأخبار والرأى، التى يسهم فيها الكُتاب والقراء بالآراء ويناقشون الأحداث والقضايا الراهنة، وكلا النوعين من المشاريع ينتقد تقاليد وصلاحيات الصحافة القائمة (ما يُسمى "وسائل الإعلام السائدة")، خاصةً تهميش وسائل الإعلام السائدة أو إقصائها المجتمعات، والقضايا، ووجهات النظر المحلية، أو الأقلية، أو غير الشعبية، أو الهامشية، وغالبًا ما يعمل فى هذه المشاريع متطوعون لهم اهتمامات شخصية أو سياسية بالموضوعات والقضايا التى يتناولونها، وتغرس مواقع إنديميديا الاتصالية والتفاعلية داخل مجتمعاتها المحلية، وتسعى إلى كسر التمييز بين مقدمى الأخبار من ناحية وبين القراء/المواطنين من ناحية أخرى، وسوف ندرس فى الفصل الخامس مراكز الإعلام المستقل Independent Media Centers (IMCs) التى أطلقت حركة إنديميديا (حركة الإعلام المستقل).

يتعلق النوع الرابع؛ التعبئة بوساطة شبكات الكمبيوتر، بمجال التنظيم السياسى/الثقافى والحركات الاجتماعية، وتستفيد من أدوات البرمجيات الاجتماعية القائمة على الويب مثل مواقع الشبكات الاجتماعية، والمدونات الشخصية، والحشد المفاجئ بالبريد الإلكترونى، وخدمات النقاش على البريد الإلكترونى، بالإضافة إلى وسائل إعلام "اصنعها بنفسك" الرقمية من أجل صقل شبكات شخصية على شبكة الإنترنت، وتعبئة تلك الشبكات بهدف الانخراط فى عمل جماعى وساطى ومباشر، كما يوضح مثال حركة العدالة العالمية الذى نناقشه فى الفصل السادس أن تكنولوجيات وسائل الإعلام الجديدة ظهرت كساحات افتراضية قوية يستطيع من خلالها الأشخاص متشابهو الاهتمامات البحث عن المعلومات وإيجادها وتقييمها وبعضهم بعضًا عبر المسافات الجغرافية والحدود الاجتماعية/الثقافية، ومن خلالها يطور الناس العلاقات، ويبحثون عن النصح والإرشاد، ويمنحونه، ويكدسونه ويتاجرون بـ "رأسمال السمعة" على الإنترنت- وكل هذا كانت له عواقب مهمة على الحركات الاجتماعية، والثقافية، والسياسية، (وكما تشير مناقشة نظرية الحركة الاجتماعية فى الفصل التالى؛ تبدو الإنترنت والتكنولوجيات المتعلقة بها مناسبة بشكل مثالى لاحتياجات ومصالح نشاط الحركة الاجتماعية الجديدة المرتكزة على الهوية)، ولذا فإن التعبير المتزايد من الاتصال الجماعى والشخصى المباشر والوساطى/على شبكة الإنترنت، بالإضافة إلى العمل الجماعى هو محور الفصل السادس.

ويتعلق النوع الأخير، المعرفة المشاعية بمحتوى الثقافة نفسها، أى طبيعة المعرفة والخبرة، كيف تُنظم المعرفة وتُقيم، ومن يقرر؟ تقليديا، تعتمد نظم التصنيف الهيراركية، من أعلى إلى أسفل، أو التصنيفات الرسمية على معرفة منضبطة متخصصة -مثل تلك المستخدمة فى فهارس المكتبات - ساعدت فى تحديد نوع المعلومات التى تستحق الجمع وكيف ترتبط أنواع ومجالات مختلفة من المعرفة ببعضها بعضًا، لكن الحجم المطلق وخصوصية المعلومات الفورية على الإنترنت أدت إلى إبداع أدوات جديدة، مثل محركات البحث والوسوم التى تستخدم لغة الباحثين الخاصة، بدلا من كلمات محكومة محددة سلفًا (مصطلحات البحث أو اللغة التقنية) مُجازة من الخبراء من أجل تحديد

ـوضع واسـتـعـادة الموارد المتـصلة، هذا الاعـتـمـاد على اللغـة اليـومـيـة، ومـخـططات المسـتـخـدم لتـصـنيف المعلومـات وتقـيـيـمـهـا يعـزز نمو التـصـنيف القـائم على العـامـة folksonomies – أى مخططات تصنيف عضوية ديناميكية من أسفل إلى أعلى من أجل تنظيم مـصـادر المعلومـات المتنوعـة، أو السـرية، أو المحليـة، أو الشـخـصـيـة، أو غـيـر المتخصصة وتصنيفها التى غالبًا ما تتحدى أو تنتقد التصنيفات المنضبطة المتخصصة، ويقدم الفصل السـابع ويكيبيديا كدراسـة حـالة لتوضـيح كيف أن الويكى، والتوسيم، وغيرها من أدوات التعاون عبر شبكة الإنترنت فتحت الطريق أمام البدائل الشعبية بديلا عن إجماع المتخصصين.

كتـاب وسـائل الإعلام الجديدة الناشطة والبديلة مُعَد لأن يكون مقدمة عن نشـاط وسـائل الإعلام الجديدة، وملخصًا واسـعًا لهذا المجال الناشئ من الدراسة والممارسـة، وبالطبع لا يستطيع الكتـاب تغطيـة كل حـالة نقـاش سيـاسـى، أو جدل ثقـافى بعـمق؛ والقـراء مدعوون للاطلاع على مـراجع الكتب الأخـرى التـى تتناول تكنولوجيـات إعـلام معينة، أو مشاريع ناشطة، أو حركات وقضايا اجتماعية بمزيد من التفصيل.

الكتـاب مُنظم بطريقة مـخطط السـاعة الرملية، يبدأ بلمـحـة عـامـة حـول النظرية والتاريخ فى الفصل الأول والثانى، يليها خمسة فصول تتناول الأنواع الموضحة بالأعلى كل على حدة، ويقدم كل فصل من هذه الفصـول الخـمسـة مناقشـة خلفيـة عـامـةً للنوع موضـع النقاش، ويستخدم مثالا رئيسا لتوضـيح النقاط الرئيسية، وفى الفصل الأخير يتسع النقـاش مرة أخرى ليأخذ فى الاعتبـار منظور الوسـاطة فى دراسـات الاتصـال، خاصـةً جوانب إعادة التشكيل والمعالجة كأنماط تعريفية للفعل الاتصـالى عبر الأنواع، ويختتم الكتاب بنظرة موجزة للوساطة كوسيلة مفيدة لإعادة توجيه الأبحـاث النظرية والتجريبية حول الاتصال والتكنولوجيا ووسائل الإعلام الجديدة والمجتمع.

الفصل الثانى

جذور وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة

يمكن أن يكون مغرياً افتراض أن وسائل الإعلام الجديدة، وخاصة الإنترنت، حولت طبيعة الاتصال الإنسانى والثقافة، وجعلت كل أساليب التعبير والتفاعل السابقة بائدة، كما ذكرنا فى الفصل الأول، نميل إلى المساواة بين "الجديد" وبين ما لم يسبق له مثيل، وأن ننسى أن الابتكارات الناجحة مبنية دائما على أسس التقنيات والنظم القائمة، وهذا لا ينطبق فقط على تكنولوجيات الإعلام والمعلومات نفسها، ولكن أيضا على كيفية استخدام الناس لها، وسبب استخدامهم لها.

نستكشف فى هذا الفصل اثنين من مصادر التأثير المهمة على الاستخدامات البديلة والناشطة لوسائل الإعلام الجديدة، أحدهما ثقافى، والآخر سياسى/اجتماعى، الأول: هو إرث الفن الناشط، وخاصة الأعمال الدادائية Dada والموقفية Situationism، التى تجمع بين السياسة الراديكالية والاستخدامات التحريضية الجديدة لوسائل الإعلام، والأداء، واللغة.

أما الثانى: فهو دراسة الحركات الاجتماعية كآليات أو عوامل للتغيير الاجتماعى، ولا سيما من منظور الحركات الاجتماعية الجديدة التى تركز على الهوية والنظرية اللاحقة المتطورة منذ الستينيات، كلا التيارين له أصول فى أوائل القرن العشرين، وساعدا فى تشكيل الطرق التى يستخدم بها نشطاء العصر الحالى، وفنانوه، وحركاته تكنولوجيات وسائل الإعلام الجديدة من أجل التعبير عن أفكارهم، وتوضيح مصالحهم وتنظيم الموارد والأشخاص، وتحقيق أغراضهم.

بوضوح؛ قد لا يستطيع فصل واحد الإلمام بمدى وعمق المعرفة القائمة بالفعل عن الدادائية Dada، أو الموقفية Situationists، أو الحركات الاجتماعية الجديدة، فكل موضوع فى حد ذاته هو مادة لأدبيات شاملة، والقراء المهتمون بهم بشكل خاص يمكنهم أن يجدوا مصادر عديدة أكثر تفصيلا، لذا فإن الغرض من هذا الفصل هو تقديم بعض المعلومات الأساسية فيما يتعلق بهذه الحركات السياسية والثقافية، وعرض الكيفية التى عادت بها أفكارها وإستراتيجياتها الأساسية إلى الظهور على السطح كملامح مُحددة لمشاريع العصر الحالى الإعلامية الجديدة البديلة والناشطة، نبدأ من المسودات التاريخية للدادائية، والمواقفية الدولية، وتطور دراسات الحركة الاجتماعية، وخاصة صعود الحركات الاجتماعية الجديدة، وبالتالى استعراض الموضوعات، والأفكار، والأدبيات الحديثة التى تربط هذه الحركات والنشاط على الإنترنت، وفى نهاية الفصل نعود إلى مناقشة الأنواع التى بدأت فى الفصل الأول، ونضع إطارا مفاهيميا لفهم أنواع وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة المستمدة من سوابقها التاريخية والفكرية فى الفن الناشط والحركات الاجتماعية الجديدة.

الجذور الثقافية: الدادائية Dada والموقفية Situationism

أدرك النقاد والباحثون الثقافيون منذ فترة طويلة العلاقات بين "ثقافة إعادة المزج remix culture" التى يتسم بها العصر الحالى - من أخذ العينات، والتجزئة، والتجاور، وإعادة التركيب من عناصر متباينة من نص وصورة وصوت لإنشاء أعمال جديدة - وبين توافر الاستخدام السهل لتكنولوجيات وسائل الإعلام الرقمية (على سبيل المثال؛ مانوفيتش Manovich, 2007)، ولكن كما أشار العديد من النقاد والمؤرخين إلى الوعى الثقافى حول الانقطاع الراديكالى وقطيعة الخبرة اليومية الشائعة فى ثقافة الإعلام المعاصر التى يمكن عزوها بقدر ما إلى الدادائية، التى ظهرت فى أوربا فى ذلك الوقت من الحرب العالمية الأولى (ديكرمان Dickerman, 2005؛ وهوبكنز Hopkins, 2004؛ وهيوز Hughes, 1991؛ وليبارد Lippard, 1971)، وفى الخمسينيات والستينيات انتعشت حساسية متصلة - وبعض التكتيكات نفسها- فى فرنسا بين فنانى وكُتاب الموقفية

دولية، ردا على انتشار ثقافة الاستهلاك والقوى العسكرية/الاستعمارية، و"المشهد" الأيديولوجي المُعطَل الناتج عن النظم العالمية للاتصال الجماهيرى والهيمنة الثقافية، وتكتشف النقد المقدم من الموقفية الدولية ساحة جديدة خصبة فى وسائل الإعلام الجديدة الناشطة (بيست Best، كيلنر Kellner, 1999؛ واونينج وآخرون، ٢٠٠١).

كما سوف نرى، فإن العديد من التقنيات، والأساليب، والإستراتيجيات المستنتجة من الدادائية والموقفية تم استيعابها فيما يمكن أن يُطلق عليه "سمة مؤسسة" لثقافة العصر الحالى الرقمية، لا سيما المشاريع البديلة والناشطة التى تهدف إلى إلغاء معانى المهيمنة والمسلم بها من الحياة اليومية، والسياسة، كانت الدادائية والموقفية هى السوابق الثقافية الوحيدة على الإطلاق عن وسائل الإعلام الرقمية التى تستخدم التجزئة، أو الانقطاع، أو التناقض، أو التجاور كإستراتيجيات اتصالية: قد نفكر فى التكعيبية، والمستقبلية، والسريالية، والفن المفاهيمى، والفن الشعبى، ومناهج القرن العشرين الأخرى أيضا، إلا أن الدادائية والموقفية لديهما أهمية خاصة فى النقاش الحالى بسبب أهدافهما السياسية الصريحة، ونقدهما النظم الاقتصادية والسياسية المهيمنة، وتخصيصهما وتكييفهما الجاهز لتكنولوجيات وسائل الإعلام والمحتوى الشعبى من أجل مواجهة التدخل فى الثقافة والسياسة السائدتين.

ثقافة إعلام أوائل القرن العشرين : الدادائية Dada

وهكذا ولدت الدادائية من الحاجة إلى الاستقلال، ومن انعدام الثقة فى الوحدة، أولئك الذين معنا يحتفظون بحريتهم، نحن لا نقر بأى نظرية، لدينا ما يكفى من أكاديميات التكعيبية والمستقبلية: مختبرات الأفكار الرسمية... دعوا كل شخص يعلن: هناك عمل سلبى كبير من التدمير يتعين إنجازه، يجب علينا أن نكتسح وننظف... الحرية: دادا، دادا، دادا، دوى من الألوان المتوترة، وتضافر الأضداد وكل التناقضات،

والشواذ، والتباينات: الحياة. تريستان تزارا Tristan Tzara، مانفيستو الدادائية لعام ١٩١٨ (تزارا [1918] Tzara , 1971، ص١٥، ٢٠)

فكرت قائمة دولية من الفنانين والكتاب فى جميع أنحاء نصف دزينة من المدن الأوروبية ونيويورك فى الدادائية وتطبيقها ما بين عامى ١٩١٥ و١٩٢٥ تقريباً، فى ظل ما كان يسمى بـ "الحرب العالمية" (ديكرمان Dickerman, 2005؛ وليبارد Lippard, 1971)، سوف نناقش أصل الكلمة نفسها فى السنوات اللاحقة بين الباقين على قيد الحياة من الدادائيين Dadaists ومؤرخى الفن، ولكن الجميع اتفق على إنها اختيرت عمدا لعبثيتها، وطبيعتها الصبيانية، وككلمة تعنى القليل أو لا شىء فى أى لغة من لغات الفنانين المشاركين (داشى DACHY, [2005] 2006؛ هوبكنز Hopkins, 2004)، انصدم مؤسسو الدادائية صدمة عميقة بذبح وإهدار الحرب الميكانيكية الحديثة، وكان العديد منهم قد خدم فى الحرب (ومنهم أوتو ديكس Otto Dix، وماكس إرنست Max Ernst، ولويس أراجون Louis Aragon، وهانا هوخ Hannah Höch، وهانز ريختر Hans Richter)، وأصيبوا ببعض الإصابات الجسدية والنفسية الخطيرة المستديمة، بينما فر آخرون إلى زيوريخ المحايدة لتجنب الصراع، أو إلى نيويورك قبل دخول الولايات المتحدة الحرب، أو ادعوا الإعاقة التى تعفيهم من الخدمة العسكرية، ويعلل بعض المراقبين أن العزلة بين الجيل الأكبر سنا الذين يروجون للحرب ويمجدونها، والجيل الأصغر سنا الذين يحاربونها أنتجت "الفجوة بين الأجيال" الأصلية فى القرن العشرين (هيوز Hughes, 1991).

وقد غضب الدادائيون Dadaists أيضا مما اعتبروه تجرداً من الإنسانية مرتبطًا بالإنتاج الصناعى الجماهيرى والمرتبط بصعود النزعة الاستهلاكية الجماهيرية، والتى بدت أنها – بالإضافة إلى الحرب – قد حلت محل قيم وتطلعات ثقافة القرن التاسع عشر الأوروبية العالية تمامًا، كما يصف دونالد إجبرت Donald Egbert (١٩٧٠، ص ٢٩٦) ذلك "أرادت [الدادائية] أن تصدم من أجل كشف

الفراغ الشيطاني في قلب حضارة تدمير الذات، و"ازدهرت ثقافة وسائل الإعلام الناشئة منذ سنوات ظهورها إلى الثلاثينيات (الفترة التي اشتهرت بوصف الناقد والتر بنيامين باسم "سن الإنجاب الميكانيكي") عبر الراديو، والتلغراف اللاسلكي، والصحف والمجلات المصورة، ونشرات الأخبار، والدعاية، وتقنيات التسويق، واستخدمت جميعها لتقديم الحرب بفورية جديدة ومثيرة للقلق، بالإضافة إلى السلع الاستهلاكية كوفاء لرغبات لا تقاوم، وبالتالي رفض الدادائيون Dadaists المفاهيم المثالية من "الفن من أجل الفن" والتعالي لصالح موقف "مناهض للفن" يزعم أن الفن جزء لا يتجزأ من التجربة الذاتية من الحياة اليومية: "كان السؤال الضمني الذي طرحه الدادائيون Dadaists على أنفسهم هو كيفية إعادة تخيل الممارسة الفنية في عصر وسائل الإعلام والحرب التكنولوجية"(ديكرمان Dickerman, 2005، ص٧).

وكانت الدادائية مبتكرَة التكنولوجيا: تبنى الفنانون ودمجوا تقنيات وسائل الإعلام الجديدة مثل التصوير الفوتوغرافي، والسينما، والنشر ضخم الإنتاج مع الأشكال الفنية الرفيعة مثل الرسم، والنحت، والمسرح، آخذين إشارة البدء من تقنية الكولاج التكعيبية المبكرة (التي كان الفنانون يلصقون فيها مواد عادية مثل ورق الصحف، أو الأقمشة المشمعة، أو مقاعد كرسي منسوجة من القش على اللوحات)، طور الدادائيون Dadaists تقنيات من تجريد ومونتاج الصور، وتجميع أجزاء الصور، والنصوص في مجاز مفكك وأحيانا عشوائي يهجو وحشية وعبثية الحرب، والسياسة، والثقافة الشعبية، ويمكن الاطلاع على تنوع غني من الصور ووسائل الإعلام التي وظفها الدادائيون على موقع معرض ٢٠٠٦ حول الدادائية نظمه معرض الفن الوطني National Gallery of Art في واشنطن (http://www.nga.gov/exhibitions/2006/dada/artwork/index-main.shtm)، بالإضافة إلى صفحة ويكيبيديا مدخل عن الدادائية (http://en.wikipedia.org/wiki/Dada).

في الواقع؛ تشكل المصادفة، والعشوائية، و"العَرَضية" موضوعا مركزيا في جماليات الدادائية، مما يعكس عبثية أنها – من وجهة نظر الدادائية– جاءت من أجل

السيطرة على الحياة الحديثة (إجبرت Egbert, 1970؛ وهيوز Hughes, 1991)، وكتب تريستان تزارا Tristan Tzara – زعيم الدادائية الذى نصب نفسه بنفسه، ومؤلف بيان الدادائية التأسيسى فى عام ١٩١٨ المقتبس بالأعلى– قصائد من خلال قص الكلمات من الصحف، وخلطها فى كيس، ولصقها بترتيب سحبها، وبالمثل، قص هانز آرب Hans Arp "قطعا غير منتظمة من الصحف، وأوقعها، واستخدم هذا الترتيب الصدفوى الناتج كنقطة انطلاق من أجل لصقها فى كولاج" (اجبرت Egbert, 1970، ص٢٩٥).

صنع الدادائيون Dadaist منحوتات باستخدام جميع أنواع الأشياء الموجودة من الملابس إلى أجزاء الآلات، وبلغ هذا الاتجاه ذروته مع مصنوعات مارسيل دوشامب Marcel Duchamp الجاهزة الشهيرة: رفوف الزجاجات، وإطارات الدراجة، أو المباول الموقعة والمعروضة باعتبارها عملا أصليا للفنان، وتعليقا لاذعا على التصنيع والاستهلاك الجماهيرى، ومنذ إطلاق الحركة فى ملهى فولتير فى زيورخ فى عام ١٩١٦، عقد الفنانون والكتاب الدادائيون أحداثا ثقافية، أو"استفزازات" تجمع ما بين التجهيزات الفنية، والقراءات الشعرية، والعروض الدرامية الغريبة والعروض الموسيقية، والتعيق السياسى، وطالبوا بمشاركة الجمهور، وقاطعوا كل الأحداث الثقافية العامة، والخدمات الدينية، وخاطبوا الكهنة والمسؤولين فى الشارع، كما نشر الدادائيون Dadaists مجلات تجريبية من الشعر، والصور، والمقالات الدادائية، المعتمدة على أسماء الشهرة والأسماء المستعارة المتعددة، وصنعوا هوايات جديدة وذواتا بديلة، وأصبحت ما تسمى "لفتة لا مبرر لها" تكتيكا دادائيا مركزيا ويعنى استخدام الفن لتعطيل الشائع وفرض طرقا جديدة من رؤية الواقع (ليبارد Lippard, 1971).

جى ديبور والموقفيون الدوليون

فى الخمسينيات والستينيات كون الفيلسوف الفرنسى والناقد والمخرج جى ديبور Guy Debord ومجموعة صغيرة من الفنانين والكُتاب الآخرين المنسحبين من نطاق جماعات وتجمعات سابقة (بما فى ذلك لترست الدولية Lettrist International، وفنانو كوبرا [كوبنهاجن، وبروكسل، وأمستردام]، والحركة الدولية لمصورى باوهاوس

Bauhaus؛ فورد، ٢٠٠٥) الموقفيون الدوليون International Situationist فى باريس، ولكن نقدهم لمجتمع ما بعد الحرب الفرنسى، وأسسه الرأسمالية والاستعمارية يمزج تكتيكات أوائل القرن العشرين الصادمة من الدادائية والسريالية، (وهذه الأخيرة كانت هى نفسها استجابة للتراكم الرأسمالى) بالاقتصاد السياسى المعقد للماركسية ما بعد الستالينية.

أدرك الموقفيون أن ثقافة الاستهلاك العصرية التى أفزعت أنصار الدادائيين فى مطلع القرن العشرين لم يتم التغلب عليها، بل تطورت لتصبح شكلا جديدا منتشرا، ومذهلا، أصبحت فيه صور الاستهلاك والبضائع مهيمنة على الثقافة وبديلا عن الخبرة الشخصية الأصلية، والابداع، والمشاركة الثقافية أكثر حتى من السلع نفسها، المنتجة والموزعة فى دائرة لا نهائية من تمثيل الرغبات ومعالجتها من خلال صناعات وتكنولوجيات وسائل الإعلام الجماهيرية، ويلخص ديبور Debord هذه النقطة: "استلزمت مرحلة سابقة من الهيمنة الاقتصادية على الحياة الاجتماعية تقليصًا واضحًا من الوجود إلى الملكية ... المرحلة الحالية، التى فيها الحياة الاجتماعية مستولى عليها تماما بمنتجات الاقتصاد المتراكمة، تستلزم تحول معمم من الملكية إلى الظهور ... المشهد هو تراكم رأس المال إلى النقطة التى أصبح فيها صورة" (ديبورد Debord, 1994 [1967]، ص١٧، ص ٢٤، والتركيز فى النص الأصلى).

أنتج المشهد الشامل المُدعَم والمُستنسَخ فى السياسة، والتعليم، والترفيه، والحياة الخاصة، شكلا جديدا من أشكال الاغتراب الذى حل محل الواقع، وشل قدرة الناس على العمل من أجل أنفسهم، وقضى على إمكانية مقاومة الهيمنة السياسية والثقافية والاقتصادية، وقَلَّص الأشخاص إلى مجرد متفرجين فى حياتهم ومجتمعاتهم الخاصة، بالنسبة إلى أى شخص فى مجتمع تهيمن عليه وسائل الإعلام فإن الشكل الجديد من الاغتراب "يعمل هكذا: كلما تأمل، كلما يعيش أقل؛ وكلما أدرك سريعا احتياجاته فى صور الاحتياج التى يقترحها النظام السائد، كلما قل فهمه لوجوده ورغباته الخاصة ... يشعر المتفرج بأن وطنه فى لا مكان، بالنسبة لمشهد موجود فى كل مكان"(ديبور Debord, [1967] 1994، ص٢٣).

قالت الموقفية الدولية: إن السبيل الوحيدة لمواجهة وتدمير قوة المشهد بالنسبة إلى الناس هو بناء مواقفهم التدميرية البديلة الخاصة بهم فى الحياة اليومية التى قلبت تمثيلات الثقافة والسياسة المهيمنة التى تحركها وسائل الإعلام، وفى مقال نشر أولا فى عام ١٩٦١، بعنوان "إرشادات لحمل السلاح"، أعلن ديبور Debord:

> **لا بد من اختراع الثورة، هذا كل شىء ... ولا يمكن إيقاظ إبداع ومشاركة الناس إلا من خلال مشروع جماعى معنى صراحةً بجميع جوانب الخبرة المعاشة، والطريقة الوحيدة لـ"إثارة الجماهير" هى فضح التناقض المروع بين هياكل الحياة الممكنة وفقرها الحالى... لا ندعى تطوير برنامج ثورى جديد كله بأنفسنا، إنما نقول إن هذا البرنامج فى عملية التشكيل سوف يصارع الواقع الحاكم عمليًا يومًا ما، وأننا سوف نشارك فى هذا الصراع (ديبور Debord, [1961], 1981c، ص٦٣-٥)**

مثل الدادائيون Dadaists، يعتقد الموقفيون Situationists إنه لا ينبغى فصل الفن عن الحياة والخبرة اليومية: "إن مشروع الموقفية ... مطالب بالتغلب على جميع أشكال الانفصال، حتى يتمكن الأفراد من إنتاج حياتهم، وثقافتهم، وأشكال تفاعلهم الاجتماعى الخاصة مباشرةً" (بيست Best، كيلنر Kellner, 1999، ص ١٣٣).

فى كتاباتهم، وأفلامهم، وغيرها من الأعمال الثقافية، استخدم الموقفيون عدة إستراتيجيات رئيسية لبناء المواقف الأولى كانت الانجراف، حرفيا "الانسياق"، والذى فية "محاولة لاكتشاف تنويهات الحياة الحقيقية المفقودة خلف وجه المجتمع الحديث المُرَكَّب تماما" (ماركوس Marcus, 2002، ص٧)، وسوف يهيم المشاركون على وجوههم فى الشوارع والأماكن الحضرية، من أجل تسجيل الملاحظات، واللقاءات، والتفسيرات التى تتحدى وجهات النظر المسلم بها فى الحياة والعمل، بل وإعادة تعريف معنى المكان الحضرى باعتباره خبرة ثقافية ذاتية (سادلر Sadler, 1998)، وفى أوائل الخمسينيات "اعتاد ديبورد Debord وزملاؤه فى لترست الدولية Lettrist International الشرب كثيراً

وتخطيط [مثل هذه] الجولات المنهجية" (جاب Jappe, 1999، ص ٤٥)، كان الانسياق إستراتيجية مشابهة إلى حد ما لتلك التمشية المتسكعة فى أواخر القرن التاسع عشر فى باريس المحتفية بشارل بودلير Charles Baudelaire ووالتر بنيامين Walter Benjamin (بنيامين Benjamin, 1968, [1955])، وفى الآونة الأخيرة قورنت بتجربة التنقل بين مصادر المعلومات والشبكات الاجتماعية على الإنترنت (هارتمان Hartmann, 2004)، ووصف ديبورد Debord المنهج فى العدد الثانى من مجلة المجموعة الموقفية الدولية: "فى الانسياق يسقط شخص أو أكثر خلال فترة معينة دوافعهم المعتادة من أجل الحركة والفعل، وعلاقاتهم، وعملهم وأنشطتهم الترفيهية، ويسمحون لأنفسهم بالانجذاب نحو الإقليم واللقاءات التى يجدونها هناك (ديبورد Debord, 1981a [1958] ، ص٥٠).

رغم أن الموقفيين Situationists تخلوا إلى حد كبير عن إستراتيجية الانسياق بحلول أوائل الستينيات (روس Ross, a2002)، فإن ديبورد سوف يعبر عن رأيه فى فيلمه الوثائقى (ندور حول الليلة التى التهمتها النيران) In girum imus nocte et consumimur igni المنتج فى عام ١٩٧٨ قائلا "لم نبحث عن صيغة لتغيير العالم فى الكتب، ولكن فى التجوال، والانسياق بلا توقف لعدة أيام متواصلة، لا أحد يشبه أحداً قبله ... لم نظهر على شاشة التليفزيون لنعلن اكتشافاتنا، ولم نكن نسعى إلى منح من المؤسسات الأكاديمية أو ثناء من صحف المثقفين، بل سكبنا الزيت على النار"(ديبورد Debord, 2003[1978]).

وكانت ثانية أشهر إستراتيجية يدعمها الموقفيون هى: الاقتباس Détournement، التى تستخدم تقنيات دادائية الأسلوب من الكولاج والمونتاج لإبداع أعمال جديدة من مواد ثقافية "موجودة"، ولكن مع تركيز أكبر على تدمير أو عكس المعانى الأصلية للصور أو النصوص أو العناصر الأخرى المستعارة، وفى أوائل عام ١٩٥٦، أشار ديبورد Debord ومساعده جيل ولمان Gil Wolman من جماعة لترست Lettrist إلى أن الإستراتيجية الجديدة يجب أن تتجاوز مفارقات الدادائيين البسيطة:

وينبغي استخدام التراث الأدبى والفنى للبشرية لأغراض الدعاية الحزبية ... بما أن نفى المفهوم البرجوازى للفن والعبقرية الفنية أصبح عتيقا إلى حد كبير، لم يعد رسم [دوشامب Duchamp] شاربًا على لوحة الموناليزا [الآن] أكثر إثارة للاهتمام من النسخة الأصلية لتلك اللوحة، يجب علينا الآن دفع هذه العملية إلى حد نفى النفى. (ديبوردDebord، وولمان Wolman, [1956]1981، ص٩)

وبالتالى الاقتباس Détournement: أعاد مزج المواد والعناصر المتشظية من المصادر القائمة وجاور بينهما لتحقيق معانٍ جديدة، وغير منطقية، ومُدمرَة، لقد كانت إستراتيجية "تحويل عناصر الثقافة البرجوازية الإيجابية إلى غايات ثورية، من تشويه المعانى المسلم بها" (ماكدونو McDonough, 2002، ص xiii-xiv)، "تقنية مثل الكولاج التى يتم بها تجميع عناصر موجودة من قبل فى الإبداعات الجديدة" (جاب Jappe، ١٩٩٩، ص٤٨)، كما يستلزم المفهوم أيضا "فكرة الالتفاف، بقصد الالتفاف على العقبات، ويتضمن عناصر اللعب والحرب، وتحول إستراتيجية الاقتباس Détournement القراء أو الجمهور إلى محاربين "(كوفمان Kaufmann, 2006 [2001]، ص٣٧) (انظر الشكل ٢-٢).

كان العديد من أشهر أمثلة الموقفية الدولية المستلهمة إستراتيجية التحويل متصلة بـ"أحداث" مايو ١٩٦٨ فى فرنسا، التى نظمها الطلاب الذين أثارت احتجاجاتهم الغاضبة على سياسات الجامعة القمعية وظروفها كالمظاهرات والإضرابات التى شلت البلاد على نطاق واسع، وساعدت فى نهاية المطاف على الإطاحة بشارل ديجول رئيس الدولة (بورجيه Bourges, 1968؛ وكواتروتشى Quattrocchi ونيرن Nairn, [1968] 1998؛ وروس Ross, b2002؛ وسيل Seale، وماكونفيل McConville, 1968؛ وتورين Touraine, a1971 ([1968])[7]، وتبنى الطلاب نصيحة رينيه فينت Réné Viénet، وهو عضو مؤسس فى الموقفية الدولية، الذى أصر على أن أى إستراتيجية إعلامية موقفية فاعلة ينبغى أن

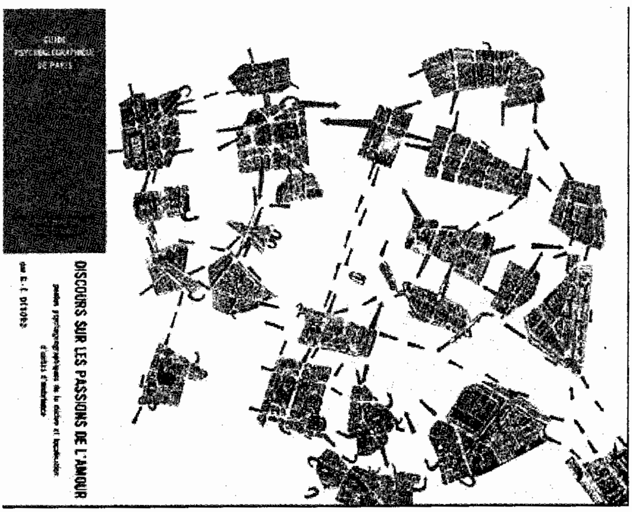
تحول تكنولوجيات وسائل الإعلام المشهد ذاته، وتكنيكاته، وصوره، على سبيل المثال، من خلال:

١. التجريب فى اقتباس **détournement** الكاريكاتير المصور الرومانسى، وكذلك لصور "الإباحية"... علينا أن نفرض صراحة حقيقتهم الواقعية من خلال إنعاش لحوارات الحقيقية عن طريق إضافة أو تغيير فقاعات الحديث.

٢. تعزيز أساليب غير تقليدية فى وسائل الإعلام.

٣. تطوير الرسوم الهزلية المعبرة عن الموقفية؛ لأن القصص المصورة هى الأدب الشعبى الحقيقى الوحيد فى زمننا.

٤. إنتاج أفلام تعبر عن الموقفية ... علينا أن نستأثر بأول لعثمات من [الفيلم] اللغة الجديدة؛ وقبل كل شىء أكثر أمثلتها براعة وعصرية... نشرات الأخبار، والعروض المسبقة، وقبل كل شىء إعلاناتها الفيلمية. (فيينت **Viénet, [1967] 1981**، ص١٥ – ٢١٣، التركيز فى الأصل).



يوضح شكل ٢-٢ باريس المتحولة.

باستخدام الرسم والكتابة على الجدران (الجرافيتى graffiti). والملصقات، وكتب القصص المصورة الهزلية، والأزياء المرتجلة ومسرح الشارع. طرح الطلاب مبدأ الاقتباس détournement موضع التنفيذ، مع شعارات مثل "لا تعمل أبدا!"، و"الجمال فى الشارع"، "عتبر رغباتى واقعا، لأننى أعتقد فى واقعية رغباتى"، "وربما الأكثر شاعرية، بالإشارة إلى حجارة الرصف التى اقتلعها المتظاهرون من شوارع باريس لإلقائها فى الاشتباكات مع الشرطة "الشاطئ تحت حجارة الرصف" (فورد Ford, 2005؛ جراى Gray, [1974] 1998؛ فينيت Viénet, [1968] 1992) الشكل ٢-٣).

إصرار ديبورد Debord على بناء مواقف مواجهية - عنيفة حتى - كطرق لاسترداد الحياة الاجتماعية الأصيلة والخبرة الثقافية فى مواجهة اغتراب المشهد وثقافة التسليع وجد جمهورا جاهزا بين الطلاب المتظاهرين وحلفائهم، وانتقلت أفكار الموقفية الدولية من هامش غامض من الطليعية إلى قاعات المحاضرات فى الجامعات فى ستراسبورج Strasbourg ونانتير Nanterre، وفى نهاية المطاف على الجدران والمتاريس فى شوارع باريس والسوربون التى يحتلها الطلاب.



يوضح شكل (٢-٣) جرافيتى باريس، مايو ١٩٦٨، المصدر: جراى Gray(1998)، القرن العشرون: عمل غير مكتمل من الموقفية الدولية. لندن: ريبل برس Rebel Press، ص ٢٤. (نشرها أصلا دار فرى فول برس Free Fall Press , 1974).

وعبَّر مقال فى مطوية صدر فى عام ١٩٦٦ عن العديد من شكاوى الطلاب الرئيسة، والثورة المتوقعة، وكتبه بشكل جماعى أعضاء من الموقفيين الدوليين ومجموعة طلاب راديكاليين فى جامعة ستراسبورج، من الجمعية الاتحادية العامة لطلاب ستراسبورج (SI/AFGES, [1966] 1981)، ووزعه الموقفيون الدوليون لاحقا فى باريس، ورفض المقال برامج الماركسية الكلاسيكية والفوضويين "الفاشلة"، وناقش: إن الطلاب، وليس العمال الصناعيون أو اليسار القائم، هم عوامل التغيير الاجتماعى الثورى المناسب فى المجتمع الناشئ الذى يهيمن عليه التسليع الإعلامى والمشهدية، بسبب عدة عوامل من القهر بالإفقار، و"الطفولة الممتدة" التى تفرضها أسر الطلاب والدولة على الحياة الطلابية، ومرافق الجامعة المكتظة، وتزايد انحياز التعليم العالى لمصالح صاحب العمل والدولة، أصبح الطلاب يرون نظام التعليم العالى برمته كآلة موجهة لإنتاج متفرج، بدلا من عنصر فاعل فى المجتمع، وبدت دراستهم بالنسبة إليهم مجرد "بروفة على [دورهم] النهائى كعنصر محافظ فى نظام السلع...الطالب هو مُنتَج المجتمع الحديث تماما مثل جودار وكوكا كولا" (ص ٣٢٠ - ٣٢٥)، وأشار المقال بإعجاب إلى أن الطلاب الأمريكيين "رفضوا بالفعل قبول الأدوار التجارية والمؤسسية التى تم تصميم دراساتهم المتخصصة لإعدادهم لها... الشباب الأمريكى تمرد ويسعى بالفعل إلى بديل ثورى متماسك من داخل "مجتمع مترف" (ص ٣٢٨- ٩).

كما حلل آلان تورين، عالم اجتماع العمالة الفرنسية والأستاذ فى جامعة نانتير Nanterre، بعمق دور الطلاب كوكلاء مركزيين للثورة ضد المشهدية والتسليع أيضا، واندلعت ثورة الطلاب لأول مرة فى مدينة نانتير فى مارس ١٩٦٨ قبل أن تنتشر فى باريس وباقى فرنسا خلال مايو ويونيو، كما سنرى لاحقا فى هذا الفصل، كان تورين من المؤيدين الأوائل المهمين لنظرية الحركة الاجتماعية الجديدة، واعترف بأن الصراعات والديناميات الأساسية التى كان أول من أسماها مجتمع مابعد الصناعية أو "المُبرمَج" كانت ثقافية وقائمة على المعرفة أساسا، أكد تورين أن فى السياق الاجتماعى المتغير بعد الحرب، سوف تلعب ذاتية العنصر الفاعل والتعبير عن الذات دورا أكبر فى التغيير الاجتماعى من العلاقات الكلاسيكية الاقتصادية والمؤسسية، أو العلاقات

الطبقية والحتميات المرتبطة بالمجتمع الصناعى - وهو تحول من شأنه أن يحفز تطور الحركات الاجتماعية الجديدة.

على مستوى أكثر عملية، كان تورين منخرطا بنشاط كوسيط بين الطلاب وإدارة جامعة نانتير خلال أحداث عام ١٩٦٨، وكثيرا ما دافع عن الطلاب، كما يتذكر أحد زملائه: "... فى وسط الاضطراب... قد يجده المرء على الحواجز مع القادة الثوريين من الطلاب، ثم يتحاور مع السجلات والوزراء فى الراديو، بينما يشارك فى المفاوضات المستحيلة فى منتصف الليل فى الوقت الذى اعتقد فيه الباريسيون أن التمرد سينتصر" (كروزيه، ١٩٩٦، ص١٥)، مثل ديبورد والموقفيون الدوليون، رأى تورين أن الاحتجاجات الطلابية دليلا على التدريب الصناعى للأسلوب المضطرد والتطبيع الاجتماعى للإبداع المهنى فى الجامعة، وسأل فى حركة مايو: "ما القواسم المشتركة بين الطلاب والعمال فى مجالات الطيران وفنيى الإذاعة والتليفزيون، والدوائر الإدارية فى الصناعة؟ وجميعهم - أو سيكونون فى المستقبل - مدربون تدريبا عاليا وعمال من ذوى الياقات البيضاء الذين يشاركون فى معارضة أولئك الذين يوجهون خبراتهم ويستغلونها" (تورين، 1971a [1969]، ص٧)، وفى فقرة تبدو إنها تردد الآراء الموقفية، أصر تورين على أن الفاعلين الاجتماعيين المبدعين يقاومون الهيمنة من خلال اللجوء إلى "الخيال فى مقابل العقلانية المزيفة، وإلى الجنسانية فى مقابل فن الحلول الوسط، وإلى الإبداع فى مقابل المرور التلقائى على التقاليد والرموز" (تورين 1971b [1969]، ص١١).

الجذور الاجتماعية/ السياسية: نظرية الحركة الاجتماعية

مورد ثانٍ مهم لفهم مشاريع وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة المعاصرة هو نظرية الحركة الاجتماعية، وخصوصا ظهور نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة ووجهات النظر اللاحقة ذات الصلة بالعمل الجماعى الموضوعة منذ الستينيات، يؤكد منظور الحركات الاجتماعية "الجديدة" أن حركات العصر الصناعى التى تحركها الأيديولوجيا والمنتشرة على نطاق المجتمع - على سبيل المثال الحركة العمالية،

والحركات المناهضة للحرب/السلام، والحقوق المدنية - تفسح المجال فى عصر ما بعد الصناعة، وما بعد الحداثة من الستينيات إلى الثمانينيات إلى حركات أصغر نطاقا وأكثر تركيزا على القضايا أو المصالح واسعة النطاق (على سبيل المثال: الخضر/حماية البيئة، وحقوق الحيوان، ومناهضة الأسلحة النووية، ومناهضة العولمة، وحقوق المستهلك)، أو على هوية المجموعة أو نمط الحياة (على سبيل المثال، الحركة النسائية، وحقوق مثلى الجنس، وحركات الهوية القومية/الإثنية/اللغوية/الثقافية/الدينية)، وحاليا، أصبح العديد من هذه العناصر سمات مميزة لحركات عالمية النطاق ضد التباين الاقتصادى والهيمنة الثقافية، والظلم السياسى.

وأشار المنَّظرون إلى أن المشاركين فى الحركات الاجتماعية الجديدة غالبا ما يكونون من بين صفوف "عمال المعرفة"، المبدعين الأفضل تعليما الذين يصيغون شكواهم بلغة رمزية وثقافية بدلا من الصراع على السلع المادية أو مصالح الطبقة الاقتصادية، كما لاحظ البرتو ميلوكى Alberto Melucci المُنَّظِر الرائد فى مجال الحركات الاجتماعية الجديدة فى أواخر التسعينيات أن " خلال الثلاثين عاما الماضية لم تعبر الصراعات الاجتماعية الناشئة فى المجتمعات المعقدة عن نفسها من خلال العمل السياسى، لكنها بدلا من ذلك أثارت تحديات ثقافية للغة السائدة، وفى الرموز التى تنظم المعلومات وتشكل الممارسات الاجتماعية" (ميلوكى Melucci, 1996، ص٨)، أى أن المشاركين فى الحركات الاجتماعية الجديدة هم على وجه التحديد أفراد المجتمع الأكثر انخراطا فى إنتاج وتداول والثقافة، بما فى ذلك الثقافة الإعلامية، وتكنولوجيا المعلومات.

فى نقاش التعبئة بوساطة شبكات الكمبيوتر فى الفصل السادس، سوف نركز بشكل أكبر على الدراسات التى تناولت العلاقة بين الحركات الاجتماعية ووسائل الإعلام الجديدة، وخاصة فى عملية تعبئة الحركة، يؤكد بعض الباحثين على أن وسائل الإعلام الجديدة وفرت منبرا ملائما مثاليا للاهتمام بالرموز الثقافية، والقيم، والإبداع، والبحث عن الهوية، والمعنى والخبرة الشخصية التى تمثل الحركات الاجتماعية الجديدة،

ونحن هنا نلقى نظرة بعيدة المدى على كيف تطورت الأفكار حول الحركات الاجتماعية بمرور الزمن.

الحركات الاجتماعية: وجهات نظر متغيرة حول التغيير

بالنسبة إلى كثيرين شهدوا اضطرابات الستينيات والسبعينيات الاجتماعية والسياسية والثقافية، تمثل المرحلة نوعا من "العصر الذهبى" للحركات الاجتماعية والتغيير الاجتماعى، ولا سيما فى الولايات المتحدة وأوربا، وكانت للحقوق المدنية والمناهضة للحرب، والطلاب، والحركات الخضراء تأثيرات دائمة على السياسة والثقافة على جانبى المحيط الأطلسى، واعتمد قادة الحركات على خبرة وإرث الحركات الأولى، على سبيل المثال؛ من خلال تبنى بعض إستراتيجياتها التنظيمية (مثل المجتمع والتنظيم النقابى المستخدم فى الحركة العمالية)، والتكتيكات التشغيلية (مثل تقنيات العصيان المدنى التعليمى والسلمى الذى تستخدمه الحركات المناهضة للاستعمار وناشطو منح المرأة حق التصويت)، وسوف تستمر النقاشات حول أهمية "الستينيات"، ولكن بالتأكيد سوف يستمر النظر إلى الفترة باعتبارها عصر النشاط السياسى والاجتماعى المكثف الذى أنتج تغيرات مهمة فى الاتجاهات الثقافية، وتوزيع السلطة السياسية، والحقوق القانونية وحماية الجماعات والمصالح غير الممثلة تمثيلا كافيا؛ كما أنها أنتجت مجموعة من الأساليب الجديدة لدراسة الحركات الاجتماعية.

نظرية السلوك الجماعى ليس غريبا إنه نظرا للتحولات الاجتماعية والسياسية فى ذلك الوقت حيث شهدت الستينيات والسبعينيات أيضا تصاعدا فى التنظير والبحث فى طبيعة ومسار الحركات الاجتماعية، وبدت النظريات القائمة غير كافية لشرح قوة ونفوذ الحركات الأكثر أهمية فى ذلك الوقت، لا سيما حركات الحقوق المدنية والطلابية/ المناهضة للحرب، وكانت وجهة نظر "السلوك الجماعى" الكلاسيكية للحركات الاجتماعية التى كانت سائدة حتى ذلك الوقت مطورة فى العشرينيات والثلاثينيات على يد علماء

اجتماع "مدرسة شيكاغو" التفاعليين بمن فيهم روبرت بارك Robert Park، وإرنست بورخيس Ernest Burgess، وهربرت بلامر Herbert Blumer، الذين تأثروا بالنظريات الأوربية من علم النفس الجماعي والمجتمع الشامل التي وضعها جوستاف لوبون Gustave Le Bon، وجابرييل تارد Gabriel Tarde، وغيرهم في مطلع القرن (دياني Diani وإيرمان Eyerman, 1992؛ نيدهاردت Neidhardt وروكت Rucht, 1991)، وعَرَّفَ كلا خطي الفكر (السلوك الجماعي) باعتباره انتشارًا مفاجئًا، وعفويًا، وغير منظم لسلوك جماهيري يحدد السلوك الاجتماعي "الطبيعي"، كما أكد ألدون موريس Aldon Morris (2000، ص٤٤٥) الذي كان يعتقد أن الحركات تنشأ "في سياقات مشحونة للغاية تتميز بالحماس الجماهيري والإثارة الجّماعية، والشائعات، والعدوى الاجتماعية، والهستيريا الجماعية."

اختلفت آراء علماء اجتماع شيكاغو قليلا في التركيز عن المنظّرين الأوربيين، فبينما رأى الأوروبيون أن انهيار النظام الاجتماعي والفوضى من الغوغاء، فإن بعض الأمريكيين على الأقل (مثل روبرت بارك Robert Park، ولاحقا رالف تيرنر Ralph Turner، ولويس كيليان Lewis Killian) رأوا فرصا لخلق قيم جديدة ونظام مؤسسي جديد في الحركات الجماهيرية العفوية، ومع ذلك يميل كلا المنظورين إلى التركيز على السمة العاطفية أو غير العقلانية في الحركات الجماهيرية، وعفويتهم، أو ظهورهم العشوائي، وهامشية أو اغتراب المشاركين، و"عدوى" الأفكار والأفعال بين الجماعات الاجتماعية سريعة التأثر، وإمكانية التلاعب بالحشد أو "الجمهور"، وخاصة من قِبَل وسائل الإعلام والدعاية، وقد لخص لاحقا تصنيف بلامر Blumer الإبداعي في عام ١٩٣٩ أنواع السلوك الجماعي على النحو التالي: "(١) سلوك شبه الحشد مثل الذعر والشغب، (٢) السلوك الجماعي وهو جماعي لكن غير منظم، (٣) الجمهور والرأى العام، (٤) الدعاية والحرب النفسية والتكتيكات الشيوعية، (٥) والحركات الاجتماعية" (نيدهاردت Neidhardt وروكت Rucht، ١٩٩١، ص٤٢٣)[٨].

ومع ذلك فى أواخر الخمسينيات اقترح رالف تيرنر Ralph Turner ولويس كيليان Lewis Killian (1957) اختلافا على التقدير الكلاسيكى للحركات الاجتماعية فى كتابهما السلوك الجماعى، ورفضا فكرة أن الحركات كانت مفاجئة وانفجارات غير عقلانية للإرادة الجماعية (وهو ما سيسخر منه لاحقا هانك جونستون Hank Johnston، وإنريكى لارانا Enrique Laraña، وجوزيف جوزفيلد Joseph Gusfield [1994] باعتبارها رؤية "بركانية" للحركات الاجتماعية)، بالأحرى، كما قال تيرنر Turner (١٩٦٩، ص٣٩٠): لاحقا، تُولد الحركات بظهور قواعد أو قيم جديدة قد يحتشد حولها الناس: "... تعتمد أى حركة اجتماعية رئيسة وتشجع بعض المراجعات المعيارية"، وهكذا، وفقا لتيرنر Turner وكيليان Killian، فإن الحركات الاجتماعية تمثل المرحلة الأولى من عملية إعادة التنظيم الاجتماعى حول قيم وتوقعات جديدة يجب أن تتغير الظروف الاجتماعية وفقا لها.

نظرية تعبئة الموارد بحلول الستينيات أصبحت نظرية السلوك الجماعى نصا معياريا فى دراسات الحركة الاجتماعية الأمريكية، ومع ذلك، عند كثير من الباحثين ما زال مدخل السلوك الجماعى - كما عدله تيرنر وكيليان - لديه عدد من المشاكل، ليس أقلها فشله فى وصف أو فهم السياقات التنظيمية والمؤسسية الأكبر من التغيير الاجتماعى، أو رؤية المشاركين فى الحركات الاجتماعية، كوكلاء عاقلين لديهم القدرة على متابعة مصالحهم والتفكير مليا فى التكاليف والفوائد المترتبة على المشاركة، بالنسبة لهؤلاء النقاد "لم يكن الممثل فى الحركات الاجتماعية والأفعال الاحتجاجية تحت سيطرة المشاعر، والعواطف، والأيديولوجيات ... ولكن إلى حد ما ... تحت سيطرة منطق التكاليف والفوائد، فضلا عن فرص الفعل"، وهكذا يمكن النظر إلى تكتيكات وإستراتيجيات الحركات بأنها: "لعبة عقلانية" (جونستون Johnston، لارانا Laraña، جوزفيلد Gusfield, 1994، ص٥)، وطور مجموعة من الباحثين الأمريكيين بقيادة ماير زالد Mayer Zald، ودوج ماك آدم Doug McAdam، وجون مكارثى John McCarthy، وتشارلز تيلى Charles Tilly، وسيدنى تارو Sidney Tarrow، ومساعديهم، مجموعة

متنوعة من المداخل تحت عنوان: نظرية تعبئة الموارد، التى كان موضوعها المشترك هو تطبيق مفاهيم من نظرية التنظيم على دراسات الحركات الاجتماعية (ديانى Diani، إيرمان Eyerman, 1992؛ وجوزفيلد Gusfield, 1994؛ وكلندرمانز Klandermans, 1991؛ وموريس Morris, 2000؛ وموريس Morris وهيرنج Herring , 1987 ؛ ونيدهاردت Neidhardt وروكيت Rucht, 1991)، وميز عالم الاجتماع جوزيفيلد Gusfield بين وجهتى نظر:

> **من وجهة نظر مُنظّرى السلوك الجماعى، ما كان مهما بشأن الحركات هو نتائجها على التغيير، وبالنسبة لمنظرى تعبئة الموارد، كان لا بد من دراسة الحركات باعتبارها شكلا من أشكال السلوك التنظيمى، أى تجميع الموارد واستخدامها ... وضعت [نظرية تعبئة الموارد] الاعتبارات النفعية للتكاليف والفوائد فى الصورة. (جوزيفيلد Gusfield، ١٩٩٤، ص٦١)**

تمسك مؤيدو وجهة نظر تعبئة الموارد بأن الحركات الاجتماعية الأكثر فاعلية هى التى قادتها ومنظموها قادرون على التعرف على "هياكل الفرصة" السياسية والتنظيمية والاقتصادية والتكنولوجية المتاحة لهذه الحركة، من أجل تحديد حوافز من أجل الفعل، والتقاط واستخدام تلك الفرص والحوافز، خلافا لنهج السلوك الجماعى، الذى يميل إلى تشكيل الحركات ككيانات تتصرف مثل أفراد لديهم دوافع، وعواطف، ومعتقدات "جماهيرية"، وتركز نظرية تعبئة الموارد على كيفية تنظيم الحركات نفسها، وكيف يختار المشاركون الموارد من شبكة الهياكل الاجتماعية والمؤسسية الأكبر من خارج الحركة نفسها ويستخدمونها لتحقيق أهدافها، وكيف تستمر الحركات بمرور الوقت.

ساعدت نظرية تعبئة الموارد بالتأكيد على إعادة توجيه دراسة الحركات الاجتماعية الرئيسية فى حقبة ما بعد الحرب، وخاصة حركات الحقوق المدنية والحركات المناهضة للحرب، وحولت التركيز بعيدا عن وجهة النظر القائلة: إن الحركات اندلاع عفوى، وغير منظم من "نفسية غوغائية" غير عقلانية، وإلى نحو وجهة النظر التى تبرز القرارات المدروسة والإستراتيجية للمشاركين فى الحركة أثناء تحديدهم وتوفيرهم

الموارد من أجل دعم احتياجات الحركة وأهدافها، وسرعان ما أصبحت تعبئة الموارد مسيطرة على بحوث الحركة الاجتماعية: وبحلول أوائل الثمانينيات اكتشفت إحدى الدراسات أن ما يقرب من ٧٠ في المائة من جميع المقالات والبحوث المنشورة حول الحركات الاجتماعية حتى ذلك الوقت كانت مكتوبة من منظور تعبئة الموارد (موريس Morris وهرنج Herring, 1987).

نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة

على الرغم من أن تركيز نظرية تعبئة الموارد على الاختيار العقلاني والإستراتيجيات التنظيمية، و"هياكل الفرصة" ترك بعض المحللين غير مقتنعين، ولا سيما أولئك الذين يعتقدون أن حركات الطلاب والحركات الثقافية المعارضة في أواخر الستينيات كانت قد أشارت إلى تحول ثقافي مهم بعيدا عن العلاقات الاجتماعية الهرمية وهياكل سيطرة التصنيعية البيروقراطية، ونحو مجتمع جديد "ما بعد تصنيعي" أو "مُبرمَج" مبني على أسس تقنيات شبكات المعلومات والثقافة الإعلامية، والطبقة الناشئة من المتعلمين تعليما عاليا و"عمال المعرفة" الخلاقين (دياني Diani وإيرمان Eyerman, 1992؛ وجونستون Johnston؛ ولارانا Laraña، وجوزفيلد Gusfield, 1994؛ وكلاندرمانز Klandermans, 1991؛ وميلوكي Melucci, 1989, 1994, 1996؛ وموريس Morris , 2000؛ ومولر Mueller , 1992؛ وأوفيه Offe, 1985؛ وتورين Touraine, 1971a[1968], 1971b [1969], [1973], 1977, [1978]1981؛ تيرنر Turner, 1969)، فإنه بالنسبة إلى المنظرين الأوروبيين مثل آلان تورين Alain Touraine، وكلاوس أوفيه Claus Offe، والبرتو ميلوكي Alberto Melucci، وماريو دياني Mario Diani – من بين آخرين– كلا النهجين الأمريكيين – السلوك الجماعي أو تعبئة الموارد – ليس لديه الكثير لقوله عن سلطة وفعل الأشخاص المنخرطين فعلا في أشكال النشاط الاجتماعي الجديد "غير التقليدي" مثل النسوية وحقوق مثليي الجنس، والعصر الجديد، ومناهضة الأسلحة النووية، وحقوق الحيوان، والحركات البيئية، واقترحوا أن هذه الأفعال الجماعية الجديدة يمكن اعتبارها "حركات اجتماعية جديدة".

كما سيوضح ميلوكى Melucci (أحد الذين درسوا مع تورين) لاحقا، أن نظرية السلوك الجماعى قدمت الحركات باعتبارها "فعلاً دون فاعلين"، بينما رأت تعبئة الموارد والتفسيرات الهيكلية الأخرى مثل الماركسية: "الحركات" مجرد "فاعلين دون فعل"، أو بعبارة أخرى، السلوك الجماعى يمكن أن يخمن سبب الحركات ولكن ليس كيفيتها، بينما يمكن أن تفسر تعبئة الموارد والأطر الهيكلية الكيفية ولكن ليس السبب (ميلوكى Melucci, 1989، ص ١٨-٢٢)، وفى عملية وضع مفاهيم الحركات الاجتماعية بوصفها كيانات مستقلة، أو"قوات" مجردة أو مناورات تنظيمية، فقد المنظران الإحساس الواضح بالأشخاص المنخرطين فى الأنشطة والممارسات اليومية المتضمنة فى الحركات الاجتماعية والتغيير الاجتماعى، لذلك أكد المنظرون أن عددا من الخصائص الرئيسية تميز الحركات الاجتماعية الجديدة عن أنواع الحركات السابقة، وأصبح العديد من هذه الخصائص العناصر الأساسية لمزيد من الأبحاث الحركة الاجتماعية الأخيرة، وقد أكد مختلف الكتاب على عوامل مختلفة، ولكن بصفة عامة، تبرز الأدبيات السمات التالية باعتبارها مميزة، الثلاثة سمات الأولى لها علاقة بفاعلين الحركات الاجتماعية الجديدة، فى حين يهتم الباقى بطبيعة الفعل فى الحركات.

المشاركون وجمهور المؤيدين

أحد الركائز الأساسية لنظرية الحركة الاجتماعية الجديدة هو أن الحركات الاجتماعية الجديدة نشأت فى سياق التحولات الاجتماعية الكبيرة فى أواخر القرن العشرين من الصناعية إلى "ما بعد الصناعية" أو مجتمع المعلومات، خلال هذه الفترة برزت صناعات المعلومات والخدمات المسيطر عليها بـ"عمل المعلومات" و"عمال المعرفة"، كقطاع اقتصادى رئيسى، على عكس الحركات الاجتماعية السابقة (وخاصة الحركة العمالية)، التى حددت الطبقة العاملة الصناعية باعتبارها "الفاعل" الرئيس الجماعى وعدم المساواة الاقتصادية/الطبقية والمظالم باعتبارها عوامل التغيير الاجتماعى والاقتصادى، واعتبرت الحركات الاجتماعية الجديدة منتظمة أكثر حول الهويات، والمهن، والمصالح، والقيم، والخبرات المشتركة من الفاعلين الفرديين.

خصائص الحركات الاجتماعية الجديدة

- فاعلو الحركات الاجتماعية الجديدة

• المشاركون والمؤيدون

عاملون فى مجال المعرفة/ المعلومات، ومهنيون، ومتعلمون تعليما جيدا وعاملون مبتكرون

• الهوية الجماعية:

الاستقلال عن الهياكل والفئات المؤسسية (على سبيل المثال الطبقة)؛ والتركيز على البناء، وتشارك كل من ذاتية، ووجهات نظر عالمية، وخبرات مشترك؛ التماهى مع سمات الشخصية، على سبيل المثال؛ العمر، والجنس، والميول الجنسية، والعرق، واللغة، والخلفية المهنية؛ والتركيز على القضايا الثقافية الرمزية.

• المعنى والإنتاج الرمزى:

البناء والتحكم فى المعلومات، والموارد الرمزية، وتمثيلات مصالح المجموعة، وخبراتها، ومعاييرها، وقيمها.

فعل الحركات الاجتماعية الجديدة

• الحركات باعتبارها شبكات اجتماعية:

شبكات من العلاقات الشخصية فضفاضة الانتساب غير رسمية ولا هرمية، والتعبئة على المستوى الميكر، بالإضافة إلى كونها مجموعات صغيرة متنوعة فى روابط مخصصة لغرض معين، وأشكال تنظيمية مجزأة ومنتشرة لا مركزيا ومستقلة، وتركيزها على الاهتمامات الجزئية والمحلية، والتدفق المستمر، وإعادة التنظيم.

● الحياة اليومية:

أنشطة الحركات مدمجة فى الحياة اليومية بدلا من الأحداث المكثفة العرضية؛ والفعل مرتبط بنمط الحياة، والقضايا الشخصية إلى جانب الخلط بين الاهتمامات الشخصية والجماعية والفعل بالقدوة، والفعل مسبق الرمزية، و"التنبؤية"، والفعل من خلال القدوة الشخصية

● استخدام وسائل الإعلام وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات:

استخدام واسع النطاق، ومعقد لوسائل الإعلام وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، واعتبار الاتصالات والتمثيل كمجال رئيسى وشكل من الفعل فى حد ذاته.

● ذخيرة أفعال "غير تقليدية":

الاعتماد على التعبير والإبداع والتعطيل والمقاومة لغرض ما؛ والأفعال صغيرة النطاق ولا مركزية، وممارسة سلطة "شبه مؤسسية"، و"فوق نيابية"، وعفوية الفعل.

● الحملات الدائمة عبر الوطنية:

يمتد عمل الحركة عبر الزمان والمكان، بما يتفق مع خبرة الحياة اليومية (مقابل التركيز على مظالم أو أحداث أو علاجات محددة فى أوقات/ أماكن محددة)، إعادة تعديل وإعادة تنظيم مستمرة داخل مجال واسع من المصالح والقيم، والحركات والفعل باعتبارهما أساليب تغيير ومشاركة دائمة يومية عادية.

وكان آلان تورين Alain Touraine أحد المحللين الأوائل الذى حدد عمال المعرفة "ذوى الياقات البيضاء" المتعلمين تعليما جيدا، والمبدعين باعتبارهم فاعلين وعوامل تغيير اجتماعى محورى فى المجتمعات ما بعد الصناعية، ويعتمد التحول من المجتمعات الصناعية إلى ما بعد الصناعية "على المعرفة مباشرةً أكثر بكثير من أى وقت مضى، وبالتالى على قدرة المجتمع على استدعاء الإبداع" (تورين Touraine, 1971b [1969]، ص٥)، كما لاحظ فى كتابه الصوت والعين (ربما متفكرا فى الاغتراب الذى عانى منه

الطلاب الذين شاركوا فى أحداث مايو ٦٨)، إن الفاعلين فى الحركات الاجتماعية الجديدة هم "جزء من المهنيين الذين يؤدون الدور الذى اعتاد لعبه العمال المؤهلون فى المجتمع الصناعى، وأنهم يتحدثون باسم المعرفة ضد نظام يسعى إلى إخضاع المعرفة لمصالحه الخاصة "(تورين، 1981 [1978]، ص٢٢، والتركيز فى النص الأصلى)، وأنهم "الطبقة الوسطى الجديدة و...الشباب المتعلمين تعليما جيدا العاملون فى الخدمة المدنية" (كلاندرمارنز Klandermans .1991، ص٢٧)، أو كما قالها رون إيرمان Ron Eyerman: "الحركات الاجتماعية الجديدة مأهولة إلى حد كبير بالمتعلمين تعليما عاليا، ومحتوى نقدهم للمجتمع الحديث معتمد على خبرتهم التعليمية وتوقعاتهم المهنية على حد سواء" (إيرمان Eyerman, 1992، ص٤٧)

الهوية الجماعية

دور الهوية والخبرة الذاتية فى تشكيل الحركة والفعل هو سمة مميزة أخرى للحركات الاجتماعية الجديدة، فبدلا من تمثيل "مصلحة طبقية" شاملة جماعية أو أيديولوجية، يسعى المشاركون فى الحركات الاجتماعية الجديدة إلى التعبير عن خبراتهم ومصالحهم الذاتية، والحفاظ على استقلالهم عن السيطرة المؤسسية، وفى الحركات الناشئة يقاوم الفاعلون المبدعون الواضحون الهيمنة عن طريق تشارك هذه الخبرات والقيم الذاتية مع بعضهم بعضًا لبناء هوية جماعية (بشرط أن تكون متمركزة)، "حركات المعارضة المعاصرة تدافع عن الهوية والمجتمع ولكن تتخيل فى نفس الوقت مجتمعا أكثر ملاءمة للمبادرة، والتنمية الشخصية، والتواصل الشخصى" (تورين Touraine, 1992، ص٧٤).

من المحتمل أكثر أن يرتبط المشاركون فى الحركات الاجتماعية الجديدة، وينتظموا أكثر حول كونهم شبابًا أو ميولهم الجنسية أو عرقهم أو لغتهم أو خلفيتهم المهنية عن الارتباط مع الفئات المجردة مثل الطبقة. فمنذ الستينيات، بدأ المحللون فى اكتشاف أن "هناك عددا متزايدا من الحركات والصراعات المعبرة عن المظالم التى لم تستند إلى مصالح اقتصادية وطبقية ... [بل] تستند على عناصر أقل (موضوعية) مثل الهوية، والحالة والإنسانية، والروحانية" (جونستون Johnston، لارانا Laraña، جوزفيلد

Gusfield, 1994، ص٢١) وغالبا ما تكون القيم والقضايا التى يدعمونها ثقافية أو رمزية، ومرتبطة بشكل وثيق بهويتهم عن ارتباطها بالمظالم الاقتصادية الواسعة أو الصراعات الطبقية، وتسهم "الخصائص المنسوبة مثل: الجنس والعمر ولون البشرة، وحتى الجيرة والدين، فى إنشاء وتعيين حدود المجتمعات، وإنشاء مجموعات اتصال محمية بثقافة فرعية مما يدعم البحث عن هوية شخصية وجماعية" (هابرماس Habermas، ١٩٨١، ص٣٦).

لهذا يشكل التركيز على الهوية تحولا رئيسا عن الحركات الأكثر تقليدية، وفى المجتمع مابعد الصناعى "الحرية فى أن تملك ... التى تميز المجتمع الصناعى حلت محل الحرية فى أن تكون" (ميلوكى Melucci, 1994، ص ص١٧٧-٨) ونتيجة لذلك أصبح "البحث عن الهوية، والتنقيب عن الذات ... [الذى] نسعى أن يتناسب مع شظايا الخبرة الإنسانية المتناثرة ثانيةً" (ميلوكى Melucci, 1994، ص١١٢)، سمة أساسية للحياة اليومية.

المعني ورمزية الإنتاج

نظرا لدور "عمال المعرفة" المبدعين المتعلمين تعليما عاليا ولأهمية الهوية الجماعية فى الحركات الاجتماعية الجديدة؛ فإن بناء المعنى، والتحكم فى موارد المعلومات، والرمزية، والتمثيلات يشكلان المهمة المركزية فى الحركات الاجتماعية الجديدة، "تخلق الحركات الاجتماعية [الجديدة] أنظمة جديدة من المعنى توضح للمجتمع ككل أن صراعات وقضايا جديدة قد ظهرت" (ديانى Diani، إيرمان Eyerman, 1992، ص٩)، وأن الداعمين فى الحركات الاجتماعية الجديدة لديهم المزيد ليفعلونه بالمعرفة، والثقافة، والصراع المستمر من أجل السيطرة على الإنتاج الرمزى والخبرات أكثر من الحفاظ على رمزية الاندماج، أو النظام، أو التوازن الاجتماعى (كما تقترح نظرية السلوك الجماعى)، أو استغلال الهياكل الطبقية، أو علاقات القوة، أو تبادل الموارد المادية (كما أكدت تفسيرات تعبئة الموارد والماركسية)، و"تعبر الحركات الاجتماعية الجديدة عن مخاوف ثقافية أكثر منها اقتصادية، كما إنها تهدف إلى تغيير المعايير والقيم بدلا من العلاقات الإنتاجية والتوزيعية" (إيرمان Eyerman, 1992، ص٤٥).

مرة أخرى، كان آلان تورين Alain Touraine أول من يعبر عن الحاجة إلى نظرية تدمج المعانى الذاتية الثقافية للناس، وخبراتهم، وهوياتهم مع العمليات المؤسسية على نطاق أوسع (ألكسندر Alexander, 1996، ص٢١٣)، ومن وجهة نظر تورين، المشاركون فى الحركات الاجتماعية الجديدة "يعرفون أنفسهم من خلال معارضتهم للقوى الاجتماعية والثقافية التى تهيمن على إنتاج السلع الرمزية" (تورين Touraine , 1992، ص٦٦)، ومع ذلك، من بين المنظرين للحركات الاجتماعية الجديدة، ربما كان ألبرتو ميلوكى Alberto Melucci هو الأكثر ارتباطا بهذا التركيز على بناء المعنى فى الحركات الاجتماعية الجديدة، ومعارضتها لما يسميه "الرموز المهيمنة" فى المجتمع.

> **فى السنوات الثلاثين الماضية لم تعرب الصراعات الاجتماعية الناشئة فى المجتمعات المعقدة عن نفسها من خلال العمل السياسى، بل أثارت تحديات ثقافية فى اللغة السائدة، وفى الرموز التى تنظم المعلومات وتشكل الممارسات الاجتماعية... إنها الاستعادة الفردية والجماعية لمعنى الفعل وهو على المحك فى أشكال المشاركة الجماعية التى تجعل من تجربة التغيير فى الحاضر شرطا لخلق مستقبل مختلف. (ميلوكى Melucci , 1996، ص ٨-٩)**

كما سنرى لاحقا فى هذا الفصل وفى الفصل السادس، أصبح الإنتاج الرمزى أحد الاهتمامات النظرية الرئيسة فى تحليل الحركات الاجتماعية، لا سيما حركة العدالة العالمية.

الحركات باعتبارها شبكات اجتماعية

سمة رئيسة أخرى للحركات الاجتماعية الجديدة هى أسلوبها فى التنظيم الذى يأخذ شكل "شبكات الشبكات" من العلاقات الشخصية فضفاضة الانتساب، وغير رسمية، ولا هرمية، ومرتبطة مع بعضها بعضًا ومع شبكات ثقافية واجتماعية موزعة جغرافيا على نطاق أوسع (ديانى Diani, 2003)، هذا الرأى، الذى يؤكد على "التعبئة الجزئية" يتناقض مع اتجاه نظرية تعبئة الموارد اعتبار الشبكات مركزية نسبيا ومستقرة، واعتبار الموارد يمكن استغلالها مثل أى موارد أخرى، ويؤطر منظرو

الحركات الاجتماعية الجديدة "الحركات الاجتماعية باعتبارها شبكات اجتماعية" (ديانى Diani، إيرمان Eyerman, 1992، ص٩)، فهى ليست مجرد هياكل كى تُستغل استغلالا فعالا؛ بل "شبكات (غير مرئية) من مجموعات صغيرة مغمورة فى الحياة اليومية" تدعم احتياجات المشاركين الفردية، والهويات الجماعية، والعضوية لفترة من الوقت، تعمل هذه الشبكات بمثابة "مختبرات يتم فيها اختراع خبرات جديدة ... [و] تُمنح أسماء جديدة" (كين Keane، مير Mier, 1989، ص٦)، وقوية لا سيما كبيئات من أجل تجنيد المشاركين، وبالنسبة إلى أن ميسش Anne Mische، فهذا يعنى أن الأطر السابقة عفا عليها الزمن الآن: "ما نحتاجه هو مفهوم أكثر ديناميكية لا يعتبر الشبكات الاجتماعية كمواقع، أو قنوات للتشكيلات الثقافية فقط، بل مكونة من عمليات تفاعل اتصالى مستمر ثقافيا" (ميسش Mische , 2003، ص ٢٥٨).

من حيث الشكل التنظيمي

الحركات الاجتماعية الجديدة "تميل إلى أن تكون مجزأة، ومنتشرة، ولا مركزية ... [ولديها] أقسام محلية مستقلة كثيرا ... [فى] تمييز حاد عن التنظيم المركزى الهرمى لحركة الطبقة العاملة "(جونستون Johnston، ولارانا Laraña، وجوزفيلد Gusfield, 1994، ص ص ٨-٩)، وانظر أيضا كلاندرمانز Klandermans .1991)، وبين مشاركى الحركة، "توضع قيمة عالية خاصةً على المساحات الاجتماعية الإقليمية الصغيرة، وأشكال التفاعل اللامركزية، والأنشطة غير المتخصصة، ومجالات التفاعل البسيط والمجالات العامة غير المتباينة" (هابرماس Habermas, 1981، ص٣٦)، والتنظيم منسوج فى الخبرة المحلية، واليومية، ولكنه متعهد مع الحساسية العالمية أيضا، بأنه جزء من النظام العالمى الأكبر الذى هو فى حد ذاته فى حالة تغير متواصل وإعادة تنظيم (كين Keane، مير Mier, 1989).

الحياة اليومية

سمة أخرى، ترتبط ارتباطا وثيقا بسمة الحركات الاجتماعية الجديدة كشبكة اجتماعية هى أنها بدلا من أن تكون عرضية، وانفجارا استثنائيا من الأفعال استجابة

لحالات أو أحداث معينة، فالحركات الجديدة متورطة بعمق فى الحياة اليومية للمشاركين فيها، فى الواقع، كما تشير النقاط السابقة حول الهوية والذاتية، فإن أنماط حياة المشاركين الخاصة، وقيمهم، وممارساتهم تشكل مكانا بارزا فى أعمال الحركة، وغالبًا ما تعالج القضايا التى يدعمها نشطاء الحركة مع أكثر الجوانب شخصية أو حميمية من الحياة (على سبيل المثال التوجه الجنسى، أو الحقوق الإنجابية، أو الممارسات الغذائية، أو تربية الأطفال)، وعلى نطاق أوسع، تعكس تحولات المشاركين "من القيم المادية إلى ما بعد المادية" (كلاندرمانز Klandermans, 1991، ص٢٧)، وتختلط جوانب الحياة الشخصية/الفردية بالجماعية بأساليب كثيرة فى الحركات الاجتماعية الجديدة مع القضايا والحركات التى يسنها السلوك الفردى بدلا من حشد المجموعات رسميا، وتصبح الحركة محورا لتعريف ذات الأعضاء وتأكيد الهوية الشخصية (جونستون Johnston، ولارانا Laraña، وجوزفيلد Gusfield, 1994).

بالتالى، يميل المشاركون فى الحركات الاجتماعية الجديدة أيضا إلى "ممارسة ما يبشرون به" فى أنماط حياتهم اليومية، كعلامة أو رسالة لبقية المجتمع: "... ويمارس الفاعلون عمداً فى الوقت الحاضر التغيرات الاجتماعية المستقبلية التى يسعون إليها"(كين Keane، مير Mier, 1989، ص٦)، وغالبًا ما يشير منظرو الحركة الاجتماعية والناشطون إلى هذا النوع من النشاط باعتباره تنبؤى، بعبارة أخرى فإنه يمثل النماذج المطلوبة أو الظروف الاجتماعية المثالية للآخرين فى المجتمع؛ كما أنه أيضا الدعامة الأساسية للفكر السياسى الفوضوى (داوننج Downing, 2003, 2008)، على سبيل المثال؛ فى بيان منشور على قائمة مناقشة إيندمديا Indymedia، يصف أحد الناشطين المشروع بأنه "ممارسة لشىء حقيقى ... سياسة مستقبلية" (مقتبسة فى بيكارد Pickard، B2006، ص ٣٣٠، وانظر أيضا أتون Atton, 2002؛ داونينج Downing, 2008)، ويشير ميلوكى Melucci إلى هذه الممارسة من قيم الحركات وهويتها باعتبارها نبوءة، أى "رسالة مفادها إن الممكن حقيقى بالفعل" (ميلوكى Melucci، ١٩٩٤، ص١٢٥)، أو إنشاء "تجربة التغيير فى الحاضر [كأنها] شرط من أجل خلق مستقبل مختلف"(ميلوكى Melucci, 1989، ص٩).

تتميز الحركات الاجتماعية الجديدة أيضا باستخداماتها الواسعة والمتطورة لوسائل الإعلام وتكنولوجيات المعلومات، ليس فقط كأدوات أو قنوات لنقل المعلومات إلى المشاركين أو الجمهور الأوسع، بل كمجال الفعل الحقيقى الذى يتضح فيه اهتمامات الحركة ويستمر فيه نضالها (روكيت Rucht, 2004)، فبالنسبة إلى "عمال المعرفة" الخلاقين فى مركز الحركات الاجتماعية الجديدة، أصبحت وسائل الإعلام الجديدة والإنترنت موارد أساسية من أجل الفعل ومحيطًا رئيسيًا متنازعًا عليه حول المعنى، والهوية، والمعرفة، والقيم الرئيسة، "ومن الصعب المبالغة فى تقدير تأثير صناعات الاتصالات الرئيسية والتعليم النظامى واسع النطاق فى فهم الحركات الاجتماعية المعاصرة" (جوزفيلد Gusfield, 1994، ص٧١).

يقول آلان تورين: إنه فى المجتمع ما بعد الصناعى أو "المبرمج"، أصبحت الاتصالات أكثر قيمة من الثروة المادية، "المجتمع المُبرمَج ... يرى نفسه كشبكة من العلاقات، وأشكال السلوك الأعلى تقديرا التى تعزز القدرة على التواصل أكثر من الادخار والاستثمار" (تورين [1978] Touraine, 1981، ص١٥)، المعلومات وتكنولوجيات المعلومات هى "موارد أساسية" للحركات الاجتماعية الجديدة (ميلوكى Melucci، ١٩٩٤، ص١١٢)، والتحول نحو الاهتمامات الثقافية فى الحركات الاجتماعية الجديدة يعزى جزئيا إلى: "التطورات المؤثرة فى تكنولوجيات الاتصال، [و] إنشاء نظام إعلام عالمى" (ميلوكى Melucci, 1996، ص٨)، كما يحدد ميلوكى Melucci ثلاثة "نماذج من الفعل الاتصالى" المميز التى تستخدمها الحركات الاجتماعية الجديدة لتأكيد مصالحها و"تقويض منطق الرموز المهيمنة": النبوءة (انظر أعلاه)، والمفارقة، التى تستخدمها الحركات لإثبات أن الرموز الثقافية المهيمنة مستنفذة ولم تعد متحكمة، والتمثيل؛ أى إنتاج وتشريع تكنولوجيات وأشكال وسائل الإعلام الجديدة. (ميلوكى Melucci, 1994، ص١٢٥).

كما تميل الحركات الاجتماعية الجديدة إلى رفض الطرق التقليدية من التنظيم والقنوات المؤسسية/السياسية لصالح الأفعال المكرسة، أو الجذرية، أو الخلاقة، أو المعبرة، أو التدميرية التى يشير إليها المنظرون على نطاق واسع باعتبارها أفعالاً "غير تقليدية" (كاماريت Cammaerts، وفان أودنهوف van Audenhove, 2005؛ ودالجرين Dahlgren , 2005)، واستفادت "الحركات الاجتماعية الجديدة استفادة واسعة من أشكال الأفعال غير التقليدية؛ حيث تأخذ موقفا فصاميا تجاه المجتمع، كما يتبين من عدائهم تجاه السياسة، أنهم يفضلون التنظيمات صغيرة النطاق، واللا مركزية، فهم ضد الهرمية، ويفضلون الديمقراطية المباشرة" (كلاندرمانز Klandermans, 1991، ص٢٧) و"أشكال الفعل [التى] لا تتمتع بالشرعية التى تمنحها المؤسسات السياسية القائمة" (أوفية Offe , 1985، ص٨٢٨).

تشرح أزمة ثقة عميقة الجذور فى قنوات التغيير الاجتماعى الرئيسية – بما فى ذلك الحكومة والأحزاب السياسية والمؤسسات الثقافية والتربوية، ووسائل الإعلام الرئيسة، وحتى الحركات الاجتماعية التقليدى – اتجاه الحركات الاجتماعية الجديدة ونهجها نحو الفعل، "فالحركات الاجتماعية الجديدة هى تعبير عن رفض سياسة الإدارة وممثليها فى كل من العمل ورأس المال" (إيرمان Eyerman, 1992، ص٤٨)، هذا الاغتراب من المؤسسات الرئيسة فى كل من اليسار واليمين كان "متصلا بأزمة مصداقية القنوات التقليدية من أجل المشاركة فى الديمقراطيات الغربية"، مما شجع الحركات الاجتماعية الجديدة على إنشاء "أشكال بديلة من المشاركة وصنع القرار" (جونستون Johnston، لارانا Laraña، جوزفيلد Gusfield, 1994، ص٨)، وهو ما اسماه يورجن هابرماس Jürgen Habermas "أشكالاً شبه مؤسسية، وفوق نيابية من الاحتجاج" (هابرماس Habermas, 1981، ص٣٣، وانظر أيضا كارول Carroll وهاكيت Hackett, 2006؛ سكوت Scott، ستريت Street, 2000)، ولاحظت إحدى المراجعات على نظرية الحركة الاجتماعية فى الثمانينيات أن فى الحركات الاجتماعية الجديدة "تم

رفض الديمقراطية التمثيلية لصالح النماذج الشعبية من المشاركة السياسية؛ كما استعيض عن أنشطة كسب التأييد والضغط التقليدية بالأساليب غير التقليدية والمواجهة"(ديانى Diani، إيرمان Eyerman, 1992، ص٧).

يشير بعض المحللين إلى أن ابتعاد الحركات الاجتماعية الجديدة عن أكثر أشكال وسبل الاحتجاج التقليدية قادهم نحو "تكتيكات حشد وتعبئة جذرية من الاضطراب والمقاومة" (جونستون Johnston، ولارانا Laraña، وجوزفيلد Gusfield, 1994، ص٨)، وتميل نظرية الحركة الاجتماعية التقليدية، لا سيما نظرية تعبئة الموارد إلى تجاهل أو التقليل من شأن "دور الصراع والعنف الأكثر تعبيرا، وعفوية، وتدميرا" الذى يمكن أن يظهر فى الحركات الاجتماعية الجديدة (مولر Mueller, 1992، ص ١٨)، بينما يهتم مراقبون آخرون بالتوجه الإضافى نحو العنف أو التكتيكات القمعية، ويحذر تورين Touraine من ذلك، ربما بسخرية، "الحركات الجماعية الأكثر أهمية فى العصر الحالى... هى حركات تدعو إلى الهوية، والخصوصية، والمجتمعية التى تربط المطالب الثقافية بسلطة الدولة وقمعها، بطريقة عنيفة عامةً، والمجال العام والحركات الاجتماعية (تورين Touraine , 1992، ص٦١).

حملات دائمة عبر وطنية

بمعنى من المعانى، السمة الأخيرة من الحركات الاجتماعية الجديدة، والتى تتعامل مع الزمان والمكان، هى تتويج السمات الأخرى التى ناقشت هذه النقطة، وربما أصبحت الجانب الأكثر بروزا من تنظير "ما بعد الحركة الاجتماعية الجديدة" منذ التسعينيات، فعلى النقيض من الحركات الاجتماعية التقليدية، التى تستجيب لمظالم أو أحداث معينة فى مكان معين ووقت محد، وتنظم الناس والموارد فى هياكل رسمية، وتوضح أهدافا ومطالب محددة، وتميل إلى الحل عندما تتحقق تلك الأهداف والمطالب، تميل الحركات الاجتماعية الجديدة إلى أن تصبح حملات "دائمة" أو "عبر وطنية" تمتد على مر الزمن وعبر الحدود الجغرافية والوطنية، وبالنسبة إلى المشاركين فى الحركات الاجتماعية الجديدة فإن "استعادة الزمان، والمكان، والعلاقات فى خبرة الفرد اليومية" أمر بالغ الأهمية (ميلوكى Melucci, 1980، ص٢١٩)، لأنها تعبير عن خبرات النشطاء،

وهوياتهم ومعانيهم، وأنماط حياتهم، وعلاقاتهم المتواصنة، ولا تسرح الحركات الاجتماعية الجديدة وتعيد التعبئة بالتسلسل، مثلما تميل الحركات التقليدية إلى أن تفعل، بل بدلا من ذلك تعيد الترتيب والتنظيم باستمرار حول الأهداف والقضايا المتنوعة داخل مشهد أكبر من قيم الناشطين ومصالحهم، لأن فى الحركات الاجتماعية الجديدة "تتجاور الخبرات النائية وغير المتصلة" كما تتعايش الحركات (ميلوكى Melucci, 1994، ص١١٧).

على سبيل المثال؛ فى عمل مبكر أصر آلان تورين Alain Touraine أنه بعيدا عن كون الاحتجاجات المسلسلة غير منظمة، إلا إنها أصبحت فى النظام الاجتماعى، وفى الحركات الاجتماعية الجديدة فى المجتمع ما بعد الصناعى هى الوسيلة الأساسية، والمعتادة، والمستمرة من أجل التغيير الاجتماعى، فلم يعد الهدف من الحركات استعادة بعض "التوازن المفقود" المثالى أو النظام الاجتماعى ثم الاختفاء بهدوء من المشهد، إنما الهدف هو توليد صراع دائم، وتغيير، وإعادة خلق "إنتاج ذاتى للمجتمع" (تورين Touraine, 1981 [1978]، ص٨)، وكما يصيغها ميلوكى Melucci (١٩٩٤، ص١١٦) "الحركات ليست حالات طارئة عارضة فى الحياة الاجتماعية تقع على هامش المؤسسات الكبيرة ... بل هى واقع دائم فى المجتمعات المعقدة".

نظرية الحركة الاجتماعية: التطورات الأخيرة

أخذ التنظير فى الآونة الأخيرة حول الحركات الاجتماعية فى أعقاب الحركات الاجتماعية الجديدة منعطفا اتصاليا حاسما، حيث تعد الآن الحركات الاجتماعية الجديدة منذ الستينيات إلى الثمانينيات كشكل انتقالى كان غريبا على المجتمع ما بعد الصناعى، ويجسر الفترة ما بين حركات المجتمع الصناعى الجماهيرية القائمة على الفئة وبين الحركات عالمية النطاق والقابلة للتكيف وإعادة التنظيم التى تميز المجتمع الشبكى فى الوقت الحاضر (Wieviorka, 2005)، ومع ذلك، فإن تأثير الحركات الاجتماعية الجديدة على النظرية الحالية واضح: توصف حركات العصر الحالى عمومًا بأنها شبكات اجتماعية غير متجانسة ولامركزية، ومنتشرة، ويركز البحث على خصائصها

الثقافية والذاتية الجوهرية، ولاسيما العمليات البلاغية والتعبيرية من القضية وتأطير الفعل، والإستراتيجيات التمثيلية، والذخيرة الرمزية، فضلا عن استخدام تكنولوجيات المعلومات والاتصالات الجديدة، وحتى افترض بعض المنظرين "الثقافيين" أن الحركات تستغل "هياكل الفرصة المنطقية" المماثلة لهياكل الفرصة السياسية والاقتصادية المتقدمة فى نظرية تعبئة الموارد (على سبيل المثال؛ جونستون Johnston، نواكس Noakes, 2005).

على سبيل المثال؛ يتوسع مانويل كاستلز Manuel Castells (2009) فى نظريته المؤثرة عن المجتمع الشبكى والهوية، ويأخذ بعين الاعتبار العلاقة بين الاتصالات والسلطة، مشيراً إلى أنه "يتم ممارسة السلطة فى المقام الأول من خلال بناء المعنى فى العقل البشرى من خلال عمليات الاتصال المُشَرَّعَة فى شبكات الوسائط المتعددة العالمية/المحلية"، أما "القدرة على الانخراط بنجاح فى العنف أو الترهيب فيتطلب تأطير العقول الفردية والجماعية" (ص٤١٤)، ويتم تحقيق ذلك من خلال دستور، ولاسيما يتحول بين شبكات الإعلام والاتصالات فى مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية – أى أن الفاعلين الأقوياء قادرون على تبنى و"برمجة" هذه الشبكات وفقا لمصالحهم، وتتحدى الحركات الاجتماعية هذه السلطة، وتحدث التغيير الاجتماعى من خلال شبكات "إعادة برمجة" لإدخال ونشر القيم والآمال الجديدة فى المجتمع الأوسع.

يقترح مايكل هاردت Michael Hardt وأنطونيو نيجرى Antonio Negri (2004) الحشد كعامل رئيس للمقاومة السياسية والتغيير الاجتماعى فى سياق عالمى حيث وسائل الإعلام وتكنولوجيات المعلومات وعمالة المعلومات بيضاء الياقة هى الأغلبية، وبدلا من الحركات المنظمة المستمرة أو الحملات حول قضايا واضحة المعالم، أو التمثيلات الإعلامية، أو الهويات، أو التصرف كقوة متماسكة معبأة، فإن الحشد هو كيان "وشيك"، وهائم، وناشئ، ومصنوع من عدد لا يحصى من "التفردات" الشبكية (أشخاص يعملون سويا باسم اهتماماتهم، ومظالمهم، والتزاماتهم، وقيمهم، وعلاقاتهم

المختلفة، إلى آخره)، استخدام وسائل الإعلام وشبكات المعلومات العالمية، والحشد ينظم ويربك سريعا وبشكل غير متوقع أسلوب "الاحتشاد" استجابة إلى العمليات القمعية الشمولية من "الإمبراطورية" - شكل ما بعد حداثى من السيادة العالمية "يتألف من سلسلة من الهيئات الوطنية وفوق الوطنية الموحدة تحت منطق واحد من الحكم [الرأسمالى الحديث]" (هاردت Hardt، ونيجرى Negri 2002، وانظر أيضا هاردت Hardt، نيجرى Negri, 2000).

فى نبذة شاملة؛ انتقد جيفرى الكسندر Jeffrey Alexander (2006) مادية وواقعية النماذج الكلاسيكية "الثورية" للحركات الاجتماعية، و"التراجع إلى علم الاجتماع الجزئى" والذاتية المفرطة لنظرية السلوك الجماعى (ص٢٣٣)، ووظيفية وذرائعية نظرية تعبئة الموارد، فضلا عما رأى أنه موقف دفاعى، وتشديدا مفرطا على ضعف الفاعلين، و"تحديث" نماذج جديدة ثورية فى نظرية الحركة الاجتماعية، (فى الواقع، فى حركات العدالة العالمية والمناهضة للرأسمالية يرى بعض المراقبين انبعاث الحركات الثورية التى تحركها الطبقة و"موجة جديدة من الصراعات الطبقية المتواصلة" حول توزيع الموارد والثروة [ديلا بورتا della Porta، وديانى Diani, 2006، ص١٠]).

فى المقابل؛ يشير ألكسندر Alexander إلى أن الحركات الاجتماعية فى العصر الحالى هى ثقافية أساسا، وأن نجاحها يعتمد على قدرة المجموعة على تمثيل وتوصيل اهتماماتها الخاصة إلى المجتمع الأوسع، من أجل "تقديم أنفسهم التى تجسد القيم المقدسة، باعتبارهم حاملى الأسطورة الاجتماعية، والوطنية، وحتى البدائية، كمبدعين ثقافيين يمكنهم خلق قواعد جديدة ومؤسسات جديدة" (ص٢٢٩)، وباستخدام عبارة هابرماس Habermas، يؤكد ألكسندر Alexander أن "تشكيل الإرادة" ضرورى لخلق حركات اجتماعية يمكن أن تنشأ فقط من الولاءات والمعايير، والتضامنات بين أعضاء مجال مدنى معين، المشكلة الرئيسة بالنسبة إلى الحركات هى "ترجمة" اهتمامات معينة من المجال إلى المجتمع على نطاق أوسع باستخدام "التعابير ذات الدلالة، والرموز،

والسرد ... يتجاوز ويشمل "الأطر الرمزية" التى تتوافق مع "الالتزامات التى وضعها المجتمع المدنى "على نطاق أوسع (ص ٢٢٩-٣٠)، مثل هذه الترجمة تتطلب قادة لديهم "إبداع وخيال":

تسمح الترجمة الناجحة للحركات التى تظهر كأنها احتجاجات ... فى نظام فرعى معين، مجال العدالة، أو مجتمع جزئى - بأن يتناولها الجمهور المدنى ... والهيمنة على مجال معين ممنوع ليس لأنها تنتهك ثقافة مؤسسية معينة، بل لأنها مبنية باعتبارها انتهاك التمثيل الجماعى للمجتمع المدنى. (ص٢٣١-٢)

وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة: إطار نوعى

فى الفصل الأول؛ ناقشنا مفهوم أنواع الوسائل الإعلامية، وقدمنا خمسة أنواع من مشاريع وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة المعاصرة، وكى نختتم هذا الفصل، نناقش الآن بعض المواضيع المشتركة فى الفن الناشط ونظرية الحركة الاجتماعية الجديدة التى عادت إلى الظهور باعتبارها سمة عبر أنواع مختلفة من النشاط على الإنترنت، وتماثل الأنواع، والموضوعات، والسمات ليس دقيقا، والخطة المقترحة هنا مقصود بها أن تكون صورة سريعة عريضة أكثر من كونها "خريطة" صادقة لمجال وسائل الإعلام الجديدة الناشطة، وليس أن يبدى كل نوع كل السمات، مع ذلك كل الأنواع لديها القليل من السمات المشتركة مع بعضها بعضًا على الأقل، وتتلخص الأنواع والموضوعات والسمات فى الإطار المبين فى الجدول (٢-١).

على المستوى الأكثر عمومية، تربط ثلاثة مواضيع رئيسة الحركات الفنية الناشطة والحركات الاجتماعية الجديدة، والنشاط على الإنترنت؛ نطاق أو حجم المشاريع الناشطة؛ وموقف الحركات والمشاريع المتعلقة بالمجتمع والثقافة المهيمنين/السائدين، وطبيعة المشاريع كفعل والنشطاء كعوامل للتغيير.

جدول (٢-١) يوضح إطار أنواع وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة

السمات	الأنواع				
	تشويش الثقافة	الحوسبة البديلة	الصحافة التشاركية	التعبئة بوساطة شبكات الكمبيوتر	المعرفة المشاعية
النطاق					
ضيقة النطاق: منخفضة التكلفة، ومحدودة الحجم، وجماعات صغيرة، "وسائل إعلام جزئية"	++	++	++		+
تعاونية: اصنع بنفسك، وجهود مشتركة،عمل شرفي وتطوعي			++	++	+++
الموقف					
مغايرة: "دخيلة" إعادة: المواقع السائدة، والهامشية، والمعارضة.		+++	+	++	++
أمية ثقافية فرعية: معرفة داخلية، وتضامن، ومعاني مستردة	++			+	
سخرية: فكاهة، وتهكم، ودعابة، ومحاكاة تهكمية، واستيعاب	+++	+		+	

الفعل والوكالة					
تدخلية: تغير الظروف القائمة، وفعل مباشر.	++	+++	++	+++	++
سريعة الزوال: قصيرة الأجل، وهائمة، وسريعة الاستجابة، وعابرة، وعرضية.	++	+	+++		++

النطاق:

ويشمل النطق ميزتين مرتبطتين: الأولى: هى صغر حجم المشاريع الناشطة، من "استفزازات" كاباريه فولتير Cabaret Voltaire فى عام ١٩١٦، إلى شعارات مايو ٦٨ على الجدران فى باريس، إلى المحاكاة الساخرة لموقع شركة منشور فى عام ٢٠٠٢ أطلقه يس مين Yes Men فى الذكرى الثامنة عشرة لتسرب الغاز المميت من مصنع شركة داو كيميكال Dow Chemical فى بوبال Bhopal بالهند، يميل الفن الناشط والحركات الاجتماعية الجديدة، ونشطاء وسائل الإعلام الجديدة إلى تنظيم مشاريع صغيرة نسبيا ومنخفضة التكلفة، وتُسمى مشاريع وسائل الإعلام الجديدة الناشطة والبديلة فى العصر الحالى "وسائل إعلام جزئية MICROMEDIA" (بريتى Peretti, 2001a)، ووصف المنَظِّران الاعلاميان ديفيد جارسيا David Garcia وجيرت لوفينك Geert Lovink هذه الجهود باعتبارها وسائل إعلام تكتيكية، وأنشطة صغيرة أكثر من كونها حملات متماسكة، ومخططة بعناية، "ماذا يحدث عندما تُستغل وسائل إعلام (اصنعها بنفسك) الرخيصة ... من قِبَل الجماعات والأفراد الذين يشعرون بالظلم أو بأنهم مستبعدون من ثقافة أوسع" (جارسيا Garcia، لوفينك Lovink . 1997)، أو كما يصيغها شون كابت Sean Cubitt" وسائل الإعلام التكتيكية موجهة إلى ما هو قابل للتحقيق الآن، إلى المدى الفعال والقصير... (الفوز) ليس خيارا" (كابت Cubitt, 2006، ص ٤٢).

مشاريع إنديميديا، على سبيل المثال: غالبا ما تدعمها حفنة من الموظفين المتطوعين والمعدات المتبرع بها، كما ينتج ويستضيف الأفراد أو الفرق الصغيرة العديد

من المدونات السياسية الأكثر شعبية، حتى مشروع ويكيبيديا الكبير نسبيا (http://www.wikipedia.org)، وهو عمل مرجعي غير ربحي مبنى بشكل تعاونى ويزدهر على النزاعات الداخلية بين المساهمين المتطوعين والمحررين، تحافظ عليه جماعة أساسية من عدة آلاف من المشاركين من جميع أنحاء العالم وتنتجه، ويعتمد على التبرعات الخيرية من أجل دعمه المالى الرئيس (راجع بيشتنك Beschastnikh، كيبلن Kriplean، ماكدونالد McDonald , 2008).

يمكن أن يعزى هذا التفضيل للمشاريع الصغيرة إلى حد ما إلى حقيقة أن قليلاً من الفنانين والناشطين لديهم وصول إلى مصادر كبيرة وموثوقة من التمويل والموظفين، على الرغم من أن "وسائل الإعلام الجزئية"، وجمالية اصنعها بنفسك تبدو أنها تعكس أيضا اتجاها أساسيا بين الناشطين حول الثقافة العصرية ضخمة الحجم، على سبيل المثال رفض الإنتاج الضخم، والثقافة الاستهلاكية، والاستهلاك، والعنف الصناعى الذى يعرِّف الدادائية عاود الظهور فى مانيفستوهات الثقافة المعارضة المتصدية، ومواقف الموقفية الدولية الراسخة، لقد ورثت الحركات الاجتماعية الجديدة، بداية من دعاة حماية البيئة إلى المدافعين عن حقوق مثلى الجنس إلى المحتجين المناهضين للعولمة، انعدام ثقة وحتى عداء مشابة نحو هياكل ومؤسسات السلطة المهيمنة واسعة النطاق.

قد يكون حجم المشاريع الناشطة محدودا لأنه من المرجح أن يكون حجم الجمهور بالنسبة إلى أية رؤية معارضة أقلية صغيرا من حيث التعريف، على الأقل فى مراحل الحركة المبكرة، بالإضافة إلى أن النشطاء يضعون قيمة عالية على المرونة والعمل السريع: أحصت الدادائية Dadaists ما لا يزيد على بضع عشرات من الفنانين والكتاب فى ذروة الحركة (ديكرمان Dickerman, 2005)، وأصبحت الموقفية الدولية، التى لم تتضمن أكثر من ثمانية أو عشرة أعضاء أساسيين، سيئة السمعة بسبب نبذها وطردها المتكرر والمفاجىء المتعاونين الذين تباينت وجهات نظرهم الفلسفية أو السياسية عن الصميم (وارك Wark, 2009)، أحد تأثيرات صغر حجم معظم المواقع الناشطة على الإنترنت، والأدوار الشخصية بشكل مميز (لن نقول تمييزيًا) التى يلعبها

المبدعون فى هذه المشاريع، هو أنها تميل لإعطاء الزوار والمساهمين شعورا بالألفة أو الحميمية، لكونهم من المطلعين على بواطن الأمور الذين يعرفون اللاعبين شخصيا(٩).

نظرا لصغر حجم مشاريع الفنانين والناشطين، فمن غير المدهش كونها تميل إلى أن تكون تعاونية أيضا، نتاج جهد جماعى، بدلا من الإنتاج الفردى، والأعمال المنفردة، وهى فى هذا الصدد جزء من اتجاه أكبر نحو "الجماعية الجديدة" المرتبطة بفن ما بعد الحداثة والنشاط (ستيمسون Stimson، شوليت Sholette, 2007)، مثل معظم جهود الدادائية والموقفية البارزة، والقيم المجتمعية التى تقوم عليها الحركات الاجتماعية الجديدة، و"الجماعية الجديدة، " ومشاريع وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة، تقوم على افتراض المجتمع، والتفاعلية، والمشاركة فى تصميمها، وتنظيمها، وتشغيلها، على سبيل المثال؛ وصفت كريس أتون Chris Atton (2004) "التأليف الاجتماعى" أو الإبداع الاجتماعى لمواقع الإنترنت البديلة والأفعال، سلطة وسائل الإعلام الجديدة "تكمن بشكل أقل فى المعلومات التى [كذا] تحملها عن الجماعات التى تنشئها" (شريج Schrage, 2001)، فى تحليلهما لصحافة إيندمديا Indymedia، لاحظت سارة بلاتون Sara Platon ومارك دييز Mark Deuze (٢٠٠٣، ص ٣٣٧) أن "إمكانية التفاعل الفورى بين المستخدمين على شبكة الإنترنت تفوق كل وسائل الإعلام الأخرى... كما أن [إيندمديا] لديها أيضا إمكانية مضطردة على (إعادة) ربط صيغ من وسائل الإعلام وأشكال من الصحافة بأنواع مختلفة من المجتمع".

على سبيل المثال؛ القراء والمساهمون فى مدونة ومجموعة نقاش دايلى كوس Daily Kos ((http://www.dailykos.com الليبرالية/التقدمية غير الهادفة للربح غالبا ما يعاملون الموقع كأنه حوار دائم بين بعضهم بعضًا وبين مؤسس المدونة ماركوس موليتساس Markos Moulitsa، وفى عام ٢٠٠٦ أطلقت أسرة دايلى كوس اجتماعها المباشر السنوى الخاص، حيث التقى ١٢٠٠ مدون وناشط سياسى مؤثر على الإنترنت وجها لوجه، وفى عام ٢٠٠٧ اعتبر اجتماع المدونة السنوى تجمعا اختياريا "لنشطاء الإنترنت" لدرجة حضور سبعة مرشحين ديمقراطيين للرئاسة من أصل ثمانية، وبحلول عام ٢٠٠٨ زاد

عدد حضور الاجتماع (الذى أعيد تسميته إلى أمة نشطاء الإنترنت) إلى ما يقرب من ألفى حاضر، رغم أن مدون يمين وسطى من الذين حضروا الاجتماع ذكر أن هذا العدد ما زال صغيرا بالنسبة إلى أعداد النشطاء السياسيين التقدميين الهائلة على الإنترنت، وبدا كما لو كان قاصرا على "نخبة" مختارة من المشاركين (نالى Nalle, 2008).

الموقف

والموضوع العام الثانى الذى يجسر حركات الفن الناشطة والحركات الاجتماعية الجديدة، والنشاط على الإنترنت له علاقة بشعورهم بالانفصال أو الاختلاف عن الثقافة السائدة والمعتقدات الاجتماعية أو القيم السائدة - وبهذه الطريقة يضعون أنفسهم، أو "الفضاء" الذى يشغلونه بالنسبة إلى بقية المجتمع، ويمكن اعتبار موقف مشاريع الوسائل الإعلامية الجديدة البديلة والناشطة فى ثلاث خصائص رئيسية.

أولا: هذه المشاريع مغايرة، أى أنها بمثابة "مساحات أخرى" أو"مواقع نقيضة" للتعبير، والانتماء، والإبداع بمعزل عن الثقافة السائدة (ليفرو Lievrouw, 1998)(١٠) والمغايرة، وفقا لميشيل فوكو (١٩٨٦، ص٢٤)، هو "نوع من اليوتوبيا المشروعة بفاعلية... التى يمكن العثور فيها على جميع المواقع الحقيقية الأخرى مع الثقافة هى ممثَلة، ومتنازع عليها، ومعكوسة فى نفس الوقت، والأماكن من هذا النوع هى خارج كل الأماكن، على الرغم من أنه من الممكن الإشارة إلى موقعها فى الواقع"، هذا التعريف يتردد صداه بالتأكيد فى سياق الفن الناشط والحركات الاجتماعية الجديدة، وكذلك المشاريع الأحدث على الإنترنت، على سبيل المثال؛ كانت الدادائية لديها موقع جغرافى مادى محدد للغاية شمل العديد من المدن الأوربية الكبرى ونيويورك، وعملت حفنة من الفنانين والكتاب فحسب فى كل مكان، واختلفت فاعلية العمل من مدينة إلى مدينة، (الدادائية الألمانية، على سبيل المثال؛ كانت حاسمة سياسيا وثورية الأهداف، فى حين أكدت فرِق زيوريخ وباريس ونيويورك على اللا معقولية، والعبثية، والعشوائية، و"الإشارة غير المبررة"؛ ديكرمان Dickerman , 2005؛ وهوبكنز Hopkins , 2004؛ وليبارد Lippard, 1971)،

ومع ذلك، من خلال تيارات مستمرة من المراسلة، والسفر، والتعاون أنشأ الدادائيون معيارا جماليا متماسكا نسبيا، اتخذ موقفا "دخيلا" معارضا بتحد تجاه المهيمن من الفن، والثقافة، والسياسة، وبالمثل؛ اعتقد الموقفيون الدوليون أن التلفيق المتعمد للحالات الصادمة و"المشاهد المضادة، " فى معارضة الاقتصاد والسياسة المهيمنين، يمكن أن يقدم إلى "المتفرجين" وسيلة لاستعادة خبرة أصلية واستقلالية، ومثلما ناقش تورين Touraine، وميلوكى Melucci، ومُنظِّرون آخرون كانت الحركات الاجتماعية الجديدة فعالة، ليس لأنها تحاول استعادة القيم الاجتماعية المبوبة، بل لأن النشطاء أنفسهم أظهروا قيما وممارسات جديدة بديلة وأثبتوها "أخرى" لصالح بقية المجتمع، انطلاقا من "الرغبة فى إقامة مجتمعات متصورة كملاذ آمن داخل شبكة اجتماعية أكثر سمكا باضطراد، وبالتالى أصبح التهميش، الذى أُعتبر لفترة طويلة فشلا فى الاندماج السمة المميزة للمعارضة، والمختبر الذى يُطوَر فيه مشاريع معارضة ثقافية واجتماعية جديدة" (تورين Touraine, [1984] 1988، ص١٠٦).

وبالمثل؛ استعارة مصطلح نشطاء وفنانى الإنترنت من أرجون Arjun Appadurai يخلق "مساحات إعلامية" أو "يرسم خرائطا" متنوعة (هولمز Holmes, 2007) حيث يمكنهم فيها "الاحتشاد" وتبادل وجهات نظر أقلية أو مهمشة، وقد ناقشت مارين هارتمان Maren Hartmann (2004) إن "الوجود على شبكة الإنترنت" يشكل نوعا من التسكع على الإنترنت مماثلا إلى تمشية القرن التاسع عشر المتسكعة فى باريس أو برلين أو انسياق الموقفيين، ويعيد تعريف وتشكيل معنى المساحات الثقافية كما أصبحت، ويمكن أن تكون المشاريع بمثابة مساحات "عامة معارضة" حيث الجماعات الهامشية أو المظلومة قد لا تعبر عن استبعادها ومعارضتها إلى المجموعات، أوالأماكن، أو الرؤى الأخرى فقط أو تضامنا مع بعضهم البعض، بل تنخرط أيضا فى خطاب وتبنى إستراتيجيات تمكنها من التغلب على الاستبعاد (آسين Asen, 2000).

وقد لاحظ النقاد إمكانية التجزئة الاجتماعية أو الانفصال الاجتماعى، وفقدان الثقافة المدنية أو العامة، فى تنوع المواقع على الإنترنت (على سبيل المثال؛ ميتشل

Mitchell, 2003، سنستين Sunstein, 2007)، بينما اهتم آخرون بأن الانفصال عن التعبير السائد واهتمامات المجتمع الأكبر يميل إلى التعزيز من القيم والآراء المتطرفة، ومع ذلك، قد يكون مثل هذا "الانفصال على الإنترنت" أو "الجماهير شديدة الضآلة" (كاهن Kahn، كيلنر Kellner .2005) متوازنا بالقدرة المضطردة للمجموعات الممثلة تمثيلا ناقصا على طلب مزيد من الوضوح والشرعية من أجل مصالحها على نطاق عالمى من خلال الوجود على الإنترنت، كما يتضح من التحليل واسع النطاق لاستخدام حركة زاباتيستا Zapatista فى المكسيك لمواقع الإنترنت فى التسعينيات (التى سوف نناقشها أكثر فى الفصل السادس).

وهناك نقطة متصلة فى النقد والتعليقات حول وسائل الإعلام الجديدة البديلة/الناشطة هى سمة تجوالية الانخراط الاجتماعى والثقافى عبر وسائل الإعلام الجديدة وتكنولوجيات المعلومات، ولاسيما احتمالات الهيمنة، والاستقلالية، والمقاومة المتاحة إلى"الجوالين" و"متأنقى البيانات" الذين يستعرضون الشبكات الرقمية، "الشبكة بالنسبة إلى المتأنقين الإلكترونيين هى ما يمثله شارع مدينة كبيرة بالنسبة إلى المتأنقين التاريخيين، فالتمشية على طول شوارع البيانات لا يمكن حظره ويزحم كل النطاق الترددى فى نهاية المطاف" (لوفينك Lovink, 1997، ص٦٤، وانظر أيضا فرقة الفن النقدى Critical Art Ensemble, 1994؛ الإيكونوميست، 2008A)، كما استدعى عدد من الباحثين مفهوم حكيم بى Hakim Bey عن مناطق الحكم الذاتى المؤقتة (2003) (TAZ) كنموذج لنشاط وسائل الإعلام الجديدة.

نظرا لطبيعتها المغايرة، لذا قد لا يكون من المستغرب أن مثل الفن الناشط والحركات الاجتماعية الجديدة، هناك الكثير من مشاريع وسائل الإعلام الجديدة البديلة/ الناشطة لديها سمة ثقافية فرعية، أو أن نشطاء الإنترنت ينمون ما أسماه ريتشارد كان Richard Kahn، ودوج كيلنر Doug Kellner (2003) معرفة ثقافية فرعية، وتقول كريس أتون Chris Atton (2004، ص xi): إن دراسة شبكة الإنترنت البديلة يمكن اعتبارها "دراسة ثقافات فرعية" فى الأساس، مثل النشطاء المناهضين للنشاط

النووى باستخدام مسرح الشارع الدعائى السياسى، والناشرين الذين وزعوا تنسيقات صور جون هارتفيلد John Heartfield الساخرة من العسكرية الألمانية فى العشرينيات والثلاثينيات (مركز جيتى، ٢٠٠٦؛ وانظر أيضا http://www.getty.edu/art/exhibitions/heartfield)، أوالموقفيون المنطلقون فى انسياقاتهم الهائمة، يتوقع نشطاء الإنترنت أن يتشارك جمهورهم قدرا من المعرفة المضطلعة، و"تفكيرا انعكاسيا ذاتيا شديدا حول طبيعة الثقافة الشعبية" (كولينز Collins, 1995، ص٢)، والتى وُصفت أيضا باعتبارها "جمالية الاعتداء على أرض الغير، والخداع، والقراءة والتحدث، والتمشية، والتسوق، والرغبة" (جارسيا Garcia، لوفينك Lovink, 1997)، وتعيد المشاريع البديلة والناشطة تفسير المألوف بشعور حاد من الوعى بالثقافة المعاصرة – وتتوقع أن الآخرين المهتمين سوف "يشعرون بذلك" أيضا، ويتم اختيار القضايا، والصور، والعبارات الطنانة، والاتجاهات، والتقاطها، وتدميرها، وتجزأتها، وإعادة تكوينها وتقديمها بطرق غير متوقعة (ومناسبة بشكل مثالى).

بالاتفاق مع حالة حركات الفن الناشط والحركات الاجتماعية الجديدة، ومشاريع الوسائل الإعلامية الجديدة البديلة/الناشطة وكونهم مغايرين، وحالتهم "الدخيلة" وحساسياتهم الثقافية الفرعية، يكون لديهم فى كثير من الأحيان شعور حاد بالسخرية والفكاهة، لا سيما فى توزيعهم الصور والأفكار الثقافية السائدة لتطوير المعانى البديلة أو المعارضة، وغالبا ما تكون مشاريع الإنترنت ساخرة، أو لعوبة، أو هزلية، أو مبالغ فيها أو تحاكى المشاهير بتهكم ([برمن Braman [, 2002)؛ أو كما علق عالم اللغويات جيوفرى ننبرج Geoffrey Nunberg حول المدونات، غالبًا ما يقدم المشاركون فى المدونات أنفسهم باعتبارهم "الشركاء فى التآمر والموجودين فى الدعابة" (ننبرج Nunberg, 2004، ونقل عنه ستيمسون Stimson وشوليت Sholette, 2007A، ص٢)، وأصبح نشاط وسائل الإعلام الجديدة يسمى "فجا... [الاحتفال] باحتمالية سخرية، وفكاهية وتناقض الأفعال السياسية" (بريتى Peretti, 2001b)، ومثل هذه المشاريع "لا تأخذ نفسها على محمل الجد... إنهم يعرفون كيف يضحكون" (لوفينك

Lovink، ريتشاردسون Richardson, 2001)، وكما رأينا بالفعل، استخدمت كل من الدادائية والموقفية الدولية العبث والفكاهة السوداء بكثافة فى تعليقاتهم على الفن والحياة العصرية، وقد استمر هزل مماثل فى وعى وأسلوب العديد من مشاريع وسائل الإعلام الجديدة، وغالبا ما ينظر فى اتصالاتها وأحداثها العامة (راجع الفصل الثالث)، رغم أن "لا شىء يمكن أن يشفط الهواء من حوله مثل الفن السياسى: الكثير جدا من الكلمات، والأيديولوجية ترتدى بشكل شفاف للغاية على الأكمام، الكثير جدا من اليقين، والقليل جدا من الاهتمام بفحصه" (طومسون Thompson, 2004، ص١٠)، الكثير من المشاريع الفنية الناشطة/البديلة مضحكة بشكل مباشر، وتستغل سمة عبث كثير من الثقافة، والاقتصاد، والسياسة السائدة، فعلى سبيل المثال تسعى تجمعات معروفة مثل رجال نعم Yes Men، وعلامة الفن المسجلة ™rark@، وفرقة الفن النقدى Critical Art Ensemble إلى إلهام الغضب بالإشارة إلى العبث والاستهزاء به، أو حتى إنتاج القليل من العبث الفكاهى بأنفسهم.

أسلوب السخرية الذى يكثر استخدامه فى النشاط على الإنترنت، كما كان فى الفن الناشط والحركات الاجتماعية الجديدة، هو الاقتطاف، أى تجاور عناصر لا علاقة لها ببعضها البعض كى تخلق معان جديدة (وغالبا ما تكون معارضة أو تدميرية)، وقد تتبع ديك هيبدج Dick Hebdige الاستخدامات التدميرية والثقافية الفرعية للاقتطاف فى الدادائية والسريالية، وفى تحليله لنمط حياة السبعينيات البانك punk المخالف للتقاليد، ويزعم أن الاقتطاف هو عنصر مميز لنمط ثقافى فرعى: "إنها أساسا الطريقة التى تستخدم فيها السلع فى ثقافة فرعية تفصل الثقافة الفرعية عن أكثر التكوينات الثقافية التقليدية" (هيبدج Hebdige, 1979، ص١٠٣، التشديد فى النص الأصلى)، وعبَّر عن ذلك ديبورد والموقفية الدولية بصراحة أكثر: "الانتحال ضرورى، والتقدم يقود إليه" (ديبورد Debord، ولمان Wolman, 1981 [1956]، ص١٠).

ووظفت جمعية نشطاء وسائل الإعلام فى أمستردام ADILKNO، التى نشأت مع حركة العشوائيات هناك فى السبعينيات (ADILKNO, 1994, [1990])، مجموعة من

الإستراتيجيات والأنشطة الإعلامية، بما فى ذلك "وسائل إعلام غامضة"، بدت تستعير مباشرةً من كتب الدادائية والموقفية:

> **وقد وجدت بعض الشخصيات التاريخية الوسط الطبيعى فى وسائل الإعلام الغامضة، مثل: ماو Mao، وجيسين GYSIN، ومانسون Manson، والرايخ Reich، ويسوع Jesus، وديبورد Debord، وماينهوف Meinhof، وفروم Fromm، وهتلر Hitler، وهندريكس Hendrix، وكاستانيدا Castaneda، وجولدمان Goldman، ومارلى Marley ولونجستوكينج Longstocking، ولكن أيضا كتب الطبخ، والأسلحة، ورسوم الأطفال، والسحرة، والدم، ورؤوس الموت، ودائما الحيوانات، ما دامت مضطربة، ومثقلة بالنص، وكاملة ومؤثرة، بالرسوم التوضيحية الثقيلة وباللونين الأبيض والأسود. (لوفينك Lovink, 1997، ص٥٩).**

فى سياق الإنترنت، يؤكد مارك ديبز Mark Deuze (2003) على دور الاقتطاف فى مواقع إنديميديا Indymedia التى تجلب مواد متنوعة جنبًا إلى جنب مع تأثير المختارات، كما زعم أيضا أنه إلى جانب المشاركة والمعالجة، يمكن اعتبار الاقتطاف إحدى "المكونات الرئيسة" أو السمات المميزة للثقافة الرقمية (ديبز Deuze، ٢٠٠٦).

الأمثلة البارزة الأخرى من سخرية اقتطاف وسائل الإعلام الجديدة تتضمن المحاكاة ساخرة (محاكاة تهكمية) لمواقع الشركات؛ و"معرض" على الإنترنت من الأعمال الفنية "يستعير" من مواد حقوق الطبع والنشر والعلامة التجارية، كانتقاد لقانون الملكية الفكرية الذى يستضيفه موقع الفن غير القانونى الجماعى(انظر http://www.illegalart.org والنقاش فى الفصل الثالث)؛ وأعمال فرقة نيجاتيف لاند Negativland ((http://www.negativland.com، وانظر أيضا Negativland, 2003)؛ ورسوم ديفيد ريس David Rees الهزلية السياسية، بعنوان احصل على حربك الآن، هذه السلسلة، التى أطلقها ريس بعد أقل من شهر من هجمات ١١ سبتمبر فى الولايات المتحدة، تستعير تقنية الموقفية باستبدال الحوارات داخل

"الفقاعات" في إكليشيهات الشرائط المصورة أو القصاصات الفنية بنص فج أو متناقض (http://www.mnftiu.cc/mnftiu.cc/war.html).

الوكالة والفعل:

وهناك موضوع ثالث يربط ما بين الفن الناشط، ونظرية الحركة الاجتماعية، والمشاريع الإعلامية الجديدة البديلة/الناشطة هو الفعل والوكالة، أي إلى أي مدى يتم تصور المشاريع وتنفيذها باعتبارها فعل من المشاركين الذين يعتبرون أنفسهم ومشاريعهم وكلاء التغيير الاجتماعي، ويرتبط بهذا سمتان؛ الأولى: هي أن الثلاثة تقاليد هي تَدَخُّل صريح، ويسعى مبدعوها إلى الاعتراض على الأوضاع القائمة أو تغييرها من أجل تدمير - المعنى الشائع أو المعاني والحالات المسلم بها، وإلى "إدخال تشويش على الإشارة" (ديري Dery, 1993)، أو خلق "نوع من التعطيل المؤقت في نظام التمثيل"(هيبدج Hebdige, 1979، ص٩٠)، ويحاول الفنانون والناشطون المعاصرون "خلق أوضاع في العالم بأسره" (طومسون Thompson, 2004، ص١٠).

جعل الدادئيون أهدافهم التدخلية واضحة من خلال فعالياتهم العامة العمدية، ودعاياتهم، واستفزازهم، وفي أوروبا ما بين الحربين كان لا يزال ممكنا "إقحام أحد الفنون، حتى مع عدم وجود ضمانات الفعالية، ما بين الرسالة الرسمية والجمهور" (هيوز Hughes, 1991، ص٨١)، وسعت الدادائية إلى إطلاق "التدخلات في الإدارة الحكومية، أي تدمير الأشكال الثقافية للسلطة الاجتماعية - تحطيم اللغة، والعمل ضد مختلف الاقتصادات الحديثة، الباغية عمدا على الحدود، وخلط التعابير، والاحتفال بالجسم القبيح باعتباره مقاوم للانضباط والسيطرة "(ديكرمان Dickerman, 2005، ص١١)، وتهدف الفوضوية الدادئية، وأساليبها المتمردة إلى تحقيق "بداية جديدة" أو صفحة بيضاء من أجل إعادة تصور الحياة اليومية والثقافة (ليبارد Lippard, 1971).

حـاليـا، المشـاريع الناشطة على الإنتـرنت "تضـغـط ضـد" مـواقع ، وأحـداث، وممارسـات: "الناشطون فى ثقافة التشويش لا وجـود لـهم دون لوحـات الشـركـات" (لوفينيك Lovink، ريتشاردسون Richardson, 2001)، ويمكن أن تشكل المشاريع تدخلا أو فعلا فى حد ذاته على السواء (مثل النشر المستمر وغير القانونى لأقراص الفيديو الرقمية DVD التى تفك كود فك تشفير المواقع الأمريكية التى سوف نصفها فى الفصل الرابع؛ إيشينفيلدر Eschenfelder، وديساى Desai, 2004)، أو تدعو إلى تدخل الآخرين وتشجعه (مثل التدفق المستمر لمقترحات من أجل تنظيم الأحداث الحاشدة الثقافية والسياسية فى جميع أنحاء العالم، منشورة فى http://www.flashmob.com، وانظر أيضا رينجولد Rheingold, 2002).

كتدخلات وأفعال، غالبًا ما تكون المشاريع البديلة والناشطة، والفن الناشط، والحركات الاجتماعية الجديدة على حد سواء ردودا سريعة الزوال وقصيرة الأجل على سياقات ومعانٍ ثقافية سريعة التغير، فهى "قادرة على المجازفة، حتى لو كان يعنى ذلك أنها قد تتعرض لتدمير ذاتى أثناء العملية"(Lovink، ريتشاردسون Richardson, 2001)، كما أن مشاريع وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة على وجه الخصوص معروفة بقدرتها على التعبئة، وردها المرن على الأحداث والسياقات المتغيرة" (ميكل Meikle, 2000)، مثل روابط الاتصال وتدفقات المرور على الشبكات الرقمية التى تدعمها، تنظم المشاريع الناشطة على الإنترنت وتعيد التنظيم باستمرار إلى حد ما بمعدل إنهاك مرتفع نتيجة لذلك، وفى هذا الصدد تشبه الحركات الفنية السابقة. مثل الفن المفاهيمى والأدائى (وكلاهما كثيرا ما استشهد بهما أبناء الدادائية، وإلى حد أقل، الموقفيون)، الذين تعمدوا عدم ترك بقايا أو آثار المواد، وبالتالى يمكن جمعها أو تسليعها.

قد تكون وقتية الويب فى حد ذاتها[١١] أثرًا مهمًا مترتبًا على سرعة تلف مشاريع الوسائل الإعلامية الجديدة البديلة والناشطة، لذا فإن فى أى وقت قد تصبح نسبة كبيرة من المواقع فجأة قديمة، أو معطلة، أو مهملة، أو لا يمكن الوصول إليها باستخدام تقنيات تصفح الإنترنت القياسية - بما فى ذلك ما يسمى الويب "غير المرئية" أو

"المظلمة" (شيرمان Sherman، برايس Price, 2001)، وقدرت إحدى الدراسات المُستشهَد بها على نطاق واسع منذ عام ٢٠٠١ أن: "الويب العميقة" تُقدَر في أى مكان من ١٠٠ إلى ٥٠٠ ضعف حجم ما يمكن الوصول إليه بسهولة من "سطح" الويب (بيرمان Bergman, 2001)، وفى دراسة أجراها باحثو شركة IBM عام ٢٠٠٠ على عينة من الشبكة العنكبوتية العالمية المتاحة فى ذلك الوقت وجد إن حوالى ٣٠ فى المائة من جميع المواقع إما متصلة بالكاد، أو مفصولة تماما عن باقى الويب، ووجد هؤلاء الباحثون فى الواقع إن ما كانوا يبحثون عنه على شبكة الإنترنت يمثل ٢٤ فى المائة فقط فى ذلك الوقت (برودر Broder وآخرون، ٢٠٠٠)، وفى عام ٢٠٠٣، وجدت دراسة أخرى أن ما يقرب من ٧٠ فى المائة من المدونات لم يتم تحديثها فى الشهرين السابقين (هينينج Henning, 2003).

بالطبع؛ من المهم أن نتذكر أنه على مر التاريخ، لم تُحفظ إلا نسبة ضئيلة من أى أدوات إعلامية – سواء المخطوطات المكتوبة، أو الرسائل، أو الكتب المطبوعة، أو الأفلام، أو الصور أو التسجيلات الصوتية أو الفيديو، أو الأعمال الفنية، وغيرها– من قبل، وبالفعل، ليس فقط التاريخ "الذى كتبه المنتصرون" من أدلة وثائقية محفوظة انتقائيا، بل بات من الواضح أن التدمير المتعمد والانتقائى للسجلات يجرى إحياؤه فى العصر الرقمى كأداة من السلطة القمعية، بدايةً من حرق النصوص الإسلامية القديمة فى مكتبة سراييفو إلى حذف رسائل البريد الإلكترونى غير المناسبة، والسجلات الإلكترونية الأخرى فى مكاتب الشركات أو فى الإدارة الرئاسية الأميركية (ساندرز Sanders, 1997)، إلى هجمات قطع الخدمة "شبكة الروبوت" التى تُطلَق ضد الخصم مقدما فى المعارك العسكرية، كما فى الصراع بين روسيا وجورجيا حول أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا، قد يكون من التمنى أن نتوقع أن وضع الحفاظ على المواد الإعلامية الرقمية سوف يكون مختلفا.

يمكننا أن نختتم هذا الفصل برأى آخر من السيموطيقى والباحث الإيطالى أمبرتو إيكو Umberto Eco، فى مقال صحفى صدر له فى عام ١٩٦٧، تنبأ فيه بأن الثقافة الإعلامية سرعان ما ستطلب من الجماهير المشاركة فى "حرب عصابات سيميولوجية":

ما يجب أن يُحتل، فى كل جزء من العالم، هو الكرسى الأول أمام كل جهاز تليفزيون (وبطبيعة الحال، كرسى قائد المجموعة أمام كل شاشة السينما، وكل راديو ترانزستور، وكل صفحة من أى صحيفة)..فالمعركة من أجل بقاء الإنسان بوصفه كائنا مسئولا فى عصر الاتصالات لن يتم ربحها بأين تنشأ الاتصالات، ولكن بأين تصل (إيكو Eco, 1986، ص ١٤٢)

كان إيكو يكتب عن التليفزيون، ولكن على النقيض تبدو نصيحته متصلة مباشرةً بوسائل إعلام العصر الحالى – بشرط واحد، أن فى ثقافة وسائل إعلام العصر الحالى الشبكية، يجدر التساؤل: أين بالضبط "تنشأ" وسائل الإعلام الجديدة وإلى أين "تصل"؟

الفصل الثالث

إفشال آلة الإعلام
تشويش الثقافة

في مقال له في صحيفة نيويورك تايمز فى عام ١٩٩٠، ساعد الناقد الثقافى مارك ديرى Mark Dery على توجيه تشويش الثقافة Culture Jamming من ظلال ثقافات الشارع الفرعية المتطرفة - فن الرسم على الجدران (الجرافيتى)، وتخريب اللوحات الإعلانية ومحطات الحافلات - إلى المرحلة المشرقة من الثقافة الشعبية الأميركية.

تشويش الثقافة هو: "إرهاب" فنى موجه ضد مجتمع المعلومات الذى نعيش فيه...لن يعرف معظم العاملين فى تشويش الثقافة أبدا برنامج ١٥ دقيقة من الشهرة الذى يقدمه أندى وارهول Andy Warhol، والمشى على خط رفيع بين الجريمة التافهة والفن المفاهيمى، فهم غالبا عمالة سرية من أجل الإدلاء بتصريحات عامة، وعملهم يدين أثرهم نتيجة عدم الكشف عن هوية الفنان وطبيعة الفن من الكر والفر. (ديرى Dery, 1990).

وفقا لديرى Dery؛ صاغت فرقة نيجاتيف لاند Negativland لفن الروك فى سان فرانسيسكو مصطلح "تشويش الثقافة" فى عام ١٩٨٤ "لوصف تغيير لوحة وغيرها من الفنون الهامشية التى تسعى إلى تسليط الضوء على الجانب المظلم من عصر الكمبيوتر"، التى عرفتها فرقة نيجاتيف لاند نفسها بإنها: "وسيلة إعلام عن وسيلة إعلام عن وسيلة إعلام"، تقلب مشاريع تشويش الثقافة - التهكمية جزئيا، والخداعية جزئيا،

والصورة المصنعة البائسة جزئيا- التدفق اليومى من الإعلانات، والأخبار التليفزيونية، والدور السياسى، والفوضى الثقافية ظهرا لبطن.

وفى النهاية، حصل ديرى Dery على أكثر من الخمس عشرة دقيقة المجازية عندما وَسَّع تقريره فى التايمز إلى مقال "تشويش الثقافة: القرصنة، والانتقاد والقنص فى إمبراطورية العلامات" (ديرى Dery, 1993)، المنشور على الإنترنت فى عام ١٩٩٣، ولاحقا على موقعه، ولا يزال يُستَشهَد به على نطاق واسع باعتباره البيان التأسيسى لتشويش الثقافة الموثوق به، ويسمى مدخل ويكيبيديا عن تشويش الثقافة مقال ديرى "مقال مؤثر يظل التنظير الأكثر حصرية تاريخيا، واجتماعيا وسياسيا، وفلسفيا عن تشويش الثقافة حتى الآن" (http://en.wikipedia.org/wiki/Culture_jamming)[١٢]، وفى المقال يعرف ديرى (١٩٩٣) تشويش الثقافة باعتبارها "قرصنة وسائل الإعلام، وحرب معلومات، وإرهابًا فنيًا، وسيميائية غير تقليدية، جميعا معا."

يلتقط تشويش الثقافة الصور والأفكار من ثقافة وسائل الإعلام الرئيسية ويفسدها كى يصنع معنى نقديا، أو كما يقول المصمم الإعلامى يونان بريتى Jonah Peretti، إنها: "إستراتيجية تحول قوة الشركات ضد نفسها من خلال اختيار المعانى، وقرصنتها، والسخرية منها، وإعادة وضعها فى سياقها"(بريتى Peretti, a2001، ص١)، كما سماها الآخرون "محاولة واضحة لإفشال الآلة الإعلامية" (ميكل Meikle, 2002، ص١٣١)، وترتبط ارتباطا وثيقا بالمداخل الأخرى التى تفجر الثقافة الشعبية كى تبرز معنى سياسيا أو اقتصاديا، مثل وسائل الإعلام التكتيكية، التى يوظف فيها النشطاء مجموعة من تقنيات وسائل الإعلام، بما فى ذلك الفيلم والفيديو التجريبى، أو تليفزيون الكابل المحلى، أو المسرح فى الأماكن العامة، كى يتدخلوا فى التعليق على الأوضاع السياسية والاقتصادية ([برمن Braman, 2002]؛ كوبيت Cubitt, 2006؛ جارسيا Garcia، لوفينك Lovink, 1997).

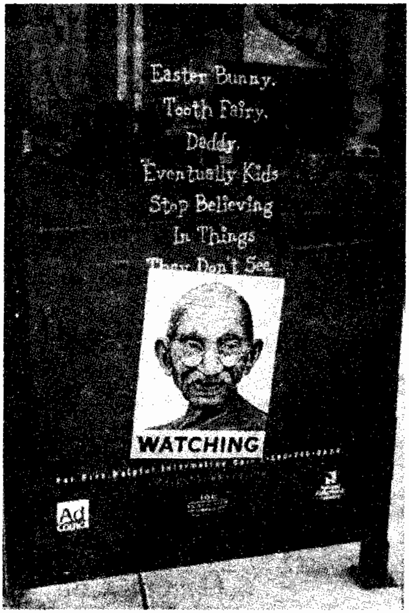
كنوع من نشاط وسائل الإعلام الجديدة، وعليه يأخذ تشويش الثقافة شكل الثقافة الشعبية، ولكن بغرض تقويض ونقد تلك الثقافة، وفى هذا الفصل ندرس كيف انتقل تشويش الثقافة من فن الشارع إلى النشاط على الإنترنت.

تشويش الثقافة خارج الإنترنت

أعادت العديد من مشاريع التشويش الثقافى المبكرة تكوين الصور التجارية والأماكن العامة، ولاسيما اللوحات الإعلانية والإعلانات الأخرى، فى كتابها (رُشها عاليا) تُفَصِّل جيل بوسنر Jill Posener تنقيح اللوحات الجنسية والعنصرية فى المملكة المتحدة (بوسنر Posener, 1982)، وفى عام ١٩٧٧، بدأت مجموعة جبهة تحرير اللوحات فى سان فرانسيسكو عمل "تصحيحات" ليلية متأخرة فى نوع الوجوه وصور إعلانات مستحضرات التجميل والسجائر والخمور، وشركات النفط، والتجنيد العسكرى فى الطرق، وغيرها من المنتجات والمنظمات التى وجدوا إمكانية الاعتراض عليها، وهى ممارسة وصفت لاحقا باسم "التخريب"، ومع مرور الوقت، توسعت جهود جبهة تحرير اللوحات إلى ما أبعد من سان فرانسيسكو كى تسخر من صناعات مواقع الإنترنت فى سلسلة من اللوحات الإعلانية فى وادى السيليكون، وإعادة تكوين علامات مدخل كازينوهات القمار (ويمكن رؤية هذه الأمثلة وغيرها على (http://www.billboardliberation.com

وباتخاذ نهج مختلف، بدأ فنان الملصقات السياسية روبى كونال Robbie Conal ومساعديه فى وقت متأخر من الليل "حرب ملصقات" منظمة فى جميع أنحاء لوس أنجيلوس فى الثمانينيات، هذه المشاريع، التى ما زالت مجموعة كونال تنفذها حتى اليوم تغطى مواقع البناء، والأسوار المبنية، واللوحات الإعلانية بصور سيئة وشاحبة لشخصيات سياسية مؤثرة مع تعليقات ساخرة مثل "أكاذيب بيضاء صغيرة" على صورة السناتور الأميركى المحافظ جيسى هيلمز Jesse Helms، و"عجين الدولة" إلى جانب الوجه العجينى للرئيس الأسبق بيل كلينتون، و"إلقاء ثائر" على صورة الرئيس

الأسبق رونالد ريجان، و"تكلم" لصورة مقطبة للعقيد أوليفر نورث **Oliver North** عند الإدلاء بشهادته بالزى الرسمى، أخيراً، وجه مبتسم للرئيس باراك أوباما وعليه كلمات "المناخ" باللون الأحمر فوق الصورة، و"التغيير" باللون الأزرق أسفلها، وهكذا (راجع الشكل٣-١)، كما يحدد موقع كونال أيضا ما تفعله "حرب الملصقات" وما لا تفعله.



يوضح شكل (٣-١) نموذجاً من بوسترات لروبى كونال Robbie Conal

الساخرة بعنوان أرنب المراقبة، المصدر بإذن من روبى كونال

كما كانت وسائل الإعلام المطبوعة أيضا هدفا مبكرا لثقافة التشويش، فمثلا المجلة الكندية غير الهادفة للربح أدباسترز **Adbusters ((http://www.adbusters.org**، المنشورة من مؤسسة أدباسترز الإعلامية منذ عام ١٩٨٩، هى مجلة فصلية لامعة تربط المحاكاة الساخرة من التسويق، والإعلان، ووسائل الإعلام الشعبية بانتقادات الثقافة الاستهلاكية والتعليق السياسى، وفى عام ٢٠٠٠ نشر كالى لاسن **Kalle Lasn** المحرر المؤسس لمجلة أدباسترز، دعوة جدلية لنشاط وسائل الإعلام بعنوان تشوش ثقافى: كيف

نعكس نهم أمريكا الاستهلاكى الانتحارى - ولماذا يجب علينا ذلك (لاسن Lasn, 2000)، وتضمنت تمهيداً موجزاً عن فلسفة وممارسة التشويش الثقافى، كما ترعى أدباسترز Adbusters عددا من المشاريع المتصلة، مثل "يوم عدم الشراء" و خط "البقعة السوداء" لإنتاج أحذية ضد العلامة التجارية، وفى السنوات الأخيرة توسعت جهود أدباسترز فى وسائل الإعلام الأخرى، بما فى ذلك التليفزيون والإنترنت.

أصبحت إمكانات مشاريع ثقافة التشويش متنوعة بتنوع الرسائل والتكنولوجيات المتاحة فى الثقافة الأوسع، أندرو بويد Andrew Boyd ناشط مدينة نيويورك الذى كان يُطلق عليه فى مقارنة أحد المحاضرين التحفيزيين، "تونى روبنز Tony Robbins" حركة تشويش الثقافة (كالدويل Caldwell, 2003)، بويد، الذى ساعد أيضا فى إنشاء جماعة محاكاة ساخرة سياسيا من أجل جمع تبرعات باسم "ملياردير ات من أجل بوش" (http://billionairesforbush.com/index.php)، كان يقدم حلقات دراسية بعنوان "تشويش الثقافة ١٠١" يوضح فيها إلى العاملين فى تشويش الثقافة الطموحين كيفية إنشاء مشاريعهم (http://www.culturejamming101.com).

كما ظهرت أيضا موجة من مشاريع تشويش الثقافة "المراقبة المضادة" كرد فعل سياسى على الاستخدام المتزايد للدوائر التلفزيونية المغلقة، وكاميرات المراقبة على الممتلكات الخاصة وفى الأماكن العامة (موناهان Monahan, 2006)؛ مثلا أداء فرق الرقص التجريبية والساخرة أمام الكاميرات داخل ردهات تجمعات نقاط الصرف النقدى/ماكينات الصرف (ماركوف Markoff, 2002)، كما يستخدم أحد المشاريع مؤشرات ليزر غير مكلفة لتعطيل كاميرات المراقبة فى الأماكن العامة مؤقتا (نايمارك Naimark, 2002)، وفى عام ٢٠٠١ أجرى العرض التلفزيونى البريطانى (كوميديا مارك توماس The Mark Thomas Comedy) مسابقة أكثر عروض الدوائر التليفزيونية المغلقة ابتكارا"(Rimensnyder, 2001)، كما تصمم وتصنع مؤسسة الحكم الذاتى التطبيقى، والفن/الهندسة الجماعية "روبوتات تنافسية"، يرسم تطبيقها من "نظام المراقبة

العكسية"، أي سى iSee، خرائط مواقع كاميرات الدوائر التليفزيونية المغلقة فى المناطق الحضرية بحيث يمكن للمستخدمين تخطيط "مسارات أقل مراقبة." (http://www.appliedautonomy.com/isee.html).

حرب ملصقات روبى كونال ودليل آداب السلوك:

(المصدر: هجوم روبى كونال الفنى! http://www.robbieconal.com//guerrilla.html)

ما نريد:

١ - انتشار جماهيرى لرسالتنا: النموذج الأكثر مباشرة من التعبير دون وساطة والمتاح - رخيص - بالنسبة إلى عديمى الشعبية مثلنا. "جلب الأفضل إلى الجمهور"، كما قد تصيغها شركة شوكولاته عباد الشمس.

٢ - تسلية معارضة: مفاجأة الناس فى طريقهم إلى العمل فى الصباح، عبر أفكار نقدية فى أبعد الأماكن التى يتوقعها الناس، كى نثير عامة الناس إلى التفكير معنا حول قضايا نعتقد أنها مهمة لصحة الديمقراطية الأمريكية، والدستور، وحقوقنا فى التعديل الأول للدستور، ومستقبل أمة الهيب هوب.

٣ - التمكين: اتخاذ إجراءات مشتركة مباشرة فى قضية تهمنا، بالنسبة إلى عامة الناس الذين يشعرون أنه ليس لديهم سبل لمقاومة هيكل السلطة المهيمن، وغياب نظام دعم المجتمع المحلى، وغياب القدرة على تغيير موقفهم، وتغيير اللا مبالاة والسخرية إلى تفاؤل.

ما لا نريد

١ - ألا نُعتقل (لسبب غير وجيه)، لأن اللا عنف فى عصيان مدنى غير عنيف - حتى فى نموذجنا البسيط من الأذى - ليس شيئًا لا تفعله: إنه مبدأ.

رجاء كن مهذبا مع الجميع فى الشوارع ليلا وخاصة الشرطة! الذهاب إلى السجن قد يفسد أمسيتك، إذا كنت تتشاجر مع رجال الشرطة، فإنك لا تنشر رسالتنا، رجال الشرطة يقومون بعملهم فحسب، وتعريف آداب سلوك الحرب فى المحادثة مع الشرطة: إنهم يتحدثون، ونحن نستمع، افعل ما يقولونه لك، اهرب من الشجار معهم، انتقل إلى حى آخر، سوف يسألونك ماذا تفعل، أخبرهم أنه مشروع فنى، لا شىء آخر، إذا كانوا يريدون منك التوقف، اترك الملصقات أيا كانت - قل نعم فحسب، افعل ذلك واترك المكان بهدوء، ثم انتقل إلى جزء آخر من المدينة (من السهل فعل ذلك فى لوس أنجيلوس، إنها مدينة كبيرة) وواصل عملك الجيد!

ملاحظة - وهذا ينطبق على "قوات الحراسة الخاصة" كذلك، إنهم سوف يفقدون وظائفهم إذا عُثر على ملصقات على الممتلكات التى يحرسونها - فرص العمل نادرة؛ لكن مواقع لصق الملصقات كثيرة.

٢ - لا تعادِ جمهورنا. وهذا يشمل: التجار وأصحاب الأملاك الخاصة والناس فى الشوارع، لا تضع ملصقا على نوافذ أو جدران أو أسطح متجر، لا ملصقات على ممتلكات المدينة (تلميح - رغم أن الملصقات تم تكبيرها أصلا إلى حجم صناديق التحكم فى إشارات مرور لوس أنجيلوس)، أو ممتلكات الكنيسة أو الممتلكات الفيدرالية (صناديق البريد). ناقش الملصقات والقضايا مع المارة إذا سألوا، ولكن لا تتحدث طويلا ولا تجادل، إذا كان الأشخاص يريدون ملصقا امنحهم واحدا، وإن كانوا يريدون عشرة امنحهم واحدا، إذا لفت انتباه السيارات وأراد السائقون أو الركاب ملصقا، امنحهم واحدا، إنهم جمهورنا - وأهلنا، عاملهم جيدا [دليل قصصى: كان "لينى لامبشوب Lenny Lambchop" يتهيأ أمام صناديق الهاتف فى مدينة نيويورك أسفل الجانب الشرقى حوالى الساعة ٢ صباحا؛ وبينما كانت الحانات تطلق سراح زبائنها، تهادت إليه عاملتان جميلتان، وسألتاه عما إذا كانتا يمكنهما الحصول على ملصقات، فسألهما "ماذا ستفعلان بها؟"، فأجابت إحداهما وترتدى شيئا مطاطيا قصيرا جدا، سأعلق ملصق "رجال بلا شفاه فى غرفتى، فقال لها "ولكننا نريد أن يراه الكثيرون"،

فغمزت له الأخرى قائلة "بالتأكيد سوف يراه الكثيرون يا عزيزى، عشرون شخصا على الأقل فى الليلة!" كاف جدا.]

تعتبر فرقة ممثلى كاميرات المراقبة هى إحدى أكثر فرق تشويش المراقبة شهرة، فقد قدموا عروضا لمسرحيات أصلية كلاسيكية (بما فى ذلك مسرحية جارى Jarry أوبو زوجا مخدوعا Ubu Roi، ومسرحية بيكيت Beckett فى انتظار جودو، واقتباسهم من مسرحية ويلهلم رايش Wilhelm Reich سيكولوجية الفاشية الجماهيرية ومسرحية أورويل ١٩٨٤) أمام كاميرات المراقبة فى الشارع أو فى أماكن أخرى، مثل محطات مترو الأنفاق، لصالح كل من يمكنه المشاهدة (شافوى Chavoya, 2004؛ وراجع http://www.notbored.org/the-scp.html)، وعُرضت فيديوهات عروضهم فى معارض الفن المعاصر الكبرى، كما نُشرت على موقع يوتيوب، ومثل مؤسسة الحكم الذاتى التطبيقى، تنشر فرقة ممثلى كاميرات المراقبة خرائط "نزهات التمشية" فى نيويورك وغيرها من المدن تظهر أماكن وجود الكاميرات، بحيث يتمكن المتنزهون من تجنبها أثناء جولاتهم فى المدينة، وملصقات على خلاف الكاميرات غير الواضحة مع بطاقات "مساعدة" تقول نراقبكم، وأُطلقت فروع للفرقة فى مدن أخرى، بما فى ذلك ولاية أريزونا، ومدن ستوكهولم، وبولونيا، وسان فرانسيسكو، كما نظمت مجموعات مماثلة مشاريع فى فيلنيوس، وبيرث، وانسبروك، وباريس، وإسطنبول، وشيكاجو (مزيد من التفاصيل موصوفة فى تقرير فرقة ممثلو كاميرات المراقبة السنوى العاشر، ١٩٩٦-٢٠٠٦، متاح على http://www.notbored.org/10-year-report-long.html).

تشويش الثقافة على الإنترنت

بحلول التسعينيات، أصبح تشويش الثقافة تكتيكا مألوفا بين النشطاء الإعلاميين، ويُناقش على نطاق واسع بين باحثى وسائل الإعلام (كاردوتشى Carducci, 2006؛ هارولد Harold, 2004؛ فيترجرن Wettergren, 2009)، ومع ذلك فقد دخل مرحلة جديدة

وأكثر قوة مع دخول تقنيات شبكة الويب العالمية والمتصفحات، وبدت شبكة الإنترنت مناسبة بشكل مثالى إلى تكتيكات القص واللصق، وأسلوب الكولاج، و"اضرب واجر" الذى يفضله مصممو وسائل الإعلام وفنانو صناعة الفن الذى يحمل وجهة نظر، وسرعان ما تبنى النشطاء والفنانون وسائل الإعلام الرقمية من أجل الوصول إلى جمهور جديد، وتوظيف الدعم، وتنظيم الاحتجاجات والمشاريع الجماعية.

على سبيل المثال؛ تعالج جماعة الفن غير القانونى الجماعى فى أعمالها باضطراد قوانين الملكية الفكرية المقيدة والعقابية باعتبارها عائقا ضد العمل الإبداعى وحرية التعبير، ولا سيما فى سياق الإنترنت، وتخلق "فنا منحطا" عن عصر الشركات: الفن والأفكار على الهوامش القانونية من الملكية الفكرية" (http://illegal - art.org)، وترويسة موقعهم/ معرضهم مُجمعة من حروف مقطوعة من شعارات منتجات شعبية، كما أنها معروفة ومشهورة بمشاريعها التى تنطوى على عينات صوت غير قانونية (انظر نقاش بيك Beck التفكيكى بالأسفل)، وتقتدى "اتفاقية ترخيص المستخدم" الساخرة الخاصة بهم برخص البرامج النموذجية، وتحدد الشروط التى يمكن لزوار موقع الفن غير القانونى فى ظلها "استخدام" المعرض، وتتضمن المواد التالية:

> **ترافق اتفاقية ترخيص مستخدم هذا الموقع صفحات ويب ومواد تفسيرية متصلة ("هراء")، كما سيشمل مصطلح "هراء" أيضا أية تحسينات، أو نسخ معدلة، أو إعادة زخرفة للموقع مرخصة لك إما من أمير ويلز، أو الغسالة الحساسة، أو رابى Rabbi العجوز (الذى استخدم الألفاظ النابية)، يرجى قراءة هذه الاتفاقية بعناية، وفى النهاية، سوف يطلب منك قبول هذه الاتفاقية، ومنح هذا الموقع حضنا دافئا متريثا منملا... ١,٢ يمكنك توزيع نسخ غير محدودة من الموقع، بما فى ذلك نسخ التوزيع التجارى، ما دامت كل نسخة ستصنعها وتوزعها تتضمن هذه الاتفاقية ومنشورة فى إحدى وسائل الإعلام التالية، منشورة على الجليد، كما فى حالة القطع المنحوتة من الجليد؛ أو مُلطخة بالمسطردة**

على جانب لوحة شاحنة بيضاء أو سُكرية؛ أو مُدَرَّسَة إلى ببغاء محكوم عليه بالطيران من الأرض إلى الأبد، وتكرار تعويذة من هذا الموقع باستمرار. (انظر http://www.illegal- art.org/contract.html)

يوضح مقال جونا بريتى Jonah Peretti "مغامرة شركة نايك Nike الإعلامية" كيف أن الذهاب على الإنترنت يمكن أن يؤثر على رؤية حتى أصغر المشاريع (بريتى Peretti, a2001, b2001، وانظر أيضا واسيك Wasik, 2009)، أراد المصمم التعليق على ممارسات العمل فى الشركة، واختبار مفهوم الميم - الفكرة أو التعبير أو الصورة، أوالممارسة أو غيرها من "الرموز" الثقافية التى يتم انتقاؤها واستيعابها فى الثقافة الأوسع، مثل الأزياء، واللهجة العامية، أو الطرق الجديدة لفعل أمور مألوفة، واقترح المفهوم عالم الأحياء ريتشارد دوكينز Richard Dawkins فى كتابه الصادر فى عام ١٩٧٦ (الجين الأنانى) كنوع من النظير الثقافى إلى الجينات، بقدرات مماثلة من نشر، وتكرار، وتحويل، وتهجين طريقتها فى "كائن" الثقافة(١٣) .

استجاب بريتى لحملة شركة نايك Nick التسويقية التى كانت تهدف إلى ربط العلامة التجارية بالحرية والإبدا ع، كانت الشركة قد دعت العملاء إلى تكييف أحذيتهم الرياضية عن طريق طلب أحذية منقوش عليها ما يختارونه من كلمات، طلب بريتى حذاء يحمل عبارة "مؤسسة صناعية مستغلة"، وفى مراسلات البريد الإلكترونى اللاحقة مع بريتى، رفضت الشركة تلبية الطلب، أو الاعتراف بأن النقد الضمنى هو السبب فى عدم تصنيعها الحذاء المطلوب، مراوغة الشركة المستمرة ولجوئها إلى تعبير مستساغ قاد بريتى إلى إحالة نص المراسلات الكامل إلى عشرة أصدقاء، الذين مرروها إلى آخرين، الذين بدورهم فعلوا الشىء نفسه.

على الفور تقريبا، نُشرت المراسلات على نطاق واسع حتى وصلت إلى اهتمام المواقع الإخبارية على الإنترنت مثل سلاش دوت Slashdot وPlastic.com، والتقط مراسلو الصحف المطبوعة والقنوات الإخبارية الرئيسية الذين يرصدون المواقع على الإنترنت للبحث عن قصة رئيسية الموضوع، وأصبحت مراسلات بريتى مع شركة نايك

المتعنتة قصة رئيسية فى مطبوعات بارزة بدءا من فيلاج فويس Village Voice، سان خوسيه ميركورى نيوز San Jose Mercury News، ويو إس أيه توداى USA Today، إلى التايم Time، وبيزنس ويك Business Week، ولوس أنجلوس تايمز Los Angeles Times، ووول ستريت جورنالWall Street Journal، كما ظهر بريتى على البرنامج اليومى لمحطة إن بى سى NBC وغطت بى بى سى BBC القصة، وفى غضون بضعة أشهر انتشر ميم بريتى فى جزء كبير من الثقافة الشعبية الأنجلو أمريكية سواء على الإنترنت أو خارجها، وجذبت نايك بالتحديد ذلك النوع من الدعاية السلبية التى كانت تأمل فى تجنبه فى المقام الأول، وفى موضوع فى مجلة ناشن The Nation، كتب بريتى عن قوة الميمات، و"التسويق الفيروسى" وقوة استخدام الإنترنت باعتبارها "وسيلة إعلام جزئية MICROMEDIA (بريتى، 2001a)، كما قدم أيضًا رسمًا بيانيًا لمعدل "ضربات البريد الإلكترونى الذى تلقاه المتصل بالمراسلات مع شركة نايك (بريتى Peretti, 2001b). القصة الكاملة، ومذيلة بالبريد الإلكترونى لشركة نايك متوفرة على الرابط . (http://www.shey.net/niked.html

التشويش العكسى : دورة التخصيص المتعارض

فى نهاية المطاف، ما يجعل تشويش الثقافة مميزا كنوع من وسائل الإعلام الجديدة البديلة/الناشطة هو إنه "يحلل" الثقافة السائدة كى يكشف وينتقد ظلمها، ونفاقها، وسخافاتها الجوهرية إلى حد كبير فى التقاليد الدادائية والموقفية، ومع ذلك فإنه أيضا جزء دينامى متزايد الأهمية من الاستيعاب والتخصيص المتقاطع- ما يمكن تسميته التشويش العكسى -- الذى تستعير فيه الثقافة السائدة والبديلة باستمرار، وتعيد صياغة، وتفسير سواء صور، أو مواقف، أو رموز، أو ممارسات الآخرين، وهى العملية التى تسارعت تسارعا كبيرا فى سياق الإنترنت، ويخترق العاملون فى تشويش الثقافة عناصر الثقافة السائدة، فى حين يتصيد المسوقون والمهتمون بوسائل الإعلام

الثقافات الفرعية من أجل "ميمات" جديدة يمكنها بيع المنتجات، أو الموضات، أو الأفكار.

كان الباحثون والنقاد واعون منذ فترة طويلة بهذة القوى المضادة من التخصيص بين الحركات والجماعات الاجتماعية والثقافية "الأصيلة"، وبين المصالح التجارية/التسويقية، وفى دراسته عن نمط حياة السبعينيات يوضح ديك هيبدج Dick Hebdige باحث الدراسات الثقافية البريطانية (هيبدج Hebdige, 1979) كيف تستعير الثقافات الفرعية، و"تسجل"، وتعكس المجاز والممارسات السائدة فى بناء أساليبها وقيمها المنفصلة والمعارضة، وفى المقابل، أنماط الثقافات الفرعية موضع الانتقاء، والانشقاقات الاجتماعية الكامنة والانكسارات التى يمثلونها يتم إصلاحها، ويُعاد دمج الثقافة السائدة من خلال شكلين من "التعافى":

١) تحويل علامات الثقافات الفرعية (اللباس، والموسيقى، وغيرها) إلى أشياء منتجة إنتاجا ضخما (أى فى شكل سلعة).

٢) "التوسيم" وإعادة تعريف الجماعات المهيمنة - الشرطة ووسائل الإعلام، والسلطة القضائية ماهية السلوك المنحرف من قبل (أى الشكل أيديولوجى)، (هيبدج Hebdige، ١٩٧٩، ص ٩٤).

ويستشهد هيبدج Hebdige بملاحظة هنرى ليفبفر Henri Lefebvre: "وما كان بالأمس يُلعن يصبح اليوم سلعا استهلاكية ثقافية؛ وبالتالى يبتلع الاستهلاك ما كان يهدف إلى إعطاء معنى واتجاه" (ليفبفر Lefebvre 1971, [1968]، ص٩٥، والتركيز فى النص الأصلى). واتساقا مع حقبة دراسته، عرَّف أيضًا وسائل الإعلام التقليدية باعتبارها الناقل الرئيسى للتأثير الثقافى.

فى سياق وسائل الإعلام الجديدة، هذه الدورة من التخصيص وإعادة التوجيه، وإعادة التخصيص الثقافى ما زالت سارية بوضوح، رغم أن هناك إغراء لتوجيه مزيد من الاهتمام إلى جانب المستخدم وقوة المحيط المفترضة المكتشفة حديثا من أجل مواجهة المركز القائم، وتعليقا على الفرصة الأكبر لمشاركة وإنتاج محتوى (اصنعه

بنفسك) التى تمنحها وسائل الإعلام الجديدة إلى النشطاء، يحذر كريس أتون Chris Atton من أن "معظم اعتبارات وسائل الإعلام الراديكالية عاملت مثل هذه الممارسات مثل خصائص فريدة من نوعها وحاسمة ... وتم توجيه القليل من الاهتمام إلى كيف أن هذه الممارسات [قد تكون موظفة فى وسائل الإعلام الرئيسية، أو بالطبع كيف قد تستعير وسائل الإعلام الراديكالية ممارسات من وسائل الإعلام السائدة"(أتون Atton, 2004، ص٩)، على سبيل المثال؛ يصف جوشوا جامسون Joshua Gamson (2003) ظهور الثقافة الفرعية من المثلية كجزء من السوق القوية، و"تطبيع" أساليب ورمزية المثلية عبر كل من وسائل الإعلام الجماهيرية ووسائل الإعلام على الإنترنت باعتبارها عملية ذات اتجاهين من التخصيص المتعارض بين الثقافة الفرعية والسائدة.

ومع ذلك، فى سياق الإنترنت، قد تختلف الدورة فى أحد الاعتبارات المهمة من التشويش العكسى عبر وسائل الإعلام التقليدية، قد تتسارع كما يتبين من حالة بريتى- نايك، حيث الحلقة كاملة، بداية من تبادل البريد الإلكترونى إلى تغطية وسائل الإعلام الرئيسة لم تستغرق إلا أسابيع، بل حدث معظمها فى إطار بضعة أيام (انظر بريتى، 2001b)، وقد كانت لهذا التسريع من الاختيار المشترك ما بين الثقافة السائدة والفرعية، أو بين المركز والأطراف، نتائج مهمة فى التواصل السياسى، على سبيل المثال؛ يمكن تعطيل الحملات السياسية عن طريق النشر الفورى لأحد تصريحات المرشح أو سلوكياته الطائشة عبر منشور مدونة أو تغريدات أو يوتيوب، كما يدل على ذلك فشل حملة جورج ألين George Allen السيناتور الأمريكى فى مجلس الشيوخ الأمريكى (فيرجينيا - جمهورى) فى عام ٢٠٠٦، بعد نشر الهواة فيديوهات على الإنترنت عن تصريحاته العنصرية من حفل غير رسمى خاص بالحملة الرسمية، ومنذ حملة أوباما الرئاسية فى عام ٢٠٠٨ ، أصبح مثل هذا الإبداع للرسائل "الفيروسية" - والانحرافات - من دعائم التواصل السياسى على كل المستويات فى الولايات المتحدة.

من وجهة نظر مختلفة، منذ ما يقرب من العقدين صَعَّد توماس فرانك Thomas Frank الكاتب والناقد الثقافى حملة نقد متواصلة وجدلية عن العلاقة التكافلية بين الثقافات الفرعية البديلة والتسويق، ويزعم أن التسعينيات وأوائل الألفينيات كانت

مشهورة بصعود إستراتيجيات الإعلان وتوظيف ما يسمى بتكتيكات تسويق "حرب العصابات" أو التسويق "الفيروسى"، والتى تحصد عمدا أساليب وأفكار الثقافات الفرعية من أجل تصميم وبيع منتجات تروق لأذواق المستهلكين من الفردية، وعدم الخضوع، والاختلاف، والتمرد، ونمط الحياة البديلة، إلى آخره، وهذه العملية المستمرة من الانتقاء لا تترك أى مساحة أصيلة أو مستقلة إلى التعبير الثقافى الحقيقى البعيد عن السوق، بل فى واقع الأمر تحجب إمكانية المعارضة والاختلاف الفعلية (فرانك Frank, 1997).

ويزعم فرانك أن مثل هذه التكتيكات ليست مجرد مسألة استغلال الثقافات الفرعية ونهبها؛ غالبا ما يكون أعضاء الجماعات أو الثقافات الفرعية البديلة مشاركين أو "مستشارين" مستعدين فى عملية تحديد وتعميم الأساليب الجديدة "الرائعة"[١٤]، وغالبا ما يستدعى المسوقون أنفسهم نظريات وخطاب الدراسات الثقافية، ولاسيما منظور "الجمهور النشط" الذى يؤطر ويحتفل باستهلاك واستقبال وسائل الإعلام، رغم العديد من أفعال إعادة تفسير، و"مقاومة" الثقافة السائدة المهيمنة، والتمرد بين أفراد الجمهور، وكما يصيغ فرانك ذلك، فإن هذا شجع الميل إلى "فهم الاستهلاك نفسه باعتباره ديمقراطية" وبالتالى،

> **أصبح الجمهور الأمريكى أكثر تشككا؛ دورات الموضة التى كانت تتطلب سنوات تأخذ الآن أشهر... والأسئلة الطارئة مثل إمكانات عائلة سمبسون المعارضة أو التخريبية ليست أكاديمية تماما كما بدت من قبل، ونظرا إلى المتطلبات الجديدة فى هذه الصناعة، أصبح الإيمان بالجمهور النشط فى الدراسات الثقافية [باحثى الدراسات الثقافية] أقل من معتقد راديكالى وأكثر من أساس عملى لبحوث تحديد أولويات الجمهور التى يجريها جيل جديد من خبراء التسويق الذين يمكن أن يعلقوا بوضوح**

على ظرف ما بعد الحداثة فى مطبوعات الأعمال رفيعة المستوى مثل مجلة أبحاث المستهلك. (فرانك Frank, 2000، ص ٣٠٥).

اليوم، أصبح تشويش الثقافة تكتيكا أساسيا من الاتصال السياسى، ويتضمن الموقع الإلكترونى لمركز الاتصال والمشاركة المدنية فى جامعة واشنطن، الذى يركز على دراسة الاتصال السياسى، صفحة عن تشويش الثقافة فيها روابط إلى "كلاسيكيات" النموذج، بما فى ذلك جبهة تحرير اللوحة the Billboard Liberation Front، ومجلة أدباسترز Adbusters، وصدام جونا بريتى- نايك، وتشويش ثقافة أندرو بويد Andrew Boyd 101، وغيرها الكثير.

http://depts.washington.edu/ccce/polcommcampaigns/culturejamming.htm)

ولكن كنمط وإستراتيجية اتصال من أجل جذب الانتباه و"مقل العيون"، أصبح تشويش الثقافة ميزة قياسية فى الثقافة الشعبية؛ سخريته ومحاكاته التهكمية، وطبيعته "فى الدعاية"، واستخدامه اللحن الموسيقى المُميِّز لعدد من البرامج الترفيهية الرئيسية، مثل عائلة سمبسون The Simpsons، وعائلة جى Family Guy، والأب الأمريكى American Dad، والبرنامج اليومى The Daily Show، وتقرير كولبيرت Colbert Report فى الولايات المتحدة، على سبيل المثال؛ يثير هذا التخصيص الشائع، بطبيعة الحال، مسألة ما إذا كان تشويش الثقافة يحتفظ بقدرته على الصدمة ومصداقيته وفعاليته كإستراتيجية للنقد والاحتجاج، أو (كما قد يشير فرانك Frank) ما إذا كانت فرضيته الأساسية كلها يتم انتقاؤها تماما من قبل ثقافة ووسائل الإعلام السائدة/الشركات التى لم تعد شكلا من النشاط مجديا، طريقة أخرى لتأطير المسألة هى أن نسأل ما المرحلة التى قد تكون فيها دورة تخصيص وإعادة تخصيص تشويش الثقافة نفسها.

تلخص المعرفة أخيراً عددا قليلا مهما من "الدروس المستفادة" من تشويش الثقافة وتشير إلى أنها كتكتيك للنقد لا تزال لديها قوة تخريبية إلى حد ما، والدرس الأول هو: إن التدخلات الصغيرة يمكن أن تحدث فرقا كبيرا فى التصور الشعبى، حتى لفترة

وجيزة، كما إن الإنشاء والتعميم المتعمد والإستراتيجى لمفاهيم ثقافية أساسية – الميمات – تعارض أو تعكس الوضع الراهن هو إستراتيجية بلاغية ورمزية لديها سلطة كبيرة، وتبدو مناسبة تماما لتجزئة وتدوير الأفكار، والصور، والتعبير سريعا فى سياق وسائل الإعلام الجديدة، بطريقة ما يتوازى المدخل "الفيروسى" إلى الاتصال الوساطى مع الاهتمام الحديث بالتأطير، والتعبير، والذخائر الرمزية، فى نظرية الحركة الاجتماعية – فضلا عن التسويق.

ويمكن استخلاص الدرس الثانى من التكافؤ العاطفى أو الوجدانى فى مشاريع تشويش الثقافة، لا سيما مدى فاعلية نشرها: الفكاهة والسخرية، والمرح، واللعب، والعبث كوسيلة (حتى كسلاح) من أجل عرض المشاكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وجذب المؤيدين، وتحويلهم إلى الفعل، يمكن أن يكون كل من الفكاهة والغضب تكتيكا فاعلاً مقنعا، ويبدو تشويش الثقافة بارعا لا سيما فى الجمع بين الاثنين.

الدرس الثالث: هو الدرجة التى وصل فيها الفن الناشط والجماعات التكنولوجية إلى مرحلة الصدارة فى المعارضة السياسية والثقافية وتنظيم استخدام وسائل الإعلام الجديدة (هولمز Holmes, 2007؛ ستيمسون Stimson وشوتل Sholette, 2007A)، الجماعات الفنية/السياسية ليست جديدة: نحتاج فقط إلى التفكير فى الدادائية، أو الوضعية الدولية وسابقاتها، مثل الكوبرا CoBrA، ولتراست الدولية Lettrist International، والحركة الدولية لباوهاوس المتخيل Imaginist Bauhaus، كما ذكرنا فى الفصل الثانى، ولكن جماعات اليوم قد يكون لديها إمكانات أكبر فى الوصول إلى الجماهير أو التأثير نظرا إلى استخدامها تكنولوجيات وسائل الإعلام الجديدة كمنصة لكل من صنْع/ أداء/تمثيل أعمال جديدة ومن أجل الوصول إلى الجماهير المهتمة.

على سبيل المثال؛ أُعتبرت الفرضية القائلة: إن الجماعات مثل مسرح الفوضى الإلكترونية Electronic Disturbance Theater وفرقة الفن النقدى Critical Art

Ensemble تقوم بوظيفة "البحث والتطوير" أو كمختبرات أولية للابتكار وتجريب تقنيات التخريب التكنولوجى والثقافى (رولف Rolfe, 2005) – أى نوع من "الأعمال الكريهة" الثقافية المعارضة التى يطور فيها الفنانون والتقنيون المبدعون أفكار وإستراتيجيات نقد جديدة (١٥)، كما تصور بعض الجماعات، مثل مؤسسة الحكم الذاتى التطبيقى Institute for Applied Autonomy، نفسها عمدا باعتبارها "مختبرات" من أجل تطوير تقنيات تخريبية (موناهان Monahan, 2006)، وفى نهاية المطاف يمكن أن تتبنى التقنيات مزيداً من مؤسسات الحركات "اليومية"، أو تصبح جزءا من ثقافة وسائل الإعلام الرئيسية، كما أشير سابقا، وتشير هذه النقاط الثلاث معا إلى أن دورة الخلاف والتخصيص المتعارض بين الثقافة السائدة والمضادة لا تزال تشكل دينامية قوية، وربما أكثر من ذلك فى سياق وسائل الإعلام الجديدة الأقل تقيدا بالحدود الجغرافية والثقافية والقانونية والثقافية من المستويات الثقافية التى تهيمن عليها أنظمة وسائل إعلام جماهيرية عالية التنظيم والهيكلية.

فى الجزء المتبقى من هذا الفصل، نركز على ما يمكن اعتباره دراسة حالة شاملة، وهو المشروع الذى كان أحد أكثر الأماكن إبداعا، وتحريضا، وامتداحا ودراسة ، لثقافة التشويش الناشطة على الإنترنت: علامة الفن ™ark® .

علامة الفن ™ark® التشويش تحت حجاب الشركة

> **فى شعارات عصر النهضة، كانت تُصوَّر السوداوية كشخص مكمم الفم؛ وكتاب فى يده، ويجلس بالقرب من النهر، بينما [فى الفن الرقمى يجلس أمام جهاز الكمبيوتر، مرتديا قناع الشركات، ومتأملا تيارات بيانات الإنترنت. (كريمر Cramer, 2009، ص ١٨٧)**

ربما لم يؤد أى مشروع من مشاريع تشويش الثقافة دور السوداوية الرقمية أفضل من ™ark® وتُنطق علامة – الفن)، الذى تأسس فى عام ١٩٩١، وكان هدفه – عقب انهيار المواقع التجارية dot.com (مور Moore, 2007) – إنشاء ودعم الأعمال التى

تنقد النزعة الاستهلاكية وثقافة الشركات، والاسم نفسه هو كلمة مركبة تجمع بين رموز "مسجلة "®و"علامة تجارية™" فى قانون الولايات المتحدة، وأضاف مؤسسو علامة الفن ark®™ تحريفًا، وأسسوا المشروع كشركة بحيث يمكنها العمل بنفس الحقوق "الفردية" والحماية من المسئولية التى تتمتع بها الشركات الأمريكية الأخرى، على مبدأ أن "الأسواق يمكن أن تصبح شكلا من أشكال الفن [حيث] بيع وشراء وسائل للتعبير عن الذات" (بليو Plewe, 2008، ص٩٧٧)، وتستخدم (علامة الفن) مجازًا، ورطانة الأعمال التجارية؛ من استثمار رأس المال والمنتجات، والأسواق المستهدفة، و"خط احتياطى"، وهوية الشركة، وغيرها، ولكن مع الفارق الحاسم أن (علامة الفن) تسعى إلى تعظيم "الأرباح الثقافية" بدلا من الأرباح النقدية، وفيديوهات الشركة تقول "كشركة يملكها القطاع الخاص، تتيح علامة الفن إلى المستثمرين المشاركة فى الإنتاج الثقافى الممنوع أو غير القانونى بالحد الأدنى من المخاطر" (http://rtmark.com/bityscript.html)، أو كما يصيغها أحد النقاد الفنيين "علامة الفن هى شركة مُخترقة" (ستالبراس Stallabrass, 2003-4، ص ١٢).

بشكل أساسى، علامة الفن مهيكلة كشركة وساطة (سمسرة) تجمع الفنانين والممولين المحتملين، وتُنظَم مقترحات المشاريع فى "صناديق استثمار"، وتقدم أرباحًا ثقافية عالية مع مستويات مخاطر وفقا لاحتياجات قطاعات السوق المتنوعة"، ويتغاضى فيديو شركة علامة الفن الدعائى عن أسلوب إعداد التقارير والنشرات المالية:

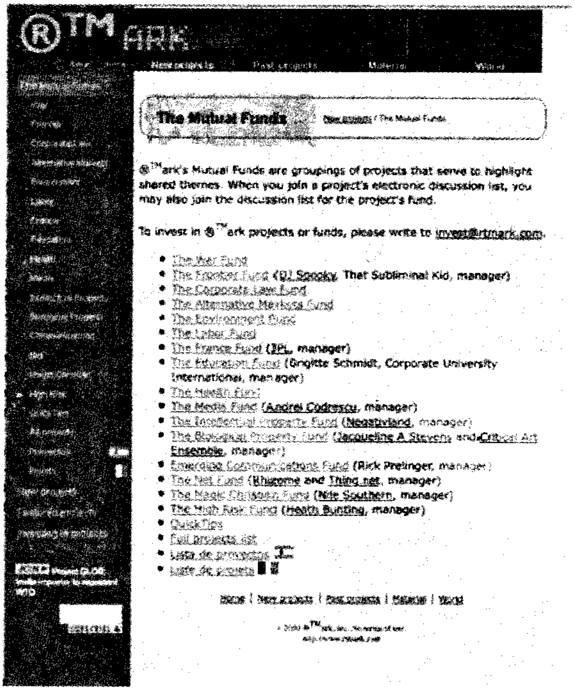
> **تُمكِّن صناديق الاستثمار المشترك لعلامة الفن، مثل نظيراتها المالية، الأشخاص العاديين من الحد الأدنى من الوقت والمعرفة من أجل الاستثمار بشكل إستراتيجى من خلال الاستفادة من حكمة ومهارة خبراء متخصصين، وأظهر مديرو صناديق الاستثمار المشترك لعلامة الفن ark®™ قدرة كبيرة على البقاء فى السوق من خلال تقديم أعلى عوائد شخصية حتى فى أسواق الثمانينيات وأوائل التسعينيات الثقافية المتدهورة** (http://rtmark.com/bityscript.html)

من خلال الصناديق، يطرح الفنانون/رجال الأعمال أفكارهم ويلتمسون الاكتتاب من مستثمرين مهتمين (ولكن مجهولين) (انظر http://rtmark.com/funds.html)، وتُحدد المشاريع على غرار شريط أسعار الأسهم مذكورة بالأحرف الأولى وتُدرج فى فئات التمويل وفقا لأهداف الصندوق أو اهتماماته - الرعاية الصحية، أو الحرب، أو العمالة، أو الملكية الفكرية، أو البيئة، أو قانون الشركات على سبيل المثال؛ (انظر الشكل ٣-٢)، وتصف كل قائمة المشروع المقترح والميزانية التقديرية، ويمول المستثمرون مشاريع متنوعة من خلال علامة الفن ™ark® بدلا من إرسال الأموال مباشرة إلى الفنانين، و"مديرو الصناديق" هم فنانون ونقاد بارزون فى حد ذاتهم، ومن ضمنهم دى جى سبوكى DJ Spooky (موسيقى "ذلك الطفل اللا شعورى") (صندوق الحدود)، وفرقة نيجاتيف لاند Negativland (صندوق الملكية الفكرية)، وريك برلينجر Rick Prelinger(صندوق الاتصالات الناشئة)، وفرقة الفن الناقد Critical Art Ensemble (صندوق الملكية البيولوجية)، ومنظمة ريزوم الثقافية Rhizome (صندوق النت)، والشاعر أندريه كودريسكو Andrei Codrescu (صندوق وسائل الإعلام).

لأن العديد من المقترحات تنطوى على أنواع مختلفة من تخريب أو تدمير منتجات أو محتوى، أو إجراءات تنظيمية سائدة فإن هيكل علامة الفن ™ark® يوفر للفنانين والمستثمرين "حجاب الشركة" الذى يحافظ على عدم الكشف عن هويته لكل من المستثمرين والفنانين العاملين، و "يزيح المسئولية عن الممول والعامل". "فى الواقع، يمتد الحجاب إلى مديرى علامة الفن أنفسهم، الذين يستخدمون أسماء مستعارة ورسوماً متحركة بالكمبيوتر لجميع اتصالات الشركة من أجل حماية عدم الإفصاح عن هويتهم.

تؤسس علامة الفن ™ark® نفسها كقوة تشويش ثقافية بمشاريعها المبكرة المنفذة قبل الإنترنت، على سبيل المثال، منظمة تحرير باربى The Barbie Liberation

Organization استخدمت المال الذى تبرع به جماعة المحاربين القدامى من أجل تمويل الفنانين الذين حولوا صناديق الصوت فى عرائس باربى و جى أى جو GI Joe المتحدثة واستبدلوها على رفوف محال بيع اللعب (http://rtmark.com/blo.html)، كما وزعت علامة الفن ark®™ أموالا من مستثمر فى مدينة نيويورك إلى مبرمج يعمل لحساب الشركة المنتجة للعبة فيديو سيم كوبتر SimCopter، حتى يتمكن المبرمج من تبديل "المئات من الأولاد شبه العراة بأطفال ممتلئين" (http://rtmark.com/simcopter.html).



يوضح شكل (٣-٢) صناديق الاستثمار المشترك لعلامة الفن ark®™، المصدر: http://www.rtmark.com/funds.html

فى عام ١٩٩٣ امتدت سمعة الشركة ونفوذها امتدادا كبيرا عندما أطلقت لوحة إعلانات على الإنترنت لنشر معلومات حول المشاريع الفنية الناشطة المقبلة التى فى حاجة إلى تمويل: "إنه نظام مفتوح، ويمكنك أن تأتى إليه بالمال، أو يمكنك أن تأتى إليه

كعامل لديك فكرة باحثا عن المال ...يقدم الأشخاص الأفكار التى يريدون تنفيذها بأنفسهم ولكنهم يحتاجون إلى جمع بعض الأموال للقيام بذلك" (جيريرو Guerrero، ميرسون Myerson، جاين Jain, 2003، ص١٣٠)، وشملت المشاريع القائمة على الإنترنت فى وقت مبكر تفكيك بيك Beck، وهو ألبوم موسيقى لفرقة الفن غير القانونى، المُجمَع من أعمال عينات ومزج غير قانونى من أعمال الموسيقيين الشعبيين (الذين تستخدم أعمالهم عينات من موسيقى فنانين آخرين على نطاق واسع؛ http://rtmark.com/db.html، كما قدمت علامة الفن ark®™ الدعم إلى تطبيق فلودنت FloodNet الذى طوره مسرح الفوضى الإلكترونية The Electronic Disturbance Theater الذى استخدمته حركة زاباتيستا Zapatista فى عام ١٩٩٩ لحشد الآلاف من المشاركين على الإنترنت فى هجمات قطع الخدمة ضد خوادم ويب حكومتى الولايات المتحدة والمكسيك.

أيضا فى عام ١٩٩٩، تعاونت علامة الفن ark®™ مع الفنان الساخر زاك إكسلى Zack Exley على محاكاة ساخرة من جورج دبليو بوش، أول موقع حملة رئاسية لبوش، gwbush.com، الذى حاكى بسخرية مزاعم ومواقف بوش وانتقدها، موقع المحاكاة الساخرة، الذى بدا أصليا لكثير من الزوار، أغضب إدارة بوش جدا لدرجة أنهم ضغطوا على لجنة الانتخابات الفيدرالية الأمريكية لإغلاقه على أساس أن الموقع ينبغى اعتباره تنظيمًا سياسيًا لم يكشف عن مصادر تمويله بشكل صحيح وفقا لقواعد لجنة الانتخابات الفيدرالية الأمريكية، وفى تصريحات لمراسل صحيفة دالاس تايمز هيرالد، قال بوش تصريحه الشهير: إنه فى حالة مثل gwbush.com، "يجب أن تكون هناك حدود للحرية" (قصة التايمز هيرالد على الرابط http://rtmark.com/bush.html)، وكانت التغطية الإعلامية اللاحقة لتصريح بوش، وموقع المحاكاة الساخر فورية ودولية، ودعا مشروع آخر لعلامة الفن voteauction.com، الناخبين الأمريكيين إلى بيع أصواتهم لأكبر شركات مقدمى العطاءات فى الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٠؛ وتم إيقافه فجأة بعد أن هدد مجلسا انتخابات شيكاجو ونيويورك مطورى الموقع باتخاذ

إجراء قانونى، وعندها تم بيع الموقع إلى فنان الإنترنت النمساوى هانز بيرنهارد Hans Bernhard وموقعه ubermorgen.com، خارج نطاق الولاية القانونية الأمريكية (جيريرو Guerrero، ميرسون Myerson وجاين Jain, 2003؛ ولودوفيكو Ludovico , 2009، وانظر أيضا http://www.vote- auction.net).

كما برزت علامة الفن ™ark® أيضا فى قضية رفيعة المستوى تنطوى على موقع محاكاة ساخر أنشأته جمعية (رجال النعم The Yes Men)، وفى ديسمبر ٢٠٠٢ أنشأت الجمعية محاكاة ساخرة لموقع شركة داو للكيماويات Dow Chemical Company ونشرته فى الذكرى الثامنة عشر لتسرب الغازات السامة فى مصنع داو يونيون كاربايد فى مدينة بوبال Bhopal، بالهند، مع روابط إلى موقع علامة الفن (ديليو Delio, 2002؛ رجال النعم، بدون تاريخ)، وزعم محامو داو أن المحاكاة الساخرة انتهاك لحقوق التأليف والنشر بموجب قانون الألفية الرقمية الأمريكى لحقوق الطبع والنشر، ولكن بدلا من مقاضاة رجال النعم ومتابعة القضية عن طريق المحاكم، اشتكت شركة داو إلى مشغل الاتصالات السلكية واللاسلكية، NTT/Verio، المسئول عن مزود خدمة الإنترنت لعلامة الفن فى مدينة نيويورك، "الشىء (http://thing.net)"، الذى يخدم الكثير من منظمات الفنون البارزة الأخرى فى نيويورك، بما فى ذلك متحف الفن الحديث Museum of Modern Art، ومناجم مابو Mabou Mines، ومنتدى الفن Artforum، ووقت الشبكة Nettime، وكانت استجابة شركة NTT/Verio هى مطالبة جمعية رجال النعم بإزالة الموقع، وهو ما فعلوه، إلا أن شركة NTT/ Verio أوقفت خدمة الشىء The Thing بشكل دائم فى نهاية فبراير ٢٠٠٣ قاطعة بذلك خدمة الدخول إلى الإنترنت عن جميع عملائها، وهكذا نجحت شركة داو فى قمع ما أُعتبر بشكل طبيعى تعليقا أو محاكاة ساخرة، وبالتالى تعبير عن الرأى محمى بموجب التعديل الأول لدستور الولايات المتحدة – من دون عرض المسألة على المحكمة، ولاحقا، علق مالك شركة الشىء، وولفجانج Wolfgang Staehle، فى صحيفة صوت القرية the Village Voice بأنه كان يفكر فى نقل خدمته إلى أوربا، بعيدا عن متناول قانون الألفية الرقمية الأمريكى لحقوق الطبع والنشر. (كار Carr, 2003)[١٦].

وأخيراً تم تبرئة ستيفن كورتس Steven Kurz العضو المؤسس فى فرقة الفن الناقد وأستاذ الفن فى جامعة ولاية نيويورك (بوفالو)، بعد صراع قانونى مطول مع وزارة العدل الأميريكية (وزارة العدل)، وكان كورتس قد حوكم فى عام ٢٠٠٤ بعدما قرر موظفى الطوارئ - الذين استجابوا لمكالمة كورتس الطارئة على رقم ٩١١ عندما ماتت زوجته وشريكته الفنية هوب كورتس Hope Kurz فجأة بقصور فى القلب- إن جهاز كورتس المستخدم فى أعماله الفنية كان مشبوها، وإنه قد يكون "إرهاباً حيوياً"، كان عمل كورتس، الذى يوظف بكتيريا غير ضارة ومعدات اختبار بيولوجية مستخدمة فى المدارس من أجل نقد المحاصيل والكائنات الحية الأخرى المعدلة وراثيا، معروفا جيدا فى أوساط معارض الفن المعاصر، وكان قد عُرض فى عدد من المعارض دوليا، ومع ذلك اعتقله مكتب التحقيقات الفيدرالى وقوة مكافحة الإرهاب المشتركة فى الطريق إلى جنازة زوجته، واستجوبوه لفترة تقارب أربعًا وعشرين ساعة، كما داهموا منزله والاستديو الخاص به، وصادروا أعماله، وكتبه، وسيارته، وكتاباته، وحتى قطه، ونقلوا جثمان زوجته من مكان الجنازة كى تُفحص، وتحفظوا على منزله باعتباره خطرا على الصحة.

وعلى الرغم من إنه لم توجد أدلة على وجود مسببات الأمراض أو المخاطر العامة، وأُعيدت جثة هوب كورتس كما عُد البيت مكانا صالحا للسكن فى غضون أيام قليلة، فإن النائب العام الأمريكى واصل متابعة القضية بموجب قانون باتريوت الأمريكى على أساس أن كورتس انتهك اتفاقية نقل المواد، وبالتالى ارتكب احتيالاً بالبريد عندما حصل على البكتيريا من عالم كان يتعاون معه فى جامعة بيتسبرج، كان رد الفعل من عالم الفن عالميا ومدويا، بما فى ذلك جمع التبرعات رفيعة المستوى لصندوق الدفاع القانونى عن كورتس، وتبرعات من بعض الفنانين والكتاب المعاصرين الأكثر شعبية، وإدانات لإجراءات وزارة العدل من المربيين، والمنظمات الثقافية، والصحافة الفنية فى جميع أنحاء العالم، وأخيرا فى يونيو ٢٠٠٨ (بعد أكثر من أربع سنوات من وفاة هوب كورتس) رفض القاضى الفيدرالى اتهام الحكومة من جهة، واصفا إياه بأنه "غير كاف

من حيث المظهر" - أى أن المزاعم، حتى لو كانت صحيحة، لم تشكل جريمة بأى طريقة، ورفضت وزارة العدل استئناف ما كان قضية ضعيفة للغاية بوضوح، ومع ذلك لم ترد السلطات حتى الآن أيا من ممتلكات كورتس أو أعماله المكتوبة (انظر http://caedefensefund.org/index.html).

رغم هذة الصعوبات، تدرس علامة الفن ™ark® النقاش حول أن تكون حليفة فى إبراز المشاريع ودعمها، كما فى حالة موقع gwbush.com ومحاكمة ستيفن كورتس Steven Kurz، واهتمت وسائل الإعلام السائدة بتغطية أنشطة ومشاريع علامة الفن إلى حد كبير، فضلا عن الصحافة الثقافية والفنية من جميع أنحاء العالم (توجد عينة من التغطيات الصحفية منشورة على موقع علامة الفن ™ark® كما تلقت الجمعية عدد من الجوائز وشهادات التقدير، بما فى ذلك جائزة قدرها خمسون ألف دولار، وجائزة ألبرت فى الفنون عام ٢٠٠٢ (http://alpertawards.org/archive/winner02/rtmark.html)، وفى عام ٢٠٠٠ تم اختيار علامة الفن كى تعرض فى معرض ويتنى بينالى المرموق Whitney Biennial - ومن ثم عرضت الجمعية فى المزاد فورا دعواتها إلى الاستقبال المُسبَق على موقع إى باى eBay، بصافى مبلغ ٤ آلاف دولار لصالح صناديق الاستثمار المشترك، كما غيرت علامة الفن أيضًا من جانبها من موقع ويتنى؛ بحيث إنه بدلا من أن يكون موجة لصالح علامة الفن سوف يرى الزوار تناوبا عشوائيا من صفحات الويب المقدمة من أفراد الجمهور (ميربول Mirapaul, 2000)، على الرغم من أن علامة الفن كمنظمة ™ark® كانت إلى حد ما أقل نشاطا فى السنوات الأخيرة، فإن "مندوبيها"، مثل "رجال النعم" و فرقة الفن الناقد، واصلوا عرض الأعمال وتقديم الأعمال التحريضية فى جميع أنحاء العالم (كدمور Cudmore, 2009)، كما واصل الباحثون الثقافيون ووسائل الإعلام الاستشهاد بعلامة الفن نفسها بوصفها مؤثرًا رائدًا فى تشويش الثقافة والنشاط الإعلامى Media activism.

ملخص تشويش الثقافة باعتبارها نوعاً

كما يشير النقاش السابق، تشويش الثقافة هو وضع من نشاط وسائل الإعلام يمتد إلى ما وراء حدود الإنترنت، كنوع من وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة، ورغم – اعتبار علامة الفن ™ark® كدراسة حالة رئيسية أو "مجاز مرسل" (ألين Allen, 2003، ص٧) – فإنها تجسد الكثير من السمات الرئيسة المبينة فى الفصل الثانى.

السمة الأول والأساسية بوضوح لفاعلية علامة الفن المتواصلة هى معارضتها الساخرة باستمرار للقضايا والأنشطة التى تنتقدها، بينما اتصالاتها العامة تُقدَم بوجه جامد، حتى الكرتونى، وجدية تناقض السخرية والهزل الثرى فى العمل فى جميع أنحاء "منظمة علامة الفن ومشاريعها، أما هوية شركة علامة الفن فهى فى حد ذاتها خطوة ساخرة تفسد مقاصد وأهدافًا رأسمالية واستهلاكية الشركات، كما يصيغها ملخص ويتنى بينالى فى عام ٢٠٠٠ "على الرغم من أن هذا الموقع قد يبدو مجرد وجود شركة أخرى على شبكة الإنترنت، فإن أهداف علامة الفن هى على طرف نقيض من شركات العالم التى تقلدها" (انظر http://artport.whitney.org/exhibitions/biennial2000/rtmark.shtml)، وتقول منظمة رأس المال الإبداعى Creative Capital الخيرية التى تمول الفنانين المبتكرين والأعمال الفنية: إن قائمة مشاريع علامة الفن "تُدَرّس كدليل مُطَلع على الهجمات الأكثر أهمية – وغالبا الأكثر مرحا – التى صنعها فنانون ضد زحف سلطة الشركات خلال العقد الأخير" (انظر http://channel.creative-capital.org/project_83.html)، هذه الحساسية اللعوب "تشبع جميع مشاريع علامة الفن بنفس شعور الضرر المحسوب" (خميس Khamis , 2003).

والسمة البارزة الثانية لتشويش الثقافة كنوع، لا سيما علامة الفن هى صغر حجمها، ورغم هيكل الشركة المتكلف، تضم علامة الفن ما يقرب من خمسة أعضاء رئيسيين فقط، وليس أكثر من اثنى عشر مشاركا منتظما فى كل شىء، إنها توفر منصة بسيطة لربط الفنانين و"المستثمرين" الآخرين على نطاق ضيق، على سبيل المثال فى مقابلة عام ٢٠٠١، قال المتحدث باسم علامة الفن راى توماس Ray Thomas (وهو

الشخص الوحيد المحدد باستمرار فى التقارير الصحفية عن المشروع) إن أكبر "إنتاجية" لأى تمويل لعلامة الفن حتى ذلك الوقت حدثت فى عام ٢٠٠٠، عندما وجه الصندوق الحدودى ما يقرب من ٨٥٠٠ دولار من المستثمرين إلى العاملين الفنانين، وأضاف "هذا مبلغ غير عادى لأحد تمويلاتنا، وبالطبع ليس كبيرا على الإطلاق" (هيلفاند ,Helfand 2001)، ومعظم مشاريع علامة الفن المدعومة لها ميزانيات من بضع مئات من الدولارات فقط، وعادةً ما تسلم الصناديق المعنية بضعة آلاف من الدولارات على الأكثر فى أى وقت، المشاريع الأخرى التى نوقشت فى هذا الفصل - من حالة بريتى - نايك إلى ممثلى كاميرات المراقبة - كلها بالمثل صغيرة الحجم، وجهود منخفضة الميزانية.

كما أن علامة الفن أيضا مثال ساطع على نوعية تدخل تشويش الثقافة، سواء كان إرسال رجال النعم "مندوب" دجال لاجتماع منظمة التجارة العالمية أو مؤتمر المناخ فى كوبنهاجن فى عام ٢٠٠٩، أو نشر موقع محاكاة ساخر لحملة الرئاسة يطالب المرشح الرئاسى الأمريكى جورج بوش بالإدلاء بتصريحات معتدلة إلى الصحافة حول الحد من حقوق التعبير، أو إنتاج قرص مضغوط CD يسخر من مطالبات الملكية الفكرية من الفنانين أنفسهم الذين يستفيدون من الأعمال المنسوخة، ويتدخل مشوشو الثقافة فى الممارسات والتصورات الثقافية والسياسية كى يشيروا إلى التناقضات والنفاق، وفى الواقع، يمكن أن تكون التدخلات فاعلة بما فيه الكفاية (على الأقل من وجهة نظر أهدافهم) لإحداث عواقب حقيقية، وجدية على الناشطين ومؤيديهم، كما فى حالة إغلاق شركة الشىء مقدمة خدمة الإنترنت فى نيويورك، والتهديدات القانونية إلى فريق حملة بوش، أو القبض على طواقم حرب ملصقات روبى كونال.

بعض الكُتاب - لا سيما أولئك الذين يتخذون منظوراً سياسيا يساريا تقدمى تقليدياً - انتقدوا علامة الفن والمشاريع المماثلة لافتقارها إلى أهداف أو نتائج سياسية واضحة، على سبيل المثال فيما يتعلق بمشروع علامة الفن الناقد استغلال العالم الثالث، يقول أحد النقاد:

ما يلفت النظر من وجهة نظر يسارية قديمة هو أن المشروع لا يحاول تنظيم موظفى شركة نايك Nike أو كاثى لى Kathie Lee من أجل المطالبة بتحسين ظروف العمل أو الحصول على رواتب أعلى، كما أنه لا يحاول حث المستهلكين الأمريكيين على العمل تضامنا مع هذه المطالب ... من الصعب أحيانا أن نرى ما الفائدة فيما تفعله علامة الفن... ويشير مسح كامل لموقع علامة الفن إلى أنه من حيث السياسة التقليدية، تبدو أهدافها غير متماسكة. (ألين Allen, 2003، ص٨)

فى مناقشة تمويل موضوعات الملكية الفكرية فى علامة الفن، يؤكد كاتب آخر "فى نهاية المطاف، تبدو علامة الفن منقسمة على نفسها ... يترك جدول أعمال علامة الفن المُنَفَذ علاقات الملكية الفكرية التى يعتدى عليها فى موضعها الصحيح"(مروى Irr, 2003، ص١٠٢).

مع ذلك، بعض من هؤلاء النقاد يعترفون أن علامة الفن وغيرها من جهود تشويش الثقافة على الإنترنت قد تشكل واحدة من السبل الفعالة القليلة للاحتجاج، وزراعة الغضب، والتدخل فى السياق الثقافى "غير المادى" باضطراد؛ حيث المجال الذى يجرى التنافس عليه هو معلوماتى وتمثيلى بالأساس (كما قد يشير ديبورد Debord)" قد تضطر علامة الفن والثقافة الفرعية التى تمثل نموذجا على شكل النشاط السياسى إلى أن تُقبَل فى ظل الرأسمالية العالمية ما بعد الصناعية" (ألين Allen, 2003، ص٧- ١١)، ومن حيث الفن الناشط، "توضح علامة الفن أحد نماذج السياسة المتطرفة والنشاط الثقافى الداخل فى التركيب، إنهم يتابعون الأهداف السياسية بالوسائل الثقافية" (Stallabrass, 2003، ص١٢)، وهى إستراتيجية ذات نتائج مهمة نظرا إلى "ظهور ثقافة تعاونية تشاركية غير قابلة للامتلاك"(ص١٥).

محو الأمية الثقافية الفرعية هى سمة مميزة أخرى لعلامة الفن وغيرها من مشاريع ثقافة التشويش، سواء على الإنترنت أو خارجها، بداية من تجسدها المؤسسى إلى "الصناديق التمويلية" التى لا تحصى ولا تعد وأرضيات المشاريع، تعتمد علامة الفن على ألفة زوارها ومشاركيها باتفاقيات وإكليشيهات اقتصاد السوق ورأسمالية الشركات. "وتتطلب محو أمية ثقافية معينة لا محالة معرفة وثيقة بالرمز والدلالة،

والشعار والمنطق... يعتمد نوع احتجاج علامة الفن على درجة متميزة من محو الأمية الإعلامية والثقافية" (خميس Khamis, 2003)، ويتم دعم "نشاط المشروع من خلال نموذج نظرى يصف طابع الشركات ووسائل الإعلام ... فمن المفارقات أن هذه وجهة النظر هذه لسلطة الشركات تستثمر فى وجهة النظر المحافظة للسوق والكيانات بوصفها قوى طبيعية (ستالبراس Stallabrass, 2003، ص١٣).

بأساليب كثيرة تفسر هذه الميزات الأربع: السخرية، وصغر النطاق، والتدخل، ومحو الأمية الثقافية الفرعية، إجمالا ما يجعل ثقافة التشويش مقنعة وفعالة (وممتعة)، فى حين إنه يمكن رؤيتهم كميزات "أساسية" لنوع تشويش الثقافة، كما إن الميزات الثلاث الأخرى أيضا واضحة بدرجات متفاوتة، على سبيل المثال؛ علامة تعاونية بوضوح: ليست جهدًا مشتركًا بين مؤسسيها فحسب، بل إنها بمثابة آلية تنظيمية لتعزيز التعاون بين الآخرين مثل الفنانين والرعاة ممن لديهم وجهة نظر – ما يمكن تسميته بنية لـ "تعاون فوقى"، وكنوع، تشويش الثقافة مغاير أيضا، بمعنى أنه يخلق مساحات وفرصا بديلة من أجل أساليب جديدة لرؤية الثقافة كالمعتاد من وجهة نظر مختلفة.

قد لا تبدو علامة الفن المثال الأفضل على قابلية التلف: فقد تمتعت بحياة طويلة نسبيا من حيث مشروع الفن الإنترنت، وفى الحقيقة أصبحت مؤسسية نوعا ما نتيجة لإدراجها فى بينالى ويتنى، آرس إلكترونيكا فى لينز Ars Electronica in Linz (النمسا)، ومجموعة أخرى من المعارض الفنية المعاصرة، كما أصبحت موضوعا للأدبيات المتعمقة المتزايدة، وعلى الرغم من أن علامة الفن دعمت أو بالأصح أنشأت مجموعة من المشاريع التى تم تصميمها لتكون قصيرة الأجل أو سريعة الزوال، وذلك استجابة لمواقف أو أحداث مؤقتة (على سبيل المثال؛ اجتماعات منظمة التجارة العالمية، وحملة الانتخابات الرئاسية بوش) على غرار مشاريع الفن المفاهيمى كما ذكرنا فى بداية هذا الفصل، فإن علامة الفن مرتبطة مثل تشويش الثقافة على نطاق أوسع بوسائل الإعلام التكتيكية، وهى إستراتيجية تؤكد على سرعة الاستجابة والتدخل، والانتقال، بالإضافة إلى المرونة (برمن Braman, 2002 ؛ كوبت Cubitt, 2006؛ جارسيا

Garcia ولوفينك Lovink , 1977؛ ريتشاردسون Richardson, 2003)، "وتؤكد ممارسات (وسائل الإعلام التكتيكية) على التعبئة فى مواجهة التغير التكنولوجى والاجتماعى سريع الحركة، ويجب أن تأخذ الإجراءات المتخذة لتغييرهم فى الاعتبار طبيعتهم المتحركة، ويجب أن تستجيب إلى تفصيلات الوضع الراهن" (ستالبرس,Stallabrass 2003، ص١٣).

كان الهدف من هذا الفصل هو توضيح أن تشويش الثقافة كنوع من وسائل الإعلام الجديدة البديلة/الناشطة، هو أحدث تجسيد فى سلسلة طويلة من المحاكاة الساخرة، والخدع الإعلامية، والمزح الثقافية التى سبقت عصر الإنترنت، بل إنه تكتيك من ثقافة المقاومة والاحتجاج الهادفة إلى فضح الظلم وسخافات المجتمع السائد من خلال تقويض صور وممارسات الثقافة الشعبية - لاسيما انتشار النزعة التجارية والاستهلاكية، وقوة شركات المجتمع المعاصر القائم على السوق، ومن بين الأنواع التى تمت مناقشتها فى هذا الكتاب، يُعد تشويش الثقافة نوعا بارزا بسبب بصيرته الثقافية الفرعية، وروحه المرحة، واستعداده لاستغلال الدعابات أو التدخل فى أى جانب من جوانب الثقافة السائدة التى تأخذ نفسها على محمل الجد.

تشويش الثقافة، كما يدل اسمه، هو أيضا أكثر الأنواع تطورا من الناحية الجمالية، كما أن تمزيق وتشويش المشاهد الأيديولوجية والافتراضات المُسلَم بها هو أسهمه فى التعامل، كما أن أدوات التجزئة، والمحاكاة، والتجاور، والاقتطاف، والتخصيص، والاقتباس، والانحراف، والاشتقاق جميعهم فى صندوق أدواته، لذا فإن تشويش الثقافة هو الوريث الجدير بالدادائية والموقفية الدولية، ومن خلال كشف وإعادة وضع سياق إلى آليات وعناصر الثقافة الشعبية يحاول تشويش الثقافة فتح آفاق جديدة فى كل يوم، ويكشف أساليب غير متوقعة لـ"قول الحقيقة إلى السلطة".

لكن وكما يشير النقاش حول التشويش العكسى فإن تشويش الثقافة يتعرض لخطر الوقوع ضحية نجاحه، لدرجة أن مداخله، وتكتيكاته، وأهدافه يتم امتصاصها وتطبيقها فى الثقافة السائدة والبديلة على حد سواء، وفى المشهد الإعلامى المعقد

باضطراد بالتدفق الدائم للأفكار، والصور، والعبارات من كل مصدر، ومنطقة، ووجهة نظر ممكنة، قد يصبح حتى أكثر مشاريع تشويش الثقافة قطعية ومهارة غير قادر على "اختراق الفوضى" ببساطة، وبالطبع، جزء من جاذبية تشويش الثقافة هو جودته الداخلية، وقدرته على الوصول إلى تلك الجماعات الأكثر انسجاما معها فحسب، وقدرته على التصرف مع أهدافها ورسائلها المعارضة أو التخريبية، وبالتأكيد تكنولوجيات وسائل الإعلام الجديدة الشبكية هى الأكثر ملاءمة لهذا الوضع الانتقائى التشاركى من الانخراط الإعلامى عن وسائل الإعلام التقليدية "المراحلية"، ولكن كما يوضح بعض النقاد المستشهد بهم فى هذا الفصل، يظل هناك سؤال بشأن فاعلية مشاريع تشويش الثقافة كآليات للتغير الاجتماعى والثقافى، هل تكفى لرفع مستوى الوعى، وتشكيل الاتجاة، أو تطوير موقف ساخر، إذا كان هذا الوعى أو الاتجاة، أو الموقف لا يترجم إلى أفعال وتغيير فى الوضع الراهن القمعى؟

فى الفصل التالى، ننتقل إلى نوع آخر يأخذ فيه الفعل مركز الصدارة و"إفشال الآلة الإعلامية" يُنفذ حرفيا أكثر قليلا: الحوسبة البديلة.

الفصل الرابع

قرصنة الجديد من القديم
الحوسبة البديلة

يتضمن النوع الثانى من وسائل الإعلام الجديدة البديلة/الناشطة البنية التحتية المادية لتكنولوجيا المعلومات والإعلام، فبينما يتبنى تشويش الثقافة أشكال وأنماط، وأعراف الثقافة الشعبية والتجارية: الترفيه، والإعلان، والتسويق، والموضة، وعلامات الشركات التجارية، بغرض تقويضها ونقدها، فإنه فى مجال الحوسبة البديلة يصمم العاملون فى مجال التكنولوجيا من النشطاء، ويبنون، و"يقرصنون" أو يعيدون تكوين النُظُم بغرض مقاومة القيود السياسية والتجارية، وقيود الدولة على حرية الوصول إلى المعلومات واستخدام تكنولوجيا المعلومات.

كانت مفاهيم "المقرصنين" و"القرصنة" موضع اهتمام شديد بين كل من الأكاديميين المتخصصين وعامة الناس لما يقرب من عقدين من الزمن، لا سيما أن هذه المصطلحات انتقاها تطبيق القانون ووسائل الإعلام الشعبية باعتبارها مترادفات إلى أنشطة شريرة، أو مدمرة أو جنائية، أو حتى إرهابية باستخدام أجهزة الكمبيوتر، وكما ذكر العديد من المراقبين، فإن هذه الخطوة التعبيرية هى فى الواقع عكس معنى الكلمات الأصلى التى تطورت ولا تزال تسود داخل مجتمع الحوسبة، وقد أكد البعض أن هذا العكس كان إستراتيجية متعمدة تهدف إلى تحويل التصورات الشعبية عن البراعة الحوسبية والمساعدة على تجميد أو تثبيت الابتكار التقنى (وكبح جماح

المبتكرين)، باسم الأمن والسلامة (نيسينباوم Nissenbaum, 2004؛ توماس Thomas, 2002) - "لاحتواء آثار تكنولوجيا المعلومات الجديدة (جودريم Goodrum، مانيون Manion, 2000، ص٥٦)، كما أن كثيراً من الذين يكتبون عن النشاط على الإنترنت يستخدمون هذه المصطلحات أيضًا، والاختلاف هو استخدام مصطلح "النشاط القرصنى hacktivism" للإشارة إلى مجموعة واسعة من المشاريع التى تستخدم تقنيات الحوسبة للاحتجاج والمقاومة السياسية والثقافية.

وعلى الرغم من ذلك، فقد اخترت مصطلح الحوسبة البديلة(١٧) لوصف مجموعة من الأنشطة، تتضمن القرصنة لكن لا تقتصر عليها، التى توحدت بفعل الالتزام الأخلاقى والسياسى المشترك بالوصول إلى المعلومات، والنظم المفتوحة، والسيطرة على المعلومات والاتصالات الشخصية بوصفهما حقوقا أساسية وشروطا ضرورية من أجل السياسة التحررية والمشاركة الاجتماعية المنصفة(١٨)، فإن هذا الفصل يركز على مشاريع ذات أغراض سياسية واجتماعية وثقافية بناءة صراحة، وليس على تلك المشاريع الإجرامية، أو الإرهابية، أو الاستغلالية فى المقام الأول، وينسجم هذا المدخل على سبيل المثال مع التمييز طويل الأمد داخل مجتمع الحوسبة بين قراصنة "القبعة البيضاء" الذين يتصيدون ويفضحون عمدا نقاط ضعف النظم والبرمجيات كوسيلة لتحديد المشاكل وحلها، وما بين قراصنة "القبعة السوداء" المخربين أو "المخترقين crackers"، الذين يطلقون فيروسات الكمبيوتر، ويقتحمون أجهزة الكمبيوتر لتدمير أو سرقة البيانات المالية، ويشنون هجمات شبكة الروبوت على الخصوم الماليين أو السياسيين، إلى آخره (ليبوفيتش Leibowitz, 2003)، وعلى الرغم من أن النشاط القرصنى، والعصيان المدنى الإلكترونى، وغيره من أشكال التدخل فى بنية الحوسبة التحتية التى تتحدى مصالح السلطة غالبا ما توصف بالفوضوية أو الإرهابية، لا سيما من قِبَل تلك المصالح، وعلى الرغم من أن بعض المشاريع المتطرفة قد تنخرط فى أنشطة غير مشروعة، فإن التركيز الرئيس هنا هو على المشاريع ذات الأهداف الإيجابية.

يتناقض هذا التأطير مع ما يطرحه الكتاب الآخرون الذين يميلون إلى التركيز على نوع واحد فقط من النشاط أو آخر (على سبيل المثال البرامج المجانية/الحرة/مفتوحة المصدر، والنشاط القرصنى، والعصيان المدنى الإلكتروني، إلخ)، وثانيا: إن مصطلح القرصنة والنشاط القرصنى سواء بمعنى الإتقان الذى يستخدمه متخصصو تكنولوجيا الكمبيوتر أو بالمعنى الجنائى الذى تفضله وسائل إعلام الإثارة والمكلفون بتطبيق القانون/الأمن الوطنى يحدد عنصرا واحداً فقط من بين عناصر أخرى فى المجال الاجتماعى والتقنى الأكبر (جوردان Jordan، وتايلور Taylor, 2004)، وتصف عالمة الأنثروبولوجيا كريس كيلتى Chris Kelty هذا المجال ومواطنيه باعتبارهم "عامة متكررين":

... يتجادل مهووسو الكمبيوتر حول التكنولوجيا ولكن أيضا يتجادلون معها، ومن خلالها، من خلال بناء وتعديل وصيانة البرمجيات، الشبكات، والأدوات القانونية بالذات التى من خلالها وعبرها يرتبطون ببعضهم بعضًا،] وهذا مما يفسر لماذا تكون ترتيبات معينة من التكنولوجيا، والتنظيم، والقانون – لا سيما الخاصة بالإنترنت والبرمجيات المجانية – فى غاية الأهمية لهؤلاء المهووسين. (كيلتى Kelty, 2008، ص ٥، التشديد مضاف)

أى أنه فى مجال الحوسبة البديلة، تصبح البنية التحتية التكنولوجية فى حد ذاتها ساحة للتعبير والتغيير الاجتماعى – وليس مجرد وسيلة لهذه الغاية الاجتماعية، بل مظهر من مظاهر التعبير والمشاركة الاجتماعية والسياسية فى حد ذاتها، إنها مثال حاسم لما سميته أنا وبابلو بوشكويسكى Pablo Boczkowski "النسبية المزدوجة لتكنولوجيات الإعلام والمعلومات: فكلاهما وسائل تعبير ثقافية/سياسية وتعبير ثقافى/سياسى فى حد ذاته، وفى الوقت نفسه "مادة ثقافية وثقافة مادة" (بوشكويسكى Boczkowski وليفرو Lievrouw, 2008، ص٩٥٥)، ويعد المتخصصون فى التكنولوجيا من النشطاء النظم كنوع من مرحلة الجدارة من أجل تجربة الأفكار والتعبير عن

أنفسهم، الذى من حيث المبدأ، ينبغى ألا يقتصر على قدرة أو مهارة المستخدم، تماما كما فى الرسم، أو الموسيقى، أو الكتابة، أو غير ذلك من أشكال العمل الإبداعى.

نستكشف فى هذا الفصل الأسس الثقافية والأخلاقية لهذا النوع الناشط، بما فى ذلك علاقته بالقرصنة، "النشاط القرصنى"، وغيره من أشكال العمل السياسى على الإنترنت. وندرس حالة إريك كورلى Eric Corley، الاسم المستعار لناشر مجلة (٢٦٠٠: الهاكر الفصلية) على الإنترنت The Hacker Quarterly:2600، وانخراط الفصلية فى تداول برامج نظم فك شفرة المحتوى، من أجل توضيح كيف تندمج الالتزامات السياسية والأخلاقية للحوسبة البديلة، مع الدهاء التكنولوجى لممارسيها، وجعلها إستراتيجية ناشطة قوية وهدفا رفيع المستوى فى آن واحد من أجل المصالح الحكومية والتجارية العازمة على التحكم فى الوصول إلى المعلومات وتكنولوجيا المعلومات، وينتهى الفصل باستعراض موجز لسمات الحوسبة الرئيسة كنوع من وسائل الإعلام الجديدة الناشئة/البديلة.

مجال الحوسبة البديلة

تختلف تكتيكات وتقنيات الحوسبة البديلة اختلافا كبيرا، وتتنوع ما بين تصميم وتوزيع البرمجيات "مفتوحة المصدر" أو"المجانية" التى تقوض شروط ترخيصها نماذج أعمال شركات الإعلام والبرمجيات السائدة التى تحركها الملكية الفكرية لصالح زرع "بيض عيد الفصح" (قطع صغيرة من الشفرات المخفية) فى برامج البرمجيات التى قد "تسرق الشكر والتقدير" بشكل غير متوقع (من أجل الاعتراف بمساهمات البرامج وبطريقة أخرى المبرمجين غير المُرَخَّصِين والمجهولين)، أو تعيد توجيه المستخدمين فجأة إلى لعبة، أو فيديو، أو أى نشاط آخر مخبأ فى البرنامج[١٩]، كما توضح بعض المشاريع بشكل عام قابلية بعض النظم الحساسة إلى حدوث ثغرات أمنية، أو أعطال، أو تخريب – غالبا رغم اعتراضات البائع، كما قد يشارك النشطاء فى إجراءات أكثر تخريبية، مثل تطوير وتداول برامج تشفير بيانات تستعصى على الرقابة الحكومية

والتجارية؛ وتعطيل أو تخريب مخططات حماية النَسْخ الرقمي (ما يسمى "إدارة الحقوق الرقمية") أو كاميرات المراقبة (على سبيل المثال، مؤسسة الاستقلالية التطبيقية، انظر الفصل الثالث)؛ أو رسم خرائط ونشر مواقع يمكن فيها للمستخدمين الوصول إلى نطاق لاسلكى عريض النطاق غير مضمون، فى بعض الحالات المثيرة للجدل، صمم النشطاء وأطلقوا برنامج يولد رسائل قطع خدمة الإنترنت، أو بريد مزعج، أو هجمات "عاصفة بينج ping - storm" (DOS) التى تتدفق وتطغى على نظم المؤسسات التى يعتقد النشطاء أنها منخرطة فى أنشطة استغلالية أو ظالمة، أو فاسدة (على سبيل المثال؛ تطبيق مسرح الفوضى الإلكترونية المسمى فلودنت FloodNet، الذى استخدمه متمردو زاباتيستا Zapatista فى المكسيك؛ انظر الفصل الثالث)، كما بنى المبرمجون النشطاء أيضا منصة ويب صحفية مفتوحة أصلية لأول مركز إعلامى مستقل فى احتجاجات منظمة التجارة العالمية فى سياتل فى عام ١٩٩٩، والتى تم بناؤها وصقلها من خلال المراكز الإعلامية المستقلة فى جميع أنحاء العالم (انظر الفصل الخامس).

وترتبط هذه الأنشطة والتكتيكات المتنوعة معا بطبيعتها المتداخلة عمدا، وبطريقة أو بأخرى، تتلاعب أو تعدل تنفيذ مشاريع الحوسبة البديلة من التكنولوجيا فى حد ذاتها، من أجل تحقيق هدف اجتماعى أو سياسى، أو اقتصادى، أما النشطاء المنخرطون فى مجال الحوسبة البديلة (سواء كانوا مهندسين محترفين أو هواة "مهوسين بالكمبيوتر") فلديهم درجة عالية من إتقان التقنية، ويميلون إلى تشارك الاعتقاد أن تكنولوجيا الحوسبة هى قوة من أجل الخير، كما سنرى فى القسم التالى، وتعزى جذور هذه الآراء السائدة التحررية واسعة النطاق المبنية على الكفاءات إلى "أخلاقيات القراصنة" التى طورها المبرمجون والمهندسون ذوى المهارات العالية فى الستينيات والسبعينيات، وكان هذا المنظور، الذى يجمع بين النخبوية التقنية والرؤى الثقافية المضادة لمجتمع أكثر عدلا، وانفتاحا، تأثيرا رئيسا فى تطوير العديد من المنظمات الناشطة الرئيسة، بما فيها مؤسسة الحدود الإلكترونية Electronic Frontier Foundation (http://www.eff.org)، ومحترفو الكمبيوتر من أجل المسئولية الاجتماعية Computer Professionals for Social Responsibility (http://www.cpsr.org)، وكذلك فى مشاريع ناشطة أكثر تخصصا تعتبر أى قيد على

القدرة على توليد وتبادل المعرفة، بما فى ذلك المعرفة التقنية يتعارض مع أهداف وتحقيق مجتمع جيد.

بطبيعة الحال؛ كما اتضح من مثال تشويش الثقافة فى الفصل السابق (وبالطبع فى هذا الكتاب بالكامل)، توظف العديد من أشكال النشاط اليوم الحوسبة بطريقة أو بأخرى، فالحملات السياسية والحركات الاحتجاجية تستخدم البريد الإلكترونى لجمع الأموال، وتنظيم الأحداث، والتواصل مع المؤيدين، كما يكتب المدونون التقارير الإخبارية، ويتبادلون الآراء، ويعقدون المناظرات مع قرائهم، أما متخصصو تشويش الثقافة فينشئون مواقع محاكاة ساخرة ولافتات إعلانية، ومع ذلك، فإن فى هذه الأشكال الأخرى، تُعامل التكنولوجيا فى حد ذاتها عادة على أنها قناة للتواصل، وليست موقعا للتدخل فى حد ذاته، ويشير ستيفان راى Stefan Wray (1998): إلى إن أنواعا مختلفة من النشاط على الإنترنت يمكن اعتبارها سلسلة متصلة من "كلام بالكامل" إلى "فعل بالكامل" – أى بداية من المشاريع التواصلية فى المقام الأول إلى تلك التى تعد فعلا مباشرا أكثر أو "عصيانًا مدنى إلكترونيًا"، مثل الإضرابات أو مظاهرات الشوارع التى تنظمها الحركات الاجتماعية التقليدية أكثر، وكما وضعنا المفهوم هنا، تقترب الحوسبة البديلة أكثر من كونها "فعلاً بالكامل" فى نهاية الطيف، ولأنها تستهدف النظم عالية القيمة التى تصل إلى جميع جوانب التجارة، والحكومة، وإنفاذ القانون، والثقافة، فإنها واحدة من أكثر أنواع نشاط وسائل الإعلام الجديدة عالى الخطورة – وربما تحويلية – والعديد من الخصائص التى تجعل الحوسبة البديلة فاعلة ومحفوفة بالمخاطر تأتى من علاقتها التاريخية بأشكال دالة على الخبرة التكنولوجية الإبداعية عالية المخاطر داخل ثقافة الحوسبة والتكنولوجيا العالية، القرصنة.

أصول الحوسبة البديلة: أخلاقيات القراصنة

فى عام ١٩٩٦، وُزِّعَ كتيب معلوماتى طلابى غير رسمى فى الحرم الجامعى لمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا Massachusetts Institute of Technology فى كامبردج. بعنوان: كيف تتحايل على معهد ماساتسوستس للتكنولوجيا، من المعروف إن المعهد من

بين كليات الهندسة الأمريكية المرموقة، وطلابه لديهم تاريخ طويل من إعداد المقالب التقنية المدروسة، أو "القرصنة" التى تكون فيها مرافق المعهد، ومعداته، وخدماته جميعا موارد ولعبة عادلة لصالح طلاب الهندسة ذوى المهارات العالية الراغبين فى اظهار براعتهم وتخفيف التوتر قليلا، ويتضمن الكتيب "ميثاق شرف القراصنة"، وهو نظام الشرف الذى وضعه الطلاب على مر السنين من أجل التحكم فى مشاريع مقالب القرصنة، ومن بين توصياته، نبَّه على القراصنة ينبغى أن:

> **تكون آمنا، لا ينبغى أبدا أن تعرض سلامتك وسلامة زملائك القراصنة ، وسلامة أى شخص تقرصنه إلى الخطر ... كن خفيا، لا تترك أى دليل على إنك كنت هناك ... لا تترك أى ضرر ... لا تسرق أى شىء ... القوة الغاشمة هى الملاذ الأخير لغير المؤهلين ... لا تقوم بالقرصنة وحدك (تماما مثل السباحة). (مقتبسة من بيترسون Peterson, 2003، ص ١٠، التشديد فى النص الأصلى).**

تم تبنى مصطلح قرصان hacker داخل مجتمع الحوسبة/البرمجيات منذ الأيام الأولى فى المجال(٢٠) لوصف المبرمجين الماهرين مهارة استثنائية والبارعين فى خلق حلول أنيقة غير متوقعة، أو "اختراق" مشاكل برمجة صعبة أو مستعصية على الحل (ليفى Levy, 1984؛ ونيسينباوم Nissenbaum, 2004؛ وبيترسون Peterson, 2003؛ توماس Thomas, 2002)، وكان القصد من القرصنة إثبات مهارة المبرمج/المهندس وليس تعطيل أو إتلاف نظام فى حد ذاته، وهؤلاء المبرمجون، الذين يميلون إلى عدم الثقة بالسلطة والأكثر اهتماما بالحلول البارعة القابلة للتنفيذ وليس بالقواعد البيروقراطية، كانوا منجذبين إلى قيم وأنماط حياة الثقافة المضادة التى ازدهرت فى المجتمعات المترفة المتقدمة تكنولوجيا فى الستينيات والسبعينيات، وداخل مجتمع النخبة هذا تطور نوع من "الطوباوية الرقمية" رأى الحوسبة ليس كفئة من الأدوات التكنولوجية فحسب، بل كقوة عالية المكانة من أجل التحول الاجتماعى الإيجابى أيضًا (تيرنر Turner, 2006)، وبالنسبة إلى هؤلاء المهندسين وأخصائى التكنولوجيا الشباب، تمثل القرصنة:

التزاما بحرية الوصول الكامل والمجانى إلى أجهزة الكمبيوتر والمعلومات، والاعتقاد فى قوة أجهزة الكمبيوتر الهائلة من أجل تحسين حياة الناس وخلق الفن والجمال، وعدم الثقة فى السلطة المركزية، وازدراء العقبات المُقامَة ضد حرية الوصول إلى الحوسبة، والإصرار على ألا يتم تقييم القراصنة وفقا لأى معايير سوى البراعة التقنية والإنجاز (عن طريق القرصنة وحدها وليس أى معايير "وهمية" مثل الدرجات العلمية أو السن أو العرق، أو المكانة) (نيسينباوم Nissenbaum, 2004، ص١٩٧).

ومن المثير للاهتمام ملاحظة أن هذه: "الطوباوية الرقمية" نشأت فى نفس اللحظة الثقافية المضادة تقريبا مثل الموقفية فى فرنسا، ومع ذلك، فبدلا من صناعة الفن، وكتابة دعاية نظرية كثيفة، والاقتباس من مجلات الموضة والرسوم الهزلية، وتصوير أفلام تجريبية قائمة على الاقتباس، والاشتباك مع الشرطة الوطنية عبر الحواجز، سهر الشباب الأمريكى المتخصص فى التكنولوجيا طويلا، وكتبوا الميثاق وتبادلوه، تاركين شفرة "بطاقات دعوة" سهلة الاستخدام، أو بيض عيد الفصح فى نظم آمنة افتراضيا مختبَرَة بالمهلوسات والمعيشة المشتركة، واخترعوا ألعابا ولعبوها باستخدام شبكات كمبيوتر ضخمة ومكلفة، وقرأوا "روايات بوليسية"، وتصوروا مستقبلا سيكون فيه الكمبيوتر قادر على "تغيير حياتك إلى الأفضل" (ليفى Levy, 1984، ص٣٣)، وحفزهم الجيل الأول الأساسى المناهض للاستبداد من هؤلاء القراصنة على التكيف وتقليص التكنولوجيا العسكرية الضخمة من أجل بناء "كمبيوترهم الميكرو" محلى الصنع والمناسب للهواة الذى أصبح النموذج الأولى للكمبيوتر الشخصى- وربما لا يزال أهم وأبقى ميراث للقرصنة، "ولولا قراصنة الستينيات، لما وجد جهاز الكمبيوتر الشخصى أبدا؛ ولولا جهاز الكمبيوتر الشخصى، لما كانت هناك صناعة كمبيوتر؛ ولولا صناعة الكمبيوتر لما كان هناك قراصنة الثمانينيات والتسعينيات" (توماس Thomas, 2002، ص١٨)، وكما يشير تحليل فريد تيرنر Fred Turner (2006) فإن المزج ما بين جماليات الثقافة المضادة وأنماط الحياة والسياسة اليسارية التحررية، والمثالية التقنية

للمهندسين الشباب المبدعين المتحمسين وهواة الكمبيوتر قد يتلخص فى العنوان الفرعى لكتالوج الأرض الكامل الأصلى، وانجيل معيشة الثقافة المضادة المبكر: الوصول إلى الأدوات.

مثل الموقفين، كان القراصنة وثقافة القراصنة منجذبة دائما إلى شكل المانفيستو بما يتناسب مع طموحاتهم الاجتماعية والسياسية، عينة المانفيستوهات المذكورة فى البرواز أدناه كتبها بعض القراصنة الأكثر شهرة ودعاة الثورة الرقمية الأكثر تأثيرا، بمن فيهم ريتشارد ستالمان Richard Stallman، مؤسس حركة البرمجيات المجانية ورائد المصادر المفتوحة؛ وجون بيرى بارلو John Perry Barlow، شاعر غنائى، والمؤسس المشارك فى مؤسسة الحدود الإلكترونية؛ وماكنزى أرك McKenzie Wark، عضو مؤسس فى قائمة نت تايم Nettime المؤثرة ، وأستاذ الإعلام والدراسات الثقافية فى جامعة نيويورك؛ والقراصنة تيموثى مايو Timothy May، وأناركى Anarchy، وجماعة تحالف الحضارات AoC، ومينتور The Mentor، ووضحت بياناتهم شعور الكُتَّاب بالأهمية الدرامية التنبؤية لتكنولوجيا الحوسبة والممارسة من أجل تغيير المجتمع، والثقافة، والسياسة.

الفقرة الأخيرة، التى كتبها ماكنزى أرك - كتنويع عمدى على المانفيستو الشيوعى (مثلما كان مانفيستو ماى May الأناركى السرى)- تربط ما بين العمل الإبداعى - القرصنة - والتغيير الاجتماعى بالطريقة التى سيعترف بها آلان تورين Alain Touraine بالتأكيد، فى الاقتصادات التى تكون فيها المعلومات سلعة رئيسية، وتكنولوجيا المعلومات وسيلة إنتاج أساسية، تعتمد قدرة المجتمع على "التأثير على نفسه" على أولئك الذين لديهم القدرة على "القرصنة" أى معالجة، وإعادة تصميم، وإعادة تكوين، واللعب بالبنية التحتية للمعلومات ومنتجاتها بطرق جديدة ومبتكرة.

ويغض النظر عن الانغماس أحيانا فى الأحداث، أو التكلف، أو البلاغة المحاصرة للعقلية، تشير الاقتباسات إلى العديد من المواضيع أو المخاوف الأساسية من أن الاستمرار فى تشجيع الحوسبة البديلة كشكل من أشكال النشاط على الإنترنت، ربما لا يقل أهمية عن الحفاظ على حرية الوصول إلى المعلومات وتكنولوجيا

المعلومات/وسائل الإعلام إلى أى شخص ولأى غرض هادف؛ والمعارضة المماثلة لأى قيد على الوصول إليها، سواء كان تكنولوجياً أو مؤسسياً أو ثقافياً، أو فلسفياً؛ والحق فى السيطرة على المعلومات والاتصالات الخاصة. وبالتالى،

أعتبر أن القاعدة الذهبية المطلوبة هى أننى إذا أحببت برنامجاً فيجب أن أشاركه مع من يحبونه، بائعو البرمجيات يريدون تقسيم المستخدمين وقهرهم، وجعل كل مستخدم يوافق على ألا يشارك ما يحبه مع الآخرين، أرفض كسر التضامن مع المستخدمين الآخرين بهذة الطريقة.

ريتشارد ستالمان Richard Stallman، مانفيستو جنو، ١٩٨٥ (من ستالمان , 2002 [1985]، ص ٣٢)

هذا هو عالمنا الآن ... عالم الإلكترون والتبديل، وجمال وحدة المعلومات، نحن نستفيد من الخدمات القائمة بالفعل دون دفع ثمن ما كان يمكن أن يكون برخص التراب لولا أنه لم يتم تشغيله بالتربح النهم، وتسموننا مجرمين، نحن نستكشف ... وتسموننا مجرمين، ونسعى إلى المعرفة... وتسموننا مجرمين، نحن موجودون من دون انحياز إلى لون الجلد، أو الجنسية، أو الدين... وتسموننا مجرمين، أنتم من صَنَع القنابل الذرية، وشن الحروب وقتل وغش، وكذب علينا وتحاولون جعلنا نصدق أن ذلك لمصلحتنا، ولكن نحن المجرمون.

نعم، أنا مجرم، جريمتى هى الفضول، جريمتى هى الحكم على الناس بما يقولونه ويفكرون فيه، وليس بما يبدون عليه، جريمتى هى أننى أذكى منك، وهو ما لن تغفره لى أبدا.

أنا قرصان، وهذا المانفيستو خاصتى، قد تستطيع إيقاف هذا الشخص، لكنك لن تستطيع إيقافنا جميعا... فرغم كل شىء نحن جميعا متماثلون. المدرب The Mentor، ضمير القرصان، القرصان.

مانفيستو (مينتور Mentor, 1986)

هناك شبح يطارد العالم الحديث، شبح فوضى التشفير ... فمثلما غيرت تكنولوجيا الطباعة وقلصت من قوة نقابات العصور الوسطى وهيكل السلطة

الاجتماعية، كذلك فإن أساليب منطق التشفير سوف تغير طبيعة الشركات وتدخل الحكومة فى المعاملات الاقتصادية تغييرا جذريا ... تماما مثلما غيَّر اختراع ما صغير على ما يبدو مثل الأسلاك الشائكة مفاهيم الأراضى وحقوق الملكية فى الحدود الغربية إلى الأبد، كذلك فإن اكتشافًا ضئيلاً على ما يبدو من فرع سرى فى الرياضيات أصبح مقص الأسلاك الذى يفك الأسلاك الشائكة حول الملكية الفكرية.

تيموثى ماى Timothy May، المانفيستو الأناركى السرى، ١٩٩٢ (مقتبس فى لودلو Ludlow, 2001، ص٦١-٣)

نحن المتمرسين على الكمبيوتر والمتفوقين تكنولوجيا، كى نكسر قيود جهل أولئك الذين يمنعونا، نصنع بموجب هذا الإعلان حريتنا عن أولئك الذين يسيطرون على ما لا يفهمونه ... نحن نرفض الهراء البغيض المفروض على رقابنا من خلال كل أشكال وسائل الإعلام التى تتحدث عن مخاطر القرصنة، والمواد الإباحية، وبصفة عامة، الفكر الحر ... الإنترنت (وليس الطريق السريع للمعلومات، أو طريق المعلومات لأن تلك المصطلحات هى ببساطة إهانة ومهينة، وصاغها الجهلة) لا يمكن ولا ينبغى أن يتم تقنينها، وينبغى السماح لها بعمل قواعدها الخاصة هكذا، إنها أكبر من أى عالم يمكنك أو لا يمكنك تخيله، ولن تخضع إلى السيطرة.

إنها تجسيد لكل ما هو مجانى؛ معلومات، وصداقات، وتحالفات، ومواد، وأفكار، واقتراحات، وأخبار مجانية، وأكثر من ذلك ... الذين يدركون بوضوح يعلمون أن الإنترنت هى أعظم اختراع حتى الآن، وتتفوق على الاتصالات الهاتفية والكهرباء، إنها تجمع الجسد العقلى لملايين الأشخاص، ولن يوقفنا شىء ... إنها ثورة تكنولوجية، وثورة أفكار، وسوف نقاتل فى معارك من أجل حريتنا فى التفكير، إذا قامت أى معركة، لكننا لن نبدأ أيا منها، فلسنا جماعة عنف، لكن آراءنا الفكرية المعارضة لا ينبغى تركها غامضة كى تنمو، وسوف يبدأون المعركة، فهم ليس لديهم شرف، ويسرقون حقوقنا، وحريتنا، وحرية تفكيرنا، ولهذا فإننا نوصمهم بعدم الغفران ...

الفوضى وتحالف الحضارات، إعلان الاستقلال الرقمى (الفوضى وتحالف الحضارات، ١٩٩٣)

حكومات العالم الصناعى، أنتم عمالقة مُنهَكون من لحم وصلب، لقد جئتُ من عالم الإنترنت، الموطن الجديد للعقل ... لم تشاركوا فى حوارنا الكبير والحاشد، ولا كونتم ثروة أسواقنا ... نحن نخلق عالما قد يستطيع الجميع دخوله دون امتيازات أو محاباة ... نخلق عالما يستطيع أى شخص فيه التعبير عن معتقداته، مهما كانت استثنائية، بدون خوف من التعرض للإكراه على الصمت أو الخضوع، لا تنطبق مفاهيمكم القانونية عن الملكية، وحرية التعبير، والهوية، والحركة، والسياق علينا، لأنها تستند إلى مسألة، ولا مسألة هنا.

جون بيرى بارلو John Perry Barlow، إعلان استقلال عالم الإنترنت، ١٩٩٦ (أُقتبست فى لودلو، ٢٠٠١، ص ٢٨-٩)

يخلق القراصنة إمكانية دخول أشياء جديدة إلى العالم، ليست أشياء عظيمة دائما، أو حتى جيدة، ولكنها جديدة؛ فى الفن، والعلم، والفلسفة والثقافة، وفى أى إنتاج معرفى؛ حيث يمكن جمع البيانات، واستخراج المعلومات منها، وحيث تُنتج فى هذه المعلومات إمكانات جديدة للعالم، وهناك قراصنة يقرصنون الجديد من القديم.

ماكنزى أرك McKenzie Wark، مانفيستو هاكر (أرك 400 Wark , 2004)

وتتضمن الأهداف الرئيسية لمشاريع الحوسبة البديلة الرقابة؛ أى القيود المفروضة على حرية التعبير والتفاعل؛ سواء كانت قيودا تقنية أم قيودا سعرية على استخدام الإنترنت (مثل التحديات التى تواجه مبدأ "حيادية الشبكة" التى أُنشئت فى الأيام الأولى من أربانت ARPANET، راجع ساندفج Sandvig, 2007)؛ وسرية الدولة والشركات؛ إلى جانب مراقبة، وتشخيص، وتجميع الملفات عن حرية الأفراد؛ والحرية الفكرية والأكاديمية؛ ولاسيما قوانين الملكية الفكرية المقيدة أو القسرية.

بالفعل، أصبحت الصراعات حول حقوق التأليف والنشر نقطة التجمع الأساسية للحوسبة البديلة، لا سيما تطبيق "قيود" تكنولوجية، مثل بوابات، أو محابس (تقنيات إدارة الحقوق الرقمية) التى تهدف إلى منع الأشخاص من استرداد المعلومات، أو تبادلها، أو تداولها بطرق غير مرخص بها من أصحاب الحقوق أو السلطات

الحكومية، على سبيل المثال كانت نظم تبادل الملفات (نظير - إلى - نظير P2P)، هدفًا مهمًا لتطبيق القانون وصناعات وسائل الإعلام لأكثر من عقد من الزمان، وليس هناك شيء غير مشروع بطبيعته أو معارض فى نظم نظير إلى نظير، وهى بُنى حوسبة موزعة تسمح للمستخدمين بتحديد واسترداد الملفات من أجهزة كمبيوتر بعضهم بعضًا، كما يوحى اسمها، وتستند بنية نظير إلى نظير إلى فكرة أن الأشخاص يسعون إلى المشورة ويقدمونها، كما يقدمون توصيات، ضمن شبكات تضم أشخاصا آخرين لديهم اهتمامات متشابهة، نظم نظير إلى نظير: هى بيئات اجتماعية وتعاونية بحكم تعريفها، وتوفر فرصا إلى الأشخاص كى يتبادلوا ما يعرفونه من أجل "التأليف الاجتماعى" (أتون Atton, 2004، ص ١٠٣).

فى عام ١٩٩٩ صنع شون فانينج Shawn Fanning أول نظام من نظير إلى نظير P2P "من المخزون"، نابستر Napster، ولم يكن فانينج ناشط فى مجال الملكية الفكرية؛ بل كان طالبا جامعيا يريد مساعدة الأصدقاء على تبادل ومشاركة ملفات الموسيقى، ولكن لاقى نابستر نجاحا فوريا وهائلا، وجذب الآلاف من المستخدمين سواء المتحمسين إلى تبادل الملفات أو من الحملة القانونية واسعة النطاق التى شنتها صناعة الموسيقى، وقاضت شركات الترفيه فانينج على أساس أن بنية نظير إلى نظير كانت مقصودة من أجل تسهيل نسخ الملفات بطريقة غير قانونية، وبالتالى انتهكت مواد مكافحة التحايل فى قانون الألفية الرقمية الأمريكى لحقوق الطبع والنشر، واضطر فانينج إلى إغلاق نابستر وبيع برنامجه وبراءة اختراعه إلى عملاق الإعلام برتلسمان Bertelsmann من أجل تغطية نفقاته القانونية، (ومنذ ذلك الحين أُعيد تأسيس نابستر كخدمة شركة مدفوعة الاشتراك).

ولكن نجاح نابستر أدى إلى ظهور مجموعة من الخدمات المماثلة لديها هياكل مختلفة موزعة دوليا بعيدا عن قيود حقوق التأليف والنشر فى الولايات المتحدة، على مدى العقد التالى دخلت خدمات نظير إلى نظير مثل كازا KaZaA، نوتلا Gnutella، جروكستر Grokster، مورفيوس Morpheus، وبيرات باى Pirate Bay، لايم واير LimeWire، وغيرها إلى حيز لعبة القط والفأر القانونية مع صناعات وسائل الإعلام

وسلطات تطبيق القانون، مُغيرة من بنيتها أو مواقعها الجغرافية استجابةً إلى الإجراءات القانونية والشرطية، كما حاول أصحاب حقوق الصناعة أيضا - على الرغم من عدم تحقيق نجاح يذكر حتى الآن - هجر بنية نظير إلى نظير نفسها باعتبارها غير شرعية، على الرغم من أن الجامعات والمكتبات وخدمات الصوت عبر بروتوكول الإنترنت (VoIP)مثل سكايب وغيرها من التنظيمات تستخدم نظم نظير إلى نظير P2P لتبادل المواد قانونيا، فضلا عن صناعة الحوسبة نفسها، وقد عارضوا التحركات لفرض عقوبة على تصاميم تكنولوجية معينة.

بمرور الوقت، فقدت خدمات تبادل الملفات من نظير إلى نظير P2P العديد من القضايا القانونية الرئيسة، واعتبرت مسئولة عن تصرفات انتهاك مستخدميها، بما فى ذلك نابستر Napster فى عام ٢٠٠١، وجروكستر Grokster فى عام ٢٠٠٥، وبيرات باى Pirate Bay فى عام ٢٠٠٩، وكان آخرها، لايم واير فى مايو ٢٠١٠ ، ومع ذلك واصل المستخدمون والمبرمجون الدفاع عن تبادل الملفات على أسس اجتماعية وأخلاقية، معتبرين أن خدمة من نظير إلى نظير P2P شكلا من أشكال مناهضة الشركات واقتصاد السوق ومقاومة ثقافية ضد الشركات العالمية المحتكرة المستندة على دعم نموذج عمل مُستنفَذ وتنقيد جميع أشكال المعلومات والثقافة، وبالفعل، أثار الاقتناع بنظام بيرات باى فى السويد تصاعدا فى اختيار حزب القراصنة Pirate Party، الذى يتضمن برنامجه السياسى إصلاح قوانين الملكية الفكرية العقابية، ونما حزب القراصنة بسرعة ليصبح واحدا من أكبر الأحزاب السياسية فى السويد، وحصل فى عام ٢٠٠٩ على أصوات كافية لشغل مقعدين فى البرلمان الأوربى.

باتخاذ مدخل آخر، تصدت حملة مؤسسة البرمجيات الحرة "مختل بالتصميم" (http://www.defectivebydesign.org) إلى تقنيات إدارة الحقوق الرقمية التى تمنع نسخ أو توزيع المعلومات، أو التى تحد من الأساليب التى قد يوظف بها المستخدمون المنتجات التى يشترونها، مثل آليات إغلاق الهاتف المحمول التى تقيد خيارات العملاء فى اختيار مقدمى الخدمات، أو البرمجيات التوافقية، أو المحتوى، (وهناك عدة أمثلة حديثة تتضمن آبل أى فون iPhone، بما فى ذلك الترتيب الحصرى مع شركة AT & T

كمقدم للخدمات فى السوق الأميريكية؛ ورفض أبل تطبيقات دعم أى فون، أو "التطبيقات" التى توظف برامج فلاش أدوبى، وتعسفها الواضح، ومعاييرها المبهمة التى على أساسها ستكون التطبيقات داعمة للجهاز؛ سيتلر Stelter, 2010)، وتقول مؤسسة مختل بالتصميم، إن هذه الآليات لا تعزل المستخدمين عزلا اصطناعيا فى "حدائق مسورة" خاصة تمنع الوصول والتفاعلات إلا إلى تلك الخدمات المسموحة (والمدفوعة) فقط من قِبَل مزودى الخدمة فحسب؛ بل إن التكنولوجيات مبنية كى تكون دون المستوى الأمثل أو "معيوبة" عمدا كى تعرقل الابتكار وتمنع الاستخدامات والأسواق الجديدة، وتشجع الحملة مطورى البرامج على ابتكار الحلول أو "إصلاح" العيوب التى سوف تمكنهم من استخدام التكنولوجيات بأساليب غير تلك المنصوص عليها من قِبَل البائعين.

بالتأكيد، هناك منتقدون لمشاريع الحوسبة البديلة، لا سيما بين أولئك الذين يعدون كل هذه الجهود أنشطة إجرامية مستترة تهدف إلى التعدى على حقوق التأليف والنشر، وسرقة أسرار الشركات والدول، وانتهاك براءات الاختراع، واختراق خصوصية الأفراد والشركات، وتخريب الممتلكات الخاصة ونماذج الأعمال التجارية القائمة على السوق، وزعزعة الأمن الوطنى، إلى آخره، والاعتراضات مفهومة: حينما تكون المعلومات سلعة رئيسية، وتصر روح الجماعة على أن "المعلومات يجب أن تكون مجانية" مما يشكل تحديا رئيسا لأساس النظام الاقتصادى السائد للغاية، ويعد النشاط القرصنى، والعصيان المدنى الإلكترونى، وغيرها من الأنشطة المتصلة بها ساذجة فى أحسن الأحوال، وإرهابية فى أسوئها.

من ناحية أخرى، أوضح بعض المحللين أن العديد من مشاريع الحوسبة البديلة، مثل الأشكال القديمة من الاحتجاج السياسى، واستخدام الحصار، والتعدى، والمقاطعة، وغيرها من التكتيكات غير العنيفة لمقاومة القوانين التى يعتبرونها غير عادلة أو غير مبررة، ويزعم هؤلاء الكتاب أن الحد الذى يعبر به النشطاء عن دوافعهم وأهدافهم الأخلاقية والسياسية، ويقبلون عواقب كسر القوانين كأساليب لتغييرها، ينبغى النظر إلى مثل هذه المشاريع كشكل من أشكال الاحتجاج السياسى المشروع

تماما وعدم تعريضهم إلى عقوبة جزائية أو غير متكافئة لمجرد أن الفعل يحدث على الإنترنت (جودريوم Goodrum، مانيون Manion, 2000)، وبالنسبة إلى هؤلاء المراقبين، لا تعكس المواد القاسية المصدرة على نشطاء القرصنة والمبرمجين تحت ستار الأمن الوطنى أو الاقتصادى، أو باسم أنظمة حقوق المؤلف العالمية التى صممتها شركات الترفيه الأمريكية أى تهديد حقيقى قد تشكله مثل هذه المشاريع على البنية التحتية أو النظام الاجتماعى، إنما هى نتاج الذعر الأخلاقى المصقول بعناية حول القرصنة، وفى الحقيقة حول أى نوع من أنواع استخدام الكمبيوتر "الخارجة عن التصنيف"، من خلال تطبيق القانون ووسائل الإعلام.

فى الجزء التالى، ننتقل إلى دراسة حالة توضح بجلاء هذه المصالح والتوترات المضادة - نشر شفرة DeCSS فى فصلية الهاكر والعواقب القانونية والتقنية لذلك.

شفرة DeCSS وفصلية الهاكر

كما هو موضح بالأعلى، فى السنوات الأخيرة استخدمت تسمية القرصنة من قِبَل ممثلين تطبيق القانون، والحكومة، والقطاع الخاص، وكثيرا ما تكررت فى وسائل الإعلام الشعبية، كمرادف للمخرب، أو السارق، أو الإرهابى، وكانت هناك محاولة لترك المهارات التكنولوجية المستقلة والإبداع باعتبارهما نشاطا خطرا أو جنائيا، ومن خلال ربط القرصنة غالبا بالتعدى على حقوق الملكية الفكرية -التى أُعيد صياغتها هى نفسها باضطراد من حيث "القرصنة" و"التهريب" (نيسينباوم Nissenbaum, 2004؛ توماس Thomas, 2002)، ويبرز هذا التحول فى قضية شهيرة تورط فيها صحفى الإنترنت إريك كورلى Eric Corley ومجلته ٢٦٠٠: فصلية الهاكر[٢١] (http://www.2600.com).

بدأت فصلية (٢٦٠٠: هاكر كوارتلى The Hacker Quarterly:2600) النشر فى عام ١٩٩٥، فى البداية كدورية مطبوعة، ثم على شبكة الإنترنت أيضًا (وتنشر اليوم كلا الشكلين)، واسمها هو إشارة إلى تردد الصوت المستخدم فى أجهزة "الصناديق

الزرقاء" التى تسمى "هواتف التردد" التى انتشرت فى السبعينيات والثمانينات من أجل الحصول على وصول مجانى إلى نظام الهاتف بعيد المسافة الخاص بشركة AT&T الأمريكية، وتغطى الفصلية المواضيع والقضايا التى تهم مهندسى البرمجيات والأجهزة وهواة الكمبيوتر.

فى أواخر عام ١٩٩٩ نشر كورلى Corley موضوعا عن برنامج قصير، نظام فك تشفير محتوى التعمية (DeCSS)، والذى كتبه ونشره على الإنترنت مبرمج نرويجى يبلغ من العمر ١٦ عاما ويدعى جون ليش يوهانسن Jon Lech Johansen، ويفتح البرنامج نظام مزج البيانات، وهى تقنية لإدارة الحقوق الرقمية تمنع المستخدمين من تشغيل أقراص DVD (بما فى ذلك تلك المشتراه قانونيا) على أجهزة الكمبيوتر التى تشغل أنظمة تشغيل غير ميكروسوفت Microsoft أو أبل Apple، ولا سيما الأنظمة مفتوحة المصدر مثل لينكس Linux المفضلة بين المبرمجين المهنيين والهواة على حد سواء، وكان يوهانسن قد اكتشف كيفية فتح نظام مزج البيانات من خلال هندسته عكسيا، أى أنه أخذ البرنامج الأصلى على حدة لمعرفة كيف تم بناؤه وكيف قد يمكن تعديله، ونشر يوهانسن شفرته على الإنترنت، وسرعان ما انتشرت انتشارا واسعا على شبكة الإنترنت، ونشر كورلى عن الاكتشاف فى فصلية ٢٦٠٠، بما فى ذلك الشفرة نفسها وروابط لمواقع أخرى متاحة على الإنترنت.

بعدما ظهر نظام فك تشفير محتوى التعمية (DeCSS) فى ٢٦٠٠، انتبه منتجو أقراص DVD فى صناعة الترفيه ومحاميهم، الذين اتخذوا إجراءات قانونية فورية، وقالوا: إنه من خلال الكشف عن نقاط الضعف فى نظام مزج المحتوى فإن نظام فك تشفير محتوى التعمية DeCSS يعد انتهاكا لسر تجارى، وفى عملية فك التشفير، ينشىء نظام فك تشفير محتوى التعمية DeCSS أيضا نسخة مفتوحة من محتويات قرص الفيديو الرقمى DVD على القرص الصلب لجهاز كمبيوتر المستخدم؛ لذا زعم ممثلو الصناعة أن هذه الميزة سهلت نسخ وتوزيع أعمالهم بطريقة غير قانونية، وبالتالى (بترديد الحجة المستخدمة ضد نظام نقل الملفات من نظير إلى نظير P2P (تنتهك مادة مكافحة التحايل فى قانون الألفية الرقمية الأمريكى لحقوق الطبع والنشر، وأقام ائتلاف

يضم بشكل أساسى كل استديوهات السينما الكبرى فى الولايات المتحدة (يونيفرسال ستوديوز، باراماونت، MGM، تايم وارنر، ترايستار، ديزنى، وشركة فوكس) دعوى قضائية ضد كورلى والعديد من المواقع الأخرى التى نشرت الشفرة، سعيا لإزالتها من تلك المواقع، واستشهد كورلى بحقوقه فى حرية التعبير والصحافة التى ينص عليها التعديل الأول للدستور كوسيلة للدفاع، مؤكدا إن فصلية ٢٦٠٠ يجب أن يكون لديها الحق فى تغطية ووصف نظام فك تشفير محتوى التعمية DeCSS مثل النيويورك تايمز، على سبيل المثال، التى نشرت أيضا موضوعات حول نظام فك تشفير محتوى التعمية ومصادره ولكن لم تقاضيها الاستوديوهات.

فى البداية، فى أواخر ديسمبر فى عام ١٩٩٩، كان هناك تدفق من الاحتجاج على أنصار كورلى ويوهانسن فى مجتمع الحوسبة فى جميع أنحاء العالم، ورفض قاضى المحكمة العليا فى كاليفورنيا وليام إليفنج William Elfving مؤقتا طلب الصناعة بإصدار حكم بالمنع، ومع ذلك، فى يناير فى عام ٢٠٠٠، أصدر قاضى المحكمة الجزئية الأمريكية لويس كابلان Lewis Kaplan ، فى المنطقة الجنوبية من نيويورك، حكما قضائيا أوليا بأن يزيل كورلى البرنامج من موقع ٢٦٠٠، وفى فبراير٢٠٠٠، أصدر مذكرة إضافية توضح أن شفرة الكمبيوتر القابلة للتنفيذ ليست خطابا محميا بموجب التعديل الأول لدستور الولايات المتحدة، وفى ١٤ يناير٢٠٠١، قدمت جمعية السينما الأمريكية دعويين قضائيتين أخريين ضد ٢٦٠٠ وكورلى فى المنطقة الجنوبية فى نيويورك وولاية كونيتيكت بزعم انتهاك مادة مكافحة التحايل فى القانون الأمريكى لحقوق طبع ونشر الألفية الرقمية، وفى يوم ٢٥ يناير٢٠٠١، أُلقى القبض على كل من جون يوهانسن ووالده فى منزلهما فى النرويج (الموقع المنشور فيه نظام فك تشفير محتوى التعمية DeCSS باسم الأب)، وامتثل كورلى لحكم القاضى كابلان بالإزالة، ولكن فى ما وصفه بأنه عمل من أعمال العصيان المدنى الإلكترونى، احتفظ بروابط من ٢٦٠٠ إلى مواقع أخرى ما زال متاحا فيها نظام فك تشفير محتوى التعمية DeCSS.

ومع ذلك، فى أغسطس حكمت المحكمة بأنه غير مسموح لكورلى ليس فقط نشر نص شفرة نظام فك تشفير محتوى التعمية DeCSS نفسها، بل إنه ممنوع من نشر

وصلات إلى أى موقع آخر أو مصدر لنظام فك تشفير محتوى التعمية DeCSS أيضا، حتى تلك الموجودة فى الولايات القضائية التى أصبح فيها البرنامج قانونيا (كما هو الحال فى أوربا وأجزاء أخرى من العالم)، وفى الاستئناف فى عام ٢٠٠٢، أيدت محكمة الدائرة الثانية الأمريكية استئناف الحكم الأصلى، وبسبب استنزاف موارده وخياراته، وتسوية المتهمين المشتركين معه مع مدعى الصناعة، اختار كورلى عدم الطعن على القرار أمام المحكمة العليا فى الولايات المتحدة.

مع ذلك، لا الحكم عام ٢٠٠٢ ضد كورلى، ولا التقادم اللاحق واستبدال نظام فك تشفير محتوى التعمية DeCSS بعدد لا يحصى من برامج فك التشفير الأخرى أوقف النشطاء الآخرين عن نشر أو وضع روابط إلى أشكال قابلة للتنفيذ من البرنامج الأصلى، وفيما أصبح حركة عصيان مدنى إلكترونى احتجاجا على مادة مكافحة التحايل فى قانون الألفية الرقمية الأمريكى لحقوق الطبع والنشر، والرقابة على ٢٦٠٠، واصل نشطاء من الولايات المتحدة وجميع أنحاء العالم نشر الشفرة فى تحد لقرار المحكمة (سوف نناقش العصيان المدنى الإلكترونية بتفصيل أكثر فى الفصل السادس)، وحوَّل بعض النشطاء الشفرة إلى أعمال فنية، على أساس أن الأعمال الفنية لا تزال محمية بشكل لا لبس فيه مثل حرية التعبير بموجب التعديل الأول للدستور الأمريكى، وأنشأ دكتور ديفيد تروتسكى David Touretzky، وهو أستاذ باحث فى علوم الكمبيوتر وعلم الأعصاب فى جامعة كارنيجى ميلون فى بيتسبرج، معرض أجهزة فك مزج الإشارة CSS Descramblers لتوضيح إن شفرة الكمبيوتر القابلة للتنفيذ هى فى الواقع خطاب ويجب حمايتها بهذه الصفة (http://www.cs.cmu.edu/~dst/DeCSS/Gallery/index.html)، وتضمن عروضا درامية للشفرة، وطباعتها على الملابس، والنوتات الموسيقية، وفيلمين قصيرين بعنوان (هايكو ديسز) و(سلالم الحرية) ويتضمنان رسوما متحركة من الشفرة، وأبرزهما فيلم هايكو ديسز ٢٠٠٢ الذى أخرجه سيث شوين Seth Schoen، والذى يصفهما تروتسكى Touretzky باعتبارهما "كليهما تعليقا على حالة DeCSS، ووصفا كاملا وصحيحا لخوارزمية مزج فك الإشارة، وملهم بجد."، ولاحقا كُتبت موضوعات صحفية عن فيلم هايكو ديسز فى صحف وول ستريت جورنال، وسان فرانسيسكو كرونيكل، ووايرد،

ونيـــويورك تايمـــز(يناقش شـــوين Schoen أيضـــا الهـــايكو haiku فى http://www.loyalty.org/~schoen/haiku.html، وحـــتى يومنا هـذا، ورغم هذا لا يزال كورلى و٢٦٠٠ ممنوعين من نشر الشفرة أو روابط إليها.

ومن المثير للاهتمام، أن يظل نظام فك تشفير محتوى التعمية DeCSS كنقطة تجمع للتقنيين الناشطين المهتمين بعواقب أنظمة الملكية الفكرية المقيدة مثل قانون حقوق الطبع والنشر للألفية الرقمية على كل من تطوير التكنولوجيا وحقوق التعبير، وباستخدام تحليل محتوى الويب واسع النطاق، وجد إيشنفلدر Eschenfelder وديساى Desai (2004) إنه لم يكن هناك أى انخفاض تقريبا فى عدد المواقع التى تنشر الشفرة، بما فى ذلك المواقع التى تستضيفها الولايات المتحدة، حيث كان نظام فك تشفير محتوى التعمية DeCSS نفسه منشورا أو مرتبطا بمواقع أخرى لا يزال متاحا فيها الإصدارات القابلة للتنفيذ، مابين توقيت صدور الحكم القضائى الأولى وعام ٢٠٠٣، وبحلول أوائل عام ٢٠٠٤، كان نظام فك تشفير محتوى التعمية DeCSS لا يزال يُنشر على العديد من المواقع فى جميع أنحاء العالم، ولا سيما فى هولندا وألمانيا وفرنسا، والمملكة المتحدة (إيشنفلدر Eschenfelder, 2005)، فضلا عن الولايات المتحدة، التى كان مثل هذا النشر لا يزال يمكن ملاحقته قضائيا بموجب قانون الألفية الرقمية الأمريكى لحقوق الطبع والنشر- على الرغم من أن نظام فك تشفير محتوى التعمية DeCSS أصبح عتيقا منذ فترة طويلة.

وفى جولة أخيرة أجرى جون يوهانسن Jon Johansen، المبرمج الذى بدأ كل شىء (الذى أصبح من المشاهير بين المبرمجين، ومعروفا باسم "جون دى فى دى" منذ قضية ٢٦٠٠)، أحد محاولات القرصنة الأولى من أجل فتح الآى فون الأصلى، تحت عنوان "عيد استقلال الآى فون"، ونشر يوهانسن القرصنة على مدونته (http://nanocr.eu/2007/07/03/iphone-without- att/)، وتتيح القرصنة لأصحاب أجهزة أى فون تنشيط الجهاز باستخدام الويندوز دون الاشتراك فى خدمة شركة AT&T اللاسلكية التى فوضتها شركة آبل (فاموزى Vamosi, 2007).

ملخص: الحوسبة البديلة باعتبارها نوعاً

للوهلة الأولى، لا يبدو أن هناك كثيراً من القواسم المشتركة بين قضية فصلية ٢٦٠٠/ شفرة DeCSS وبين المشاريع "السياسية" الناشطة الأكثر مباشرةً، مثل تلك المتعلقة بالحركات المناهضة للحرب، أو البيئية، أو المناهضة للعولمة، وفى نهاية المطاف شفرة DeCSS هى أداة تيسر للمستهلكين الاستمتاع ببرامج الترفيه الشعبية، واخترعها شاب يريد مشاهدة الأفلام على جهاز كمبيوتر مجهز بنظام تشغيل لينكس، ومع ذلك تبلور حالة DeCSS/2600 بأساليب عديدة مصالح ورهانات لا تحصى ولا تعد أصبحت تلعب دورا فى مجال الحوسبة الناشطة.

من جهة، تبنت الدولة والسلطات القانونية وممثلى الصناعة وجهة نظر: أن الإنترنت وبنية الحوسبة التحتية حيوية جدا من أجل الاقتصاد والأمن؛ وأن نهج "عدم التسامح" ضرورى لمنع حدوث أى ضرر خطير عند استخدام التكنولوجيات من أجل أى شيء غير الأهداف المصرح بها سواء الحكومية أو التجارية، وقد سيطر هذا المنظور على معظم النقاشات حول سياسة الإنترنت وكان مسئولا إلى حد كبير عن حماسة الادعاء العام الواضحة فى القضايا الجنائية الأخيرة التى تنطوى على أعمال قرصنة كمبيوتر أو مخالفات، ومن جهة أخرى، يؤكد نقاد هذا الرأى: إن مثل هذا المدخل ثقيل الوطأة دعم نظام الملكية الفكرية غير المستدام الذى يخنق الاختراع والابتكار، والعقوبات القانونية التى لا تتناسب قسوتها مع المخاطر والخسائر الفعلية المتضمنة، وتجريم تقنيات الإصلاح الاستكشافية للغاية التى تكمن فى قلب هندسة البرمجيات وثقافة الحوسبة، وقد لا يكون التأثير الصافى هو شبكة إنترنت أكثر استقرارا، وموثوقية، و"آمنا" فحسب، لكنه أيضا قريب باضطراد من نوع من الابتكار التحويلى الذى أنشأ وحافظ على الحوسبة الشبكية فى المقام الأول- وهو، كما وصفه أحد الكُتاب "التراخى تجاه العادى" (هيرينج Herring, 2004) أو "إغلاق سلكى wired shut" (جيليسبى Gillespie, 2007).

بالإضافة إلى ذلك، يعتقد الكثيرون أن إحدى النتائج المهمة لقضية فصلية ٢٦٠٠/شفرة DeCSS هى أنها ساعدت على تسريع التحركات نحو تحول غير مسبوق

فى التوازن القانونى بين التعبير وحقوق الملكية فى القانون الأمريكى (على سبيل المثال كوهين Cohen 2003, 2006؛ جيليسبى Gillespie, 2007؛ ليسيج Lessig, 2001؛ ليتمان Litman, 2001؛ ماكلويد McLeod, 2005)، من خلال إعطاء أولوية حقوق الملكية إلى أصحاب حقوق التأليف والنشر - حتى فى القضية التى لم تكن فى الواقع تنطوى على أى انتهاك فى حد ذاته، إنما فقط نشر معلومات من الجائز استخدامها فى الانتهاك - فإن القرار القانونى ضد كورلى يسمح بأن تعلو مواد "مكافحة التحايل" من قانون الألفية الرقمية لحقوق الطبع والنشر فى الأسبقية على التعديل الدستورى الأول لحرية التعبير والصحافة، كما يوحى القرار أيضا أن صحفيى شبكة الإنترنت ليس لديهم نفس حق التعبير وحماية الصحافة والامتيازات التى يعدها صحفيو الصحف المطبوعة ووسائل البث أمرا مسلما به، وهذه نتيجة مقلقة نظرا للأزمة الاقتصادية التى تعانى منها المنظمات الإخبارية الرئيسة أخيراً التخفيضات الجذرية فى عدد العاملين فى غرف الأخبار التقليدية أو إغلاقها "المشروعة" ظاهريا التى يحميها التعديل الأول للدستور، قد تكون المنشورات عبر الإنترنت خاضعة للمنع قبل النشر أو الرقابة بعده، بأساليب قد تكون غير متصورة بالنسبة إلى الطباعة وبث الأخبار، (وسوف نعيد النظر فى هذه المسألة فى الفصل التالى عن إنديميديا والمدونات)، وكما قال كورلى فى إعلانه: إن ٢٦٠٠ لن تستأنف قرار المحكمة العليا، وقد نشرت صحف النيويورك تايمز وذا فيلاج فويس وسان جوزيه ميركورى نيوز سواء الأخبار عن شفرة DeCSS أو وصلات إليها، ولم يُستهدف إلا موقع ٢٦٠٠ وغيره من وسائل الإنترنت الإخبارية الصغيرة فى الدعوى الأصلية (http://www.2600.com/news/view/article/1233)، بالإضافة إلى ذلك، من خلال الاستبعاد الواضح لشفرة الكمبيوتر القابلة للتنفيذ باعتبارها تعبير، يمكن النظر إلى الحكم على أنه رفض مباشر لقيم التجريب، والابتكار، والعلنية التى تعتبر أساسية لثقافة التكنولوجيا العالية.

ويمكن القول: إن هناك ثلاث سمات للحوسبة البديلة، كنوع من نشاط وسائل الإعلام الجديدة، جعلتها المحور الرئيسى لهذه النقاشات؛ الأولى: أُشير إليها سابقا فى هذا الفصل، هى أنها تدخلية بالتعريف، فبالنسبة إلى محترفى الكمبيوتر والهواة ليس

كافيا افتراض، أو انتقاد، أو مناقشة التكنولوجيا كقوة فى المجتمع؛ بل يمارس النشطاء التكنولوجيون تلك القوة مباشرة عن طريق إعادة تشكيل البنية التحتية نفسها، وهو السبب الرئيسى فى تواصل الاحتفاء والخوف فى الوقت ذاته من خبراء الحوسبة فى تصور الثقافة الشعبية (كيلتى Kelty, 2007؛ نيسينباوم Nissenbaum, 2004؛ توماس Thomas, 2002)، ومثل تشويش الثقافة، قد تكون الحوسبة البديلة شكلا آخرا من "أشكال النشاط السياسى (ألين Allen، عام ٢٠٠٣، ص٧، ١١) الذى قد يحدث" فى مجتمع ما عندما تكون جميع جوانب التعبير والتفاعل تتوسطها شبكات الحوسبة واسعة النطاق للغاية، وعندما تلعب التقنيات الموروثة مثل الطباعة والبث دورا مساعدا باضطراد فى خدمة النخب المتعلمة فى أحد الطرفين فى مقابل طبقة الفقراء والمعدمين المهمشة فى الطرف الآخر.

الثانية: هى أن الحوسبة البديلة مغايرة بشكل عميق فى نظرتها وممارساتها، والتزاماتها الأخلاقية، قد يرجع هذا إلى وجهات النظر التحررية تاريخيا أو الثقافية المضادة داخل مجتمع الحوسبة التى وثقها عدد من الكُتاب (على سبيل المثال، باربروك Barbrook, 2001؛ تيرنر Turner, 2006)، مانفيستوهات قراصنة الكمبيوتر Hackers، والمهوسون بعلوم الكمبيوتر Geeks، وقراصنة فك التشفير cypherpunks، والأقوال المأثورة مثل "المعلومات يجب أن تكون مجانية"، والمخاوف بشأن "السلطوية على طريق المعلومات السريعة على الإنترنت Infobahn"، والمقترحات السياسة من منظمات مثل (مؤسسة الحدود الإلكترونية ومهنى الكمبيوتر من أجل المسؤولية الاجتماعية) تكشف كلها عن انعدام الثقة العميق فى السلطة المركزية، والأعراف الاجتماعية السائدة، والامتياز المكتسب من خلال أى شىء ما عدا البراعة الفكرية والمهارة الفنية، والحيلة، والإبداع، فضلا عن الرغبة فى خلق مساحات (ربما يوتوبية) والحفاظ عليها، يتمكن فيها الأشخاص الذين يشعرون كأنهم "غرباء" فى معظم السياقات الاجتماعية من العيش والعمل، واللعب مع أقرانهم(٢٢).

وأخيرا، وبما يتفق مع الطبيعة المغايرة لهذا النوع الناشط، فإن مشاريع الحوسبة البديلة دائما ما تكون على نطاق صغير فى المفهوم والتنفيذ - رغم أنه قد يكون لها،

كما تشهد حالة شفرة DeCSS والحالات الأخرى التى استعرضناها هنا عواقب بعيدة المدى تكنولوجيا واجتماعيا، على سبيل المثال، عندما ابتكر الطالب الجامعى شون فانينج Shawn Fanning نظام تبادل الملفات من نظير إلى نظير سماه نابستر Napster (بعد اسمه المستعار) فى عام ١٩٩٩، ربما لم يكن ينتوى إلا إنشاء وسيلة سهلة لعدد قليل من الأصدقاء متشابهى التفكير من أجل البحث عن الموسيقى على الإنترنت وتبادلها، ويبدو من غير الممكن أنه كان يتوقع سرعة انتشار ابتكاره فى جميع أنحاء الحرم الجامعى وحول العالم، لدرجة أنه خلال أقل من عشر سنوات حوَّل نظام نقل الملفات من نظير إلى نظير استهلاك المحتوى الإعلامى التقليدى بالنسبة إلى جيل كامل، ولا كان يتوقع أنه سوف يصنع ثروة أولا ثم ينتهى إلى الإفلاس، أو أن نابستر سوف يطلق نضالا قانونيا واقتصاديا موسعا حول كيف ينبغى توزيع وبيع المحتوى الإعلامى بجميع أنواعه، بما فى ذلك الجهود المبذولة مؤخرا من استوديوهات الموسيقى والسينما لحظر تكنولوجيا النقل من نظير إلى نظير نفسها، وبالمثل، ربما لم يكن إريك كورلى يتوقع أن نشر بضعة أسطر من شفرة برمجية تم تداولها بالفعل على الإنترنت سوف يتسبب فى إغضاب صناعة الترفيه الأميركية (والقوة القانونية والمالية بالكامل)، أو إن خسارته أمام المحكمة من شأنها أن تغير تعريف "حرية الصحافة".

وقد يكون من المفارقات إنه ربما كانت مؤسسات كُتاب المانفيستوهات حول القوة التحويلية للحوسبة على حق طوال الوقت.

الفصل الخامس

اختراق الحصار الإعلامى

الصحافة التشاركية وإنديميديا Indymedia

إنه العام ٢٠١٥، والأسس المؤسسية للصحافة الأمريكية وصناعة الأخبار فى المراحل الأخيرة من الانهيار، اندمجت جوجل وأمازون بالفعل كى يشكلان جوجليزون Googlezon، وهى قوة متلونة تهيمن على جميع جوانب الترفية والثقافة عن طريق حصاد المحتوى من وسائل الإعلام التقليدية، وتقديمها مرة أخرى إلى المستهلكين الأفراد فى مجموعات مختارة حسابيا مصممة بدقة لأذواقهم واهتماماتهم. كما يشير الراوى:

مؤسسات القرن العشرين الإخبارية هى بقايا وحيدة وثانوية من الماضى غير البعيد - جدا - ... كانت حروب عام ٢٠١٠ الإخبارية بارزة بسبب حقيقة عدم مشاركة أى وكالة أنباء فعلية ... فى عام ٢٠١١ استيقظت السلطة الرابعة النائمة أخيرا كى تقف وقفتها الأولى والأخيرة، وقاضت صحيفة نيويورك تايمز شركة جوجليزون Googlezon، زاعمة أن آليات نزع المعلومات الخاصة بالشركة تشكل انتهاكا لقانون حق المؤلف.

... فى يوم الأحد ٩ مارس، ٢٠١٤، أطلقت جوجليزونGooglezon بناء المعلومات الشخصن المتطور The Evolving Personalized Information Construct ... الجميع يسهم، ويحصل الكثيرون على جز

ضئيل من إيرادات إعلانات جوجليزون الهائلة يتناسب مع مدى شعبية مساهماتهم ... وفى عام ٢٠١٤ تذهب نيويورك تايمز خارج الإنترنت وتصبح النشرة الوحيدة المطبوعة للنخبة وكبار السن.

... فى عام ٢٠١٥: تكتشف بينكى نانكانى Pinky Nankani، المفصولة من الطبعة الرقمية البائدة لصحيفة نيويورك تايمز، وظيفة صحفية جديدة، فتبدأ فى جمع صور محطات البث المجاورة الموسومة – بنظام تحديد المواقع العالمى GPS – وسرعان ما يصبح بث بينكى هو القدوة المحلية، وتوسم المزيد والمزيد من محطات البث المجاورة لها بثها ببيانات نظام تحديد المواقع، بعدما أدركوا أنهم أيضا يمكن أن يكون جزءا منه (EPIC 2015; http://www.albinoblacksheep.com/fiash/epic)

إيبيك EPIC 2015: الفيلم الوثائقى المُقلِّد الذى قدمه روبن سلون Robin Sloan ومات طومسون Matt Thompson، هو محاكاة ساخرة (طومسون Thompson, 2005)، إلا إن رؤيته إلى مستقبل الصحافة باعتبارها مخصصة لغرض معين، وشديدة المحلية، واستثمارًا مستقلاً من بعض الهواة للوقت المتاح فى أيديهم، وتنبؤ الكابوسى بمستقبل مؤسسات صناعة الأخبار ووسائل الإعلام، يبدو متبصرا للغاية اليوم، حيث تراجعت فرص كبرى مؤسسات طباعة وبث الأخبار، بينما تزايدت مشاريع الصحافة الإلكترونية التى تستخدم وسائل الاعلام الاجتماعية.

حتى الآن لم تتحقق رؤية إيبيك البائسة "لى يوميا Daily me" (نيجروبونتى Negroponte, 1995) – على الأقل ليس تماما، لكن بلا شك أصبح وضع صناعة وسائل الإعلام وخيماً، وهو مزيج من انخفاض عائدات الإعلانات، وتقلص عدد الجمهور، والتحدى المتمثل فى التقنيات الإعلامية الجديدة التى تبسط نفوذها على التحرير وجمع الأخبار، وفى الوقت نفسه تكسر مناصبهم الامتيازية باعتبارهم المتحكمين فى المعلومات وواضعى أجندة الأولويات، لم يؤد الانكماش الاقتصادى الحالى إلا إلى تسريع دوامة السقوط، حيث تسرح الصحف فى مختلف المدن الأمريكية والأوربية جحافل الصحفيين المحترفين أو تضطر إلى الإغلاق تماما، ويصيغها ديفيد كار David Carr، الذى يغطى صناعة الإعلام

لصحيفة نيويورك تايمز، أخيراً كما يلي: "من الواضح أن السماء تسقط، والسؤال هو كم من الأشخاص سوف يُتركون لتغطية ذلك" (كار Carr, 2008).

ويقدم النوع الرابع من وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة إجابة جزئية على الأقل عن سؤال كار: عدد من الأشخاص أكبر مما قد نعتقد، لأن صعود الصحافة التشاركية - بما فى ذلك صحافة المواطن، أو الشعبية، أو مشاريع الصحافة مفتوحة المصدر، ومدونات الرأى والأخبار المستقلة، ومواقع إنديميديا الناشطة - تقدم أمثلة غنية من التقارير والكتابة والرأى المحلية والمتخصصة التى تدعم وتنتقد فى الوقت نفسه القيم والممارسات التقليدية للصحافة والإعلام، ومثل التجارب السابقة من الصحافة البديلة السرية الراديكالية توفر هذه المشاريع تغطية للموضوعات الإخبارية، والتعليقات، ومصادر المعلومات غير المغطاة من منظور بديل أو معارض، فضلا عن النقد المستمر وتفكيك وسائل الإعلام والتغطية الإخبارية، ومع ذلك، وعلى النقيض من "نخبوية" التجارب السابقة الراديكالية، فإن معظم مشاريع الصحافة البديلة لا تتواجد كناطقة باسم أو وسيلة مؤسسية لنقل خط سياسى أو رسالة مؤيدة مركزيا. (أتون Atton, 2003؛ وداونينج Downing وآخرون، ٢٠٠١).

وبدلا من ذلك، كان الهدف هو خلق مساحة إعلامية متنوعة يمكن فيها سماع جميع الأصوات، كما يمكن لأى شخص المساهمة فيها بكتابة تقارير إخبارية أو رأى بحد أدنى من الرقابة التحريرية المسبقة، مما يعكس الالتزام بحرية التعبير والمشاركة بوصفهما حجر الزاوية فى "الديمقراطية الراديكالية" (بيكارد Pickard, 2006a, 2006b, 2008)، واعتمدت ممارسة الصحافة كوسيلة من وسائل المشاركة؛ وبالتالى تفصل هذه المشاريع بوضوح ممارسة الصحافة عن الدور المؤسسى ومصالح صناعات الإعلام والأخبار التقليدية، وغالبا ما يعمل فى مثل هذه المواقع الهواة أو المتطوعون المساهمون، وأحيانا بالتعاون مع الصحفيين والمحررين المدفوعين، وبدلا من نموذج الأعمال المعتمد على الإعلانات التقليدية، تعتمد بعض المشاريع على نماذج الدعم البديلة، بما فى ذلك المجتمعات والتجمعات، والمؤسسات غير الربحية و"التمويل الحشدى" أو الصحافة الممولة من المجتمع المحلى لدعم أنشطتها (كيرشو Kershaw, 2008).

وتعد أشكالاً جديدة من الصحافة التشاركية كلا من: الاتصال، والتفاعل، والمجتمع أمورا ضرورية لممارسة الصحافة وإنتاج الأخبار، وتؤكد على أن تلاشى الفروق بين مقدمى المعلومات، والصحفيين، والمحررين، والقراء ممكن بفضل تقنيات الإنترنت (دييز Deuze, 2003؛ ريف Ryfe، مينسينج Mensing, 2008)[٢٣]، وتهدف إنديميديا Indymedia على وجه الخصوص - وهى الحركة التى أطلقها نشطاء الإعلام فى احتجاجات منظمة التجارة العالمية فى عام ١٩٩٩، التى تضم اليوم ما يقرب من ١٧٥ مركز إعلام مستقل فى جميع أنحاء العالم - إلى إنشاء "اتصالات مشاعية" كان شعارها على مدار العقد الماضى "لا تكره وسائل الإعلام - كن وسيلة الإعلام" (كيد Kidd, 2003)[٢٤].

يبدأ ما تبقى من هذا الفصل بلمحة موجزة عن الأزمة الحالية فى صناعة الأخبار والتحديات الاقتصادية والتكنولوجية التى تواجهها، مع هذا الأمر كسياق، ندرس الصعود المصاحب لأشكال جديدة من التغطية والكتابة والرأى والتعليق البديلة أو الناشطة على الإنترنت التى تضم الصحافة التشاركية، ومراجعة بعض الانتقادات الموجهة إلى هذه الأشكال الناشئة، ويركز الجزء الأخير من هذا الفصل على حركة إنديميديا كمثال مركزى ودراسة حالة، بالإضافة إلى كونها واحدة من أكثر أشكال وسائل إعلام الإنترنت الناشط انتشارا، وكانت إنديميديا واحدة من أكثر المشاريع الإعلامية الناشطة المدروسة فى السنوات الأخيرة، وكما سنرى، فإن نجاحات - وعثرات - حركة إنديميديا فى عقدها الأول تشير إلى أنواع التحديات التى تنتظر الصحافة والأخبار، خاصة فيما يتعلق بأدوارهم المتغيرة داخل النظم السياسية الديمقراطية.

أزمة الصحافة فى سياق وسائل الإعلام الجديدة

من موضوعات لا تعد ولا تحصى أخيراً عن انهيار وشيك فى صناعة الأخبار، ربما لم يلتقط أى موضوع تشاؤم الصناعة المتغلغل وفزعها أكثر من موضوع غلاف مجلة الإيكونوميست فى عام ٢٠٠٦: "من قتل الصحف؟" يعدد التقرير الخاص كل

المشتبه فيهم: المألوفين المعلنين يفرون إلى وسائل الإعلام الأخرى، وحملة الأسهم المعاندين، والمطالب بالربح المضطردة باستمرار؛ والمديرين الخاضعين المستعدين جدا لتجاهل المواهب التحريرية لتهدئة المساهمين، والتحول بعيدا عن الأخبار الجادة والتحليل إلى تغطية المواد الترفيهية والاجتماعية الخفيفة فى محاولات لجذب الجمهور الأصغر سنا، وصعود التنافس بين الصحف المجانية اليومية التى لديها اهتمام قليل بالموضوعات الاستقصائية الثاقبة أو بالتقارير السياسية "الراصدة" والأكثر تعقيدا، وبالطبع "الإنترنت" (الإيكونوميست، b2006).

ورغم ذلك يخلص التقرير إلى أن تراجع الصحف اليومية المطبوعة ربما يرجع أكثر إلى عدم اكتراث ودفاعية الصناعة المصممة على دعم طرقها التقليدية فى إدارة الأعمال، التى قاومت التغيير التكنولوجى والتواصل مع قرائها (بنفس طريقة غيرها من قطاعات صناعة وسائل الإعلام الأخرى، بما فى ذلك نشر الكتب والبث التليفزيونى والصور المتحركة، والتسجيلات الموسيقية، التى اتجهت إلى مقاومة كل من تقنيات وسائل الإعلام الجديدة وتوقعات جماهيرها المتغيرة)، "فى الماضى، شعرت شركات الصحف باحتياج قليل إلى التجربة أو التغيير وصرف القليل أو لا شىء على البحث والتطوير" (الإيكونوميست، c2006، ص ٥٢).

بالفعل، كثيرا ما تعاملت الصحف التى لديها مواقع مع مواقعها كأنها انحراف عن أعمالها الأساسية من تصنيع وتوزيع الصحف، لذا توفر أفضل صحفييها ومحتواها للنسخ المطبوعة، وتآمر بعض مؤسسات الصحف المطبوعة ومؤسسات بث الأخبار الكبرى الصحفيين والمحررين العاملين بوقف نشر تقارير على مدوناتهم، بما فى ذلك قصص خبرتهم الشخصية من الحرب فى العراق والصراعات فى كردستان، وطالبت الصحف والشبكات التليفزيونية الإخبارية بأن يتوقف الصحفيون عن التدوين على أساس أن النشر "خارج مواعيد النشر الرسمية" إما سوف يعرض الشركات إلى دعاوى مسئولية قضائية أو "سوف يجذب الأنظار بعيدا" عن مضمونها التقليدى والمعلنين (بومان Bowman ويليس Willis, 2003)، ومع ذلك أدرك من يعملون فى وسائل الإعلام المطبوعة أهمية وجود شبكة الإنترنت باضطراد، ولاحظ إدوارد روسيل Edward

Roussel، مدير تحرير مجموعة تلجراف فى بريطانيا على الإنترنت أنه "قبل ذلك، استخدمت الصحف صحافييها من الدرجة الثانية والثالثة من أجل النشر على شبكة الإنترنت، ولكن الآن نعلم أن علينا استخدام أفضل عناصرنا" (الإيكونوميست، c2006، ص٥٣)، ويتفق نيكولاس ليمان Nicholas Lemann كاتب صحيفة النيويوركر: "كلما تحركت الصحافة باتجاه الإنترنت، يجب أن يحرك المشروع الرئيسى الصحفيين إلى هناك، وليس إبعادهم عنها" (ليمان Lemann, 2006، ص٤٩).

ويتوازى شعور قادة الصناعة بالأزمة مع القلق العميق بين الصحفيين العاملين أنفسهم، الذين يرون ممارساتهم المهنية الطبيعية بعناية وامتيازاتهم يهددها المد المتزايد من هواة الإنترنت والجمهور المرتاب، "مدارس الصحافة ومجموعات الخبراء، خاصة فى أمريكا، قلقون من تأثير انهيار السلطة الرابعة" (الإيكونوميست، b2006، ص ٩)، وقد أُطلق على الداخلين الجدد كل التسميات بدايةً من "البرابرة على البوابات" إلى "فرقة جراج" الهواة ("ماذا بعد؟"، ١٩٩٩). لكن المخاوف القائمة منذ فترة طويلة حول تقدير ومسئولية الصحفيين المحترفين، وتراجع ثقة الجمهور فى وسائل الإعلام الرئيسية عموما تركت أيضا أثرها وفقا لجورج بروك George Brock، محرر الشئون الدولية لصحيفة تايمز أوف لندن:

> **باعتبار أنهما يقصدان أن الصحافة فى مأزق كفكرة، هل هذا مهم؟ لا يمكن إدارة السلطة الرابعة، والحمد لله، أو إصلاحها أو حتى اعتبارها مهنة منظمة تنظيما متماسكا، لكن الصحفيين يمكن أن يفكروا بشكل أكثر وضوحا حول كيفية تحسين مستوى الثقة فى عملهم، القضية بالنسبة إلى مهنة تحتاج إلى إعادة صناعة بالكامل مرة أخرى (بروك Brock, 2008، ص٢٣).**

يحلل بابلو بوشكويسكى Pablo Boczkowski (2004) اعتماد الصحف على التكنولوجيات الرقمية والنشر على الإنترنت خلال العقود الثلاثة الماضية، وعلى الرغم من أنه يتجنب تفسيرات سببية بسيطة، فإنه يوجه العديد من نفس الاستنتاجات حول صناعة الأخبار والصحافة كما يفعل النقاد، واستنتج أن معظم الصحف ركزت على "حماية امتياز الطباعة، "راسمة حدودا تنظيمية وتشغيلية واضحة بين طبعات الطباعة

والإنترنت، وتفضيل المكاسب قصيرة الأجل بدلا من الاستثمارات طويلة الأجل فى مجال التكنولوجيا والابتكار، واستنسخت نموذج حارس البوابة التحريرى التقليدى ("نحن ننشر، وأنت تقرأ") فى طبعاتها على شبكة الإنترنت بدلا من تطوير نماذج جديدة "تهدف إلى تسهيل وإدارة المحتوى الذى يؤلفه المستخدم" (ص١٧٧)، واعتبار القراء مجرد مستهلكين غير متطورين تقنيا ولا منتجين معلومات ولا ماهرين تكنولوجيا.

سواء تشبثت المؤسسات الإخبارية بنماذجها وامتيازاتها التقليدية، أو كانت أكثر استعدادا لهذه التجربة، كما يقول بوشكويسكى Boczkowski فإن الطرق التى تنتج وتوزع بها الصحف المطبوعة الأخبار غيرت الثقافة المهنية والتنظيمية للصحافة تغييرا كبيرا فى العقود الأخيرة فى أعقاب تغير تكنولوجيات جمع الأخبار، والتحرير، والنشر، بيد أنه يلاحظ أيضا أن مفهوم التقارب (شيء من الكليشية بين محللى الصناعة وأكاديمى وسائل الإعلام الجديدة) يقدم مساعدة قليلة فى فهم التغيرات التى تعصف بصناعة الأخبار، ويميل تأطير التغيير من حيث التقارب إلى التركيز على المنتجات النهائية من التغيير وليس على العمليات التى تنتجها، والمبالغة فى التركيز على حداثة التقنيات الرقمية والتغيرات الاجتماعية المرتبطة بها، والتغاضى عن إعادة الدمج المستمر بين القديم والجديد، وبالتعريف، يحذف منظور التقارب أيضا الفروق القائمة بين أنظمة وأشكال وسائل الإعلام، وبالتالى يحجب الحدود الجديدة التى تتطور بين التقنيات والمؤسسات والممارسات مع مرور الوقت، ويشير بوشكويسكى Boczkowski أنه من المفيد أكثر التفكير فى التغييرات المرتبطة بوسائل الإعلام وتكنولوجيا المعلومات باعتبارها ناشئة وليست متقاربة، وكناتج لعملية مستمرة من إعادة التشكيل والتكوين لا تؤدى بالضرورة إلى حالة مستقرة أو نهائية تختلف تماما عما كانت عليه.

الصحافة التشاركية: تعريفات

إذن كيف نؤطر هذا الجديد، حالة طارئة على الصحافة والإعلام فى سياق الإنترنت ووسائل الإعلام الاجتماعية؟ كما تشير بعض الملاحظات السابقة إلى أنه قد تكون إحدى أهم السمات البارزة هى المشاركة المتزايدة من الهواة و "الناس العاديين"

– ماأسمّاه باحث وسائل الاعلام والصحفى جاى روزين Jay Rosen (2006) "الناس المعروفين سابقا باسم الجمهور" – فى إنتاج الأخبار والتعليقات على الإنترنت، يكتب هؤلاء المراسلون المبتدئون عن مجتمعاتهم المحلية، أو عن قضايا سياسية أو ثقافية أو اقتصادية تتجاهلها أو تهمشها الصحافة السائدة، ووفقا لباحث الصحافة روبرت هويسكا Robert Huesca فإنه "عادة ما يتم استبعادها أو تشويهها فى محطات الأخبار التليفزيونية المحلية: النساء والأقليات والشباب منخفضى الدخل – أى المجموعات السكانية التى يمنحها نمط حياتها فرصة محدودة فى الوصول إلى وسائل الإعلام والذين لا يريدهم المعلنون" (راجع http://en.wikipedia.org/wiki/Citizen_journalism) .

حتى الصحفيين المحترفين الذين لديهم تحفظات على زملائهم الأحدث يعترفون بأن الهواة يمكن أن يكونوا صحفيين أكفاء وجذابين، ويعترف جيه دى لازيكا J.D. Lasica كبير محررى أونلاين جورناليزم ريفيو Online Journalism Review إن "عندما تنجز مطبوعات صغيرة مستقلة على الإنترنت ومواقع إخبارية تعاونية لديها عاملون من الهواة تقارير أصلية حول شئون المجتمع، فإن قليلين قد يتسابقون على الانخراط فى الصحافة" (لازيكا Lasica, 2003)، اخترق المدونون وغيرهم من الصحفيين الهواة موضوعات مهمة بصراحة (مثل عمليات التطهير السياسى للمدعين العموم الأمريكيين التى نفذتها إدارة بوش، والمذكورة من خلال مذكرة نقاط الحديث Talking Points Memo [نايلز Niles, 2007])، مقدمين بذلك تقصى حقائق مهمة أهملتها المؤسسات الإخبارية السائدة (ومثل الجدولة المستقلة للوفيات والإصابات من خلال موقع إحصاء جثث العراق Iraq Body Count، وموقع تحالف العراق لإحصاء المصابين Iraq Coalition Casualty Count :http://www.iraqbodycount.org, http://www.icasualties.org)، أو أسهمت بتقارير إضافية غيرت من تأثير بعض الموضوعات تغييرا حاسما.

فى مقابلة مع مدونة أوبن بيزنس OpenBusiness، يبدو كينيث نيل كوكير Kenneth Neil Cukier محرر التكنولوجيا فى صحيفة الإيكونوميست متحمسا لصعود صحافة الهواة، وكما يقول، تساعد الإنترنت على تعزيز "الإصلاح" فى الصحافة مقارنةً

بتحدى كنيسة القرون الوسطى الذى واجهته الصحافة المطبوعة، كما تُمكِن الناس من المشاركة بشكل مباشر فى صنع وإعداد التقارير الإخبارية بشروطهم، كما يشبِّه كوكير Cukier أيضا "الصحفيين الهواة" فى العصر الحالى "بالسادة العلماء" فى القرن الثامن عشر، باعتبارهم مجموعة أخرى من الهواة المؤثرين الذين وضعوا أساس العلوم الحديثة (OpenBusiness, 2006).

إذا اتجهت المؤسسات الإخبارية التقليدية التى تواجه الاضطرابات المالية والتشغيلية إلى استعراض المتنافسين الجدد بالريبة أو الاستهتار المطلق، فإن هواة "فرقة الجراج" أنفسهم - وباضطراد الصحفيين المدربين الذين ينحيهم أو يسرحهم أصحاب الوسائل الإعلامية السائدة - يحققون تقدما بالمداخل الجديدة أو الارتجالية أو الهجينة لجمع الأخبار وإعداد التقارير، والتحرير، والنشر على الإنترنت، وحدود التحول والتوتر بين وسائل الإعلام السائدة ووسائل الإعلام على الإنترنت، وبين الصحافة المهنية وصحافة الهواة يشير إليه انتشار أسماء مختلفة لهذه الأنشطة ومجموعة من وجهات النظر حول ما يعتبر الصحافة "الحقيقية" على الإنترنت.

صحافة المواطن، على سبيل المثال، تم تعريفها باعتبارها: "أشخاصًا دون تدريب صحفى مهنى [يستخدمون] أدوات التكنولوجيا الحديثة والتوزيع العالمى للإنترنت لإنشاء وسيلة إعلامية، أو تعزيزها أو تقصى حقائق لها بمفردهم أو بالتعاون مع الآخرين" (جليزر Glazer, 2006)، صحافة المواطن "تسخر قوة الجمهور المسموح لهم بالمشاركة الحقيقية فى وسائل الإعلام للمرة الأولى"، ويمكن أن تتراوح المشاركة من التعليق العام على موضوعات منشورة إلى "صحافة ويكى" كاملة مع القراء كمحررين (أوتنج Outing, 2005)، ويقدم كريس أندرسون Chris Anderson (2006) محرر موقع وايرد Wired تصنيفا بسيطا لمشاريع صحافة المواطن "القائمة بالفعل"، بما فى ذلك الصفحات الشخصية، وإنديميديا، والمدونات، ويلاحظ أنه منذ ١١ سبتمبر أدى النمو الكبير فى التدوين إلى أن يصبح "مصطلحًا اختزاليًا لكثير من وسائل الإعلام الشعبية والعمل الصحفى الذى حدث، والقبول المضطرد للممارسة باعتبارها صحافة.

ويفضل مراقبون آخرون مصطلح صحافة المصدر المفتوح، الذى يُنسب ظهوره لأول مرة إلى موضوع كتبه أندرو ليونارد Andrew Leonard ونشر فى موقع صالون Salon فى عام ١٩٩٩، ويصف الموضوع كيف دعا جين Jane مراجع الاستخبارات قراء موقع أخبار التكنولوجيا سلاش دوت Slashdot إلى نقد وتصحيح الحقائق الفنية فى مقال حول الإرهاب على الإنترنت كان جين يستعد لنشره، وكانت الاستجابة سريعة وحاسمة: "قصص أعضاء سلاش دوت قصة جين إلى قطع صغيرة جدا"، وتم سحب الموضوع لاحقا (ليونارد Leonard, 1999)، وبمرور الوقت، تحول التركيز الأصلى على تقصى الحقائق المفتوح العام فى مشاريع الصحافة مفتوحة المصدر نحو الفهم الحالى المأخوذ من تطوير البرمجيات مفتوحة المصدر – أى كتابة الأخبار وتنقيحها ديناميكيا فى عملية مستمرة من مراجعة الزملاء، وهو "نوع جديد من الصحافة ... التى تمنح قيمة كبيرة ببساطة بالتركيز على الخبرة إلى حد كبير" (ليونارد، ١٩٩٩)، هذا التأطير للصحافة مفتوحة المصدر اعتبرته مدونة جاى روزن Jay Rosen برس ثينك PressThink أحد "أفضل عشر أفكار لعام ٢٠٠٤" (روزين Rosen, 2004)، (وسوف نعود إلى نظام الوسم Tagging المعاصر ومشاريع التصنيف التعاونى القائم على العامة folksonomic فى الفصل السابع.)

وتُستخدَم أيضًا مجموعة كبيرة من تسميات أخرى لوصف مجموعة متنوعة من أشكال الصحافة الإلكترونية الناشئة، ويذكر مارك جليزر Mark Glazer، فى مدونته ميديا شيفت MediaShift عن برنامج تليفزيونى فى الولايات المتحدة: إن مصطلحات الصحافة الشعبية، وصحافة المواطن، والصحافة مفتوحة المصدر، والصحافة الشبكية، وصحافة من أسفل إلى أعلى، والصحافة شديدة المحلية، والصحافة المدنية، وصحافة المشاركة غالبا ما تستخدم كمصطلحات متكافئة إلى حد ما، ولكن أيا كان تسميتها، فإن قيم وممارسات الصحافة فى جوهرها: ويقتبس جليزر Glazer (2006) قول الرئيس التنفيذى لموقع باز متريكس BuzzMetrics الذى يؤكد على: "لماذا لا نسمى الصحافة صحافة فقط ... وهى يمكن "ممارستها" بجميع أنواع الأساليب".

لأغراض المناقشة الحالية، فإن مصطلح أكثر عمومية، وهو الصحافة التشاركية، أكثر فائدة، ويشير إلى أن القراء والكُتاب والمحررين يشاركون تعاونيا فى عملية مستمرة من إنتاج الأخبار وتوزيعها عبر وسائل الاعلام على الإنترنت ووسائل الإعلام الاجتماعى، بل إنهم يتبادلون ويتداولون هذه الأدوار المختلفة فى هذه العملية، أحد "التعريفات المستخدمة" للصحافة التشاركية Participatory Journalism يعتبرها:

فعل مواطن أو مجموعة من المواطنين، فى لعب دور فاعل فى عملية جمع وإعداد التقارير وتحليل ونشر الأخبار والمعلومات، والغرض من هذه المشاركة هو توفير المعلومات المستقلة الموثوقة الدقيقة واسعة النطاق الملائمة التى تتطلبها الديمقراطية.

الصحافة التشاركية هى ظاهرة ناشئة من أسفل إلى أعلى، وفيها القليل من – أو تنعدم فيها – الرقابة التحريرية أو تدفق العمل الصحفى الرسمى الذى يملى بقرارات من الموظفين، لكنها بدلا من ذلك نتيجة عدة حوارات متزامنة ومنشورة إما ازدهرت أو ضمرت سريعا على شبكة الويب الاجتماعية (بومان Bowman، ويليس Willis, 2003، ص٩).

ويذكر ديفيد ريف David Ryfe ودونيكا مينسينج Donica Mensing (2008): إنه للوهلة الأولى يبدو أن الصحفيين التشاركيين يتبنون نفس القيم ويهدفون مثل الصحفيين المهنيين فى وسائل الإعلام السائدة، إلى إعلام المواطنين على سبيل المثال من خلال "توفير المعلومات غير المنحازة، وغير الحزبية والواضحة إلى أقصى حد ممكن"(ص١٢)، وبناء على تحليل خطاب لمحتوى الموقع ومقابلات مع الصحفيين المشاركين فى واحد وعشرين موقعا، وجد الكاتبين أن الصحفيين المشاركين

يشعرون أنهم مجبرون على ممارسة الصحافة ليس لأنهم يرون روح الصحافة المهنية غير مشروعة، أو لأنهم يرغبون فى ابتكار شكل صحافة جديد، بل لأنهم مجبرون على فعل الصحافة لأنهم يعتقدون أن الصحفيين المهنيين لا يقومون بوظائفهم ... فغالبا ما يركز الصحفيون التقليديون على المواضيع الخاطئة أو يكونون متحيزين جدا، وهو ما يجعل من الصعب على المواطنين تكوين أحكام عامة. (ص١٤، ١٥)

ومع ذلك وجد ريف Ryfe ومينسينج Mensing أيضا: أن الصحفيين المشاركين يختلفون عن الصحفيين التقليديين فى أحد الجوانب الحاسمة؛ إصرارهم على أن الصحافة يجب أن تعزز تفاعل ومشاركة القراء، والصحفيين والمحررين، وبالطبع المجتمع بأسره، "لا يصبح المواطن مطلعا من خلال استهلاك المعلومات، بل من خلال التفاعل مع الآخرين حول المعلومات، إنها عملية من التأثير المتبادل بين بعضهم بعضاً - التفاعل - تخلق حالة من الاطلاع" (ص١٧)، ومن منظور تشاركى، فإن الخبر أقل من مسألة محتوى يصنعه خبراء مهنيون ويسلمونه إلى المستهلكين عن كونه نتيجة جولات مستمرة من النشر، والنشر المضاد، والتعليق، والنقاش، وهى عملية تيسرت إلى حد كبير بسبب انتشار تكنولوجيات وسائل الإعلام الجديدة والاعتماد عليها.

ويزعم ريف Ryfe ومينسينج Mensing أن هذا التحول فى التركيز من الأفضل فهمه بإلقاء نظرة تاريخية أطول على أهداف الصحافة على مر الزمن، وقد تبنى معظم الصحفيين المهنيين والمؤسسات الإخبارية السائدة نموذج صحافة حداثيًا تقدميًا "معلوماتيًا" يعود تاريخيا إلى أوائل القرن العشرين، ويعتبر جمع ونقل الحقائق المؤكدة الموضوعية الصادقة إلى الجمهور العام أفضل وسيلة لخلق مواطنين "مطلعين" محكومين ذاتيا بديمقراطية، وكثيرا ما يزعم الصحفيون المهنيون والمربون أن هذا النموذج كان دائما أساس الممارسة الصحفية الجيدة.

ومع ذلك، فإن الكتاب لا يوافقون، ويوضحون أن أهداف الصحافة تغيرت تغيرا كبيرا طوال التاريخ الأمريكى، لتصبح مجرد "صحافة معلومات" فى القرن العشرين، ويذكرون النقاش الذى دار بين والتر ليبمان Walter Lippmann وجون ديوى John Dewey فى عشرينيات القرن الماضى، الذى أكد فيه ليبمان على أن فى المجتمع الحديث المعقد، يحتاج العامة إلى الخبراء والصحفيين المهنيين لتأطير القضايا لهم وتوجيههم إلى اتخاذ القرار، ووافق ديوى على أن المعرفة ظاهرة اجتماعية، تنشأ من تفاعلات الناس مع بعضهم بعضاً ومع المؤسسات القوية، وليس من فهم حقائق معينة، "وكما هو معروف، [فاز] ليبمان فى هذا النقاش، وإن كنا نعنى بالفوز أن صحافة القرن العشرين المهنية انحازت بنفسها إلى وجهات نظره أكثر من إلى وجهة نظر ديوى" (ريف Ryfe، مينسينج Mensing, 2008، ص١٩)، وكما يقول المؤلفان: قد تخضع الصحافة لتصحيح

فلسفى بعيدا عن وجهة نظر ليبمان ونحو وجهة نظر ديوى، أى بعيدا عن "الصحافة كناقل للمعلومات" ونحو "الصحافة كمشاركة"، مع إمكانية التحول من الصحافة كممارسة ومن الصحافة كمؤسسة.

الصحافة التشاركية: الانتقادات

يظل سؤال ما إذا كانت الصحافة التشاركية تمثل فى الواقع تغييرا مهما للصحافة والإعلام مفتوحا للجدال، ويحذر نقاد الأشكال الجديدة من الصحافة على الإنترنت من أن انخفاض السلطة المؤسسية للسلطة الرابعة ستكون له عواقب بعيدة المدى ومدمرة للديمقراطية نفسها، ويؤكدون على أن الصحافة التقليدية لا يزال لديها دورا لا غنى عنه باعتبارها حارس البوابة الرئيسى، وواضع الأجندة، والوسيط بين الناس وحكوماتهم ومؤسسات السلطة الأخرى، وأن هذا الدور يختلف عن الذى يضطلع به "الجمهور" التقليدى، ويشير جيه دى لازيكا J.D. Lasica (2003) إلى أن الصحافة التشاركية يفترض أن تكون عملية

> **تعمل فيها المؤسسات الإخبارية مع جمهورها ليكون لديها ذلك "الحوار" وهو الخبر ... لكن الحوار ليس صراخ ألف شخص فى الوقت نفسه، إنما يجب أن يكون الحوار الجيد فى اتجاهين، وبين عدد قليل من الناس، وإذا سُمِح للمشاهدين إضافة أى شىء يريدونه على لوحة الرسائل التى استضافها، فإن هذه دعوة إلى جميع أنواع المخاطر، وليس أقلها دعوى التشهير.**

ويعدد مايك جودين Mike Godwin(1999) أربعة اعتراضات نمطية من المهنة:

> **كيف يمكن أن يكونوا صحفيين إذا لم يكونوا محررين؟ سيكون من الصعب قول الحقيقة من الخيال والشائعات، وبمجرد أن يصبح ممكنا لأى شخص كتابة ونشر شىء ما له مظهر الصحافة "الحقيقية"، فإنه من المرجح أن ينخدع العامة بالاحتيالات والمزيفين ... ألن يكون هناك تأثير قانون جريشام الذى فيه أى صحافة سيئة، وزائفة تطرد الصادقة**

الجيدة؟ وهؤلاء الشباب الصغار لن يكونوا قادرين على فعل ما يفعله الكبار، ولن يكون الموقع المعتمد على صحفى واحد لديه الموارد اللازمة لعمل الموضوعات المهمة ... وماذا عن الإنصاف والدقة؟ ماذا يحدث عندما يكون هناك تدفق مفاجئ فى الصحفيين الهواة الذين لم يحصلوا على هذا النوع من التدريب المهنى الأخلاقى الذى حصل عليه أولئك الذين جاءوا من المؤسسات الإعلامية التقليدية؟ (جودوين Godwin, 1999، ص ٣٩-٤١، التشديد مضاف).

ويجيب: إن درجة الصحافة الأكاديمية والتدريب المهنى فى المؤسسات الإخبارية السائدة ليست المسارات الوحيدة لتحقيق الكفاءة الصحفية، وإن دورة ردود الفعل والانتقادات الفورية على الإنترنت يمكن أن تكون بنفس فاعلية وسيلة تعزيز الجودة مثل حراسة البوابة المؤسسية التحريرية التى تحمى معظم الصحفيين الممثلين للاتجاه السائد من كثير من الاتصال المباشر مع الجمهور، وكما يقول: فإن فكرة أن المؤسسات السائدة فقط يمكن أن تنتج صحافة جيدة، أو تتعامل مع الموضوعات "المهمة" المركزية بالنسبة إلى الديمقراطية هى فكرة متغطرسة، ويرفض افتراض أن الجمهور بشكل عام "مستهلك أخبار جاهل، وغير مفكر، وغير ناقد" (جودوين Godwin, 1999، ص٤٠)، فى حين أن المؤسسات الإخبارية الكبرى - "ثقيلة الوزن" - التى لديها بالتأكيد الموارد والثقل المؤسسى كى تتحمل المخاطر الصحفية وتقاوم الترهيب، والجمود المؤسسى والمصالح يمكنها أيضا أن تثبط "روح المبادرة الصحفية" وتهمل الموضوعات المعقدة والمركزة وطويلة الأمد التى تتطلب اهتماماً وتطويراً مستمرين، لذا يستطيع الصحفيون ممثلو الاتجاه السائد من خلال تبنى الهواة الجدد والتعاون معهم توفير التوجيه الأخلاقى لرفع المعايير الصحفية عبر أشكال وأسواق ووسائل الإعلام.

ويلخص ناقد آخر، فنسنت ماهر Vincent Maher (2005)، اعتراضاته على جهود الهواة فيما يسميه "الثلاث نقاط القاتلة": الأخلاقيات، والاقتصاد، ونظرية المعرفة، من حيث الأخلاق، يقول ماهر: إن الصحفيين المهنيين تحكمهم قواعد ومعايير مؤسسية

وتدريب مهنى، ومساءلة أمام أصحاب العمل، بينما المواطنون الصحفيون فى المقابل، "متعلمون ذاتيا" ولا يحكمهم إلا "المصلحة الذاتية الفردية غير المصقولة والخوف من التقاضى، " وذاتيتهم الخاصة، وتعليق القراء.

وبشأن الاقتصاد، يدعى ماهر: أنه فى مؤسسات الأخبار التقليدية، الصحفيون المهنيون محميون من مطالب وأولويات المعلنين الاقتصادية (ويُسمى تقليديا "الحاجز" بين الإعلان والمحتوى التحريرى)، بالإضافة إلى ذلك، الإعلان فى وسائل الإعلام التقليدية غير سياقى، أى لا علاقة له بالمحتوى التحريرى الظاهر معه، ويؤدى هذان العاملان إلى عزل الصحفيين عن التأثير الاقتصادى غير اللائق على حكمهم على الأخبار والتغطية الإخبارية، فى المقابل، فإن القرارات التحريرية للمواطنين الصحفيين متأثرة بشكل مباشر "بما يبيع"، والإعلان على مواقعهم سياقى، أى يرتبط ارتباطا وثيقا بالمحتوى المقدم.

وأخيرا، فيما يتعلق بنظرية المعرفة، يقول ماهر: "مجال المدونات ... فى حالة من الفوضى"، ويؤكد إنه بينما الصحافة التقليدية و"وسائل الإعلام القديمة" هى أدوات من أجل "تأمل وبلورة الحقائق، فإن "صحافة المواطن هى مجرد" أداة للنشاط ومنافسة الحقائق"، أى إن وسائل الإعلام التقليدية تنتج معرفة "حقيقية"، بينما المشاريع على الإنترنت، المعتمدة على إنتاج نظير التشارك لا يمكنها عمل أى من هذه الادعاءات المعرفية الموثوقة: "عملية نشر موضوع هى محاولة متمركزة ومحكومة لخلق قطعة من المعرفة باعتبارها شيئًا تامًا وقائمًا بذاته للآخرين كى يتفاعلوا معه" (ماهر Maher, 2005، التشديد مضاف).

بالتأكيد، يشير النقاد إلى مسائل حاسمة حول مصداقية وموثوقية واتساق أشكال جديدة من الصحافة، والدور الذى قد تلعبه فى الديمقراطية، مسألة التحرير على وجه الخصوص، التى كثيرا ما استشهد بأنه يمكن إضافتها "كنقطة رابعة قاتلة"، يشعر بالقلق كلا من المعارضين والمدافعين عن الأشكال الجديدة من الصحافة على الإنترنت، لأنه لا يمكن لأى قدر من النشر، والتحديث، والتعليق، وفحص الحقائق، والشرح

التشاركى أن يكون بديلا عن عيون وحكم المحررين ذوى الخبرة الذين يمكنهم اكتشاف المشاكل أو التناقضات فى الموضوعات التى قد يغفل عنها الكتاب، أو الذين يمكنهم المساعدة فى جعل موضوع مناسب فى سياق مجتمع معين أو نسق أكبر من الأحداث، كما يقول وليام دوتون (2009) William Dutton إنه حتى أبسط قوائم البريد الإلكترونى، أو غرف الدردشة، أو المدونات تتطلب منسقين، حتى لو لمجرد فرز "ضجيج" البريد المزعج المتواصل، عن نشر الموضوعات، والمساهمات" الأخرى التى يمكن أن تقلل بسرعة من قيمة موقع قيم مختلف إلى خليط محبط وغير منظم، لذا فإن التحرير، من هذا المنظور، يفصل الصحافة عن الثرثرة والشائعات الشائعة.

وخلاصة القول؛ إن الصحافة التشاركية، مثل أى ممارسة ناشئة، لديها نقاط قوتها وضعفها، لوضع هذه العوامل المختلفة فى منظورها الصحيح، سوف ننتقل إلى مثال إنديميديا Indymedia، أحد أقدم وأنجح أشكال الصحافة التشاركية على الإنترنت.

كن أنت وسيلة الإعلام: العقد الأول لإنديميديا

مركز الإعلام المستقل، أو إنديميديا، هى حركة تتمتع بالتميز لكونها إحدى أكثر الحالات موضوعا للدراسة فى الأدبيات البحثية حول نشاط وسائل الإعلام الجديدة [٢٥]، وتم الاحتفاء بها باعتبارها "نموذجا مؤسسيا للنشاط المعاصر المعتمد على الإنترنت" (بيكارد Pickard, 2006b، ص٢١٧)، و"أكثر إعداد متكامل على الإنترنت من ظروف وعمليات المشاريع الإعلامية الراديكالية"(أتون Atton, 2003، ص٩)، وبأنها "فى طليعة خلق مجالات عامة افتراضية جديدة متعددة الأوجه، ولا مركزية تنهض بالخطابات الديمقراطية ومشاريع العدالة العالمية" (موريس Morris, 2004، ص٣٤٨)، كما إنها لم تكن فقط من بين مشاريع الصحافة على الإنترنت الأكثر نموا (انظر الشكل ١-٥)، بل إنها أحد أكثر الأشكال الناشطة سياسيا، الملتزمة بالفلسفة السياسية الليبرالية

اليسارية (راديكالية فى الحقيقة) الصارمة التى تشكل تغطيتها ومحتواها، فضلا عن أساليبها فى إنتاج وتوزيع الأخبار.

بالنسبة إلى العديد من المراقبين، يعتبر الابتكار الذى يضع إنديميديا بعيدا عن غيرها من مشاريع الصحافة الشعبية - والعنصر المحورى فى "نموذج أخبار إنديميديا" (بلاتون Platon، دييز Deuze, 2003) هو منصة النشر المفتوح المُتضمنَة فى صلب كل موقع مركز إعلام مستقل، ويسمح النشر المفتوح لأى شخص متصل بالإنترنت نشر تقارير أو صور أو صوت وفيديو على أى موقع إنديميديا دون إذن مسبق من المحررين، ولدى كل مركز إعلام مستقلة فرق وسياسات تحريرية، ولكن تقتصر أنشطتها على اختيار عناصر لإبرازها على صفحات وكالة أنباء مركز الإعلام المستقل الرئيسية، وتنظيم العناصر التى لا تتناسب مع مبادئ الإدراج الإرشادية فى الموقع، مثل: الإعلانات، والموضوعات التى تتسم بالتمييز، أو عدم الدقة، أو التشهير، والهجمات الشخصية وإعادة النشر من مصادر أخرى، والموضوعات غير الإخبارية ("تعليق بحث، أو رأى، أو أحاديث صاخبة")، وغيرها[٢٦]، وباستثناءات قليلة جدا (كما فى حالة المواد الإباحية) لا تتم إزالة أى مشاركات فى الواقع من مواقع انديميديا، حتى لو كانت تنتهك المبادئ الإرشادية؛ إنما تُحال هذه العناصر إلى صفحات "مخفية" عن مشاهدات الصفحة الروتينية ولكن يظل الوصول إليها ممكنا، فمن حيث المبدأ، وكالة أنباء إنديميديا مفتوحة أمام أى مساهمات تتناسب مع مبادئها الإرشادية ورسالة إنديميديا الأوسع، والمذكورة على صفحة إنديميديا الرئيسة indymedia.org، هى خلق "حكى راديكالى ودقيق وعاطفى للحقيقة"، وفى الممارسة العملية، تتخذ مساهمات إنديميديا وجهة نظر سياسية يسارية راديكالية، ومضادة للعولمة، ومناهضة للرأسمالية على وجه الحصر تقريبا.

أُطلق أول مركز إعلام مستقل فى سياتل، واشنطن، فى أواخر عام ١٩٩٩، قبيل انعقاد اجتماع منظمة التجارة العالمية فى نوفمبر من ذلك العام، وكانت منظمات عديدة لديها أهداف واسعة النطاق من العدالة التقدمية الليبرالية الاجتماعية - أو العالمية -

قد خططت للاحتجاجات والمظاهرات ردا على الاجتماع، وأراد نشطاء وسائل الإعلام المحلية إنتاج خدمة إخبارية مصاحبة إلى التغطية السائدة فى معظم مؤتمرات القمة العالمية: المعاملة بطريقة المشاهير المبجلة للقادة الوطنيين، والقبول غير المشروط لمنظمة التجارة العالمية وأهدافها، وتهميش اعتراضات المحتجين، كانوا يأملون فى تقديم رأى "الداخل" أو "الشارع" فى الاجتماعات والاحتجاجات إلى الجمهور العالمى، وتغطية الأحداث المتصلة باجتماعات القمة (مثل المؤتمرات الصحفية أو حلقات النقاش، أو النقاشات) التى عادةً ما تتجاهلها الصحافة السائدة، كما أنهم أدركوا أنه بوجودهم على الإنترنت سيتحرروا من دورة الأخبار المعتادة فى وسائل الإعلام الجماهيرية من المواعيد النهائية لتسليم المواد الإخبارية ونشرها، وبدلا من ذلك يمكنهم توفير تغطية حية مستمرة لأى شخص لديه اتصال بشبكة الإنترنت، وقبيل الحدث بعدة أشهر شرعوا فى تنظيم "غرفة أخبار متعددة الوسائط للناس" بديلة كقاعدة للعمليات (كيد Kidd, 2003؛ موريس Morris, 2004؛ باتون Paton, 1999).

وتبرع النشطاء من السكان المحليين بمساحة لمركز إعلام سياتل المستقل، وتبرعت جماعة ممن يسمون أنفسهم قراصنة و"مهووسى تكنولوجيا" من العاملين المحليين فى صناعة التكنولوجيا الفائقة بالمعدات، والخبرات، والدعم الفنى، وكان كثير منهم لديه خبرة فى حركة البرمجيات الحرة وتطوير البرمجيات مفتوحة المصدر(راجع الفصل الرابع)، كما ساهم روب جلاسر Rob Glaser، أحد مشاهير المدينة "مليونيرات مايكروسوفت" والرئيس التنفيذى لشركة ريل نيتوركس Real Networks، فى تكنولوجيا بث الوسائط المتعددة والدعم المالى من خلال مؤسسته (باتون Paton, 1999)، وأنشأ المبرمجون المتطوعون موقع مركز الإعلام المستقل الأولى على شبكة الإنترنت، دامجين منصة النشر المفتوح للوسائط المتعددة التى أنشأها مبرمجون ناشطون فى سيدنى، بأستراليا، فى وقت سابق من ذلك الصيف.

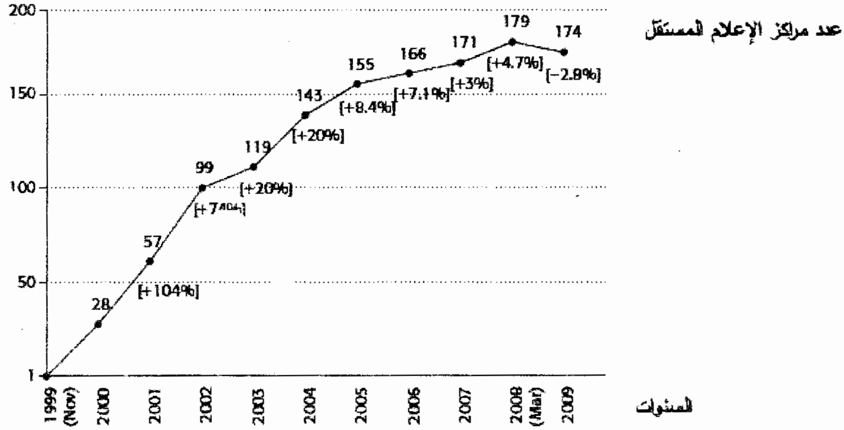
عندما دخلوا على الإنترنت فى نوفمبر، فاق النظام توقعات المنظمين، وسجل رسميا ما بين ٣٠٠ و٤٠٠ ناشط ومراسل فى موقع مركز الإعلام المستقل المحلى وفى الموقع على شبكة الإنترنت، مع إمكانية الوصول إلى أجنحة تحرير الفيديو والصوت

المتطورة فى المركز، وتمكن موظفو الدعم الفنى فى سياتل، بمساعدة تقنيين عن بعد من سيدنى بأستراليا من الحفاظ على الموقع عاملا، ومُطوَرا وسليما بعدما ازداد عدد زوار الموقع (تراوحت التقديرات لاحقا من مليون إلى أكثر من مليونى زيارة أو مشاهدة للصفحة خلال نشاط الاجتماعات والاحتجاجات)، ونقلت صحيفة كريستيان ساينس مونيتور عن منظم محلى قوله: "من وجهة نظر كل هذه وسائل الإعلام المستقلة لم يكن بإمكان منظمة التجارة العالمية اختيار مكانا أسوأ لعقد اجتماعها... أعنى أنها سياتل - لدينا جميع التقنيين الذين تريدهم وكل هذه الشركات متخصصة فى كل ما يحتاجونه لبث هذه الموضوعات فى جميع أنحاء العالم، من الأفضل أن منظمة التجارة العالمية جاءت إلى هنا. من الأفضل" (باتون Paton, 1999).

تباينت المتابعة التقريرية على موقع مركز الإعلام المستقل، وخاصة تقارير الفيديو والصوت المحدثة باستمرار تباينا كبيرا عن تغطية وسائل الإعلام السائدة من التليفزيون والصحف المطبوعة، ورغم خفض "المعركة فى سياتل" بسرعة إلى أكثر قليلا من قتال شوارع عنيف ما بين حشد من الفوضويين وشرطة مكافحة الشغب المحاصرة، فإن العديد من المنظمات الإخبارية الرئيسية، بما فى ذلك CNN، اختارت مواد من موقع مركز الإعلام المستقل وقدمت وصلات لتغطيتها.

كانت إنديميديا فى طريقها، واصطفت جماعات من النشطاء فى مدن أخرى كى يبدأوا مراكزهم الخاصة، وفقا لنموذج سياتل، وكانت مراكز الإعلام المستقل فى كثير من الأحيان متزامنة مع الاحتجاجات السياسية والاقتصادية المعروفة، وصممت تكنولوجيا موقع مركز الإعلام المستقل حول منصة برمجيات مفتوحة المصدر، واستطاع عاملو إنديميديا "المحليون" و"مهوسو التكنولوجيا" المحليون تصدير نظام النشر المفتوح، وتفسير المبرمجين الصارم "لأخلاقيات البرمجيات المجانية بسهولة وتكييفها، وخلال أقل من عام، كان هناك ٢٨ مركز إعلام مستقل يعملون كشبكة مندمجة بحرية، وبحلول منتصف عام ٢٠٠١ ارتفع العدد إلى ما يقرب من ٦٠ مركزا، وبحلول منتصف عام ٢٠٠٢ بعد هجمات ١١ سبتمبر الإرهابية توسعت الشبكة إلى ما يقرب من ١٠٠ موقع، منهما ما يقرب من ٦٠ موقعا موجودة وعاملة من خارج الولايات المتحدة (انظر الشكل ١-٥).

كان هذا المسار المذهل مجالا من أجل خلق ضغوط وتوترات داخل الشبكة، وخصوصا نظرا إلى "المساواة الراديكالية" بين الأعضاء والالتزام الصارم بعمليات أخذ القرار بإجماع الآراء (بيكارد Pickard، 2006b)، وبينما مالت وسائل الإعلام الراديكالية فى حقبة سابقة إلى الاعتماد على التنظيم الهرمى وقيادة "الطليعة" من المفكرين والناشطين من أجل صياغة القضايا والرسائل لصالح عامة الشعب، ووضع أولويات العمل؛ فإن أشكال التنظيم الشبكية الجديدة "بلا قيادة" التى تدعمها البنية التحتية لوسائل الإعلام الجديدة، جعلت من مثل هذه الأشكال التنظيمية الهرمية غير ضرورية (بينيت Bennett, 2003)، وكانت مراكز الإعلام المستقل مستقلة بشدة، ومصرة على ألا تكون لأى مركز إعلام مستقل أولوية على المراكز الأخرى، إلا أنها كانت فى حاجة إلى نوع من المعالجة تسمح لها بتبادل المعلومات والموارد، وإدارة فيض التقارير الإخبارية ومقالات الرأى متعددة اللغات على مواقع إنديميديا، وتنسيق أنشطة التعبئة والنشاط المتناثرة عالميا.



يوضح شكل (٥-١) عدد ونسبة التغير السنوى فى مراكز الإعلام المستقل فى جميع أنحاء العالم، خلال الفترة ١٩٩٩-٢٠٠٩، مصادر: http://www.indymedia.org، بيانات تاريخية تم الوصول إليها عن طريق آلة وايباك Wayback، http://www.archive.org . جميع التقديرات فى يوليو باستثناء ما هو مبين.

وهكذا كانت نقطة التحول التالية فى قصة إنديميديا نوعا من "الوقت المستقطع" الجماعى الذى سمح لأعضاء الشبكة بصياغة المبادئ الأساسية وسياسات التشغيل، فقط بعد عام من احتجاجات منظمة التجارة العالمية، دعا تقنيو الشبكة إلى تعليق نشاط مؤقت عن إضافة مراكز إعلام مستقل جديدة، كى يتم التعامل مع طوفان طلبات المساعدة فى إنشاء مواقع جديدة (موريس Morris, 2004)، وشعر التقنيون أن قبول مراكز إعلام مستقل جديدة ينبغى أن يتم تحديده من خلال عملية أكثر تشاورية وانفتاحا تحكمها مبادئ موحدة، وليس على حسب الظروف، ومن يأت أولا يُخدم أولا التى يعمل بها الفريق الفنى كمراقبين فعليين.

وفى الوقت نفسه، صاغ نشطاء الشبكة معايير العضوية الأساسية لمراكز الإعلام المستقل الجديدة فى أوائل عام ٢٠٠١، فضلا عن مبادئ الاتحاد، وهى ملخص القيم الأساسية للحركة فى عشر نقاط (انظر الإطار أدناه)، واقترح المبادئ وناقشها ما يقرب من سبعين عضوا من جميع أنحاء العالم فى أبريل ٢٠٠١، فى اجتماع عُقِد بالتزامن مع مؤتمر مشروع الرقابة فى سان فرانسيسكو، وتم تعميم مشروع الوثيقة بعد ذلك على جميع مراكز الإعلام المستقل المحلية لطلب ملاحظاتهم.

وتسمى وثيقة مبادئ الاتحاد "الصمغ الذى يحدد شبكة مراكز الإعلام المستقل"، ويتطلب القبول فى الشبكة الآن من مركز الإعلام المستقل الجديد إقرار المبادئ، ومع ذلك، فإن عملية صياغة واعتماد المبادئ استشهد بها بعض المحللين كمثال على قيود الحكم بالإجماع الصارم فى مثل هذه المنظمة الشبكية الكونفدرالية الفضفاضة (على سبيل المثال، موريس Morris, 2004؛ بيكارد Pickard، 2006a، 2006b, 2008)، وتستمر مراكز الإعلام المستقل فى مناقشة العناصر الرئيسية للمبادئ، وما زالت لم تُعتمَد الوثيقة رسميا بشكل نهائى على نطاق الشبكة بالكامل، وفى الواقع تم استثناء ما يقرب من ٣٠-٤٠ "مركز إعلام مستقلاً مشروعًا" (تلك المنشأة قبل صياغة المبادئ) فى المقام الأول من الحاجة إلى التصديق على المبادئ على الإطلاق، وإن كان العديد من تلك التجمعات قد فعل ذلك من قبل (بيكارد Pickard، 2006b).

مبادئ اتحاد إنديميديا

(المصدر: http://docs.indymedia.org/Global/PrinciplesOfUnity)

هذه الوثيقة جار العمل فيها وهى محاولة لتحديد المبادئ الأساسية التى نؤيدها جميعا، على هذا النحو، برجاء خذ وقتك فى قراءتها ومناقشتها أثناء لقائك المحلى، وجميع البنود الواردة بين قوسين هى جزء من مبادئ الاتحاد ولكن تم تحديدها خصيصا كاحتياج لمزيد من التحديد، والتوضيح و"الكتابة"، لذا فضلا لا تتردد فى الاتصال بالفريق العامل فى حالة لديك أى استفسار، ونرحب بمداخلتك ونتطلع إليها.

١ – تعتمد شبكة مركز الإعلام المستقل على مبادئ المساواة واللا مركزية والحكم الذاتى المحلى، والشبكة غير مستمدة من عملية بيروقراطية مركزية، ولكن من التنظيم الذاتى للتعاونيات المستقلة التى تدرك أهمية تطوير اتحاد الشبكات.

٢ – تعد جميع مراكز الإعلام المستقل تبادل المعلومات الحر، وحرية الوصول إلى المعلومات شرطا أساسيا لبناء مجتمع أكثر حرية وعدلا.

٣ – جميع مراكز الإعلام المستقل تحترم حق النشطاء الذين يختارون ألا يتم تصويرهم فوتوغرافيا أو فيديو.

٤ – جميع مراكز الإعلام المستقل، المبنية على ثقة المساهمين والقراء، عليها الاستفادة من النشر المفتوح على شبكة الإنترنت، مما يسمح للأفراد والجماعات والمنظمات بالتعبير عن آرائهم، دون اسم إذا أرادوا.

** انظر التذييل: وثيقة منشورة مفتوحة لا تزال فى مرحلة الاقتراح، فى هذا العنوان:

http://lists.indymedia.org/mailman/public/imc-communication/2001- April/001707.html

http://lists.indymedia.org/mailman/public/imc-communication/2001- April/000874.html

٥ – يجب ألا تكون شبكة مركز الإعلام المستقل وكل تجمعات مركز الإعلام المستقل المحلية بهدف الربح.

٦- تدرك جميع مراكز الإعلام المستقل أهمية عملية التغيير الاجتماعى وملتزمة بتطوير علاقات من العلاقات الشخصية وحتى ديناميات الجماعة غير هرمية وضد السلطوية؛ لذا يجب عليهم تنظيم أنفسهم بشكل جماعى والالتزام بمبدأ صناعة القرار بالتوافق وتطوير عملية ديمقراطية مباشرة وتشاركية تتسم بالشفافية لعضويتها.

٧ - تدرك جميع مراكز الإعلام المستقل أن هناك شرطًا أساسيًا للمشاركة فى عملية صناعة القرار فى كل مجموعة محلية هى مساهمة عمل الفرد فى المجموعة.

٨ - جميع مراكز الإعلام المستقل ملتزمة برعاية بعضًا البعض وبالأخص مجتمعاتنا سواء جماعيا أو كأفراد، وسوف تعزز تشارك الموارد بما فى ذلك المعارف والمهارات والمعدات.

٩ - تلتزم كل مراكز الإعلام المستقل باستخدام التعليمات البرمجية مجانية المصدر كلما أمكن ذلك، من أجل تطوير البنية التحتية الرقمية، وزيادة استقلالية الشبكة من خلال عدم الاعتماد على البرمجيات الاحتكارية.

١٠ - تلتزم جميع مراكز الإعلام المستقل بمبدأ المساواة بين البشر، ويجب ألا تنطوى على أى تمييز، بما فى ذلك التمييز على أساس العرق أو الجنس أو السن أو الطبقة الاجتماعية أو التوجه الجنسى، والاعتراف بالتقاليد الثقافية الواسعة داخل الشبكة، ونحن ملتزمون ببناء التنوع داخل محلياتنا.

أثر تعليق النشاط ونقاشات السياسة بالكاد على توسع شبكة إنديميديا، ومع ذلك واصلت النمو بمعدلات ثنائية الرقم خلال منتصف العقد، لكن النمو المستمر فاقم أيضا من مشاكل الشبكة المستمرة مع الموارد والاستدامة، وخاصة الاعتماد الكلى تقريبا على المتطوعين من العاملين والمساهمين (الملتزمين بحماس فورا، لكنهم يميلون إلى الإنهاك وترك العمل بمعدلات مرتفعة) وعدم وجود مصادر تمويل يمكن الاعتماد عليها، وكانت هذه المشاكل محور جدل التمويل فى أواخر عام ٢٠٠٢.

منذ إنشاء الشبكة، وأعضاء مراكز الإعلام المستقل مسئولون عن الحصول على دعمهم محليا، إلا أنه من المتوقع من أعضاء التجمعات أيضًا المساهمة بجزء صغير من

تمويلهم فى دعم مظلة المنظمة والموقع، ولتسهيل جهودهم فى جمع التبرعات، كان مركز الإعلام المستقل فى مدينة أوربانا - شامبين (بولاية إلينوى الأمريكية) أعيد تنظيمه كمنظمة غير ربحية بموجب قانون الضرائب فى الولايات المتحدة، وطبقوه بنجاح على منحة من مؤسسة فورد قدرها ٥٠ ألف دولار موجهة إلى دعم مؤتمر دولى لكل شبكة مراكز الإعلام المستقل، متضمنة منح السفر حتى يمكن أن يحضر مندوبون من مراكز الإعلام المستقل من جميع أنحاء العالم.

إلا أنه قبل الحصول على المنحة، أثار فريق صغير من التجمعات وعلى رأسه مركز الإعلام المستقل بالأرجنتين اعتراضات بسبب إرث مؤسسة فورد من الأنشطة الاقتصادية والسياسية المثيرة للجدل فى العالم النامى، ورأى البعض أن قبول أموال من مؤسسة لديها علاقات تاريخية بشركات رأس المال هو الخطوة الأولى على الطريق نحو مؤسسة تخون مبادئ سياسية جذرية فى إنديميديا، وعلى الرغم من أن المال حصل عليه مركز الإعلام المستقل بإلينوى، فإن عملية الإجماع أملت أوامرها بإن إذا لم توافق جميع مراكز الإعلام المستقل على أن مركز الإعلام المستقل بإلينوى يمكنه قبول المنحة، فعليه أن يرفضها، وفى نهاية المطاف رفض مركز الإعلام المستقل بإلينوى المنحة.

وهكذا، كانت قلة من مراكز الإعلام المستقل قادرة على منع تمويل، وقد تكون ساعدت فى بناء تضامن الحركة وفعاليتها كمنظمة إعلامية بديلة، كانت استدامة شبكة مراكز الإعلام المستقل، والتوازن بين تأمين الموارد اللازمة لتشغيل المبادئ الديمقراطية الراديكالية للشبكة والحفاظ عليها محل اهتمام العديد من المشاركين فى إنديميديا منذ الأيام الأولى، وكما عبَّر عنها مساهم فى قائمة البريد الإلكترونى الخاصة بمعالجة مركز الإعلام المستقل في أواخر عام ٢٠٠٠ "علينا أن نأخذ فى الاعتبار ما يحدث عندما تتحول منظمة تدار تطوعيا إلى مهنية، فقط ألقوا نظرة على منظمة NPR أو باسيفيكا[٢٧] Pacifica"، ومع ذلك، فوفقا لمتطوع إنديميديا قديم آخر وباحث فى مجال الإعلام، كانت واقعة مؤسسة فورد مثيرة للسخرية بشكل خاص لأن المال "قد قطع شوطا طويلا نحو منع مثل هذا الانجراف بعيدا عن السياسة الراديكالية ... هذه

المأزق قد تلقى ظلالا من الشكوك حول استدامة شبكة مراكز الإعلام المستقل على المدى الطويل - خاصة أنها مستمرة في كسب عشرات المنظمات الأعضاء الجديدة كل عام" (بيكارد Pickard، 2006b، ص٣١٦).

في إحدى الوقائع المثيرة للاهتمام بشكل خاص، والتي أصبحت تُسمى بين العاملين المطلعين في إنديميديا "حادثة أهيمسا Ahimsa"، تم مصادرة اثنين من خوادم الشبكة (Ahimsa 1 وAhimsa 2) دون تفسير من شركة استضافة الويب في لندن (المملكة المتحدة) في أوائل أكتوبر ٢٠٠٤، كانت الخوادم تدعم أكثر من عشرين موقع مركز إعلام مستقل في أوروبا وأمريكا الوسطى والجنوبية، والولايات المتحدة، وقالت الشركة التي تدير خدمة الاستضافة، وهي شركة في سان أنطونيو في تكساس، إنه قد صدر حكم من المحكمة الجزئية الأمريكية للمنطقة الغربية في ولاية تكساس يقضي "بتسليم أجهزتكم للوكالة التي طلبت ذلك"، وإن المحكمة حظرت عليهم مناقشة هذه المسألة، وكشفت التحقيقات التي أجرتها مؤسسة الحدود الإلكترونية Electronic Frontier Foundation لصالح إنديميديا أن وثائق المحكمة قد أُغلقت، وأنه لا أحد - سواء المحكمة، أو مكتب التحقيقات الفيدرالي، أو وزارة الخارجية الأمريكية أو وزارة العدل، أو مالك الشركة - سوف يفصح عن اسم الوكالة التي طلبت مصادرة الأجهزة أو سبب المصادرة، وتقدم محامو مؤسسة الحدود الإلكترونية بطلب لفتح الوثائق(٢٨).

وكشفت وثائق المحكمة، التي فُتحت في يوليو ٢٠٠٥، بالإضافة إلى المزيد من التحقيقات التي أجرتها منظمة الحدود الإلكتروني عن أن المدعي العام في بولونيا، إيطاليا، الذي كان يريد معلومات عن عناوين إنترنت IP مستخدمي موقع مركز الإعلام المستقل في إيطاليا هو الذي تقدم بالطلب، وعلى الرغم من أن سبب الطلب لم يكن محددا - كما ضمت الملفات رسالة من الحكومة الايطالية تطلب فيها أن تظل المسألة سرية - لذا فإنه وفقا لمواد معاهدة تبادل المساعدة القانونية، التي تسمح للدول أن يسألوا الدول الأخرى الموقعة المساعدة في التحقيقات في النشاط الإجرامي الدولي عالي المستوى مثل الخطف وغسيل الأموال، وتجارة المخدرات، والإرهاب، أما ما حدث

من مصادرة الخوادم فكان عديم الجديو، لأن الخوادم تضبط فقط ولا تحفظ أى معلومات عناوين الإنترنت IP لأى كمبيوتر يقرأ أو ينشر على مواقع مراكز الإعلام المستقل وفقا لسياسة إنديميديا.

ومع ذلك حددت مؤسسة الحدود الإلكترونية فى موضوع نشرته وكالة أنباء الأسوشيتدبرس اقتباس عن أحد وكلاء مكتب التحقيقات الفيدرالى المطلع على القضية قال: "كان هناك طلبان مختلفان من تبادل المساعدة القانونية من بلدين مختلفين غير متصلين ببعضهما بأى حال سوى فى أن كليهما يتعلق بإنديميديا"، وفى الواقع اتصل عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالى بكل من صاحب شركة الخوادم فى لندن وعضو فريق عمل مركز الإعلام المستقل فى سياتل قبل بضعة أسابيع من حادثة مصادرة أكتوبر حول مواد منشورة على موقع مركز الإعلام المستقل فى نانت Nantes (فرنسا) (الذى تستضيفه خوادم آهيمسا Ahimsa)، وزعموا أن موقع نانت يتضمن معلومات محددة شخصيا حول عميلين سريين سويسريين، وبعد الاطلاع على الموقع، وجد المسئول عن خادم آهيمسا أنه لا توجد مثل هذه المعلومات، ومع ذلك، غطى المسئول وجوه اثنين من العملاء المتنكرين المحتجين فى مظاهرة ضد العولمة فى الصورة المنشورة على الموقع.

وفى النهاية؛ لم تؤكد الحكومة السويسرية إن كان لها أى دور فى التقدم بطلب مساعدة فى التحقيقات القانونية، كما أنكرت الحكومة البريطانية أيضا أن لديها أى علاقة بأمر المصادرة، وفتحت تحقيقا لتحديد ما إذا كان المالك الأمريكى لشركة الخوادم فى لندن قد انتهك قوانين حماية البيانات فى المملكة المتحدة، وتعطلت مواقع إنديميديا عبر ثلاث قارات لعدة أيام، وقرر صاحب شركة استضافة المواقع أن موظفيه قد فسروا حكم المحكمة خطأً، وكان يمكنهم الامتثال من خلال توفير نسخ من سجلات محددة من الخوادم بدلا من تسليم الخوادم كاملة، ودون أى تفسير، أعيدت الخوادم للشركة وأعيد تشغيلها بعد خمسة أيام من مصادرتها، وحتى الآن، لم يتم تحديد سبب الضبط.

لا تزال النقاشات حول عملية صناعة القرار، ونقص الموظفين والمال، والتحديات القانونية لمشروعية إنديميديا تشغل نشطاءها وتشكل عمليات الشبكة، ومع ذلك،

واصلت الشبكة النمو، وإن كان بوتيرة أقل سرعة، منذ منتصف الألفينيات، وأصبحت إنديميديا شيئا مثل "العلامة التجارية" فى عالم الصحافة ووسائل الإعلام البديلة والناشطة، وخاصة بسبب ميلها الواسع إلى مناهضة العولمة، وامتدادها العالمى (لسخرية القدر) كخدمة إخبارية (دييز Deuze, 2001, 2003؛ بلاتون Platon، دييز Deuze, 2003).

يتفق معظم المراقبين على أن حركة إيندميديا كانت إحدى قصص النجاح الحقيقية لوسائل الإعلام الجديدة والبديلة وكانت لها آثار مهمة على نشاط وسائل الإعلام، وفهم جذور التنظيم الشعبى، والنظرية النقدية والسياسية، والممارسة الصحفية، كما يعتقد البعض أيضا أن طاقتها قد تبددت، وقد تواجه الحركة مستقبلا غامضا، ما لم يجد نشطاء إنديميديا سبلا للتعامل مع تناقضاتها البنيوية والفلسفية المستمرة: العالمية مقابل المحلية، والحكم الذاتى مقابل التعاونى، والنشر المفتوح مقابل الاختيار التحريرى، والتطرف مقابل الإصلاحية، والعمل التطوعى مقابل المدفوع، والإجماع مقابل القيادة، والحقيقة مقابل الأيديولوجية، وهلم جرا - وهو ما لخصته كولومبيا جورناليزم ريفيو بأن: "عاطفة إنديميديا مقابل براجماتيتها" (بيكرمان Beckerman, 2003؛ انظ أيضا موريس Morris, 2004، بيكارد Pickard، 2008, 2004b).

ـسية أخرى هى: علاقة إنديميديا بمشهد ويب ٢ المتغير، فى منشور مارس ٢٠٠٦ على مدونة جغرافيات وسائل الإعلام Media Geographies، لاحظ تريبور شولز Trebor Scholz أن إنديميديا، وتدفق التكنولوجيات، ونهج النشر المفتوح كانوا أحسن تكنولوجيا فى عام ٢٠٠٠، ومع ذلك بحلول عام ٢٠٠٦ أصبحت مواقع مراكز الإعلام المستقل تتنافس مع المدونات، ومواقع وضع العلامات، وغيرها من وسائل الإعلام الاجتماعية:

> **نادرا ما أذهب إلى موقع إنديميديا كى أقرأ أخبارا بديلة، ولا أكتب هناك أيضا ... اشتطت وسائل الإعلام الاجتماعية على شبكة الإنترنت إلى حد كبير بسبب تكنولوجيا النشر المفتوح التى قدمتها إنديميديا فى عام ٢٠٠٠، لكن قبل سنوات قليلة بدأت المدونات فى الازدهار فى عام ٢٠٠٤، وليست لدى إحصاءات**

عن مـواقع إنديمـيـديا لكنى أظن أن أعـداد المشـاركـين فى انخـفـاض.
(http://mediageographies.blogspot.com/2006/03/trebor-scholz-idcneta
utonomy.html

ويشير شكل (٥-١) إلى أن ملاحظات شولز قد تكون متبصرة، وعلى الرغم من أن عدد مواقع إنديميديا كان لا يزال ينمو فى عام ٢٠٠٦، فإن معدل الزيادة قد استوى إلى حد كبير، بعد الارتفاع المفاجئ فى الفترة من ١٩٩٩ إلى ٢٠٠٤، وبين أوائل عام ٢٠٠٨ ومنتصف عام ٢٠٠٩ انخفض عدد مواقع مراكز الإعلام المستقل المدرجة على موقع إنديميديا الرئيس indymedia.org (ولو قليلا) للمرة الأولى.

ومع ذلك، فإن عدد الأعضاء فى الشبكة قد يكون مؤشرا أقل أهمية لمكانة إنديميديا من دورها الريادى باعتبارها شكلا من أشكال الممارسة الصحفية التشاركية الشعبية، ونختتم الفصل باعتبار الصحافة التشاركية نوعا من وسائل الإعلام الناشطة/البديلة.

ملخص: الصحافة التشاركية باعتبارها نوعاً:

كما هو الحال مع أنواع أخرى من مشاريع إعلامية جديدة بديلة وناشطة؛ تعمل الصحافة التشاركية كنوع لديه شكل وهدف مميزان، وتتوافق مع ممارسات ومؤسسات معينة فى المجتمع (فى هذه الحالة، الصحافة والطباعة)، ومثلما ينتقد ويدمر تشويش الثقافة صناعة الثقافة الشعبية باستخدام أشكال وأعراف، وصور من الثقافة الشعبية نفسها، وتماما مثلما تقاوم الحوسبة البديلة وتتغلب على القيود المفروضة على حرية الوصول إلى المعلومات وتكنولوجيا المعلومات من خلال إعادة تشكيل أو قرصنة تلك النظم؛ فإن الصحافة التشاركية تسعى إلى نقد وإصلاح الصحافة كمؤسسة من خلال إشراك "الهواة" أو الصحفيين والكتاب "الأصليين" فى ممارسة العمل الصحفى، وتشكل الصحافة التشاركية ابتعادا عن تصنيع "المنتج" الإعلامى، وعن الصحافة باعتبارها "ثقافة الخبراء وسلعتهم" (أتون Atton, 2004، ص٦٠)، واقترابا من عملية

تحاورية تفاعلية تشرك المواطنين إشراكا كاملا أكثر فى الحياة العامة بشكل مثالى، وبالتالى تتبنى الصحافة التشاركية شكل الممارسات والقيم الصحفية المهنية، ولكن بغرض تحدى وتحويل الصحافة كمؤسسة.

ومثل الأنواع الأخرى، الصحافة التشاركية لديها سمات مميزة أو خصائص، والتى (كما هو موضح فى الفصل الثانى) يمكن تصنيفها إلى ثلاث فئات أساسية هى: النطاق، والموقف، والوكالة/الفعل.

النطاق: أنواع وسائل الإعلام الجديدة الناشطة/البديلة جديرة بالملاحظة لنطاقها الصغير وسمتها التعاونية؛ فمن الانصاف القول: إن هاتين الخاصيتين تحددان الصحافة التشاركية تقريبا، وعادة ما تظل مشاريع الصحافة التشاركية صغيرة كى تشجع مشاركة غير المهنيين فى تغطية القضايا المحلية أو المتخصصة التى عادة ما تعدها المؤسسات الإخبارية الكبرى بسيطة جدا لدرجة أنها لا تستحق التغطية، وكما يوضح مثال إنديميديا، فإن التعاون شرط لا غنى عنه بالنسبة إلى مشاريع الصحافة التشاركية، التى تطمس الشراكة "الحوارية" التفاعلية الحدود بين الصحفيين والمجتمعات التى يغطونها فيها، وتعد شبكة إنديميديا محلية بالأساس رغم تشتتها الجغرافى، وتؤكد على استقلالية أعضاء مراكز الإعلام المستقل، وتتصور وتولد وكالة الأنباء كمشروع من الأسفل إلى الأعلى تماما.

الموقف. هناك ثلاث خصائص تتعلق بموقف أو موضع النوع فى مواجهة المؤسسات السائدة التى تشبهها، والمجتمع ككل، وعادة ما تكون مشاريع وسائل الإعلام الجديدة البديلة/الناشطة جديدة ومغايرة الموضع (أى أنها تشكل مساحات منفصلة أو بديلة عن التيار الرئيس)، وتظهر حساسية ثقافية فرعية، وربما لديها سمة سخرية أو مرح، وبالتأكيد تضع مشاريع الصحافة التشاركية نفسها باعتبارها غريبة عن الصحافة السائدة أو معارضة لها، وفى حالة المنظمات التى لديها أيديولوجيات راديكالية قوية مثل إنديميديا، يكون خطاب المعارضة السائد الموجه ضد المؤسسات والمصالح المهيمنة بمثابة "الحدود" الثقافية الفرعية الفعالة التى تحدد البديل عن التيار السائد، والقضايا ووجهات النظر المقبولة سياسيا عن تلك غير المقبولة.

إلا أن الصحافة التشاركية تشترك أيضا فى العديد من أوجه التشابه مع الصحافة السائدة، لا سيما تبنى الممارسين روح وقيم وممارسات الصحافة المهنية – من أجل "توفير المعلومات ذات الصلة المستقلة والموثوق فيها والدقيقة والواسعة النطاق التى تتطلبها الديمقراطية" (بومان Bowman، ويليس Willis, 2003، ص٩)، ورغم السياسة الراديكالية تقدم إنديميديا ووسائل الإعلام المماثلة "مزيجا من المحتوى والقيم الإخبارية الراديكالية بالإضافة إلى قيم الإنتاج، والأطر المؤسسية والإعلام المهنى السائد"، ورغم أنها تفسر وتوضع فى سياق من خلال عدسة الديمقراطية الراديكالية، و"المصادر السائدة هى الأكثر بروزا فى إنديميديا عما فى مشاريع معظم وسائل الإعلام الشعبية"(أتون Atton, 2003، ص ١٢-١٣).

كما اكتشفت سارة بلاتون Sara Platon ومارك ديبز Mark Deuze (2003) أيضا أن نشر إنديميديا المفتوح يشير إلى خصائص مشابهة لوسائل الإعلام السائدة بشأن القيم التقليدية للأخبار" (ص٣٤٦)، وإن عملياتها التحريرية تتسم "بالتفاوض الفاعل بين مُثُل النشر المفتوح وتمكين مشاركة الجميع، وبين المُثُل "الصحفية" النمطية من الحفاظ على نوع من السيطرة على الموضوع المنشور والنشر بشكل عام"(ص٣٥٠).

هذا التفرد "الطموح" عن قيم وممارسات الصحافة المهنية يترك أيضا مجالا قليلا للاتجاه المرح أو الساخر أو الفكاهى الذى شهدناه فى تشويش الثقافة والحوسبة البديلة: ويبدو أن الصحافة التشاركية تعد نفسها جادة، وبشكل عام يمكننا القول إن الصحافة التشاركية تنأى بنفسها عن مؤسسات وسلطة الصحافة السائدة – ولكن ليس بعيدا جدا.

الوكالة/الفعل. تختلف الأنواع أيضا من حيث الأفعال التى تضطلع بها ووكالة المشاركين فيها، تتداخل مشاريع وسائل الإعلام الناشطة/البديلة، أى أنها تهدف لوقف وتغيير الظروف والمعانى القائمة، كما أنها قابلة للتلف على المدى القصير، وسريعة الاستجابة للظروف المتغيرة.

أولا، الصحافة التشاركية تدخلية بشكل واضح، كونها ناشطة على مستوى "الكلمة" و"الفعل" (راى Wray, 1998)؛س فهى تعيد صياغة الأخبار كخطاب ومحتوى

رمزى، وتشكل فعلا مباشرا يهدف إلى تغيير الأوضاع المادية للصحافة كممارسة والنشر كمؤسسة، وكلا الهدفين يعكسان جذور الصحافة التشاركية فى النشر الراديكالى، والبديل، والسرى، وفى حركة النشاط الإعلامى الأوسع الذى ظهر ما بين باحثى الإعلام والفنانين والنشطاء اليساريين فى الستينيات ردا على انتشار وسائل الإعلام (خاصة التليفزيون والراديو) فى جميع أنحاء العالم، ووفقا لهؤلاء النقاد، تنتهج وسائل الإعلام والصناعات الترفيهية الغربية (أى الأمريكية)، بالتواطؤ مع الحكومة الأمريكية والمصالح المالية إستراتيجية لا هوادة فيها من الإمبريالية الثقافية فى جميع أنحاء العالم، وتعزز تيارا لا يقاوم من الصور والمنتجات والقيم الغربية خاصة فى دول العالم النامى، وتنشر الإمبريالية الثقافية الأيديولوجية السياسية الأمريكية، وتضمن فتح الأسواق أمام المنتجات الأمريكية، بينما تمنع أو تهمش وجهات نظر ومصالح الدول والمجتمعات الأقل قوة، خاصة تلك التى ليست لديها صناعات إعلامية[٢٩] متطورة بالكامل.

تستطيع المجتمعات المحلية المهمشة مقاومة الهيمنة الثقافية والتجانس،

أولا من خلال اتخاذ وجهة نظر حاسمة من المنتجات والرسائل الإعلامية للشركات،

وثانيا، من خلال إنشاء ودعم وسائل إعلامهم ومحتواهم المحلى، و"المُنتجَة محليا" التى تمثل مصالحهم، ووجهات نظرهم، وثقافاتهم أفضل مما تفعل المصادر الإعلامية المهيمنة، وتراوحت هذه المشاريع من الصحف البديلة، والأفلام السرية، ومحطات الإذاعة القرصنية فى الستينات، إلى محطات تليفزيون الكابل والفيديو محلية الوصول فى السبعينيات، إلى المجلات التى ينشرها الكاتب بنفسه فى الثمانينيات، إلى المشاريع الإعلامية التكتيكية فى التسعينيات وما بعدها (برامن Braman, 2002؛ كبيت Cubitt, 2006 ؛ جارسيا Garcia، لوفينك Lovink, 1997)، كما يمكن اعتبار الصحافة التشاركية تطوراً ضمن هذه الأعراف الناشطة الأقدم.

ولكن تختلف الصحافة التشاركية عن مجال وسائل الإعلام الناشطة الأوسع فى إحدى السمات الرئيسية: هى قابلية التلف السريع، فتاريخيا، كانت مشاريع مثل راديو القراصنة، والمجلات التى ينشرها الكاتب بنفسه، لا سيما وسائل الإعلام التكتيكية

قصيرة الحياة وسريعة الزوال بوضوح: "أشكالنا الهجينة مؤقتة دائما، ما يستحق منها هى الاتصالات المؤقتة القادر على فعلها هنا والآن، لا وعد ببعض البرمجيات الوهمية فى المستقبل، بل ما يمكننا فعله فورا بوسائل الإعلام التى لدينا وصول (جارسيا Garcia، لوفينيك Lovink, 1997) إليها، فالبرامج الإذاعية والنشرات المصورة، وفن الشارع، وإنتاج أفلام الفيديو المستقلة، والمجموعات المرتجلة، وأعمال "محاربو الإعلام المتجولون" التكتيكية، جميعها سريعة الزوال بحسب التعريف، ومع ذلك مشاريع الصحافة التشاركية - حتى تلك التى تنكر مثل إنديميديا أى تطلعات مؤسسية أو "مهنية" رسميا- اتخذت دورا توثيقيا مراقبا يتطلب التزاما مستمرا وحفظ سجلات يمكن الاعتماد عليه كى تعمل كمصدر معلومات موثوقة بفاعلية.

إنديميديا هى مثال ساطع: ويكشف تحليل منشورات عن عملياتها وقوائمها البريدية التقنية ومقابلات مع نشطاء قدماء فى الشبكة عن أن استدامة الشبكة كانت مصدر قلق دائم (أتون Atton, 2003 ,2004، بيكرمان Beckerman, 2003؛ ويانكوفسكى Jankowski & يانسن Jansen, 2003؛ ومـوريس Morris, 2004؛ وبيكارد Pickard، a2006، b2006, 2008؛ وبلاتون Platon & ودييز Deuze, 2003)، كما اتضح أيضًا أن مظلة موقع إنديميديا - مثل معظم مراكز الإعلام المستقل الأعضاء - قد حفظت وأرشفت بعناية محتويات كاملة من وكالات الأنباء ترجع إلى عام ١٩٩٩، بالإضافة إلى الوثائق التقنية، وقوائم النقاش عبر البريد الإلكترونى، ووصلات إلى دراسات أكاديمية وتغطيات إخبارية عن إنديميديا فى وسائل إعلامية أخرى، واستضافت مجموعة من المواد الأخرى توثق تطورات الشبكة بمرور الوقت (ساعدت العادة الأرشيفية التى لديها بلا شك على جعلها حالة دراسة جذابة للأبحاث)، وتلمح كريس أتون Chris Atton إلى هذه السمة الثابتة فى تعليقها على هيمنة "التحقيقات المتعمقة، والاستنتاجية والتعليقات" بدلا من "أخبار البث المباشر" المحدثة بانتظام فى صفحات إنديميديا عن ١١ سبتمبر، تقول أتون: "إن الفورية واليومية اللتين قد نتوقعهما من هذه المساهمات كجزء من مشروع إعلامى على الإنترنت متآكلتان، وكلما ظلت الصفحات ثابتة - تظل دورة الأخبار فى أربع وعشرين ساعة ... غائبة" (أتون Atton, 2004، ص٥٨-٩).

وخلاصة القول: إن الصحافة التشاركية كنوع يمكن وصفها بأنها صغيرة الحجم بشكل أساسى وتعاونية، وعلى الرغم من أنها تنتقد وتعارض سخرية ولا مبالاة الصحافة السائدة التى يقودها السوق، فقد تكيفت مع ممارسات وقيم الصحافة المهنية على الإنترنت كوسيلة لتحويل المحتوى وإنتاج الأخبار، وتجديد دورها باعتبارها فرامل على الحكومة وسلطة الشركات.

فى الفصل التالى نتحرك من النشر والصحافة كرقيب على السياسة، إلى نوع يتداخل مباشرة فى السياسة والحركات الاجتماعية - وهو التعبئة بوساطة الكمبيوتر وشبكات الاتصال.

الفصل السادس

إخراج الناس إلى الشارع
التعبئة بوساطة الكمبيوتر وشبكات الاتصال

الحركة تحشد لأنها جمعت تراث وموارد الهياكل الاجتماعية السابقة ووجهتهم نحو تحقيق أهداف جديدة من التحول. (ميلوكى Melucci, 1996، ص٢٩٢).

تشكل شبكات الاتصال، إلى حد كبير، المجال العام فى مجتمع الشبكات ... السياسة هى سياسة إعلامية ... ولذلك، تتطلب عملية التغيير الاجتماعى إعادة برمجة شبكات الاتصالات من حيث رموزها الثقافية ومن حيث قيمها السياسية والاجتماعية الضمنية والمصالح التى تنقلها .(كاستلز Castells , 2009، ص ٣٠٠).

ننتقل فى هذا الفصل إلى الطريقة التى تستخدم بها الحركات السياسية البديلة ونشطاء وسائل الإعلام الجديدة التعبئة، أى كيفية توجية التكنولوجيات نحو أهداف تحويلية، كما يؤكد ألبرتو ميلوكى Alberto Melucci، وفى الحقيقة كما يقول مانويل كاستلز Manuel Castells، كيف "تعاد برمجة" التكنولوجيات الشبكية نفسها كى تصبح مواقع نشاط وتغيير، وما الدور الذى تلعبه وسائل الإعلام الجديدة فى تحويل المشترك من أفكار وهويات واهتمامات الأشخاص إلى فعل جماعى يهدف إلى تغيير الأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية السائدة؟ النوع الرابع من وسائل الإعلام الجديدة الناشطة/ البديلة وهو التعبئة بوساطة شبكات الكمبيوتر، يتصل بطبيعة وتوزيع السلطة

فى المجتمعات والتجمعات، وتعزيز الديمقراطية الراديكالية والتشاركية، حيث تُعرف الديمقراطية التشاركية بأنها: مشاركة المواطنين المباشرة والواسعة النطاق فى كل العمليات السياسية والحكم، وتتناقض الديمقراطية التشاركية مع النسخة التمثيلية من الديموقراطية، التى يتم تفويض السياسة والحكم فيها إلى وكلاء معينين أو منتخبين (انظر ليفرو Lievrouw, 1994)، ومن المؤكد أن الأنواع التى نوقشت فى الفصول الثلاثة السابقة (المتعلقة بالثقافة الشعبية، وتكنولوجيات الحوسبة والمعلومات، والصحافة والطباعة) أخذت جميعها وجهة نظر نقدية من أحد الجوانب المختلفة من المجتمع والثقافة، كما أنها تهدف أيضا إلى تغيير الخطاب والتصورات العامة بالتعبير عن وجهة نظر غريبة أو بديلة، وتهيئة الظروف الثقافية والمادية من أجل ما يعتقد النشطاء أنه سيكون مجتمعًا أفضل، ومع ذلك، تذهب التعبئة بوساطة الكمبيوتر خطوة أبعد من ذلك من خلال استخدام وسائل الإعلام الجديدة كوسيلة لتعبئة الحركات الاجتماعية - الفعل الجماعى الذى فيه ينتظم الناس ويعملون معا كمشاركين نشطين فى التغيير الاجتماعى.

بالطبع، ليس جديدا استخدام وسائل الإعلام الإلكترونية فى الحركات الاجتماعية والسياسية، حيث ساعدت الإذاعة والصور المتحركة والتليفزيون فى تعزيز وحشد "ثقافة موحدة وطنية" من الاستهلاك، والترفيه الشعبى والتضامن فى زمن الحرب، والإنتاج الاقتصادى فى الولايات المتحدة خلال الفترة من الثلاثينيات إلى الستينيات (جراهام Graham, 2000)، واستخدام اليسار واليمين للصحف المطبوعة والإذاعة والأفلام السينمائية فى الحركات السياسية الجماهيرية قبل الحرب العالمية الثانية موثق جيدا (لنجمان Langman, 2005)، ويوضح بروس بيمبر Bruce Bimber (2003) آثار "أنظمة المعلومات" المختلفة فى تاريخ الولايات المتحدة السياسى، بداية من تثقيف السياسة الحزبية فى أوائل القرن التاسع عشر، إلى التعددية وصعود سياسة جماعات المصالح المرتبطة بالتصنيعية والطباعة ضخمة الإنتاج بدايةً من أواخر القرن التاسع عشر وخلال الكثير من القرن العشرين، وحتى ظهور الإعلام الجماهيرى والحملات المتمركزة حول المرشح المرتبط بالبث الإذاعى والتليفزيونى بدايةً من العشرينيات

فصاعدا، وكما ذكرنا فى الفصل الثانى، اتخذت نظرية الحركة الاجتماعية والبحوث الحديثة منعطفا تواصليا أو "ثقافيا" بوضوح، من خلال التركيز على وكالة وفعل حركة المشاركين، لا سيما كيفية بناء المعنى وتشاركه داخل الحركات وبين الحركات والمجتمع الأكبر، وتشمل المشاكل المركزية تمثيل قضايا الحركة الاجتماعية رمزيا وثقافيا، وكيفية تأطير القضايا والحركات استطراديا، و"هياكل فرصة" الخطاب وذخيرة الفعل التى توفرها وسائل الإعلام وتكنولوجيا المعلومات (ديلا بورتا Della Porta، ديانى Diani, 2006؛ جونستون Johnston & نوكاس Noakes, 2005؛ سنو Snow, 2004).

من حيث تكنولوجيات الاتصال، والحركات، تعتبر وسائل الإعلام الجماهيرية مناسبة تماما لتقديم رسائل متسقة ومتكررة إلى جماهير كبيرة الحجم وغير متجانسة، ولتشكيل رأى عام عريض القاعدة، وتعزيز الاستهلاك الجماهيرى، وتعبئة الحملات السياسية الجماهيرية، أما فى الثقافة الإعلامية المعاصرة، ورغم اعتراض وجهة نظر المجتمع الأكثر تعقيدا وديناميكية على وجهة نظر المجتمع ووسائل الإعلام "الجماهيرية"، على اعتبار أن المجتمع يتكون من شبكات معاد تنظيمها باستمرار ومترابطة من العقد والوصلات، والتدفقات (على سبيل المثال، كاستلز Castells, 1966)، فإن تكنولوجيا وسائل الإعلام الجديدة تساعد الناس على البحث عن وإيجاد وتقييم بعضهم بعضًا، فضلا عن المعلومات، لذا تعتمد التعبئة والحركات الاجتماعية اليوم على قدرات الناس على بناء علاقات، والبحث وتقديم المشورة، والتوصيات، وجمع وتجارة "سمعة رأس المال" والثقة على الإنترنت (مادن Madden وآخرون، ٢٠٠٧؛ ماى May, 2001؛ شيركى Shirky, 2008)، وكذلك "إخراج الناس إلى الشارع" (فان أليست Van Aelst، ولجراف Walgrave, 2002، ص٤٨٠)، ويؤكد بيمبر Bimber (2003) إن البيئة الاجتماعية المعاصرة المشبعة بالمعلومات والمرتبطة بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات ووسائل الإعلام الجديدة تشكل "ثورة المعلومات الرابعة" ولديها انعكاسات مهمة على السياسة.

فى هذا الفصل نبدأ باستعراض النقاط الرئيسية فى نظريات الحركة الاجتماعية على النحو المبين فى الفصل الثانى، خاصة ما تقوله هذه النظريات عن عملية التعبئة، كما ندرس بعض البحوث والنقاشات الحديثة بشأن صعود الحركات الاجتماعية عبر

الوطنية والسياسية الراديكالية الجديدة التى تيسرها الشبكات الرقمية العالمية، كى نوضح التعبئة بوساطة شبكات الكمبيوتر كنوع، سنقدم تخطيطيا قصيرا يظهر كيف ساهمت شبكة الإنترنت والتكنولوجيات المتصلة فى نمو الحركات المناهضة للعولمة أو العدالة العالمية فى جميع أنحاء العالم منذ أواخر التسعينيات، ويختتم الفصل بمناقشة السمات الرئيسية التى تميز هذا النوع.

الحركات الاجتماعية والتعبئة

يمكننا أن نلخص نقاطا من النظرة العامة عن التنظير حول الحركات الاجتماعية السابق ذكرها فى الفصل الثانى، حيث تؤطر نظرية السلوك الجماعى Collective behavior الحركات باعتبارهم ممثلين عن أفراد لديهم مواقف وعواطف، وقابلية للاقتناع مثل الأفراد، وتركز النظرية على سمة المفاجئة، والفوضوية، والعفوية فى الحركات، وهامشية أو عزلة المشاركين، أو كما يعبر عنها عالم الاجتماع دوج ماك آدم Doug McAdam "التركيز الكلى على التفكك الاجتماعى أو التركيز الجزئى على العزلة والتهميش" (ماك آدم McAdam, 2003، ص٢٨٢)، وتعتمد النظرية إلى حد كبير على "عدوى" نظريات الاتصال والتأثير الاجتماعى، وتميل إلى تصوير الحركات باعتبارها اندلاع فعل جماعى عاطفى أو غير عقلانى بالأساس.

نظرية تعبئة الموارد Resource mobilization theory فى المقابل، تصور الحركات كجهود جماعية عقلانية يتصرف من خلالها المشاركون عمدا وإستراتيجيا كى يعبروا عن المظالم، ويحددوا، ويجمعوا المواد والموارد الثقافية، وينتظموا هرميا، ويستخدموا تكتيكات من شأنها تحقيق أهدافهم من خلال قنوات مؤسسية راسخة عادة بدلا من تعطيل وإسقاط تلك القنوات، ومن هذا المنظور، تعتبر قنوات الاتصال موارد مهمة لصياغة وتوصيل أهداف الحركة، وصقل الدعم، وتستعير نظرية تعبئة الموارد بعض مفاهيمها من النظرية التنظيمية، بما فى ذلك مسائل التكاليف مقابل الفوائد، وحوافز ومثبطات العمل.

بحلول الستينيات والسبعينيات أصبحت نظرية تعبئة الموارد وجهة نظر سائدة بين منظرى الحركة الاجتماعية، لا سيما فى الولايات المتحدة، وردا على ذلك وضع المحللون الأوربيون والأمريكيون نظرية الحركات الاجتماعية الجديدة، بعد أن شعروا أن نظرية تعبئة الموارد لا يمكن أن تمثل على نحو كاف الحركات الجديدة، استنادا إلى الهوية التى نشأت بين أواخر الستينيات والسبعينيات، وتؤكد نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة على معنى الالتزام الشخصى، والهوية، والإبداع بين نشطاء الحركة، الذين من المرجح أكثر أن يكونوا متعلمين تعليما جيدا، ومهنيين ذوى ياقات بيضاء و"عمال مبدعين فى مجال المعرفة" أكثر من كونهم ينتمون إلى الطبقات العاملة الصناعية التقليدية أو الجماعات المهمشة.

نظرية الحركات الاجتماعية الجديدة جديرة بالملاحظة بسبب ابتعادها عن "القضايا"، و"الحملات"، و"المظالم" الخصوصية مركزية التنظيم، وتميل أكثر نحو الانتماءات والولاءات فضفاضة التنظيم التى تجمع بين المشاركين على أساس هوياتهم، وقيمهم، وأنماط حياتهم المشتركة، فى نظرية الحركات الاجتماعية الجديدة يميل النشطاء إلى الانخراط فى أشكال من الفعل "غير تقليدية" أو تدميرية، وتجاهل أو حتى تدمير السبل المؤسسية التقليدية للفعل والتغيير، كما يميل النشطاء فى نظرية الحركات الاجتماعية الجديدة إلى عيش حياتهم بطريقة تعكس قيمهم السياسية والاجتماعية، والأخلاقية، والانخراط فى أنشطة الحركة والالتزام وفقا لقضايا اللحظة، المؤطرة ضمن اهتماماتهم الكبرى، وقيمهم المشتركة، وهوياتهم الجماعية، ووفقا لذلك، يركز الاتصال فى هذه النظرية على التعبير عن تجربة وهوية شخصية، وإنشاء وتداول الصور، وتمثيل أسباب وأنماط الحياة، وهكذا.

بناء على نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة، أكد التنظير الحديث حول الحركات الاجتماعية على تحولية الحركات، وخاصة فى سياق تكنولوجيات وسائل الإعلام الجديدة، وركز المُنظرون على عدم تجانس الحركات، أو عدم مركزيتها، أو "احتشاد" هياكل شبكة الحركات، وعلى استخدام تكنولوجيات الوسائط الرقمية لإنشاء، وصيانة، وإعادة تنظيم العلاقات الشبكية بين التحالفات المندمجة بشكل فضفاض من المشاركين

فى الحركة، بالإضافة إلى المعايير والتضامن الذى يجمع المشاركين فى الحركة والمجتمع بشكل عام، والسمات الثقافية والذاتية فى الحركات بشكل أساسى، ويركز هذا النهج "الثقافى" أو المؤطر، المتأثر بعالم اجتماع نظرية التفاعل إرفنج جوفمان Erving Goffman على ذخيرة الفعل بشكل خاص، بما فى ذلك الفعل والخطاب الاتصالى (وليامز Williams, 2004)؛ وفى الواقع، يمكن القول: إن الخلاف على كل من التمثيل الرمزى، والأطر، والخطاب، والوساطة المؤسسية والتكنولوجية من الصور المتنافسة والتأطير أصبح الآلية الرئيسية للعمل فى الحركات الاجتماعية المعاصرة، وكما يقول كاستلز (٢٠٠٩): السلطة الآن هى مسألة برمجة، وإعادة برمجة، وتبديل بين الشبكات الاجتماعية التقنية، وينشأ التغيير من الخلاف بين الجماعات والمصالح المنخرطة فى البرمجة وإعادة البرمجة.

تعتبر التعبئة مفهوما أساسيا فى نظريات الحركات الاجتماعية من أى منظور، ويمكننا التفكير فى الأمر باعتبار ما الذى يجعل حركة اجتماعية ما حركة بمعنى العملية التى يحول بها الناس اهتماماتهم الجماعية إلى فعل جماعى لإحداث التغيير، "كى يترجموا اهتمام معين إلى فعل سياسى جماعى، فالأفراد ذوى المصالح المتشابهة يجب عليهم أن يجدوا بعضهم بعضاً بطريقة أو بأخرى وأن يكتشفوا أنهم يتشاركون ذلك الاهتمام المشترك، بالإضافة إلى ذلك يجب عليهم تشكيل، أو إعادة تشكيل، نوع من الإرادة المشتركة والهيكل التنظيمى والهوية" (تامبينى Tambini, 1999، ص٣١٧)، وتلخيص المناقشة الكلاسيكية عن التعبئة التى قدمها ماك آدم McAdam، ومكارثى McCarthy، وزالد Zald (1988)، كما يقول فينس كاردوتشى Vince Carducci إن فى هذة العملية "يتم تنشيط الدوائر والقدرات، ويتم خلق الاتحادات كآليات لاتخاذ الإجراءات" (كاردوتشى Carducci, 2006، ص١٣٢)، وعلاوة على ذلك، من خلال التعبئة تكتسب الحركات القدرات والموارد التى لا تمتلكها بالفعل:

> **الشروط السوسيولوجية الراهنة للعملية التى يتم من خلالها إنشاء حركة اجتماعية والبدء فى اتخاذ إجراءات هى "التعبئة"... وهى العملية التى من خلالها تفترض الجماعة الاجتماعية – بسرعة نسبية – السيطرة**

على موارد لم تسيطر عليها من قبل ... العملية التى من خلالها يجمع وينظم الفاعل الجماعى موارده كى يسعى خلف هدف مشترك ... التعبئة هى دائما عملية تحويل الموارد الموجودة من قبل لصالح هدف جديد. (ميلوكى Melucci, 1996، ص ٢٨٩، ٢٩٢).

يمكن القول: أن التعبئة هى الجانب الأكثر أهمية، وإشكالية من تطوير الحركة الاجتماعية، "كانت عملية التعبئة، وإخراج الناس إلى الشارع دائما عنصرا صعبا وغير متوقع فى نجاح الحركات" (فان أليست Van Aelst & ولجراف Walgrave, 2002، ص٤٨٠).

مما لا يثير الدهشة، إن مختلف نظريات الحركة الاجتماعية تميل إلى التركيز على آليات مختلفة من التعبئة، ويعزو السلوك الجماعى التعبئة إلى التغيير الاجتماعى السريع الذى يولد التفكك الاجتماعى وانهيار النظام الاجتماعى، الذى بدوره ينتج اندلاعات مفاجئة فوضوية من العمل الجماعى، ويمكن النظر إلى مثال كلاسيكى من الأيام الأولى للحركة العمالية التى تطورت ردا على التصنيع السريع، والتمدن، والقوة القمعية للرأسمالية الاحتكارية فى أواخر التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

وكما يوحى اسمها، تعتبر عمليات التعبئة محور نظريات تعبئة الموارد، لا سيما عمليات الجمع، والتنظيم، والاستخدام المتعمد والإستراتيجى للموارد المادية والمؤسسية فى الحملات المنظمة مركزيا التى تلتمس قيم المجتمع الأكبر ومثله العليا، وتميل الجهود الفردية والمساهمات إلى التقليل من قيمتها لصالح قضايا "الصورة الأشمل"، وقيمها، وهياكلها المؤسسية، وقدراتها، وهنا تشمل الحالات الكلاسيكية حركة الحقوق المدنية الأمريكية والحركة النسوية المبكرة، حيث بنت هذه الحملات هياكل تنظيمية هرمية صارمة، تترأسها أعداد صغيرة نسبيا من القادة الذين يتمتعون بالشعبية، واستخدمت هذه الهياكل منهجيا لالتماس المشاركة فى الحركة (متطوعو المسيرات والاعتصامات والعصيان المدنى) ماليا وعينيا من أجل دعم أنشطة الحركة، وتغطيتها إعلاميا، إلى آخره، وعَبَّرت قيادة الحركتين بوضوح واستمرار عن القيم والأهداف الأساسية للحركة، ووصلت قيمها بوضوح إلى المجتمع الأكبر، وسعت إلى تحقيق أهدافها من

خلال قنوات ثنائية من المؤسسات القائمة (التشريعية والقضائية) وأعمال الاحتجاج المبتكرة (مثل العصيان المدنى السلمى).

وفى الحركات الاجتماعية الجديدة، يتم إنجاز التعبئة من خلال غرس الهويات الجماعية، والقيم المشتركة، والشعور بالانتماء بين الناس المرتبطة فى شبكات اجتماعية ومجتمعية منتشرة، ولا مركزية، ويولِّد النشطاء ويتبادلون التمثيل الرمزى لهويات وقيم الحركة التى تتحدى تلك الثقافة الأكبر، والتجارب الشخصية الخاصة بالمشاركين الأفراد و"مساهماتهم الصغيرة" الضرورية فى عملية التعبئة (جاريت Garrett, 2006)، ولاسيما من أجل الحفاظ على الشعور بأن المشاركة فى الحركة هى التزام أو أسلوب حياة مستمر، وبالتالى خلق "حملة دائمة" يشارك فيها الأفراد أو يسهمون على أساس الاحتياج، بدلا من أن يتم تنظيمهم فى حملات منضبطة، موجهة، وتشمل الأمثلة على هذا النوع من الحركات نشاط كل من حماية البيئة، وحقوق مثلي الجنس، وحقوق الحيوان.

توسعت تنظيرات أكثر حداثة حول بعض الأفكار الرئيسة من نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة، ولاسيما فى العلاقة بين الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وتعتبر التعبئة متقطعة وناشئة بدلا من مستدامة، وأكثر رمزية أو وصفية عن كونها مادية، كما أنها تنبع من الأعراف والهويات، والتضامن بدلا من مظالم معينة أو حركة تنظيمية - وذات صلة وثيقة باستخدام وسائل الإعلام الجديدة وتقنيات المعلومات.

الاتصال والتعبئة

رغم اختلاف التأطير، فإن تكنولوجيا الاتصال والإعلام/ المعلومات مُقحمَة فى جميع أنواع نظريات الحركة الاجتماعية، ووفقا لمدخل السلوك الجماعى، فإن وسائل الإعلام لديها القدرة على قيادة وتشكيل المفاهيم العامة والآراء والمشاعر، وفى نظرية تعبئة الموارد والإعلام تعتبر تكنولوجيا المعلومات والإعلام موارد من أجل استخدامها

واستغلالها مثل الآخرين، سواء لنشر المعلومات بين الناشطين، وتأطير القضايا، أو إعلام وإقناع الجماهير الرئيسة، وتعتبر وسائل الإعلام وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى نظريات الحركة الاجتماعية الجديدة وسائل من أجل التعبير ونشر اهتمامات النشطاء، وقيمهم، وتمثيلاتهم الرمزية عن القضايا ومن أجل تحويل الخطاب الشعبى وإدراك قضايا الحركة وحتى وضع أساس الحركات نفسها، أما فى الحركات عبر الوطنية المعاصرة الشبكية، فإن " النشطاء يستخدمون التكنولوجيات الرقمية الجديدة لتنسيق الأفعال، وبناء الشبكات، وممارسة النشاط الإعلامى، وماديا كى يظهروا مُثُلهم العليا السياسية الناشئة" (جوريس Juris, 2005، ص١٩٢، أى بعبارة أخرى يعزز الإعلام وتكنولوجيا الاتصال والمعلومات الشبكية أيضا ما يسميه منظرو الحركة الاجتماعية السمات قبل المجازية للحركات - أى أنها بمثابة مواقع يستطيع النشطاء فيها صياغة قيمهم ومثلهم العليا، وأساليب حياتهم، والوفاء بالتزاماتهم الشخصية والسياسية باعتبارهم مثالاً يستطيع الآخرون اتباعه، وفى نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة لا تُعتبَر وسائل الإعلام وتكنولوجيا المعلومات قنوات متوفرة لنقل المعلومات فحسب، بل إنها تشكل مجال الفعل العملى الحقيقى الذى يتم فيه إنشاء وتنافس واستمرار الحركات نفسها.

هذه النقطة الأخيرة مهمة خاصةً؛ لأنها تمثل خروجا على المداخل المعتادة للاعلام فى نظرية الحركة الاجتماعية الأقدم، التى تُعد وسائل الإعلام وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات أدوات تستطيع الحركات استخدامها ، بعبارة أخرى إنها ثانوية بالنسبة إلى عمل وأهداف الحركات "الحقيقية" من تحقيق أهداف التغيير الاجتماعى، وتميل جميع أنواع نظريات الحركة الاجتماعية إلى اعتبار تكنولوجيات الاتصال قنوات مباشرة لنقل المعلومات، وتعكس وجهة نظر بسيطة - من شخص إلى عديدين أو "وسائل الإعلام الجماهيرية" أو "وسائل إعلام البث" - لم تعد متداولة حاليا بين معظم دارسى الإعلام (كارول Carroll، هاكيت Hackett , 2006؛ داونينج Downing, 2008؛ بوستر Poster, 1998؛ تامبينى Tambini, 1999)، وفى مناقشة نظريات الحركة الاجتماعية والتطورات الإعلامية، يشير روبرت هويسكا Robert Huesca، على سبيل

المثال، إلى "تواصل أدبيات الحركات الاجتماعية الجديدة بقليل - إن وجد - من إدراك عمليات الاتصال وغالبا بافتراضات ساذجة فيما يتعلق بسلطة وسائل الإعلام" (هويسكا Huesca, 2001 ، ص٤١٦)، والفكرة أن استخدام وسائل الإعلام الجديدة وتقنيات المعلومات قد يشكلان فى الواقع الحركات والأفعال فى حد ذاتها.

كان نقيض الحكمة التقليدية إن الإنترنت ووسائل الإعلام الرقمية الأخرى عادة ما تفعل أكثر قليلا من تضخيم أو خفض الاتصال فى المنظمات السياسية ... والمشكلة مع هذا الاعتبار وعشرات الاعتبارات الأخرى عن الإنترنت والسياسة هى أنها عادة ما تنظر إلى كيف تتبنى المؤسسات والمنظمات السياسية القائمة على الإنترنت فى روتينها الراهن. (بينيت Bennett, 2003، ص١٤٥)

وعلاوة على؛ ذلك فإن الاتصالات بوساطة شبكات الكمبيوتر والاتصال بين الأشخاص، من وجهة النظر التقليدية، هما فى الأساس نمطا اتصال منفصلان ومختلفان، وكلاهما يخدم أغراضا مختلفة فى عملية التعبئة، على المستوى "الكلى" أو المجتمع بأكمله، تساعد وسائل الإعلام الحركات فى "الدعاية" وتقديم رسائلها، أما على المستوى "الجزئى" أو المحلى، أو العلائقى، يساعد الاتصال بين الأفراد على تجنيد المشاركين وخلق الولاءات التى تؤدى إلى تماسك الحركات، ومع ذلك، يؤكد باحثو الإعلام المعاصرون أن فى الحركات الاجتماعية اليوم، كما فى المجتمع ككل، يتقاطع استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الشبكية ووسائل الإعلام الجديدة كما يتكاملان على كلا المستويين، وبالطبع تعد الجوانب "الجماهيرية" و"الشخصية" لوسائل الإعلام الجديدة متشابكة جدا لدرجة أن تصبح أقل فائدة كفئات متمايزة من الفعل الاتصالى (وجهة نظر سبق التعبير عنها فى تعريف وسائل الإعلام الجديدة فى الفصل الأول)، ومن هذا المنظور، فإن المشاركة عبر وسائل الإعلام الجديدة هى رمزية ومادية على حد سواء، ولا تعبر تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات ووسائل الإعلام عن رسائل الحركة أو تمثلها فحسب، بل هى فى الواقع كيف يصنع المشاركون الحركات ويشرعونها فى "سياسة الاتصالات" (كارول Carroll، هاكيت Hackett , 2006، ص٩٣،

وانظر أيضا تامبينى Tambini, 1999)، فى تحليله للحركة المناهضة لشركات العولمة، يلاحظ كاستلز إن "الشكل التشبيكى للحركة أصبح مبدأ تشبيكيا للحركة" (كاستلز Castells, 2009، ص٣٤٠).

ولا يتفق كيث هامبتون (2003) Keith Hampton، على سبيل المثال، مع الباحثين الذين يفصلون الإنترنت "على الوسائل الأخرى لتواصل الناس"، ويوضح كتابه التجريبى إن الشبكات الفورية الكبيرة من العلاقات الترابطية الضعيفة وتوافر وسائط تفاعل مع الآخرين عبر الإنترنت، مثل البريد الإلكترونى، تعزز فى الواقع الفعل الجماعى، كما يرفض بيمبر (2000) Bimber فكرة أن هناك أى تمييز بين الأشكال التقليدية من المشاركة المدنية وتلك التى تستخدم تكنولوجيات المعلومات الجديدة، كما يقول - إلى جانب أندرو فلانجن Andrew Flanagin وسينثيا ستول Cynthia Stohl (فلانجن Flanagin، ستول Stohl، بيمبر Bimber, 2006) - إن كل فعل جماعى - بما فى ذلك الحركات الاجتماعية - هو بالأساس اتصالى، وإن الحركات التى تحتل "مساحة الفعل الجماعى" مُعرَفَة من خلال طريقة تفاعل المشاركين - وتتراوح بين شخصية للغاية إلى غير شخصية للغاية - وطريقتهم فى المشاركة - وتتراوح من شبكية بمرونة ومنظمة ذاتيا، إلى هرمية بصرامة ومحكومة مركزيا؛ ويشير الكاتب إلى تلك بأنها "تنظيمية" و"مؤسسية" على التوالى - وفى مساحة الفعل الجماعى، يمكن تبنى مجموعة متنوعة من الإستراتيجيات الاتصالية، والعلاقات، والنظم التكنولوجية وفقا للوضع القائم.

تشير الأدبيات حول دراسات وسائل الإعلام النقدية، ونشاط وسائل الإعلام، والاتصال السياسى إلى مدى أهمية تكنولوجيات الاتصال فى الحركات الاجتماعية، تاريخيا ركز الباحثون والناشطون فى هذه المجالات على ممارسات ومنتجات صناعات وسائل الإعلام الرئيسة، والترفيه، والمعلومات - ما يسمى اليوم صناعات المحتوى - وخاصة وسائل الإعلام الشعبية مثل التليفزيون والسينما، والتسجيلات الموسيقية، ودورها فى المجتمعات الديمقراطية والسياسة، وفى الآونة الأخيرة رغم تحول تركيز بعض من هؤلاء الدارسين إلى استخدام النشطاء السياسيين والثقافيين "وسائل

الإعلام الجديدة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أجل نقد السائد، وبشكل حاسم، لإنتاج وتوزيع المحتوى الذى يعكس وجهات نظر بديلة، أو راديكالية، أو ممثله تمثيلا ناقصا - على سبيل المثال، ماكوى McCaughey، وايرز Ayers, 2003؛ فان دى دونك van de Donk وآخرون، ٢٠٠٤)، فإن دارسى النشاط عبر وسائل الإعلام يميزون بين الديمقراطية من خلال وسائل الإعلام - استخدام وسائل الإعلام، سواء من قبل الحكومات أو الجهات الفاعلة فى المجتمع المدنى لتعزيز الأهداف الديمقراطية والعمليات فى أماكن أخرى فى المجتمع)، وبين الديموقراطية وسائل الإعلام نفسها" - كارول Carroll، هاكيت Hackett, 2006 ص ٨٤، والتركيز فى النص الأصلى، وانظر أيضا بينيت Bennett, 2003 -.

كما سنرى فى دراسة الحالة أدناه، أن استخدمات النشطاء لوسائل الإعلام الجديدة والإنترنت تم وضعها أيضا ضمن ذخيرة أعمال الاحتجاج "غير التقليدية"، أو غير الرسمية، أو "فوق البرلمانية"، أو عبر الوطنية وأساليب التعبئة المرتبطة بالحركات الاجتماعية الجديدة (بينيت Bennett, 2003؛ كولمان Coleman, 2005؛ فان أليست Van Aelst، ولجراف Walgrave, 2002)، ويرى بعض المحللين ذلك لأنها تجمع بين أسلوب نشر وسائل الإعلام الجماهيرية من المحتوى البديل أو المهمش بالإضافة إلى فرص غنية من التفاعل الاجتماعى، كما يعزز استخدام الإنترنت من تشكيل وغرس "مساحات" ثقافية مقاومة أو ثقافية فرعية حيث يمكن عمل وتشارك وجهات نظر وهويات بديلة (خان Kahn وكيلنر Kellner, 2003, 2005)، ويرى آخرون وأن هيكل وسائل الإعلام الجديدة الشبكية يعزز تعبئة المشاركين والحركات عبر الحدود والحواجز المكانية والسياسية والأيديولوجية، والثقافية التقليدية (بينيت Bennett, 2003؛ تامبينى Tambini, 1999)، وكما أشرنا فى الفصل الثالث، يقول منظرو وسائل الإعلام والنشطاء: إن استخدام وسائل الإعلام الجديدة يدعم تنمية المجتمعات "المستقلة" أو "المتجولة" والتعبئة خارج المجتمع السائد، ووجهات النظر الفريدة من أجل التدخل السياسى والثقافى فى السياسة والثقافة السائدة (بى Bey, 2003؛ فرقة الفن الناقد، ١٩٩٤)، بينما ناقش محللون آخرون إمكانات الإنترنت وتكنولوجيا المعلومات

والاتصالات المتصلة من أجل خلق "جماهير مقاومة" أو تمديد أشكال جديدة من المجال العام على الإنترنت (كاميرت Cammaerts، وفان أدينهوف van Audenhove, 2005؛ ودالجرين Dahlgren, 2005؛ داونى Downey وفينتون Fenton, 2003؛ وانجمان Langman, 2005؛ وبوستر Poster, 1998).

بالطبع، ليس كل المحللين مقتنعين بأن استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، فى مقابل أنواع أخرى من وسائل الإعلام، يصنع فرقا حقيقيا فيما يتعلق بالعمل السياسى أو توزيع السلطة، فمثلا يرى هنرى جينكينز Henry Jenkins وديفيد ثوربورن David Thorburn (2003): إن مثل هذه الادعاءات مثل الحتمية التكنولوجية المستترة بالكاد، أو امتداد لرؤى "الثورة الرقمية" يقدمها النقاد والمدافعون عن رأسمالية السوق، ويحدد فرانك ويبستر Frank Webster (2001) أهم التغيرات فى المجتمعات المترفة فى العقود الأخيرة، بدءا من انخفاض دور الطبقة العاملة والمجتمعات التقليدية، وتزايد العولمة، وتراجع السيادة الوطنية، والانتشار الواسع للتكنولوجيات الجديدة، لا سيما تكنولوجيا وسائل الإعلام، إلا وأنه متشكك، ويشير إلى إن محللى العصر الحالى قد يكونون ميالين إلى الحالية – أى الميل إلى الاعتقاد أن وقت المرء غير مهم بشكل غير عادى ويتغاضون عن الاستمرارية مع الماضى:

> **. . . من السابق لأوانه الإعلان عن وصول السياسة الجديدة، والتأكد من أن هناك تعبيرات سياسية جديدة مثيرة للاهتمام فى العصر الحالى ... لكن الاستخدام المعاصر للإنترنت لتعبئة المتظاهرين – كما حدث فى سياتل، وواشنطن لاحقا، وكذلك، على نطاق أصغر، فى لندن – مثير للاهتمام اجتماعيا ... ولكن الأدلة على أن هذه الظواهر تدل على تحولات عميقة هى قليلة نوعا ما ... بينما يمكننا رؤية أن الابتكار والخيال فى العمل، وثقل الممارسات الراسخة والأحزاب السياسية تضغط بشدة. (ويستر Webster, 2001، ص١٠).**

وبالمثل، يؤكد كل من آلان سكوت Alan Scott، جون وول John Street (2000) على أن سمة الاحتجاج التعبيرية، و"غير التقليدية" والاحتفالية فى الحركات الاجتماعية المعاصرة (سواء على الإنترنت وخارجها) ليست شيئا جديدا، ولكن يمكن أن تعزى إلى نماذج الثقافة الشعبية ما قبل الويب وتُحلل من منظور نظريات تعبئة الموارد.

باختصار؛ نستطيع القول: إن تكنولوجيا الاتصال والإعلام لعبت دائما دورا أساسيا فى تعبئة الحركة الاجتماعية، وفى الواقع يمكن أن تصبح الحركات الاجتماعية ممكنة بالكاد إذا لم يتمكن المشاركون من التفاعل والاعتراف، وبلورة القيم والأهداف، وتشكيل العلاقات والحفاظ عليها، وتبادل المعلومات والمشورة، وتمثيل القضايا ووجهات النظر، والخلافات الجدلية والتعبير عن أنفسهم ومصالحهم، سواء شخصيا أو عبر القنوات الإعلامية.

ومع ذلك، فى سياق الإعلام المعاصر يجب علينا إعادة النظر فى بعض الثنائيات التقليدية المرتبطة بتعبئة الحركة والاتصال، مثل التمييز بين العمل الفردى والجماعى، أو بين مواقع العمل العالمية والمحلية، على سبيل المثال؛ قد تصبح تلك الثنائيات غير واضحة عندما تكون لدى أى مشارك فى حركة ما القدرة على التعبير عن الأفكار، وتشكيل أهداف حركة أوسع نطاقا فى قائمة نقاش بريد إلكترونى، أو ويكى، أو منشور إنديميديا، ويصبح الخط الفاصل بين الجوانب الرمزية والمادية من التعبئة أقل وضوحا عندما تصبح التكنولوجيات الرقمية هى وسائل التعبير والتعبير نفسه على حد سواء، كما فى حالة أعمال قطع الخدمة الموزعة ضد مواقع الشركات أو الحكومة الخاصة بالنشاط القرصنى، لذا فإن الفصل التقليدى بين الاتصال بين الأشخاص وبين وسائل الإعلام غير قابل للاستمرار فى حالة التفاعل عبر الإنترنت التى تدمج الرسائل الشخصية، مع الوصلات إلى الوثائق النصية ومقاطع فيديو وتجميعات الصوت والفيديو الساخرة أو الناقدة لمحتوى وسائل الإعلام السائدة، بالإضافة إلى البريد الإلكترونى، والمواقع، والمدونات، ومواقع الرسائل بأسلوب تويتر التى لديها وصول عالمى فورى.

كما يقول كاستلز: بالنسبة إلى الحركة الاجتماعية على الإنترنت يصبح "تعبيرها عبر الإنترنت" هو "كلا من شكلها التنظيمى وطريقة عملها" (كاستلز Castells, 2009، ص٣٣٨)، وتعبر الحركات المعاصرة عن "منطق ثقافى للتشبيك" أو "نموذج شبكى" يُعبَر عنه فى كل من الهياكل الاجتماعية/التقنية والأعمال الاتصالية بين المشاركين (جوريس Juris, 2005، ص١٩٢)، وهو بالضبط هذا التقاطع والمزج بين الرسالة

والقناة، وبين المادية والاجتماعية، وبين الوسائل والغايات، وعلى الإنترنت وخارجها، وهو السمة المميزة للتعبئة بوساطة شبكات الكمبيوتر.

التعبئة علي الإنترنت: حركة العدالة العالمية

استخدامات الإنترنت وتكنولوجيات الاتصال ذات الصلة فى الحركات المناهضة للعولمة، أو حركات العدالة العالمية جرى دراستها على نطاق واسع لدرجة أن هذا الموضوع يشكل مجالا فرعيا فى حد ذاته، وهو ما اسماه أحد النقاد "أدبيات ما بعد سياتل" (أولسون Oleson, 2003، ص٢٢٩)، ويعزو بعض[٣٠] الكتاب أصولها إلى مقاومة زاباتيستا Zapatista فى مدينة تشياباس Chiapas، فى المكسيك أوائل التسعينيات، التى نشرت مظالمها وأهدافها، وأنشطتها على المواقع الخاصة بها واستخدمت تقنيات قطع الخدمة من أجل زيادة التحميل على مواقع المعارضين وتعطيلها، و"من خلال إظهار إمكانات تكنولوجيات الإنترنت، خلقت حركة زاباتيستا تحولا طويل الأمد فى سياسة الحركة الاجتماعية العالمية" (تشادويك Chadwick, 2006، ص١٢٧، وانظر أيضا كاستلز Castells, 1997، كليفر Cleaver, 1998, 1994؛ فورد Ford، جيل Gil, 2001، جاريدو، هلفيس Halavais, 2003؛ خان Kahn، كيلنر Kellner, 2004؛ انجمان Langman, 2005)، بالنسبة إلى الآخرين كانت نقطة الانطلاق الحاسمة هى هزيمة منظمة مشروع الاتفاقية المتعددة الأطراف للتعاون الاقتصادى والتنمية بشأن الاستثمار، والتى واجهت معارضة وغضبًا فى جميع أنحاء العالم عندما تم تسريبها إلى النشطاء ونُشرَت على الإنترنت فى عام ١٩٩٨: "كانت - منظمة مشروع الاتفاقية المتعددة الأطراف للتعاون الاقتصادى والتنمية بشأن الاستثمار - أول تفاوض اقتصادى بين الدول الكبرى حيث وسائل الإعلام ... وكان المفاوضون من المنظمات غير الحكومية المعارضة للاتفاق والأكاديميين ... يبدون جميعا متفقين على أن الإنترنت أداة رئيسية يستخدمها المعارضون بفاعلية لمنع الاتفاقية"(سميثSmith، سمايث Smythe, 2001، ص١٩١، وانظر أيضا بينيت Bennett, 2003؛ وفان أليست Van Aelst وولجراف Walgrave, 2002).

مع ذلك غالبا ما يرجع الفضل إلى "معركة سياتل" فى عام ١٩٩٩ - التى حاصر فيها عشرات الآلاف من المتظاهرين اجتماع منظمة التجارة العالمية ومنعوا حضور المندوبين، التى جذبت فيها المصادمات بين المتظاهرين الفوضويين والشرطة والاعتداءات على الممتلكات تغطية إعلامية فى جميع أنحاء العالم، والتى تأسس فيها أول مركز إعلام مستقل وبدأت فيها حركة إنديميديا- فى إطلاق حركة العدالة العالمية كحركة عبر وطنية على الإنترنت (جوريس Juris, 2005, 2008؛ خان Kahn، كيلنر Kellner, 2004, 2005، كيك Keck، سيكنك Sikkink, 1998)، كما أنها بين الأكاديميين والناشطين على حد سواء "أصبح معترفا بها باعتبارها لحظة فاصلة فى تطور النشاط العالمى" (بينيت Bennett , 2003، ص١٤٤)، و"رمزا كبيرا للنضال ضد العولمة" (فان أليست Van Aelst، ولجراف Walgrave, 2002، ص٤٦٨).

فى معظم التقديرات، صنعت استخدامات النشطاء الإبداعية للإنترنت وتقنيات الاتصالات الرقمية الأخرى من سياتل لحظة فاصلة، وقد لعبت وسائل الإعلام الجديدة دورا لا غنى عنه فى حركة العدالة العالمية عن طريق جمع مجموعة متنوعة من الجماعات والقضايا معا فى حركة منتشرة عالميا ومعبرة بطلاقة، ومنظمة ذاتيا، وقادرة على الاستجابة إلى الهيئات السياسية متعددة الجنسيات الرئيسة، وقادرة على تنظيم الفاعليات بوضوح عال فى جميع أنحاء العالم، ويعتبر "النشاط عبر وسائل الإعلام والشبكات الرقمية بشكل عام من ضمن أهم ملامح الحركات المعاصرة المناهضة لشركات العولمة" (جوريس Juris, 2005، ص١٩١)، واستطاعت "شبكة الإنترنت العالمية ... خلق القاعدة والأسس لحركات لا مثيل لها فى جميع أنحاء العالم لمناهضة الحرب/تأييد السلام والعدالة الاجتماعية فى زمن الإرهاب والحرب والنضال السياسى المكثف" (خان Kahn، كيلنر Kellner, 2004، ص٨٨)، لذا "هذه الأنواع الجديدة من الحركات الاجتماعية المعتمدة على الإنترنت، وهذا النشاط الافتراضى جديد تماما ويتطلب أنواعًا جديدة من التنظير" (انجمان Langman, 2005، ص٤٤)، ومكنت تكنولوجيات الاتصال الجديدة ما يسميه لانس بينيت Lance Bennett "سياسة جديدة" هى فى الأساس "مختلفة فى معيارها العالمى، وتعقيدها الشبكى، وانفتاحها على الهويات السياسية

المتنوعة، وقدرتها على التضحية بالتكامل الأيديولوجى لصالح تحقيق مكاسب سياسية براجماتية ... كما إن قدرتها على إعادة تشكيل نفسها باستمرار حول قضايا التحول، والأحداث الاحتجاجية، والخصوم السياسية مثيرة للإعجاب" (بينيت Bennett, 2003، ص١٤٣)، وهكذا فإن حركة العدالة العالمية ليست "ضد العولمة" فى حد ذاتها – ففى الواقع أهدافها ، ومداها، وأعمالها عالمية: "تنخرط شبكات النشطاء سياسيا مع الأهداف غير الرسمية وعبر الوطنية مثل الشركات وأنظمة التجارة، وهناك تنسيق متزايد من الاتصال والعمل عبر شبكات الناشطة الدولية" (بينيت Bennett, 2003، ص ١٤٤، وانظر أيضا جوريس Juris, 2008؛ انجمان Langman, 2005)، ما يعترض عليه النشطاء هى شركات الليبرالية الجديدة والرؤية الرأسمالية للعولمة، وبدلا منها يقدمون بديلا، ورؤية مُركزَة اجتماعيا ("العدالة العالمية") تؤكد على العدالة الاجتماعية والسياسية، والتجارة العادلة، والمسؤولية البيئية، ومشاركة أفقر السكان مباشرةً فى القرارات الاقتصادية عالمية النطاق التى تؤثر عليهم.

كما أوضحنا بالتفصيل فى الفصل الخامس، أنشأ نشطاء العدالة العالمية فى سياتل، بالتعاون مع المبرمجين والتقنيين ومنتجى وسائل الإعلام/الناشطين وسائل الإنتاج الإعلامى الخاصة بهم، ومختبراتهم التكنولوجية المؤقتة، وقدموا تغطية فى موقع الحدث قدمت وجهة نظر حول أحداث الاحتجاجات مختلفة إلى حد كبير عن الموجودة فى الصحافة ووسائل البث السائدة، ولم يقتصر استخدام الإنترنت على توزيع المعلومات فحسب، بل أيضا لتوظيف وإرشاد المشاركين فى الاحتجاج، وتنظيم وترويج الأحداث المتصلة بالاحتجاج، وتلقيم محتوى إنديميديا إلى وسائل الإعلام الرئيسية، وتنفيذ نشاط قرصنى ضد مواقع المنظمات المستهدفة.

وبناء على نجاح حدث سياتل، استمر نشطاء العدالة العالمية فى حشد المؤيدين وتعبئة الاحتجاجات فى كل قمة اقتصادية كبرى متعددة الأطراف تقريبا على مدى العقد التالى (كاستلز Castells , 2009)، كما نظموا أيضا سلسلة خاصة من "قمم معارضة" دورية، مثل اجتماعات المنتدى الاجتماعى العالمى السنوية (http://www.forumsocialmundial.org.br)، وصُممت هذه الأحداث بأسلوب احتفالى

غير رسمى كنقاط معارضة لاجتماعات المنتدى الاقتصادى العالمى، وكانت بعض الأعمال أكثر نجاحا من الأخرى، على سبيل المثال؛ تزايدت التجمعات من خمسين ألف مشارك فى بورتو أليجرى، البرازيل، فى عام ٢٠٠١، إلى ١٥٠ ألف مشارك فى عام ٢٠٠٥ (كاستلز Castells ,2009؛ انجمان Langman, 2005)، كما جذبت اتفاقية التجارة الحرة بين الأمريكتين فى قمة ميامى، بولاية فلوريدا، فى نوفمبر ٢٠٠٣ آلاف المحتجين رغم استعراض القوة الضخم الذى نظمته الشرطة المحلية، كما تعطلت وألغيت اجتماعات منظمة التجارة العالمية عام ٢٠٠٣ فى كانكون، وتحول نصف مليون شخص إلى الاحتجاجات ضد الاتحاد الأوربى فى برشلونة فى مارس ٢٠٠٢ (جوريس Juris, 2005)، ومن ناحية أخرى، جذبت الأعمال ضد اجتماعات صندوق النقد/البنك الدوليين فى براغ فى أكتوبر عام ٢٠٠٠، وضد منظمة التجارة الحرة فى مدينة كيبيك فى عام ٢٠٠١ مشاركين عديدين أقل، واتسمت اللقاءات بالمواجهات الأكثر عنفا ضد الشرطة (فان أليست Van Aelst، ولجراف Walgrave, 2002).

ويتشكك بعض النقاد فى اختلاف حركة الاتصالات والتعبئة على الإنترنت اختلافا جوهريا عن نوع استخدامات وسائل الإعلام فى الحركات التقليدية فى الماضى (على سبيل المثال؛ رايت Wright , 2004)، ويزعمون أن أى "تدويل" مفترض للحركات على الإنترنت يصب بالأساس فى مصلحة الناشطين فى المناطق الغنية الذين لديهم وصول جيد إلى الإنترنت (تيلى Tilly , 2004)، ولاحظ آخرون أنه حتى أكثر الحركات المعاصرة دهاء من الناحية التكنولوجية لا تعتمد فقط على شبكة الإنترنت والتكنولوجيات الرقمية الجديدة، بل تستخدم مزيجا من وسائل الإعلام الجماهيرية وأنظمة وأساليب وسائل الإعلام الجديدة كى تتواصل مع المشاركين فيها ومع عامة الجمهور (تشادويك Chadwick , 2006 ، وهالك Halleck, 2002؛ وكيد Kidd, 2003؛ وموريس Morris , 2004)، وكما يشير بينيت Bennett (2003) - وذكرنا فى مناقشة إنديميديا فى الفصل السابق- تؤثر وسائل الإعلام الجديدة المعاصرة فى كثير من الأحيان على تغطية جدول أعمال وسائل الإعلام الجماهيرية، ويزعم مراقبون آخرون أن معظم مجموعات الحركات -- حتى تلك التى لديها وصول إلى شبكة الإنترنت والتطور

التكنولوجى- تميل إلى استخدامها فى وظائف اتصالية روتينية، ونادرا ما تستفيد استفادة كاملة من قدرات وميزات التكنولوجيا (شتاين Stein , 2009).

ومع ذلك، تشير الأبحاث والدراسات العلمية الكثيرة حول حركة العدالة العالمية على مدى العقد الماضى إلى أن تبنى النشطاء للإنترنت والتكنولوجيات الرقمية الأخرى قد توسع سريعا خلال العقد الماضى، وغيَّر من طبيعة الحركات المعاصرة والنشاط بطريقة لا تفسرها تماما نظريات الحركة الاجتماعية القائمة، ويؤكد العديد من المحللين -الذين يأخذون إشارتهم من عمل كاستلز المُبدِع حول الهوية، والشبكات العالمية، والحركات الاجتماعية الجديدة (كاستلز Castells , 1997)- إن هناك حاجة إلى أطر جديدة لفهم الحركات واسعة النطاق، وفضفاضة التنظيم، واللا مركزية، وعبر الوطنية وكثيفة الوساطة بشبكات الكمبيوتر مثل حركة العدالة العالمية، التى يسميها لورين انجمان Lauren Langman، على سبيل المثال: "حركات اجتماعية بين شبكية"، ويؤكد إن:

> **هذه الأنواع الجديدة من الحركات الاجتماعية القائمة على الإنترنت - افتراضية النشاط - جديدة تماما وتتطلب أنواعا جديدة من التنظير ... الاختلافات المحددة تاريخيا بين الحركات الاجتماعية بين الشبكية وبين الحركات السابقة لم يتم التنظير لها بالكامل ضمن نظرية الحركة الاجتماعية التى حاولت توظيف النماذج التى ظهرت فى سياقات سابقة، كما لم تعالج النظرية الاجتماعية عموما بعض الجوانب البارزة من الاتصال بوساطة الكمبيوتر، وأنواع الاتصالات، والشبكات، والمجتمعات، والهويات بوساطة إلكترونية التى ظهرت، كما تفرض الحقائق الجديدة "لمجتمع الشبكة" إعادة النظر فى التعبئة الاجتماعية. (انجمان،Langman 2005، ص٤٤-٥)**

اقترح جيفرى جوريس Jeffrey Juris، أحد مساعدى مانويل كاستلز Manuel Castells، إعادة تأطير النشاط العابر للحدود، استنادا إلى تجربته كناشط فى حركة العدالة العالمية وكباحث أنثروبولوجيا يدرس النشاط عبر وسائل الإعلام فى أوربا

وأمريكا اللاتينية (جوريس Juris, 2005 , 2008)، وهو ما ينسجم مع الفكرة المشار إليها فى الفصول السابقة، من أن وسائل الإعلام الجديدة هى على حد سواء "مادة ثقافية وثقافة مادية" (بوشكويسكى Boczkowski، ليفرو Lievrouw, 2008)، ويقول: إن تكنولوجيات الاتصال هى سمة أساسية من سمات الحركات المعاصرة، لا تنفصل عن قيم الحركة، والعمل، وأنماط الحياة، والهويات والمصالح، وهى بالطبع فى سياق شبكات المعلومات والاتصالات العالمية التى تبنتها الرؤى البديلة للمجتمع من خلال نشطاء الحركة الاجتماعية الحالية وقد تحققت ماديا، "ويشير التداول العالمى للخطاب والإستراتيجيات والتكتيكات إلى ظهور شبكة عالمية من الجماهير المعارضة عبر الوطنية البديلة" (جوريس، ٢٠٠٥، ص ١٩٦).

ويقول جوريس Juris (2008): إن النشطاء ليسوا مجرد مستخدمين لوسائل الإعلام الشبكية وتكنولوجيا المعلومات، ولكنهم استوعبوا بالفعل "المنطق الثقافى للشبكات" (ص١١) فى جميع جوانب قيم الحركة والعمل، عبر الإنترنت وخارجها، على سبيل المثال تتجسد البنى مفتوحة المصدر من نظير إلى نظير فى قلب التنظيم الاجتماعى وقواعد الحركات الجديدة، فضلا عن النظم نفسها، " كما أصبحت الشبكة مثالا ثقافيا قويا، لاسيما بين صفوف النشطاء الأكثر راديكالية، ومنطقا موجها يقدم نموذجا من ولأجل الأشكال الناشئة من السياسة الديمقراطية المباشرة" (ص١١)، وكما يقول جوريس: "الروح المحفزة وراء هذا التطبيق العملى السياسى الناشئ هى "فوضوية بالأساس ... تحررية" (ص١٥)، وتوسعا فى نقاط جوريس الرئيسية، يصف كاستلز استخدامات الحركة للتكنولوجيات الجديدة بأنها "مشروع التنظيم المجتمعى حول إدارة ذاتية شبكية وشكل جديد من الإنتاج والتنظيم الاجتماعى على أساس منطق مفتوح المصدر، وأمر بعد رأسمالى على أساس مبادئ البرمجيات المجانية" (كاستلز،Castells 2009، ص٣٤٣).

على سبيل المثال؛ سمة أساسية من سمات الحركات عبر الوطنية المعاصرة هى إنشاء مراكز تكنولوجيا أو معامل إعلام، سواء كمنظمات دائمة (على سبيل المثال؛ مراكز الإعلام المستقل الخاصة بإنديميديا) أو كقواعد مخصصة خلال الاحتجاجات

وأحداث الحركة الأخرى، وأصبحت هذه المراكز سمة معتادة من احتجاجات العدالة العالمية ومؤتمرات القمم المعارضة مثل اجتماعات المنتدى الاجتماعى العالمى، ويقول جوريس: إن هذه المراكز، التى تقدم وسائل تكنولوجية فى الموقع، ووصول إلى الشبكة، وخدمات دعم، هى بمثابة معامل بهدف "تجريب" التكنولوجيات البديلة والأشكال الجديدة المؤقتة من التنظيم السياسى والاجتماعى، وذلك تمشيا مع الأشكال الاجتماعية الهائمة، أو المستقلة، أو الجذمورية التى ينادى بها نشطاء الإعلام الراديكاليون والمنظرون الاجتماعيون (بى Bey, 2003؛ فرقة الفن الناقد، ١٩٩٤؛ دولوز Deleuze، جواترى(Guattari, 1937 [1980]، وتسمح المراكز التقنية إلى النشطاء بتوضيح وتمثيل القيم والممارسات الجديدة أو البديلة، أو "الأخرى" إلى بقية المجتمع، فى الواقع، قد ينطبق تحليل آلان تورين للتهميش والحركات الاجتماعية الجديدة فقط على مراكز تقنية الحركة: "معمل يمكن فيه تجريب ثقافة جديدة ومشروع اجتماعى معارض" (تورين [1984] Touraine, 1988، ص١٠٦)، إلا إنها تستخدم كثيرا من أجل اللعب، والتنشئة الاجتماعية، والترفيه تماما كما تُستخدَم من أجل أنشطة الحركة "الجادة" (كاستلز Castells, 2009)، كما أنها مشبكة فى الحركات الاجتماعية الحالية كما هى فى كل جانب من جوانب حياة جيل الناشطين الحالى اليومية الأخرى.

وعلى نطاق أوسع، تشير الأدبيات حول نشاط العدالة العالمية إلى أن تكنولوجيات الاتصالات الشبكية خدمت ثلاثة أغراض رئيسية فى الحركة حتى الآن؛ أولها وأهمها: هى إن الإنترنت كانت أداة لا غنى عنها من أجل التنسيق بين الجماعات المختلفة، لا سيما فى عملية تنظيم وتقديم احتجاجات شوارع حية، والعمل المباشر، و"القمم المعارضة" فى جميع أنحاء العالم على دورة تحول قصيرة بشكل ملحوظ (ويبين الجدول ٦-١ تسلسلا زمنيا لأحداث احتجاجية مختارة منذ عام ١٩٩٩ استخدمت الإنترنت والتكنولوجيات المتصلة استخداما جوهريا.

جدول (٦-١) يوضح جدول زمنى لاحتياجات حركة العدالة العالمية والقمم المعارضة بالتنسيق مع وسائل الإعلام الجديدة/ على الإنترنت

التاريخ		الحدث الاحتجاجى	قسم معارضة	المكان
١٩٩٩	يونيو	مهرجان ضد الرأسمالية		جميع أنحاء العالم
		قمة مجموعة الثمانى		كولون (ألمانيا)
	نوفمبر – ديسمبر	منظمة التجارة العالمية		سياتل (الولايات المتحدة)
٢٠٠٠	يناير	المنتدى الاقتصادى الدولى		دافوس (سويسرا)
	أبريل	البنك/صندوق النقد الدوليان		واشنطن (الولايات المتحدة)
	سبتمبر	المنتدى الاقتصادى الدولى		ميلبورن (أستراليا)
		البنك/صندوق النقد الدوليان		براغ
	نوفمبر	قمة مجموعة الثمانية		مونتريال (كندا)
	ديسمبر	قمة الاتحاد الأوربى		نيس (فرنسا)
٢٠٠١	يناير		المنتدى الاجتماعى الدولى	بورتو أليجرى (البرازيل)
		المنتدى الاقتصادى الدولى		دافوس (سويسرا)
	أبريل	اتفاقية التجارة الحرة بين الأمريكتين		كيبيك (كندا)
	يونيو	قمة الاتحاد الأوربى		جوتنبرج (ألمانيا)
		البنك الدولى		برشلونة (إسبانيا)
	يوليو	المنتدى الاقتصادى الدولى		سلزبورج (أستراليا)
		قمة مجموعة الثمانى		جنوة (إيطاليا)
٢٠٠٢	يناير	المنتدى الاقتصادى الدولى	المنتدى الاجتماعى الدولى	بورتو أليجرى (البرازيل)
	مارس	قمة الاتحاد الأوربى		نيويورك (الولايات المتحدة)
	يونيو	قمة مجموعة الثمانى		أوسلو (النرويج)
		اجتماع البنك الدولى		برشلونة (إسبانيا)
	يوليو	لا حدود/ احتجاج شنجن		أوتاوا (كندا)
	سبتمبر	البنك/صندوق النقد الدوليان		واشنطن (الولايات المتحدة)

التاريخ		الحدث الاحتجاجى	قسم معارضة	المكان
	نوفمبر		المنتدى الاجتماعى الدولى	فلورنسا (إيطاليا)
	يناير			بورتو أليجرى (البرازيل)
	يونيو	قمة مجموعة الثمانى		لوزان (فرنسا)
		قمة الاتحاد الأوربى	المنتدى الاجتماعى الدولى	ثيوسيلينكا (ألمانيا)
٢٠٠٣	سبتمبر	منظمة التجارة العالمية (الاجتماع الوزارى الخامس)		كانكان (المكسيك)
	أكتوبر	المنتدى الاقتصادى الدولى الإقليمى		دبلن (أيرلندا)
	نوفمبر		المنتدى الاجتماعى الدولى	باريس (فرنسا)
		اتفاقية التجارة الحرة بين الأمريكتين		ميامى (الولايات المتحدة)
	يناير		المنتدى الاجتماعى الدولى	مومباى (الهند)
٢٠٠٤	أبريل	المنتدى الاقتصادى الدولى		وارسو (بولندا)
	أكتوبر		المنتدى الاجتماعى الدولى	لندن (المملكة المتحدة)
	نوفمبر			سنتياجو (شيلى)
	يناير		المنتدى الاجتماعى الدولى	بورتو أليجرى (البرازيل)
٢٠٠٥	يوليو	قمة مجموعة الثمانية		أدنبرة (سكوتلندا)
	ديسمبر	منظمة التجارة العالمية (الاجتماع الوزارى السادس)		هونج كونج
٢٠٠٦	يناير		المنتدى الاجتماعى الدولى	كاركاس (فنزويلا)
	مارس		المنتدى الاجتماعى الدولى	كراتشى (باكستان)
	مايو		المنتدى الاجتماعى الدولى	أثينا (اليونان)
	نوفمبر	قمة مجموعة العشرين		ميلبورن (أستراليا)
	يناير		المنتدى الاجتماعى الدولى	نيروبى (كينيا)
	مايو	قمة مجموعة الثمانى		هامبورج (ألمانيا)
٢٠٠٧	يونيو	قمة مجموعة الثمانى		روستوك (ألمانيا)
	سبتمبر	المنتدى الاقتصادى الآسيوى الباسيفيكى		أستراليا
	أكتوبر	البنك/صندوق النقد الدوليان		واشنطن (الولايات المتحدة)

التاريخ		الحدث الاحتجاجى	قسم معارضة	المكان
٢٠٠٨	يناير		المنتدى الاجتماعى الدولى	جميع أنحاء العالم
	سبتمبر		المنتدى الاجتماعى الدولى	مالمو (سويسرا)
٢٠٠٩	يناير		المنتدى الاجتماعى الدولى	بيليم (البرتغال)
	مـارس-- أبريل	قمة مجموعة العشرين		لندن (المملكة المتحدة)
	أبريل	البنك/صندوق النقد الدوليان		واشنطن (الولايات المتحدة)
	يوليو	قمة مجموعة الثمانى		روما (إيطاليا)

استـفـاد المنظمـون المحليـون وزمـلاؤهـم العـالميـون من الشـبكات الناشطة على الإنترنت فى تخطيط ومناقشـة الأعمال المستـقبلية، وتوظيف المتطوعين والمشـاركين، وتقديم المشورة التنظيمـيـة، والتمـاس التمـويل، وغيـره من أشكال الدعم، والتنسـيق، وجوانب لوجستيـة لا تحصى ولا تعد من جمع عشرات الآلاف من المشاركين فى مكان واحد وإمدادهم بالوسائل الأساسية، والنقل، والدعم التكنولوجى، أما على الإنترنت فقد تغلب الناشطون والمنظمون على العديد من الحواجز المادية على الاتصالات التى عرقلت تنظيم الحركة عبر الحدود الوطنية والثقافية والجغرافية فى الماضى، إلى جانب سهولة ورخص السفر الجوى الدولى نسبيا، كما ساهمت الاتصالات عبر الإنترنت بالتأكيد فى الإقبـال الكبيـر الملحـوظ على الاحتـجـاج فى أمـاكن مـتـفـرقـة من بورتو أليـجـرى إلى مونتريال إلى مومباى.

ومن الواضح أنه لا يستطيع كل الناشطين المشاركة أو الحضور فى كل الأحداث (جوريس Juris, 2005, 2008، وانظر أيضا شتاين Stein, 2009) و"الروابط الأفقية" عبر منظمات ومواقع ونشطاء الحركة غالبا ما تقام بشكل عرضى وقابل للتكيف، أو تتعطل بحسب تغيـر الظروف، ومع ذلك تشـيـر قـدرة الناشطين على توظيف تكنولوجـيـات الاتصال لتعبئة الناس والأحداث فى أى مكان فى العالم على أساس الاحتياج إلى حد ما، إلى أن الحركة تعمل كأنها "حملة دائمة" على النحو المبين فى الفصل الثانى.

أما الاستخدام الرئيس الثانى للإنترنت فى حركة العدالة العالمية فهو كمنصة لإنتاج وتوزيع المحتوى، حيث تُستخدم الويب من أجل "الإعلان" عن أنشطة الحركة وتعريفاتها واهتماماتها، وقيمها إلى الجمهور الأكبر، كى توفر نقاطا معارضة لآراء المعارضين واعتبارات الصحافة السائدة، ومن أجل تبادل المعلومات وبناء التضامن بين الناشطين والجماعات المتحالفين معها، ويرتكز هذا الجانب من استخدام الإنترنت على الأشكال المبكرة من نشاط (اصنعه بنفسك) عبر وسائل الإعلام، وعلى ديمقراطية وسائل الإعلام، ووسائل الإعلام التكتيكية، التى من خلالها لا ينتقد النشطاء السائد فقط، بل أيضا ينتجون المحتوى البديل الخاص بهم.

هنا؛ ربما كانت شبكة مراكز الإعلام المستقل/إنديميديا العالمية هى القناة الأكثر فاعلية لإنتاج وتوزيع المحتوى المتصل بالحركة بين الناشطين والجمهور العام، وأوجه التشابه مع وسائل الإعلام واضحة: على سبيل المثال نظمت إنديميديا نفسها عمدا على غرار الخدمة الإخبارية التقليدية "وكالة الأنباء" مثل وكالة أسوشيتد برس أو رويترز، مع فارق أن إنديميديا مفتوحة لكل من يريد المساهمة والاشتراك فى ظل "حراسة بوابة" تحريرية قليلة جدا، ولكن وسائل الاعلام على الإنترنت الراديكالية تعرضت أيضًا إلى مستويات متزايدة من المضايقات القانونية والرقابة المباشرة من الأنظمة الاستبدادية وحتى من الدول الأكثر "ليبرالية" (جوريس Juris, 2005، وانظر أيضا الفصل الخامس).

أما السبب الثالث: وهو الأقل شيوعا والأقل تقليدية، كان استخدام تكنولوجيات وسائل الإعلام الجديدة بين ناشطى حركة العدالة العالمية للمشاركة فى النشاط القرصنى، والعصيان المدنى الإلكترونى (راى Wray, 1998)، وتدخلات مماثلة تشمل البنية التحتية التكنولوجية نفسها، وهذه المبادرات ليست دائما معقدة تكنولوجيا، على سبيل المثال يشير تيم جوردن Tim Jordan وبول تايلور Paul Taylor (2004) إلى أن نشطاء العدالة العالمية كانوا يفضلون إلى حد ما تقنيات التكنولوجيا المنخفضة نسبيا مثل قطع الخدمة الموزع أو هجمات "عاصفة بينج ping- storm" عبر طرق أكثر فاعلية ومركزية، التى فيها (على سبيل المثال) بعض المبرمجين يتحكمون فى برامج آلية

و"شبكة روبوت" يمكنها اجتياح المواقع المستهدفة مؤقتا بملايين من الطلبات المنشأة آليا لإعادة تحميل الصفحة أو طلب معلومات، بعض الناشطين يعدون "التكنولوجيا السيئة" مثل قطع الخدمة الموزع؛ يمكن أن تكون شكلا من العصيان المدنى الإلكترونى أكثر أخلاقية لأنها مصممة عمدا لإشراك مزيد من الناس، كما أنها تتطلب من المحتجين الأفراد الاختيار العمد إذا ما كانوا سيشاركون فى عمل "الحصار" وبالتالى يعرضون أنفسهم لإجراءات قانونية (إلى حد كبير مثلما يجب على المتظاهرين "مباشرة" تقرير ما إذا كانوا سيغلقون ماديا رصيفًا أو مدخلاً كى يمنعوا المشاركين فى قمة من دخول مبنى، مما يعرضهم إلى الاعتقال والمحاكمة نتيجة لذلك)(٣١).

من الواضح؛ من هذه الاستخدامات الثلاثة للإنترنت، يحمل كلا من النشاط القرصنى والعصيان المدنى الإلكترونى أكبر قدرا من المخاطر القانونية، لاسيما أن أى دخول أو تلاعب فى أنظمة الكمبيوتر، حتى بغرض الدعابة البريئة، تم تجريمه ومحاكمته بصرامة فى أجواء أعقاب ١١ سبتمبر، ومع ذلك، فمن إجراءات فلودنت FloodNet وحتى حركة زاباتيستا Zapatista، الهادفة إلى زيادة الحمل على مواقع الشركات والحكومة المعادية وتعطيلها، إلى إجراءات قطع الخدمة الموزع ضد مواقع منظمة التجارة العالمية خلال احتجاجات سياتل واستمرار "النشاط عبر القرصنة" من قبل المبرمجين والتكنولوجيين الناشطين، ظلت هذه التكتيكات جزءا من ذخيرة العمل المباشر لدى حركة العدالة العالمية.

ملخص التعبئة بوساطة شبكات الكمبيوتر باعتبارها نوعاً

بالعودة إلى إطار النوع المستخدم فى هذا الكتاب، من الواضح أن التعبئة بوساطة شبكات الكمبيوتر مميزة من حيث نطاقها، وموقفها بالنسبة إلى المجتمع ككل، ووكالة/فعل المشاركين، فيما يتعلق بالنطاق من الواضح أن التعبئة بوساطة شبكات الكمبيوتر تعاونية، وبالطبع من وجهة نظر معينة يمكن اعتبارها نهاية المطاف، وبشكل أساسى عملية لتشجيع التعاون بين الناس متقاربى الميول والأفكار، ويأخذ التعاون هنا

أشكالا متنوعة بدايةً من العلاقات والتفاعل بين الأشخاص، إلى إنشاء وتبادل الأفكار والآراء والمعلومات عبر المدونات، والمواقع، والويكى، والبريد الإلكترونى، وقوائم البريد، إلى المشاركة "المباشرة" واسعة النطاق فى احتجاجات، وورش عمل، واجتماعات قمم معارضة، إلى آخره، فالتعبئة ليست مجرد جمع وتخصيص الموارد (الناس والوقت والتمويل والتكنولوجيا والمساحة)، إنها تخلق أيضا شعورا بالانتماء والتضامن والهوية الجماعية بين المشاركين الذين يعبرون من خلال أنشطتهم التعاونية.

من حيث الموقف من الحركات الاجتماعية المتصلة بالمجتمع الأكبر، عززت التعبئة بوساطة شبكات الكمبيوتر أيضا الحركات المغايرة والثقافية الفرعية بوضوح، وتعتمد الحركات الاجتماعية إلى حد كبير على قدرات الناشطين على التعبير وتقديمهم مصالحهم واهتماماتهم فى مواجهة ومعارضة الوضع الراهن، وتتواجد الحركات كقوات ثورية "خارج" المؤسسات التقليدية وممارسات السلطة، وكإصلاح وتحدٍ لازمين ومشروع لتلك المؤسسات والممارسات، وتتجلى السمات الثقافية الفرعية لحركة العدالة العالمية بوضوح فى معارضة الحركة أقوى المؤسسات الاقتصادية متعددة الجنسيات، فضلا عن مناهضة الاستغلال البيئى والاقتصادى، كما يتجلى فى التزامها تجاه الديمقراطية الراديكالية، ومصالح المجتمعات المهمشة أو المضطهدة، إلى آخره، وكما أوضحت العديد من الأمثلة فى هذا الفصل، وكما أشار العديد من منظرى الحركة الاجتماعية، فإن تكنولوجيات الاتصال الشبكية سمحت للحركات بالتحول من الهياكل التنظيمية الهرمية المركزية نسبيا، إلى شبكات عارضة لا مركزية فضفاضة الانتساب للغاية وتربط تنوع واسع من المجموعات، والجهات الفاعلة، والمصالح دون فرض أجندة واحدة أو برنامج عمل مهيمن، أى أن الحركات أصبحت مغايرة باضطراد لأنها تتبنى "قيم وأشكال" الشبكة (كاستلز Castells, 2009؛ جوريس Juris, 2008)، ولأن "شبكات اتصال متعددة النماذج ومتنوعة ومنتشرة تماما فهى قادرة على أن تشمل وتتضمن تنوعا ثقافيا ورسائل متعددة أكثر بكثير من أى مجال عام آخر فى التاريخ" (كاستلز Castells, 2009، ص٣٠٠).

وأخيرا، فيما يتعلق بالفعل والوكالة، تعد التعبئة بوساطة شبكات الكمبيوتر تدخلية بالأساس فى الغرض، والممارسة، والأخلاقيات، وعلى مستوى المجتمع الواسع، تساعد التعبئة بوساطة شبكات الكمبيوتر الحركات على أن تتدخل فى عمل المؤسسات الاجتماعية والسياسية، وتغيير الأعراف والقيم، وإعادة تشكيل وتوزيع السلطة والموارد، وعلى مستوى المدى المتوسط، تؤثر التعبئة بوساطة شبكات الكمبيوتر على ممارسات وهياكل تنظيمات الحركة الاجتماعية نفسها، ويؤدى استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الشبكية إلى رفض النشطاء الأشكال التقليدية من تنظيمات الحركة، بما فى ذلك "النخبوية" والهياكل التمثيلية من المشاركة فى الحركة، لصالح أشكال "أكثر فوضوية"، ولكن أكثر مباشرة وتشاركية، من التنظيم والعمل السياسى، بعبارة أخرى؛ دعمت التعبئة بوساطة شبكات الكمبيوتر التحول من شكل تنظيم الحركة "المكثف" إلى شكل أكثر "شمولا"، وكان أحد أهم نتائج "المنطق الثقافى للشبكات" هو التحول نحو تنظيم حركة اجتماعية أكثر مرونة وتكيفا و"تسطيحا"، ونجح مثل هذا النموذج عبر استيعاب إسهامات المشاركين فى كل جزء من الشبكة، وليس عبر صياغة جداول الأعمال والإستراتيجيات التى يكتبها هيكل قيادي مركزى، ثم تُمرر لاحقا إلى العامة كى ينفذونها، أما على المستوى الجزئى، مستوى بين الأشخاص/الفردى، تكون طبيعة تداخل التعبئة بوساطة شبكات الكمبيوتر أكثر وضوحا فى أنشطة الناشطين "التنبؤية" أو "التحذيرية" الذين ينفذون قيمهم والتزاماتهم فى حياتهم اليومية، كقدوة للآخرين على كيف يمكن أن تعزز الأفعال الشخصية للتغيير الاجتماعى والسياسى، وتساعد هذه النماذج على غرس الهوية الجماعية داخل وعبر المجموعات المختلفة المشاركة فى الحركة، وخلق إحساس يؤثر ارتجاعيا على منبع أنشطة تنظيم الحركة وأهداف الحركة الاجتماعية والثقافية والسياسية الأشمل .

يُعد الفصل القادم النوع الأخير من وسائل الإعلام الجديدة البديلة/الناشطة، وهو مثل الأنواع الأخرى التى نوقشت حتى الآن، تستجيب المعرفة المشاعية إلى عنصر معين داخل المجتمع والثقافة، فكما رأينا، يقلِب تشويش الثقافة الرموز، والمحتوى، وطرق الثقافة الشعبية من أجل نقد تلك الثقافة، وتستخدم الحوسبة البديلة تقنيات

تصميم وهندسة النظام كنقد اجتماعى وسياسى، كى تتدخل مباشرة فى البنية التحتية الرقمية وأسسها المؤسسية، وتتبنى الصحافة التشاركية أخلاقيات وممارسات الصحافة والنشر كتعليق على فشل صناعة الأخبار، وتصحيحا لها، كى تفسح المجال إلى الأخبار والآراء والتحليلات التى تهملها أو تهمشها الصحافة السائدة، وفى التعبئة بوساطة شبكات الكمبيوتر يوظف النشطاء السياسيون والثقافيون الإنترنت والوسائط الرقمية كى يتغلبوا على قيود تنظيم الحركة الاجتماعية التقليدية سواء المعلوماتية والجغرافية والثقافية، لأنها تخلق حركات شبكية جديدة أكثر مرونة، وشمولية، وتعبيرا، وعمومية من الحركات التقليدية – وربما أشكال أكثر فعالية – لمقاومة القوى والسلطة الاقتصادية والاجتماعية عالمية النطاق من أجل التغيير الاجتماعى، أما فى المعرفة المشاعية، فيتسع النطاق إلى أبعد من ذلك، ويصل إلى أشكال معينة من المعرفة المنظمة نفسها – كيف يتم توليدها، وتنظيمها، وتقييمها، ومن الذى يقرر ما يستحق أن يُعرَف، ولماذا؟

الفصل السابع

تحدى الخبراء
المعرفة المشاعية

ويكيبيديا: هى مجرد شىء لا يصدق، شموليتها الحقيقية ضخمة، وهى غريبة، ودقيقة، وفوضوية، ومضحكة، وصادمة، ومليئة بالخلافات المستعرة - كما أنها مجانية، وسريعة ... إنها مثل بعض المدن الواسعة التى يمشى الناس فى ممراتها جيئة وذهابا بخفة وهم يحملون سلال النزهة الممتلئة بالوجبات الخفيفة المغذية. (بيكر Baker, 2008، ص٦)

كما يقول السيد [روبرت] Robert ماكهنرى McHenry، محرر الموسوعة البريطانية السابق: الشخص الذى يقرأ ويكيبيديا "هو إلى حد ما فى موقف زائر المراحيض العامة"، مضيفا "قد تكون قذرة بوضوح، لذا يعرف أن عليه بذل عناية فائقة، أو قد تبدو نظيفة إلى حد ما، لذا فقد يركن إلى شعور زائف بالأمان، لكن فى كلتا الحالتين لا يعرف بالتأكيد مَنْ الذى استخدم المرفق قبله"(الإيكونوميست، a2006، ص١٥)

عندما يُسأل مستخدمى الإنترنت: ما الذى تعنيه "ويب٢"؟ سوف يشير معظمهم إلى ما يسمى وسائل الإعلام الاجتماعية - مواقع الشبكات الاجتماعية مثل الفيسبوك Facebook، وماى سبيس MySpace، ومواقع "التدوين المصغر" تويتر Twitter، ومواقع وضع الوسوم والعلامات المرجعية مثل ديج Digg.com أو ديلشيوس del.icio.us،

ومواقع الأسئلة والإجابات مثل أنسر باج Answerbag وAnswers.com، أو الموسوعة التعاونية الناجحة بشكل مدهش ويكيبيديا، ويميل المستخدمون الأكثر اطلاعا، مثل الكاتب نيكلسون بيكر Nicholson Baker وروبرت ماكهنرى Robert McHenry من الموسوعة البريطانية، وكلاهما مقتبس أقوالهما بالأعلى، إلى الاستشهاد بالاستعارات الواضحة لوصف - ونقد - تجاربهم.

بينما كشفت ويب ١، في التسعينيات تقريبا، عالما هائل الاتساع من الوثائق والمعلومات حسب الطلب[٣٢]، فإن ويب ٢ القرن الحادى والعشرين ربطت هذه القوة من البحث عن المعلومات واسترجاعها عالميا بالمشاركة الشخصية، والتفاعل، والإبداع التعاونى للأشخاص المرتبطين ببعضهم بعضًا فى شبكات اجتماعية وتكنولوجية معقدة وواسعة الانتشار، ونمت الإنترنت أبعد من وضعها الأولى كمكتبة ومستودع وثائق واسع إلى شيء أشبه بالمهرجان الثقافى الذى يمكن لأى شخص أن ينجز، ويسهم، ويعلق، ويناقش فيه - أى "متنزه كبير جميل واحد" باستخدام عبارة جيرت لوفينيك Geert Lovink فى (١٩٩٧، ص ٥٩)، لذا تعتبر ويب ٢ اجتماعية بالأساس مقارنة بويب ١.

ويعد هذا الامتداد الواسع لسمة المعلومات والاتصالات عبر الإنترنت، من التوثيق إلى التفاعلية، ومن مخزن إلى مهرجان، تطويرا محوريا يقوم عليه النوع الخامس من وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة، وكما تعكس وتستجيب الأنواع التى تمت مناقشتها فى الفصول السابقة إلى جوانب أخرى من المجتمع والثقافة - الصحافة والنشر، والنظم والبنية التحتية التكنولوجية، والثقافة الشعبية، والحركات السياسية والاجتماعية - فما أسميها المعرفة المشاعية توفر بديلا وتكميلا للعملية النظامية المؤسسية، والموثوقة التى يقودها الخبراء من أجل إنشاء وتوزيع وحراسة المعرفة، والتى تطورت فى المجتمعات الحديثة، وفى أفضل حالاتها تحيى المعرفة المشاعية هذا النوع من الاطلاع الهاوى المكرس المرتبط بالفلاسفة الطبيعيين، والفلسفة، وولادة العلم الحديث المبكر والحروف، وفى أسوأ حالاتها، تنشئ مستنقعا مروعا من المعلومات الخاطئة، والشائعات، والإساءات، والتشهير، والمشادات المتحزبة، و"الأراء" الجاهلة،

والمزاعم غير الموثقة، وفى كلتا الحالتين، المهم فى مشاريع المعرفة المشاعية هو أنها فتحت مجالات جديدة لإنتاج المعرفة تعاونيا تنافس باضطراد عادات وتقاليد، وامتيازات سلطات الخبراء والمعرفة المؤسسية نفسها.

للوهلة الأولى؛ قد لا تظهر المعرفة المشاعية كنوع "بديل" أو "ناشط" بشكل علنى مثل الأنواع الأخرى التى نوقشت حتى الآن، تبدو ويكيبيديا مشروعا راديكاليا مثل مشاريع العصيان المدنى الإلكترونى، ومدونة إنديميديا، أو تعبئة احتجاجات ضد (مجموعة الثمانية) عبر تويتر، ومع ذلك؛ فى الفصل الأول: تم تعريف وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة باعتبارها تلك التى "توظف أو تعدل أدوات وممارسات الاتصال والترتيبات الاجتماعية لتكنولوجيات المعلومات والاتصالات الجديدة كى تتحدى أو تغير من أساليب الفعل المهيمنة، أوالمتوقعة، أو المقبولة فى المجتمع، والثقافة والسياسة"، وفى هذا الفصل أود توضيح أن المعرفة المشاعية تتناسب مع هذا التعريف، وكبدائل لقواعد مؤسسية ونظامية معينة "للسلطات" المعرفية، وتشكل التعاونيات مفتوحة المصدر مثل ويكيبيديا ومشاريع التصنيف التعاونية القائمة على العامة folksonomic مثل ديليشوس del.icio.us وديج Digg.com تحديا مهما لافتراضات وامتيازات الخبرة المهنية، والقوة المؤسسية المستقرة، لذا تشير أدبيات مضطردة حول إنتاج المعرفة القائم على العامة - وخلافا لاعتراضات النقاد - إلى أن نطاق ونوعية هذه المشاريع عبر الإنترنت مماثل إلى العديد من تلك الموارد التقليدية الموثوقة المطبوعة، وغيرها من الأشكال، وهو ما قد يساعد فى تفسير نموها وقبولها الحاد كمصادر معلومات مفيدة وموثوقة عموما.

فى بقية هذا الفصل أوضح بعض الدراسات الأساسية وبعض ما تؤكد عليه عن تطور المعرفة المشاعية على شبكة الإنترنت، بما فى ذلك نقاط قوتها وضعفها، وأقترح العديد من الخصائص الأشمل التى تميز المعرفة المشاعية عن الأشكال الأكثر تقليدية التى تحظى بالتصديق المؤسسى لإنتاج المعرفة، وبالتالى تؤهل مشاريع مثل ويكيبيديا أو التصنيف القائم على العامة كبديلة وناشطة حقا، فى البداية أقدم دراسة حالة قصيرة عن ويكيبيديا كمثال حالى نموذجى حول إنتاج المعرفة القائم على العامة، بما

فى ذلك النتائج البحثية حول عملياتها التعاونية، وأنماط نموها، وممارساتها لضمان الجودة، وموقفها بالنسبة إلى مصادر معلومات موثوقة أكثر تقليدية، وأختم - كما فى الفصول السابقة - بملخص موجز لسمات المعرفة المشاعية كنوع من وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة.

من التعاون إلى التعهيد الجماعى

التعاون ليس قاصرا على الإنسان، ولكن بالتأكيد يمكن اعتباره سمة مميزة لعمل وثقافة الإنسان، تقريبا كل جانب من جوانب الشئون الإنسانية، من الهندسة المعمارية إلى علم الحيوان، هو أمر تعاونى إلى حد ما، من الصعب تخيل مكان العمل أو التعليم أو المعرفة، أو الترفيه، أو الزراعة، أو السياسة، أو التجارة، أو الحياة الأسرية، أو أى مجال آخر من المجتمع لا يعمل فيه الناس معا لتحقيق بعض الأهداف أو النتائج، لذلك ليس غريباً أن يحمل الأشخاص تفضيل عمل الأشياء معا من "الحياة الحقيقية" إلى مكانهم على الإنترنت، أو يقوم الأشخاص بوضع أدوات وتقنيات من أجل التعاون عن بعد عبر المكالمات الهاتفية وخدمات المحادثة عبر الإنترنت، إلى الويكى والمؤتمرات عن بعد، والأشكال الأخرى التى أصبحت تسمى العمل التعاونى المدعوم بالكمبيوتر(٣٣) computer-supported cooperative work (CSCW).

ومع ذلك، بدءا من التسعينيات، فتحت شبكات فائقة المرونة من الروابط بين الناس والنظم والأماكن، ومصادر المعلومات التى تتيحها شبكة الإنترنت إمكانات جديدة للتعاون، لا سيما بالنسبة للمشاريع محددة الأهداف التى يمكن أن تستفيد من العديد من المساهمات الصغيرة من مئات أو حتى آلاف المشاركين، وغالبا ما يتبع هذا النمط من التعاون على الإنترنت إلى مشاريع تطوير البرمجيات "الموزعة"، والتى يتشارك فيها مساهمون عديدون منتشرون جغرافيا جهودهم ويحررون أو يعدلون عمل بعضهم بعضاً تبادليا بشكل مستمر نسبيا.

يشبِّه إيريك رايموند Eric Raymond مهندس البرمجيات ورائد المصادر المفتوحة هذا النمط من تطوير البرمجيات "بالسوق" الذى يعظم فيه عدد لا يحصى من

التفاعلات بين المشترين، والبائعين، والمستعرضين المتنوعين من فرص اكتشاف أفكار جديدة ومثيرة للاهتمام ومن تحديد وتصحيح أو إزالة الأفكار السيئة، ويقارن رايموند هذا النموذج بنهج "الكاتدرائية" الأكثر تقليدية، الذى يتم فيه تجميع تسلسل هرمى من الحرفيين وتوجيههم مركزيا نحو إنجاز هدف واحد معقد ومحدد مسبقا، على الرغم من أن لكل نمط مكانته، فإن نموذج السوق، كما يقول رايموند، أكثر ملاءمة لحشد الإبداع على نطاق أشمل، أو لإيجاد حلول للمشاكل المبهمة المتشابكة، أو لتحديد وتصحيح الأخطاء فى المشاريع الكبيرة والمعقدة، وباستخدام عبارة رايموند التى لا تنسى (رغم الاستعارات المختلطة)، "باستخدام ما يكفى من مقل العيون، يصبح كل البق سطحيًا" (رايموند Raymond, 2001، ص٣٠)، كان هذا النهج سمة مميزة للبرمجيات المجانية المبكرة ولمشاريع البرمجيات مفتوحة المصدر مثل نظام التشغيل جنو GNU الذى أنشأه ريتشارد ستالمان Richard Stallman وزملاؤه، ولاحقا نظام التشغيل لينكس Linux والعديد من إصداراته ومنتجاته الفرعية، و"أساليبه" (التى تدير اليوم غالبية الخوادم ومحولات البيانات التى تتضمن شبكة الإنترنت)[٣٤].

وبحلول أواخر التسعينيات بسبب النجاح الملحوظ لهذه المشاريع، وخاصة قدرتها على التصحيح الذاتى السريع الموجه مجتمعيا، وعلى "الإصلاح"، فضلا عن القدرة على الابتكار الاستثنائى بتكلفة منخفضة، أصبحت بدائل مثيرة للإعجاب على نطاق واسع لتطوير البرمجيات الخاصة بشكل حصرى و"مغلق" كما يمارسه عمالقة الصناعة مثل مايكروسوفت وآى بى أم IBM (كيلتى Kelty, 2008)، كما يؤكد المؤيدون أيضا على أخلاقيات البرمجيات المجانية والمشاريع مفتوحة المصدر، وعلى عكس إدارة المشاريع المنظمة والموجهة مركزيا، ويعد أنصار البرمجيات المجانية والمشاريع مفتوحة المصدر أكثر جدارة ومساواة، لأن مساهمات جميع المشاركين و"تأليفهم" المشترك معترف به (بدلا من تقدير قادة المشروع فقط، أو المخترعين الوحيدين، أو تضمين مساهمات لا حصر لها تحت علامة شركة واحدة)، وهو ما يولد "اقتصادات السمعة" التى يمكنها أن تكون دوافع قوية للإبداع والتميز بين المتعاونين، كما هو شائع بين الهواة، والمتحمسين، وأعضاء النادى، إلى آخره (سيفوليلى Ciffolilli, 2003)، مثل هذه

المشاريع تدعم تقليداً أطول من تشارك البرمجيات كسلعة عامة داخل مجتمع من النظراء (ستالمان Stallman , 2002).

حتى الآن، ارتبطت نماذج التعاون مفتوحة المصدر بشكل وثيق بالحوسبة وتطوير البرمجيات (على الرغم من أن أساسها يكمن بوضوح فى ممارسات مراجعة الزملاء فى المنح الدراسية الأكاديمية والعلمية)، ومع ذلك، فقد تم تطبيق منطق مماثل فى مجالات أخرى وعلى أنواع أخرى من المشاريع المعقدة لديها سمات "المشاعات" أو "السلع العامة" وعلى أعداد كبيرة من المشاركين المحتملين، وذلك باستخدام شبكة الإنترنت كمنصة مشتركة من أجل "التعاون الشامل" (فاليس Fallis، ٢٠٠٩)[٣٥]، كما تم تطبيق نهج المصدر المفتوح عبر مجموعة من المجالات، بداية من الأدوية، إلى التأليف الموسيقى والكتابة الإبداعية، وحتى الصحافة مفتوحة المصدر (راجع الفصل الخامس)، ويرفض مؤيدو المصدر المفتوح حقوق الطبع والنشر التقليدية لصالح مداخل بديلة من الملكية الفكرية مثل "النسخ للجميع" (على أساس رخصة ستالمان جنو GNU العامة الأصلية) ورخص المشاع الإبداعى، وبموجب هذه الأحكام، لا تزال حقوق التأليف والنشر مطالبا بها، ولكن يتفق أصحابها على إتاحة أعمالهم مجانا للآخرين لاستخدامها فى إنشاء أعمال جديدة، ما دام صاحب حق المؤلف مُعترَفًا به كما ينبغى، والمصدر الأصلى نفسه ليس مأخوذا بالكامل (متاح أمثلة من رخص المشاع الإبداعى على http://www.creativecommons.org).

فى السنوات الأخيرة، علق عدد من المراقبين على فكرة المصدر المفتوح وفضائل نماذج الإنتاج المعتمدة على المشاعية، والتعاونية والمفتوحة المصدر والمجتمع مقابل الخصخصة، وأشاد الكتاب العلميون والشعبيون على حد سواء بقوة "التعهيد الجماعى" (هاو Howe, 2008)، و"حكمة الحشود" (سوريفيكى Surowiecki, 2004)، و"الذكاء الجمعى" (ليفى Lévy, 1999) فى كل شىء بداية من التسويق إلى السياسة وحتى الاكتشافات العلمية، وتتميز الأنماط الإحصائية والقوى الاقتصادية الكامنة خلف العمل الجماعى جماهيرى النطاق بـ"إنتاج النظراء القائم على المشاعية" (بينكلر Benkler, 2007)، و"نقطة التحول" (جلادويل Gladwell , 2000)، أو توزيعات "الذيل الطويل" (أندرسون

Anderson, 2008)، التى يمكن أن يولد تراكم الأحداث الصغيرة فيها تغيرات مفاجئة وجسيمة أو عواقب منهجية غير متوقعة، وحتى "اقتصادات ويكى Wikinomics" (تابسكوت Tapscott& ويليامز Williams, 2008).

ويرى بعض الكتاب أن الفوائد من نماذج التعاون المعتمدة على المشاعية تمتد إلى ما أبعد من المساواة الصارمة من البرمجيات المجانية مفتوحة المصدر، وإنتاج المعرفة الجماعى، فكما يقولون، إن لديها القدرة على تعزيز استقلالية وحرية الأفراد، وتعزيز الممارسات الديمقراطية التداولية والتشاركية فى مقابل امتيازات النخب التكنوقراطية وهيمنة الخبراء المطردة فى كل ركن من أركان الحياة الاجتماعية (بينكلر Benkler, 2007؛ سوريفيكى Surowiecki, 2004).

ليس كل المراقبين إيجابيين، مع ذلك يرى النقاد ثلاث مشاكل رئيسية فى الإنتاج الجماعى أو إنتاج النظراء القائم على المشاعية،

أول الانتقادات أن مثل هذه المشاريع استغلالية لأنها تعتمد على مساهمات المتطوعين و"العمل المجانى" من المشاركين (دى لونج DeLong, 2003)، وبالتالى تخلق المشاريع الجماعية "فائض قيمة" مغترب ومنتزعًا من كدح جحافل العمال المبدعين، ويثرى المستثمرين، تماما مثلما يفعل عمل المصانع فى سياق الرأسمالية الصناعية (تيرانوفا Terranova, 2009 [2000])، وفى نقد ما يسمونه "الصناعات الإبداعية"، يشير لوفينك Lovink وروسيتر Rossiter إلى

> **أشكال الإنتاج من نظير إلى نظير رائعة بالتأكيد، لكنها تفتقد إعادة توزيع العائدات الغائبة على المنتجين المبدعين، ويتزايد هذا التناقض فقط داخل الرأسمالية الرقمية، ويأخذنا إلى كذا مناطق غير معروفة، لن يكون هناك توليف هيجلى يكسب فيه ملايين الطامحين المال من خلال "أصدقاء" ... أنت تذهب وتحيى حفلتك، أنت تثبت متطلبات الشركة التكنولوجية، أنت تصمم الميمات الفيروسية، أنت تنتظر على طاولة مطعم، هناك منطق تكافؤ فى العمل هنا، لكنه لن يجعلك غنيا بسرعة، إذا كان سيفعل أى شىء، فهو سوف يستنزف طاقتك الإبداعية سريعا.**
> **(لوفينك Lovink، وروسيتر Rossiter، a2007، ص١١).**

والاعتراض الثانى: على إنتاج المعرفة الجماعى يأتى من النقاد، الذين يعترضون على أن تراكم المساهمات من المتحمسين و"الهواة" غير المتخصصين يمكن أو ينبغى مقارنته بفوائد الخبرات والنخب التكنوقراطية، أو أن إنتاج النظراء ديمقراطيا بموجب التعريف بالضرورة (كين Keen, 2007)، ويؤكد هؤلاء النقاد على تفاهة وخطورة المطالبات بسلطة إنتاج النظراء على الإنترنت والقائمة على نسبية المعرفة، إذا كان يمكن اعتبار وجهة نظر أى شخص حول أى موضوع صحيحة مثل وجهة نظر أى شخص آخر، فضلا عن إن طوفان الأفكار، والآراء، والقضايا، والأحداث المجزأة التى ينتجها أى وكل شخص على الإنترنت – فى شكل ميمات، أو تدفقات، أو طنين، أو حشود، أو "ثقافة فيروسية" – يمنع وجود اهتمام متواصل، وفهم معقول ومتماسك للعالم (واسك Wasik, 2009)، كما يقول أندرو كين Andrew Keen منظم وادى السيليكون السابق إن "زعزعة الحقيقة تهدد جودة الخطاب العام المدنى، وتشجع الانتحال وسرقة الملكية الفكرية، وتخنق الإبداع ... بدلا من مزيد من المشاركة أو المعرفة، أو الثقافة، كل ما تفعله الويب ٢ حقا هو نقل المزيد من المحتوى المشكوك فيه من مصادر مجهولة، واختطاف أوقاتنا واللعب بسذاجتنا" (كين Keen, 2007، ص١٧).

أما الانتقاد الثالث: فهو أن عمليات إنتاج المعرفة جماعيا فى حد ذاتها ليست ضمانة للجودة، وأن المناصرين يميلون إلى المبالغة فى تقدير فاعلية المصدر المفتوح أو إنتاج النظراء كعمليات منظمة ذاتيا أو "معالجة ذاتية" (دوجويد Duguid, 2006)، كما يشير روبرت ماكهنرى Robert McHenry – رئيس تحرير الموسوعة البريطانية السابق الذى يشبه ويكيبيديا بالمرحاض العام فى الاقتباس الذى قدَّمنا به هذا الفصل- إلى ويكيبيديا باعتبارها "موسوعة قائمة على الثقة" (ماكهنرى McHenry, 2004) تجسد "فكرة عصرية حول المجتمع وبعض المفاهيم الغامضة حول الحاجة إلى أن تكون المعلومات مجانية"(الإيكونوميست، 2006a، ص ١٤-١٥).

أعلن بول دوجويد Paul Duguid (2006) عن تشككه العميق إزاء اثنين من "قوانين الجودة" المفترضة المرتبطة بإنتاج النظراء، مؤكدا أنهما اعتقاد راسخ أكثر من كونهما مبادىء مُختبرَة بدقة، والأول هو قول إيريك رايموند المأثور المقتبس سابقا إن:

"باستخدام ما يكفى من مقل العيون، يصبح كل البق سطحيًا"، ويشيد رايموند Raymond بلينوس تورفالدس Linus Torvalds منشئ نظام التشغيل لينكس Linux – وبفكرة أصلية، يسميها دوجويد Duguid "قانون لينوس"، يقول دوجويد على عكس المحتوى المنتج بطريقة النظراء مثل ذلك المجموع فى ويكيبيديا Wikipedia أو المصنف فى ديج Digg.com، يتم تطوير البرمجيات مفتوحة المصدر من قبل الخبراء المختصين الذين يفحصون حرفيا عمل زملائهم، وفى نهاية المطاف، ينبغى "جمع وتشغيل حلول البرمجيات ... لكن ما الذى يعنيه "تجميع" الاشتراك فى مشروع جوتنبرج؟ كيف يمكن القول: تشغيل أحد مدخلات ويكيبيديا أو تعطلها؟ مشاريع البرمجيات لا تسمح عموما لأى شخص الإسهام بكود عشوائيا" (دوجويد Duguid, 2006).

ثانيا، ينتقد دوجويد نوعا من الداروينية الضمنية، وغير المفحوصة التى تشكل أساس مزاعم؛ أن العمل الجيد سوف يعلو طبيعيًا ويطرد السيئ من المشاريع المنتجة بطريقة النظراء التعاونية إذا كان عدد المتعاونين كبير بما فيه الكفاية، ويسمى هذا الاعتقاد "قانون جراهام" بعد تصريحات المبرمج بول جراهام فى مقال حول المصادر المفتوحة (جراهام Graham, 2005)، كما ينتقد دوجويد (٢٠٠٦) "تلميح جراهام بأن التصليح المستمر فقط هو ما يجعل الأمور أفضل، معتبرا أن هذا التلميح موضع شك كبير، فمن الصعب معرفة لماذا سوف تتوقف الفوضى إلى الأبد من خلال إنتاج النظراء".

ويأخذ عالم الأنثروبولوجيا كريس كيلتى Chris Kelty (2008) وجهة نظر أكثر دقة، معترفا بأن مدخل ومنطق البرمجيات المجانية والمفتوحة المصدر يمكن رؤيتهما فى أى مكان فى المجتمع المعاصر، بما فى ذلك:

> **الاتصالات، والمشاع الإبداعى، والوصول المفتوح، والبيولوجيا التخليقية مفتوحة المصدر، والثقافة المجانية، والوصول إلى المعرفة، والكولا المفتوحة(*)، والأفلام المفتوحة، والمشاعات العلمية، والتجارة المفتوحة، واليوجا مفتوحة المصدر، والديمقراطية مفتوحة المصدر المفتوح، والموارد التعليمية المفتوحة، ومشروع حاسوب محمول لكل طفل، ناهيك**

(*) ماركة نوع من الكولا معروفة الوصفة بديل لكوكاكولا سرية الوصفة. (المترجمة)

عن انتشار ويكى لكل شىء أو "إنتاج النظراء" من البيانات العامية أو الخدمات الاستهلاكية (Kelty, 2008، ص٣٠٢).

ويرى كيلتى Kelty هذه التطورات كجزء من المشهد الثقافى الأكبر الذى تشهد فيه اتجاهات وعلاقات المجتمع بالمعرفة والسلطة إعادة توجيه رئيسية، ومع ذلك يحذر من: أنه نظرا لتعقيد الترميز، وأن الاتحاد ما بين المبرمجين قائم على الالتزامات والاعتقادات الأخلاقية حول تكنولوجيا ثقافة الحوسبة فإن التلاؤم بين تطوير البرمجيات مفتوحة المصدر وأنواع أخرى من المشاريع قد يمضى فقط حتى الآن، وفى الحقيقة تعد معظم المشاريع المنتجة بطريقة النظراء المرحب بها على نطاق واسع بين مؤيدى فلسفة و"حركة" البرمجيات المجانية مفتوحة المصدر "مجانية" أو "مفتوحة المصدر" بالكاد على الإطلاق: على الرغم من أن المشاركين قد يسهمون ويغيرون محتوى النظام، لكن لا يسمح لهم بالتعديل أو التدخل فى التصميم الأساسى من النظام نفسه، أو، كما يذكر الناقد الإعلامى جيرت لوفينيك Geert Lovink:

> **على مدى السنوات القليلة الماضية، أدت النضالات الإبداعية من الجموع إلى نتائج على العديد من المستويات المختلفة: جدل المصادر المفتوحة، والحدود المفتوحة، والمعرفة المفتوحة، لكن الاختراق العميق لمفاهيم الانفتاح والمجانية فى مبدأ الصراع هو تسوية سريعة بكل الأحوال بالنسبة إلى الطبقة الليبرالية الجديدة الانتقادية الجشعة. (لوفينك Lovink, 2008، ص١٩٣).**

المعرفة المشاعية مقابل المعرفة المؤسسية

قبل التحول إلى حالة ويكيبيديا، يمكننا تلخيص بعض الخصائص الرئيسية التى تميز المعرفة المشاعية عن الأشكال الأكثر تقليدية ومُعتمَدة مؤسسيا من إنتاج المعرفة وتداولها – أى الخصائص التى تميز المعرفة المشاعية باعتبارها "بديلة" و"ناشطة"، المهم هنا ليس القول: إن مشاريع المعرفة المشاعية هى أكثر تفوقا بالضرورة، أو إنها تحل

محل الأساليب التقليدية لخلق المعرفة، وحراسة البوابة، بل في الحقيقة إن كلا من المؤسسات والمهن المعرفية الرسمية، وإنتاج المعرفة القائم على المشاعات غير الرسمية يتم التعبير عنهما باطراد، ويتداخلان لأن الجامعات والمكتبات والتخصصات الأكاديمية، والجمعيات العلمية، والمؤسسات الثقافية، والوكالات الحكومية ترتبط بالموارد على الإنترنت أو تنشئ مشاريعها الخاصة المنتجة بأسلوب النظراء أو القائمة على المشاعية (بورجمان Borgman, 2007)، وتشمل الأمثلة المكتبة العامة للعلوم (بلوس PLOS؛ انظر http://www.plos.org) أو مشروع أرئكسيف ArXiv التابع لجامعة كورنيل (http://www.arxiv.org) الذي يوفر إلى الجمهور وصولا عاما مفتوحا إلى "طباعة إلكترونية" (قبل النشر على الإنترنت) للمقالات والبحوث في مجالات الفيزياء، والرياضيات، والعلوم غير الخطية، وعلوم الكمبيوتر، وعلوم الأحياء الكمية والإحصاء، بالأحرى، تساعد الخصائص المحددة هنا على توضيح كيف أصبحت المعرفة المشاعية سمة بارزة في المشهد المعاصر من وسائل الإعلام الاجتماعية والويب٢، ومنافساً ذا مصداقية متزايدة ومكملة إلى أشكال أكثر رسمية ومؤسسية من المعرفة.

المثال السكندري

أول سمة مميزة لمشاريع المعرفة المشاعية هي ما يمكن أن يطلق عليها طموحاتها "السكندرية"، والمصطلح مستمد من مكتبة الإسكندرية المصرية، التي تأسست نحو عام ٣٠٠ قبل الميلاد، وضمت أكبر مجموعة من الكتابات اليونانية الموجودة وقتئذ، واشتهرت باحتوائها على كل المعارف المسجلة في العالم القديم، ثم هلكت مجموعتها تدريجيا في الفترة ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن السابع الميلادي (ماكلويد MacLeod, 2004)، وفي العصر الحديث؛ اتبع العلماء وأمناء المكتبات، والمحفوظات المثل الأعلى لاستعادة مكتبة الإسكندرية في شكلها الحديث، من خلال بناء مجموعات شاملة بشكل أساسي مثل تلك المحفوظة في المكتبات الوطنية (مثل المكتبة الوطنية الفرنسية أو مكتبة الكونجرس في الولايات المتحدة) أو المؤسسات الثقافية الرئيسية الأخرى (على سبيل المثال، في مكتبة نيويورك العامة أو مكتبة بودليان في جامعة أكسفورد)، ولكن أيضا

من خلال إنشاء دليل معلومات موحد وأساليب من تصنيف الوثائق "الشامل" تسمح أن يتم تنظيم المجموعات وتبادلها بين الشبكات التعاونية الخاصة بالمنظمات، وانضمت منظمة الأمم المتحدة للتربية، والثقافة والعلوم (اليونسكو) وأيضا عدد من المنظمات الثقافية الدولية الأخرى إلى قوات دعم المكتبة السكندرية الجديدة، أو مكتبة الإسكندرية، فى مصر التى تجمع كلا من مجموعات المكتبة المادية والرقمية، والمركز الثقافى، والقبة السماوية، وغيرها من المرافق (انظر /http://www.bibalex.gov.eg).

فى أوائل القرن العشرين، فى أعقاب أهوال الحرب العالمية الأولى، أصر المثقفون البارزون والملهمون مثل أتش جى ويلز H.G. Wells وبول أوتلت Paul Otlet على أن التفاهم بين الشعوب والسلم العالمى، ومنع حرب كارثية أخرى سيتحقق فقط من خلال جمع و تنظيم "كل المعرفة فى العالم" فى مستودع جماعى واحد من الثقافة العالمية مفتوح للجميع (ريوارد Rayward, 2003, 2008؛ ويلز Wells, 1938، رايت Wright, 2008)، إلى جانب الزملاء، كان أوتلت Otlet، أحد مؤسسى حركة التوثيق فى أوربا، التى أنشئت فى الواقع لغرض بناء مستودع من أجل مجموعة كبيرة من الوثائق فى بروكسل سُميت ماندينيام Mundaneum (ريوارد Rayward, 1999, 2003, 2008، رايت Wright, 2008)، ونُظمَت مجموعة وفقا لمخطط فريد يسمى التصنيف العشرى العالمى الذى أصبح أساس نظم التصنيف التى لا تزال تستخدم حتى اليوم، وعلى الرغم من أن مشاريع مثل ماندينيام Mundaneum لم تدم لفترة طويلة بعد الحرب العالمية الثانية، فإن الفلسفة من ورائه ومن وراء فكرة ويلز Wells "العقل العالمى" قد ساعدت فى إلهام إنشاء منتديات غير حكومية للمشاورة والوساطة الدولية، مثل عصبة الأمم ولاحقا الأمم المتحدة (ريوارد Rayward, 1999, 2003, 2008).

وبشكل حاسم، تجسيد القرن العشرين من المثال السكندرى أعاد اختراعه لاحقا المهندس فانيفار بوش Vannevar Bush مدير معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا الذى أصبح مدير المكتب الأمريكي للبحوث العلمية والتنمية خلال الحرب العالمية الثانية، وأقنعته تجاربه بأن التقدم العلمى والاجتماعى عرقله صعوبة الحصول على المعرفة المسجلة والضغوط نحو التخصص المتزايد مما حال دون التعاون بين مختلف التخصصات.

هناك جبل متزايد من البحوث، ولكن هناك دلائل متزايدة على أننا معرقلون اليوم بسبب امتداد التخصص، والدارسون مدهوشون باستنتاجات ونتائج آلاف الباحثين الآخرين - أى الاستنتاجات التى لا يجدون الوقت لاستيعابها، ناهيك عن تذكرها، كما تظهر، على الرغم من أن التخصص أصبح ضروريا من أجل التقدم، فإن الجهود المبذولة للتجسير بين التخصصات سطحية بشكل مماثل ... وبينما تتضخم خلاصة التجربة الإنسانية بمعدل مذهل، فإن الوسائل التى نستخدمها كى نشق طريقنا عبر المتاهة الناتجة إلى العنصر المهم هى نفسها التى استخدمناها أيام السفن الشراعية... (بوش Bush، عام ١٩٤٥، ص١٠١-٢).

فى مقالته المبتكرة فى مجلة أتلانتيك فى عام ١٩٤٥، بعنوان: "كما قد نعتقد"، أوجز بوش اقتراحه لجهاز يسمى ميمكس Memex، قائم على أساس تكنولوجيات الحوسبة، والكهروضوئية، والميكروفيلم، والتليفون، وكان ميمكس سوف يمكّن المستخدمين من البحث عن أى وثيقة، واسترجاعها، وعرضها والتعليق عليها، من مجموعات شبكية واسعة على شاشة محمولة على سطح المكتب العادى، اليوم أصبحت الأفكار التى اقترحها بوش فى مقاله نماذجا أولية من النص التشعبى، ومحركات البحث، وحتى شبكة الويب العالمية نفسها، ولكن بالنسبة إلى المناقشة الحالية، فالنقطة الأساسية هى أن بوش Bush، مثل ويلز Wells، وأوتلت Otlet، وآخرين من قبله، أدركوا القوة الكامنة فى ربط مجموعات متنوعة من المعلومات فى شبكات شاملة واسعة النطاق، وكانت رؤيته مؤثرة مباشرةً على أجيال من أمناء المكتبات وعلماء المعلومات الذين سعوا لجعل مجموعات المعلومات أكثر اكتمالا، وارتباطا، وتوافرا إلى أى شخص، وفى أى مكان، وفى أى وقت باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

إذن؛ ليس مدهشا أن المثل الأعلى السكندرى تم ترحيله إلى سياق الإنترنت، كما صنعته المكتبات ليس فقط فى أدلتها ولكن أيضا فى مجموعات كاملة متاحة عبر الإنترنت، وكانت مشروعات المكتبة الرقمية جارية منذ الأيام الأولى للحوسبة

الشبكية، لكنها انتشرت منذ إدخال المتصفحات والويب فى أوائل التسعينيات (بورجمان Borgman, 2007)، وفى الواقع، توفر مكتبة رقمية كبرى مستضافة فى جامعة كاليفورنيا فى سانتا باربرا مواد تعليمية وعلمية لدراسة الجغرافيا، وتسُمى مكتبة الإسكندرية الرقمية (جودتشايلد Goodchild, 2004؛ وانظر أيضا http://alex-andria.ucsb.edu)، كما أُسست مكتبة الإسكندرية الرقمية فى مصر، كما ذُكر بالأعلى، وفى كتابهم الشهير ويكينوميكس Wikinomics، يؤكد دون تابسكوت Don Tapscott وأنطونى وليامز Anthony Williams (2008) أن أمناء المكتبات الرقمية، والمؤسسات المتعاونة فى مشروع كتب جوجل، وغيرهم من "السكندريين الجدد" (ص١٥١) هم فى طليعة التحركات نحو حقبة جديدة من العلوم والمعرفة الجماعية.

على الرغم من أن فكرة الإسكندرية من الشمولية والجودة نشأت مع "طوب وملاط" المكتبات، فإنها تطورت فى بعض الاتجاهات المختلفة على الإنترنت[٣٦]، بينما يجب على المكتبات المادية والمؤسسية إقامة اتفاقات رسمية كى تتبادل مصادرها مع مؤسسات أخرى (عادة فى شكل قوائم الاتحاد، مثل الفهرس العالمى الحالى، أو علاقات الاستعارة بين المكتبات)، ثم ماديا تسترد وتشحن المواد من موقع إلى آخر، وإلى حد كبير يمكن تحقيق نفس الخدمة عبر الإنترنت من خلال نظام الوصلات الفائقة والتنزيلات، ونتيجة لذلك، من وجهة نظر المستخدم يبدو الوصول إلى أعمال معينة أقل فأقل ارتباطا بمؤسسات أو مواقع معينة.

كما تشجع الويب أيضا إحساس أن الالتقاط والجمع الكلى لكل المعلومات والمواد الثقافية على الإنترنت أمر ممكن ومستحب - وبشكل ما ساعدت على تحقيق جزء من المثال السكندرى من الثقافة الشعبية، وهذه الفكرة ضمنية بالتأكيد فى العديد من مشروعات المكتبة الرقمية الأكثر طموحا على الإنترنت، بما فى ذلك أرشيف الإنترنت (http://www.archive.org)، وكتب جوجل Google Books، وباحث جوجل العلمى Google Scholar، وبالطبع مشاريع المعرفة المشاعية مثل ويكيبيديا، والفكرة ساذجة إلى حد ما - كما ذكرنا سابقا، ليس هناك إلا جزء صغير من جميع المعلومات فى العالم موجود بالفعل على الإنترنت أو يُحتمَل وجوده أكثر مما كان فى الماضى، ومع

ذلك، بالمقارنة مع المنشورات المطبوعة والمواد المادية الأخرى، فإن السهولة النسبية لتحديد واسترجاع الوثائق عبر الإنترنت يشجع الباحثين عن المعلومات لتضييق بحثهم على كل ما هو متاح عبر شبكة الإنترنت، وينسون أو يهملون المصادر الأخرى، وفى نهاية المطاف إذا افترضنا أن شيئا غير متوافر على الإنترنت، فإنه لا وجود له.

وبالتالى، فإن المثال السكندرى لديه منتقديه، ويشير جان نويل Jean- Noël (2007) إلى أن هيمنة اللغة الإنجليزية غير المتوازنة على لغات أخرى فى مجال النشر أصبح أكثر وليس أقل وضوحا على الإنترنت، ومثل هذة التفاوتات الثقافية تتعزز وتتفاقم بسبب مشاريع مثل كتب جوجل، وفى الواقع، أصبحت كتب جوجل هدفا رئيسيا لصفوف النقاد المتزايدة على الرغم من أن مزاعمها أن المشروع سيوفر إمكانية الوصول إلى مجموعات هائلة من المواد النادرة والتى نفدت طباعتها التى لم يعد الناشرون يوزعونها، فعلى سبيل المثال أمناء المكتبات قلقون لأنه رغم أن النية وراء هذا المشروع قد تكون حميدة وعادلة، فإن فى نهاية المطاف جوجل أو أى كيان آخر لديه القدرة على جمع واحتكار الجزء الأكبر من المعرفة المسجلة فى العالم ستكون لديه أيضا القدرة على اختيار من لديه حق الوصول إلى المعلومات وعلى فرض مصروفات باهظة مقابل الامتياز (دارنتون Darnton, 2009؛ باسكوال Pasquale, 2007)، والعديد من الناشرين وبائعى الكتب (بما فى ذلك المنافسون الرئيسيون وأصحاب المناصب مثل Amazon.com) يشعرون بالقلق من قدرات جوجل على الوصول الهائل وإمكانات كتب جوجل على تفتيت أسواقهم (هيلفت Helft, 2010).

تنظيم المعلومات القائم على العامة Folksonomic Organixation

فى كتابه الكلاسيكى الكلمات والأشياء The Order Of Things يسرد ميشيل فوكو Foucault Michel خرافة فى قصة كتبها جورجى لويس بورخيس Jorge Luis Borges: بورخيس ... يقتبس "موسوعة صينية معينة" مكتوب فيها أن "الحيوانات تنقسم إلى: (أ) تخص الإمبراطور، (ب) المحنطة. (ج) الأليفة، (د) الخنازير الرضيعة، (هـ) جنيات البحر، (و) الأسطورية، (ز) الكلاب الضالة، (ح) والمتضمنة فى التصنيف

الحالى، (ط) المسعورة، (ى) التى لا تحصى ولا تعد، (ك) المنظفة بفرشاة ناعمة جدا من شعر الجمال، (ل) إلى آخره، (م) التى كسرت للتو دورق المياة، (ن) التى تبدو من بعيد مثل الذباب" (فوكو Foucault, 2002 [1966]، ص XVI).

بالنسبة إلى بعض المراقبين، فإن الجانب المميز الثانى من المعرفة المشاعية قد يبدو شبيها ولديه بعض السمات المشتركة مع موسوعة بورخيس الصينية أكثر مما يشبه الأنظمة المألوفة والموثوقة لتنظيم المعلومات، غالبا ما تستخدم وسائل الإعلام الاجتماعية ومواقع المعرفة المشاعية التصنيف القائم على العامة "folksonomies" لترتيب وفرز وتنظيم المعلومات، وإقامة علاقات بين مصادر المعلومات (مارلو Marlow وآخرون، ٢٠٠٦)، الكلمة هى أساس "التصنيف taxonomy"، وهو نظام التصنيف الرسمى الذى يضع الأشياء فى فئات معينة أو وحدات تصنيف، وقد صُممت الفئات لتكون ممثلة للواقع بدقة وموحدة، ويحدد الخبراء مسميات الفئات باستخدام المصطلحات المتخصصة ("مفردات مضبوطة") وقواميس المعانى من كلمات وصفية، وتتمثل وظيفة المُصنِف فى تعيين عناصر هذه الفئات التى يحددها الخبراء باستخدام الأوصاف المناسبة - ويسمى النظام واصفات البيانات، ومن الأمثلة الشائعة على أنظمة التصنيف التقليدية التى تستخدم مفردات وواصفات بيانات موحدة تصنيف ديوى العشرى Dewey Decimal Classification وتصنيف رؤوس الموضوعات فى مكتبة الكونجرس التى تستخدم لتنظيم مجموعات من معظم المكتبات العامة والأكاديمية فى الولايات المتحدة، وتتضح مخططات التصنيف الهرمى فى هذين النظامين فى الشكل (٧-٢) وفى وثيقة تقديمية حول تصنيف ديوى متاحة على موقع جمعية مركز مكتبة الكمبيوتر على الإنترنت Online Computer Library Center (OCLC)، التى تتحكم فى قواعد تصنيف ديوى (انظر http://www.oclc.org/content/dam/oclc/dewey/DDC%2023_Summaries.p

A	GENERAL WORKS
B	PHILOSOPHY. PSYCHOLOGY. RELIGION
C	AUXILIARY SCIENCES OF HISTORY
D	WORLD HISTORY AND HISTORY OF EUROPE, ASIA, AFRICA, AUSTRALIA, NEW ZEALAND, ETC.
E	HISTORY OF THE AMERICAS
F	HISTORY OF THE AMERICAS
G	GEOGRAPHY. ANTHROPOLOGY. RECREATION
H	SOCIAL SCIENCES
J	POLITICAL SCIENCE
K	LAW
L	EDUCATION
M	MUSIC AND BOOKS ON MUSIC
N	FINE ARTS
P	**LANGUAGE AND LITERATURE**
Q	SCIENCE
R	MEDICINE
S	AGRICULTURE
T	TECHNOLOGY
U	MILITARY SCIENCE
V	NAVAL SCIENCE
Z	BIBLIOGRAPHY. LIBRARY SCIENCE. INFORMATION RESOURCES (GENERAL)

Subclass P	**Philology. Linguistics**
Subclass PA	Greek language and literature. Latin language and literature
Subclass PB	Modern languages. Celtic languages
Subclass PC	Romanic languages
Subclass PD	Germanic languages. Scandinavian languages
Subclass PE	English language
Subclass PF	West Germanic languages
Subclass PG	Slavic languages. Baltic languages. Albanian language
Subclass PH	Uralic languages. Basque language
Subclass PJ	Oriental languages and literatures
Subclass PK	Indo-Iranian languages and literatures
Subclass PL	Languages and literatures of Eastern Asia, Africa, Oceania
Subclass PM	Hyperborean, Indian, and artificial languages
Subclass PN	Literature (General)
Subclass PQ	French literature – Italian literature – Spanish literature – Portuguese literature
Subclass PR	English literature
Subclass PS	American literature
Subclass PT	German literature – Dutch literature – Flemish literature since 1830 – Afrikaans literature – Scandinavian literature – Old Norse literature: Old Icelandic and Old Norwegian – Modern Icelandic literature - Faroese literature – Danish literature – Norwegian literature – Swedish literature
Subclass PZ	Fiction and juvenile belles lettres

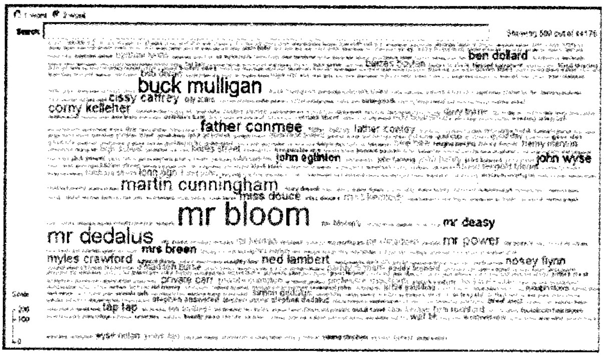
P1-1091	Philology. Linguistics
P1-85	General
P87-96	Communication. Mass media
P94.7	Interpersonal communication
P95-95.6	Oral communication. Speech
P98-98.5	Computational linguistics. Natural language processing
P99-99.4	Semiotics. Signs and symbols
P99.5-99.6	Nonverbal communication
P101-410	Language. Linguistic theory. Comparative grammar
P118-118.75	Language acquisition
P121-149	Science of language (Linguistics)
P201-299	Comparative grammar
P301-301.5	Style. Composition. Rhetoric
P302-302.87	Discourse analysis
P306-310	Translating and interpreting
P321-324.5	Etymology
P325-325.5	Semantics
P326-326.5	Lexicology
P327-327.5	Lexicography
P375-381	Linguistic geography
P501-769	Indo-European (Indo-Germanic) philology
P901-1091	Extinct ancient or medieval language

يوضح شكل (٧-١) تصنيف مختار من تصنيف ديوى العشرى، الطبعة ٢٢ (٢٠٠٣)

من ناحية أخرى؛ التصنيف القائم على العامة هو أنظمة تصنيف "منظمة مفتوحة" أكثر محلية، وغير رسمية، وعملية، وحتى هزلية أنشأها مستخدمو المعلومات العاديون (هاموند Hammond وآخرون، ٢٠٠٥؛ شيركى Shirky, 2005)، وبدلا من الفئات والمصطلحات الرسمية المستقرة المستخدمة فإن مستخدم الوثيقة أو أى قطعة أخرى من المعلومات ينشئ وصلة إلى المورد ("علامة مرجعية") ثم يعين فئاته، أو مسمياته، أو مصطلحاته الخاصة (وتسمى "وسوم Tags") كى يشير إلى الآخرين ما الموارد المرتبطة، أو عن ماذا: الوسوم دالات مختزلة بشكل أساسى كى توصى وتدل الآخرين على المورد، ويستطيع واضع الوسم مراجعته أو حذفه على حسب الحاجة، ويمكنه ربط هذه المادة بالمواد الأخرى التى تبدو أكثر صلة بها – مما يساعد أيضا فى إخبار الآخرين عن ماذا تدور المواد الموسومة، وعلى الرغم من أن الناس يستخدمون بالتأكيد العلامات المرجعية والوسوم كى ينظموا الموارد لصالح استخدامهم الخاص، فإن الوسوم تهدف أيضا إلى توصيل فهم المستخدم لهذه المواد إلى الآخرين – وبالتالى عمل الوسوم سمة اتصالية واجتماعية بشكل أساسى ومميزة لويب ٢.

عندما يتم تجميع هذه الوسوم والروابط غير الرسمية على نطاق الإنترنت الواسع (كما فى حالة ديليشيوس del.icio.us أو ديج Digg.com على سبيل المثال)، فإنها تشكل تصنيفا قائما على العامة Folksonomies أوسع، ومنشأ من أسفل إلى أعلى من

قبَل المبدعين والمستخدمين، الذين يمكن أن تكون لديهم فئات ومصطلحات مختلفة جدا عن أنظمة تصنيفات من أعلى- إلى أسفل الوحدة، فبينما تميل أنظمة التصنيف التقليدية إلى أن تكون منظمة إلى قوائم هرمية متداخلة من مصطلحات متفق عليها مؤسسيا، فإن أنظمة التصنيف القائمة على العامة والوسم يتم تمثيلها أفضل من خلال "سُحُب الوسم" التى أصبحت سمة مألوفة لشبكات التواصل الاجتماعى وغيرها من مواقع وسائل الإعلام الاجتماعية (انظر الشكل ٧-٣)، فى الواقع، أصبح ظهور أنظمة التصنيف القائم على العامة **folksonomic** الرئيسية ممكنة فقط فى سياق إنتاج وتداول المعلومات والوثائق عالمي النطاق الذى سمحت به الشبكة العنكبوتية العالمية.



شكل (٧- ٣) يوضح تصوير سحابة وسم Tag Cloud توضح مدى تكرار الكلمات فى وثيقة المصدر مشروع تصوير Meny Eyes متاح على
http://menyeyes.alphaworks.ibm.com/manyeyes/page/tag_cloud.html

وغالبا ما يعزى استحداث نظام وضع المستخدم الوسوم إلى متصفحات الويب الأولى مثل موزاييك **Mosaic** الذى سمح إلى المستخدمين بتسجيل وتبادل العلامات (هاموند **Hammond** وآخرون، ٢٠٠٥)، كان موقع وضع العلامات **del.icio.us** الذى بدأ فى عام ٢٠٠٣ هو أول منتدى واسع النطاق لتبادل الوسوم والعلامات، ومنذ ذلك الحين، أصبحت الأنظمة المشابهة التى تسمح للمستخدمين بالإشارة أو تذييل محتوى لمستخدمين آخرين أجزاء روتينية من العديد من مواقع ويب ٢، بما فى ذلك فليكر

Flickr، وفيسبوك Facebook، ويوتيوب YouTube، وتكنوقراطى Technorati، وتويتر Twitter، وغيرها من المواقع، وعلى مواقع مثل ويكيبيديا، يخدم الربط ووضع الوسوم بشكل أساسى نفس الغرض مثل الفهرس فى الموسوعة المطبوعة التقليدية، وانتهت دراسة أجراها فى أواخر عام ٢٠٠٦ مشروع بيو Pew عن الحياة الأمريكية والإنترنت إلى أن ما يقرب من ثلث مستخدمى الإنترنت الأمريكيين قد استخدموا بالفعل وضع العلامات والوسوم على الإنترنت (رانى Rainie, 2007).

أثارت الوسوم والتصنيفات القائمة على العامة Folksonomies جدلا حيا بين علماء المعلومات وأمناء المكتبات، الذين يلاحظون المقايضات بين التصنيفات القائمة على العامة المشخصنة والإبداعية والقابلة للتكيف وبين قدرات البحث والاسترجاع القوية الخاصة بالأنظمة القائمة على قاموس منهجى ومفردات مضبوطة (تايلور Taylor، جودرى Joudrey, 2008)، على سبيل المثال؛ تعتبر جوجل مثالا ساطعا على أداة بحث تستخدم "لغة طبيعية" (أى أنها تسمح إلى المستخدمين بالبحث باستخدام أى مصطلحات تبدو أكثر ملاءمة أو ذات مغزى بالنسة إليهم)، بالإضافة إلى أن لديها قوة هائلة على استعادة الروابط ذات الصلة إلى حد كبير نتيجةً لامتلاكها خوارزمية ترتيب الصفحات، التى تراكم وتحلل نتائج ملايين من عمليات البحث على مدار فترة زمنية كى تنقى النتائج المسترجعة فى عمليات البحث اللاحقة، وعلى الرغم من أن محرك البحث باللغة الطبيعية مثل جوجل أداة غير مناسبة لأنواع البحث عالية التقنية، والمستهدفة والمتخصصة التى من الممكن تحقيق نتائج أفضل فيها باستخدام مصطلحات بحث محددة فى التخصص أو المجال موضوع البحث، فإنه فى هذه الحالات يمكن أن يكون وضع الوسوم التصنيفية القائمة على العامة folksonomic متفردة، ولا يمكن الاعتماد عليها، وتعتمد فى نهاية المطاف أيضا على التصورات المتغيرة من المستخدمين الأفراد على توليد نتائج بحث يمكن الاعتماد عليها وثابتة على المدى الطويل وعبر السياقات الاجتماعية والثقافية.

من ناحية أخرى، تكمن قوة التصنيفات القائمة على العامة folksonomies ونظم محركات البحث باللغة الطبيعية فى أنها تسمح للمستخدمين بتأطير الأسئلة والحصول

على معلومات بشروطهم، وبطرق أكثر جدوى وفائدة لهم بشكل فردى، وقد تكون أكثر امتثالا إلى المعرفة "فى العالم" عن أنظمة التصنيف النخبوية أو المنحازة ثقافيا (أولسون Olson, 2002؛ شيركى Shirky, 2005)، كما تبين تجربة جوجل، أن تراكم عمليات البحث باللغة الطبيعية توفر تمثيلا قويا لكيفية فهم المعلومات واستخدامها بشكل جماعى فى المجتمع، كما تعتبر تمثيلا ديناميكيا ومتغيرا مع تغير المفاهيم الاجتماعية والثقافية، فمن المرجح أن عدداً قليلاً من الأشخاص راغبون أو قادرون على التشاور مع قواميس المصطلحات التقنية المعقدة لكل جلسة تصفح إنترنت عارضة، خاصة عندما تصبح المعلومات أكثر خصوصية وتنوعا، علاوة على أن مخططات الوسم من الأسفل إلى الأعلى قد تكون لها آثار عرضية من الكشف عن ارتباطات غير متوقعة ومثمرة بين الأفكار والموارد التى قد تكون على عكس ذلك محجوبة فى الأنظمة الهرمية الموثوقة (واينبرجر Weinberger, 2008).

قد تبدو التصنيفات القائمة على العامة ساخرة أو معارضة للحدس من أحد الجوانب: على الرغم من أن الوسوم والربط والعلامات وغيرها كانت عملية فقط فى السياق "السكندرى" الشامل من الشبكة العنكبوتية العالمية المبنية على المتصفحات وحتى الآن لم يظهر نظام واحد شامل موثوق لتصنيف وتنظيم هذا المدى الواسع من موارد المعلومات والمواد المتاحة على الإنترنت، وليست هناك وجهة نظر نهائية أو متميزة أو مستقرة يمكنها تحديد أو فرض ترتيب كل المعلومات المتاحة – وهو الوضع الذى يتناقض بشكل كبير مع رؤى رواد تنظيم المعلومات مثل أوتلت Otlet، ويلز Wells، وبوش Bush، وحتى السكندريين الأصليين أنفسهم، ولاحظ هوب أولسون Hope Olson، المؤرخ وفيلسوف تصنيف المعلومات، أن المصنفين التقليديين مثل ملفل ديوى Melvil Dewey وتشارلز كاتر Charles Cutter، رأوا أن التسلسل الهرمى الصارم وسيلة لـ"تنظيم زحام المعلومات فى جيش منظم باستخدام أداة المنطق (أولسون Olson, 2004، ص٦٠٤)، وعلى الرغم من أن تنظيم المعلومات على الإنترنت هو دائما غير مكتمل جذريا، ومجزأ، ومتدفق ؛ فإن من وجهة نظر المجالات، والمعرفة المتخصصة القائمة والمؤسسات الثقافية التى تدعمها، أن هذا ضعف جوهرى فى

المعلومات القائمة على الويب ومن وجهة نظر الأشخاص الذين يعملون فى مصالحهم ومساعيهم اليومية لأن القدرة على إعادة ترتيب وإعادة تجميع تصنيفات المعرفة تفتح جميع احتمالات الإبداع والانفتاح الثقافى، والتغيير.

انعدام الثقة فى سلطات المعرفة

عندما يُجمع بين النطاق والطموحات السكندرية لمشاريع المعرفة المشاعية وبين حساسية التصنيف على أساس العامة المتفرد الذى يقود وسم وتنظيم الكثير من المعلومات، فإننا نصل إلى نتيجة واحدة هى السمة الثالثة للمعرفة المشاعية. يميل المشاركون فى مشاريع مثل ويكيبيديا Wikipedia، وديج Digg.com، وتطوير البرمجيات مفتوحة المصدر، وغيرها من المشاريع إلى اتخاذ منظور مناهض للسلطوية واسع النطاق، وهذا الخط المناهض السلطوية لديه جذوره إلى حد ما فى انعدام ثقة الثقافة المعارضة فى السلطات المعرفية التى رأيناها بالفعل فى ثقافة القراصنة والحوسبة البديلة، فلا تستند الخبرة على "أى معايير سوى البراعة الفنية والإنجاز (فى القرصنة وحدها وليس أى معايير وهمية مثل الدرجة العلمية أو السن أو العرق، أو الموقف السياسى)" (نيسينباوم Nissenbaum, 2004، ص١٩٧).

رغم زعم نقاد أسلوب الإنتاج القائم على النظراء، أن المشاركين فى مشاريع المعرفة المشاعية يرفضون بصراحة أو يعادون علنا مطالب السلطة المعرفية الأكاديمية، أو العلمية أو غيرها من المطالبات المؤسسية أو المرخصة مهنيا، فقد قيل: إن ويكيبيديا تكشف نزعة معادية للفكر، وتردع بنشاط الأشخاص ذوى الخبرة من المساهمة ...

نادرا ما يحصل الخبراء على أى معاملة مختلفة عن المساهمين الآخرين ... وعليهم النضال تماما مثل أى شخص آخر كى يدخلوا وجهات نظرهم فى الموسوعة، لذا هم غير راغبين فى بذل مجهود فى إنشاء محتوى قد يزيله ببساطة أى فرد غير مؤهل لديه مصلحة شخصية (فاليس Fallis, 2008، ص١٦٦٥).

ويرى البعض أن موقف مناهضة السلطوية هو أحد أوجه القصور الخطيرة فى مشاريع المعرفة المشاعية "... ميل ويكيبيديا تجاه المستخدمين العاديين ربما يبقى الخبراء بعيدا، على الرغم من أنهم الأفراد بالضبط الذين تحتاجهم" (دوجويد Duguid, 2006)، وفى مقالة حديثة نشرت فى مجلة الفلسفة الأكاديمية، يعترف مؤسس ويكيبيديا لارى سانجر Larry Sanger أن: "ويكيبيديا تحدت المفاهيم التقليدية حول أدوار الخبراء فى عصر الإنترنت"، وأن: "مجتمعات المساواة على الإنترنت قد تتحدى الأدوار المهنية أو الأدوار القيادية المعرفية للخبراء(٣٧)"، إلا أنه يستنتج أن: "هناك تأييد قليلاً لفكرة أن المهن المميزة التى تتطلب خبرة يجرى تقويضها، كما أنه من غير المصدق أن تتولى ويكيبيديا وأمثالها أدوار الخبراء القيادية المعرفية"، وكما يقول سانجر: إن مقالات ويكيبيديا "يحررها أفراد مطلعون لمن يدفع إليهم الاحترام، رغم التطوعية" (سانجر Sanger, 2009، ص٥٢).

وفى مناقشة حول كيف يعمل الإنتاج المعتمد على النظراء والمواضيع المترددة من تحليلات ثقافة القراصنة، يركز تابسكوت Tapscott وويليامز(2008) Williams على اختيار المشاركين الذاتى وعملهم التطوعى، معتبرا أن ما يعارضه المشاركون ليس الخبرة فى حد ذاتها ولكن ادعاءات الامتياز أو الأولوية القائمة على المؤهلات المهنية أو الانتماء المؤسسى فقط: "الخبرة ليست منبوذة بأى حال فى ويكيبيديا، ولكن الاعتمادية غير مرحب بها بوضوح، قد يجد دكتور فى الفيزياء الفلكية نفسه يتناقش حول طبيعة الكون مع طلاب جامعيين متحمسين (أو ما هو أسوأ مع أحد علماء الفلك) كما يتناقش مع نظير له حاصل على تدريب مكافئ له" (تابسكوت Tapscott، ويليامز Williams, 2008، ص٧٤)، وكما يشير الفيلسوف وعالم المعلومات دون فاليس Don Fallis الهواية ليست مكافئة لعدم المعرفة "... الناس الذين يختارون طوعا الكتابة عن موضوع معين قد يكون لديهم قدر من الموثوقية فى هذا الموضوع على الأقل، فى الواقع، هناك العديد من علماء الطيور الهواة، وعلماء الفلك الهواة، وغيرهم الذين ليست لديهم مؤهلات أكاديمية ولكن لديهم قدر كبير من الخبرة" (فاليس Fallis, 2008، ص ١٦٧٠).

يقول كلاى شيركى Clay Shirky، خبير التكنولوجيا ومدرس مساعد فى قسم الاتصالات التفاعلية فى جامعة نيويورك: إن التوافر غير المسبوق لأدوات جديدة على الإنترنت من أجل التعبير والفعل الجماعى قد أنتج حقبة جديدة يسميها "الهواية الجماعية" لها آثار مهمة على الامتياز المهنى وحراسة البوابة المعرفية، ويروى تجربته الخاصة المبكرة فى شركة تصميم ويب صغيرة ناشئة عندما أصبحت شركة AT&T أحد عملائها الأوائل، استخدم شيركى وزملاؤه لغة برمجة تسمى بيرل Perl، كانت إحدى نقاط قوتها الرئيسية تقريبا، هى أن دعمها التقنى الفورى، وغير الرسمى، والتطوعى من مجتمع مستخدمى بيرل الآخرين، فى المقابل أصر مهندسو شركة AT&T على أن يستخدم المشروع لغة برمجة مملوكة طورتها شركة AT&T و"صناعية القوة" هى سى بلس بلس ++ C.

شرحنا لهم أن هناك مجموعة نقاش خاصة بمبرمجين بيرل، تسمى comp.lang.perl.misc يعلق فيها مجتمع بيرل ويطرحون الأسئلة والإجابة، وأشرنا إلى إن الدعم التجارى بطىء أحيانا، فبينما هناك أشخاص على مجموعة نقاش بيرل يردون على جميع الأسئلة ليلا ونهارا؛ وعندما تمر على القادمين الجدد فترة كافية ويعرفون ما يفعلون، فإنهم بدورهم يجيبون على الأسئلة، لذا على الرغم من أن النظام لم يكن تجاريا، فإنه كان مكتفيا ذاتيا، ولم يصدقنا مهندسو شركة AT&T أن أوضحنا لهم كيفية عملها، حتى إننا ابتكرنا سؤالا صعبا إلى حد ما ونشرناه على مجموعة النقاش ... وأجابه أحدهم قبل انتهاء الاجتماع مع شركة AT&T، ولكن حتى ذلك لم يقنعهم، ولم يهتموا إن كانت الطريقة قد نفعت فى الواقع، لأنهم كانوا متأكدين بالفعل أنها لن تنجح من الناحية النظرية (شيركى Shirky 2008، ص ٢٥٦-٧).

يعتقد شيركى؛ أن (الهواية الجماعية) ساعدت على قلب العلاقة التقليدية بين "التصفية" (التحرير ووضع الأجندة) والنشر، وعندما يستطيع أى شخص أن يكون ناشرا، يأتى النشر أولا ثم المراجعة والتنقيح لاحقا، وجعلت الهواية الجماعية أدوار المشاركين فى مشاريع المعرفة المشاعية أكثر مرونة، وذوبت الفروق الواضحة بين القراء والكتاب، والمحررين، وبين الخبراء والهواة، وكما رأينا فى الفصل السابق الطبيعة المتغيرة للصحافة ودور الصحفيين، كما يشكل دور الهواة الناشئ تهديدا

أساسيا للنظرة المستقبلية، ولامتيازات بعض المهن الإعلامية، التى لا تزال ترى ممارساتها لا غنى عنها حتى مع تغير الظروف التى خلقتها: "فى أى مهنة، لا سيما تلك القائمة منذ فترة تكفى ألا يتمكن أحد من تذكر الوقت الذى لم تكن موجودة فيه، يميل الأعضاء إلى مساواة الحلول المؤقتة لمشكلات معينة مع الحقائق المتعمقة عن العالم" (شيركى Shirky, 2008، ص ٥٩).

انعدام الثقة فى السلطة فى مشروعات المعرفة المشاعية يتجاوز الخبراء المعتمدين إلى أشكال أخرى من السلطة المعرفية وحراسة البوابات المعرفية، مثل المُلاك والمديرين التنظيميين، فمثلا أصبح اعتراض أعضاء ويكيبيديا على إصرار مؤسسها لارى سانجر السابق على الاحتفاظ بحق حذف أى شىء فى ويكيبيديا عاملا فى استقالته من المشروع (شيركى Shirky, 2004)، وفى عام ٢٠٠٧ نظم مستخدمو موقع التواصل الاجتماعى ديج Digg.com مظاهرة ضخمة ضد إخفاء الموقع معلومات كان قد نشرها مشاركون شملت مفتاح فك التشفير لنسخ أسطوانات الفيديو الرقمية فائقة الدقة HD- DVD(٣٨)، كما أزالت إدارة ديج جميع المواد التى تشير إلى الشفرة استجابةً إلى التهديدات القانونية من مجموعة صناعة الأسطوانات الرقمية HD- DVD، ومشورة محاميها، ومع ذلك عاصفة من انتقادات مستخدمى ديج الأساسيين، التى تزعم أن ديج قد خانت القيم الحاكمة لمجتمعها المحلى، روجت مثل هذه الدعاية السلبية حتى خضع مؤسس ديج كيفن روز Kevin Rose علنا إلى مطالب مجتمع ديج، واعترف بأنه: "بعد رؤية مئات القصص وقراءة آلاف التعليقات، التى أوضحت أنك تفضل رؤية ديج يستميت فى القتال عن الانحناء إلى شركة أكبر، نحن نسمعك، ونرد بشكل فاعل فورى بأننا لن نحذف أى موضوعات أو تعليقات تحتوى على الشفرة وسوف نتعامل معها مهما كانت العواقب" (http://en.wikipedia.org/wiki/Digg).

ويكيبيديا باعتبارها معرفة مشاعية

كما ذكرنا فى بداية هذا الفصل، ربما لم يثر أى مشروع معرفة مشاعية ما أثارته ويكيبيديا من الاهتمام أو المشاركة، أو النقاش الحاد، منذ إطلاقها فى أوائل عام ٢٠٠١،

نُشرت العديد من اللمحات والتواريخ عنها فى كل من الصحافة الأكاديمية والشعبية، واختبرت نتائج الدراسات نموها، وديناميتها، واستخداماتها، وبشكل عام يركز أكثر استقراء مكثف على قضيتين رئيسيتين: أولاهما: نمو ويكيبيديا المذهش وشعبيتها باعتبارها مرجعا أساسيا لمدى واسع من الموضوعات بعدة لغات، وثانيتهما: المخاوف المستمرة حول جودتها - مصداقيتها ودقتها وصحتها، وحتى (بين الفلاسفة) قيمتها المعرفية.

ونتج عن كل المخاوف ما اسّماه أحد مؤسسيها، لارى سانجر Larry Sanger، جوهر ويكيبيديا "الإشكالية" (سانجر Sanger, 2009، ص٥٢): إن مصدر معلومات موثوق فيه إلى حد ما، وشامل يمكن أن ينتج ويستمر من خلال عملية تعاونية بين الآلاف من الهواة والمساهمين المتحمسين، مع القليل من الاعتماد على (أو التبجيل لـ) الخبراء المهنيين فى الموضوع قيد البحث، وتكمن التساؤلات حول ما الذى يشكل المعرفة المرخصة؟ ومن الذى يقررها؟ فى صميم النقاشات المستمرة حول ويكيبيديا، وفى النهاية قد يصنع تحدى إنتاج المعرفة المركزى والمرخص مؤسسيا والمحكوم بالخبراء الذى تمثله ويكيبيديا وغيرها من مشاريع المعرفة المشاعية بعض تعبيرات وسائل الإعلام الجديدة البديلة/الناشطة الأكثر ثورية أو تخريبية.

فى الواقع؛ يبدأ العديد من تحليلات عمليات وسياسات وأساليب ويكيبيديا - مع بعض الاختلافات - من موضوع التشكك فى أن مثل هذا المشروع يمكن حتى إنه يوجد، ناهيك عن ازدهاره فى المقام الأول، "ومن المفارقات، أن هذه العملية التى تبدو فوضوية أنشأت مرجعا محترما على شبكة الإنترنت" (ليه Lih, 2004، ص١)، "متأكد من أننى لم أكن الشخص الوحيد الذى قرر، بمجرد أن سمعت كيف تعمل، إنها لن تكون مفيدة كثيرا، لكننى كنت مخطئا "(دالبى Dalby, 2007، ص٣)، و"ويكيبيديا هى مصدر العجب: فكرتها الأساسية - موسوعة مفيدة يمكن أن تنشأ من خلال السماح لأى شخص بإنشاء وتحرير المقالات - تبدو سخيفة"(بريدهورسكى Priedhorsky وآخرون، ٢٠٠٧، ص ٢٥٩)، و"بالنسبة إلى الكثيرين، يبدو مدخل ويكيبيديا المعرض إلى خطر الأخطاء، والجهل، والخبث، طريقة سخيفة تماما لإنتاج أداة مرجعية جادة، إلا أن

سر ويكيبيديا هو أنها رغم سلبيات انفتاحها المحتملة الواضحة، فإنها حققت نجاحا بارزا"(فيجاس Viégas، واتنبرج Wattenberg، وديف Dave, 2004، ص٥٧٥).

حُكيت قصة تطور ويكيبيديا عدة مرات (على سبيل المثال، روزنزويج Rosenzweig, 2006؛ وشيف Schiff, 2006)، وليس آخرا فى ويكيبيديا نفسها (http://en.wikipedia.org/wiki/History_of_Wikipedia)، ومع ذلك تساعد بعض النقاط التاريخية الرئيسية على توضيح كيف أن نموذجها التعاونى غير المنطقى من إنتاج المعرفة يعكس سمات المعرفة المشاعية الثلاث: النموذج السكندرى، وإنتاج المعرفة القائم على العامة، والميل نحو عدم الثقة فى السلطات المعرفية، أو على الأقل فى الامتيازات المفترضة.

طموحات ويكيبيديا السكندرية

أطلقت ويكيبيديا فى أوائل عام ٢٠٠١ كإستراتيجية لزيادة حجم المساهمات فى مشروع المراجعة القائمة على النظراء بصرامة، والمحكوم بالخبراء، نوبيديا Nupedia، الذى واجه صعوبة فى توظيف مساهمين إنتاج كتلة حرجة من المحتوى، وعيَّن جيمى ويلز Jimmy Wales، الذى أنشأت شركته بوميس Bomis مشروع نوبيديا، لارى سانجر Larry Sanger دكتور الفلسفة، لإدارة نوبيديا والإشراف عليها، ووفقا لصفحة تاريخ ويكيبيديا، اقترح سانجر فكرة استخدام النظام القائم على الويكى wiki – لتعزيز نمو نوبيديا فى محادثة عشاء مع مطور الويكى بن كوفتز Ben Kovitz، وكان بعض محررى نوبيديا متشككين، ولكن ويلز تبنى الفكرة وأسس ويكى المبدئية فى يناير عام ٢٠٠١، واليوم مُعترَف بكلٍّ من سانجر وويلز باعتبارهما منشئى موسوعة قائمة على الويكى ومعتمدين كمؤسسين مشاركين فى ويكيبيديا.

بدأت مساهمات المتطوعين فى ويكيبيديا فى التراكم فوريا تقريبا، خاصة بعد الموافقة على إشعارات سلاش دوت Slashdot، وكورو5هن Kuro5hin، ووسائل إعلام سائدة مثل نيويورك تايمز New York Times ظهرت فى عامها الأول، وفى المراحل

الأولى، غالبا ما كانت تُجمع المواد من النص المساهم الأصلى وفقرات من المصادر الأقدم الموثوقة فى المجال العام، مثل الطبعة ١٩١١ من الموسوعة البريطانية، وغيرها من المراجع الكلاسيكية، بينما اليوم يكتب المساهمون مقالات ويكيبيديا ويحررونها بالكامل، ولكن "أجزاء من المصادر [المراجع] الأصلية مستمرة مثل تلك الفتات الحجرية من المبانى الكلاسيكية المندمجة فى جدار من القرون الوسطى" (بيكر Baker, 2008، ص٨).

تزايد تراكم المقالات فى ويكيبيديا باللغة الإنجليزية باطراد منذ البداية، وكما لاحظ أحد الكتاب "سريعا جدا أصبحت ويكيبيديا الذيل الذى ابتلع الكلب (نوبيديا)" (روزنزويج Rosenzweig, 2006، ص١٢١)، واستغرق الأمر شهرا واحدا كى تجمع ويكيبيديا الإنجليزية أول ألف مقالة، وخمس سنوات كى تراكم مليون مقالة (بالمقارنة، أنتجت نوبيديا ١٢ مقالة فقط فى أول عام لها قبل ويكيبيديا)، وما بين بداية عام ٢٠٠٦ وحتى نهاية عام ٢٠٠٩ تضاعف هذا الرقم إلى أكثر من ثلاثة أضعاف، وحتى كتابة هذه السطور (منتصف ٢٠١٠) يبلغ عدد المقالات ما يزيد على ٣ ملايين و٢٠٠ ألف مقالة تشكل فقط نحو ٢٠ فى المائة من إجمالى أكثر من ١٥ مليون مقالة فى ويكيبيديا بأكثر من ٢٧٠ لغة (التحديثات اليومية متاحة فى http://en.wikipedia.org/wiki/Wikipedia:About)[٣٩].

يمكن لأى شخص المساهمة فى ويكيبيديا؛ فى الواقع كانت قاعدة مساهمينها الهائلة واحدة من أقوى سماتها، حاليا ويكيبيديا لديها ما يقرب من ١٢,٤ مليون مساهم مسجل، إلا أن عددا غير معروف من المساهمين غير مسجلين رسميا، وعلى الرغم من أن بعض المشاركين فى ويكيبيديا أكثر فاعلية بكثير من غيرهم، فإن بعد فترة وجيزة من بدء المشروع، أخذت مجموعة صغيرة نسبيا من المحررين المساهمين النشطين جدا زمام المبادرة فى إنشاء وتصفية محتوى ويكيبيديا، وهذا النمط من المشاركة (مثال على توزيع "الذيل الطويل" المنحرف للغاية شائع عبر العديد من أنواع الأنشطة الاجتماعية، سواء على الإنترنت أو خارجها) استمر بمرور الوقت، حتى أصبح هناك ما يقرب من ١٢,٤ مليون مساهم مسجل حاليا، منهم ما يقرب من ٣٠٠ ألف شخص يسهم أو يحرر مرة شهريا، وما يقرب من ٥٠ ألفًا يقدمون ٥ مساهمات أو أكثر شهريا، و٥ آلاف مساهم فقط، أو ما يقرب من أربعة أعشار من

واحد فى المائة من جميع المسجلين فى ويكيبيديا يقدمون ١٠٠ مساهمة أو أكثر شهريا (انظر http://en.wikipedia.org/wiki/Wikipedia:Editor_statistics#Demographics)، إلا أن إجمالى عدد المساهمين شهد ارتفاعا حادا بارتفاع عدد المقالات مع الوقت، وإن كانت حفنة من أعضاء ويكيبيديا هى المسئولة عن معظم الحركة التحريرية على الموقع، فمن الصحيح أيضا أن طائفة أوسع وأكثر تنوعا من الأشخاص شاركوا فى المجهود ووسعوا بشكل كبير نطاق ومدى المواضيع والاهتمامات المدرجة فى المشروع.

وكما تشير هذه الأرقام، فإن منذ بدايتها كانت طموحات ويكيبيديا سكندرية دون خجل، وقد وضع بعض الدارسين (بالإضافة إلى صفحة تاريخ ويكيبيديا الخاصة) المشروع ضمن سجل محاولات أكبر من جمع وتصنيف، وتيسير الوصول إلى كل المعرفة فى العالم، والاستشهاد بتأثيرات مكتبة الإسكندرية، ومشروع ماندنوم Mundaneum أوتلت Otlet ومشروع العقل العالمى لويلز Wells، ومشروع فهرس الذاكرة memex لبوش Bush، ضمن تأثيرات أخرى (على سبيل المثال، روزنزويج Rosenzweig, 2006)، ويقول ستايسى شيف Stacy Schiff (2006). إنه يمكن اعتبار ويكيبيديا آخر مظاهر هذا "الاندفاع الموسوعى" الذى يرجع إلى القرن الثامن عشر على الأقل، كما تعتبر رؤية مؤسسة ويكيميديا Wikimedia عالمية النطاق دليلا واضحا أيضا على دعمها تطوير ودعم الإصدارات بأى لغة فى مجتمع من المساهمين المهتمين بدعمها، ودليل على تدويل ويكيبيديا المتزايد بمرور الوقت، وكما قال جيمى ويلز Jimmy Wales أن هدفه هو "توزيع موسوعة مجانية على كل شخص على سطح كوكب الأرض بلغته" (مقتبس فى شيف Schiff, 2006، ص ٣٨).

التصنيف القائم على العامة Folksonomy وويكيبيديا Wikipedia:

رغم نجاح ويكيبيديا السريع، والاختلافات بين مؤسسيها الذى ظهر سريعا حول أفضل السبل لإنتاج ليس فقط مزيدا من المحتوى، بل محتوى أفضل، وكيفية منع المساهمات والتغييرات التحريرية الخبيثة، أو الخاطئة، أو التافهة، أو التى تخدم أهدافا

شخصية، فبينما فضل ويلز عدم التدخل، مدخل التصنيف القائم على العامة، تاركا المجتمع حرا قدر الإمكان فى التنظيم الذاتى والمساهمة والتحرير وإنشاء وصلات بين أى مادة يختارونها، وتحديد وتعديل الأخطاء من خلال عملية التوافق مع حد أدنى من سياسة قرارات وتدخلات من أعلى- إلى أسفل، وكان سانجر Sanger - طالب الدكتوراه فى الفلسفة سابقا - أكثر اهتماما بشأن الدقة وإمكانية نشر معلومات خاطئة أو مضللة، لذا عزز حراسة بوابة حاسمة لكن "معتدلة" مع مزيد من السلطة التحريرية لأعضاء ويكيبيديا الأكثر نشاطا ومبادئ سياسية واضحة، وقدم سانجر نفسه أول مبدأ فى عام ٢٠٠١، الذى (ربما كان من المفارقات فى الماضى) هو "تجاهل جميع القواعد" ثم تلاه سريعا مبادئ أساسية أخرى "غير قابلة للتفاوض" لا تزال تشكل مساهمات ويكيبيديا حتى اليوم، بما فى ذلك مبدأ وجهة النظر المحايدة، ومبدأ توقع أن المحتوى يجب أن يكون قابلا للتحقق منه ومستمدا من مصادر موثوقة، وبمرور الوقت قُننت العناصر الرئيسية من سياسة ويكيبيديا التحريرية وفلسفتها فى "خمس ركائز" (انظر http://en.wikipedia.org/wiki/Wikipedia:Five_pillars).

عندما انخفضت إيرادات بوميس Bomis مع كساد dot.com فى عام ٢٠٠٢، غادر سانجر منظمة ويكيبيديا، وبعد رحيله أسس سيتيزنديوم Citizendium، وهو جهد جديد لبناء موسوعة قائمة على الويكى موثوقة، ومُراجَعة من النظراء، كما أصبح أيضا من أشد منتقدى نموذج ويكيبيديا لإنتاج المعرفة، وقيمة محتواها نفسه (سانجر Sanger, 2009؛ شيف Schiff, 2006).

ولكن حتى بعد رحيل سانجر، ازدادت المنافسة بين معسكرى المواقع القائمة على العامة folksonomic مقابل المواقع المحكومة بالسلطة بين أعضاء ويكيبيديا، إحدى المجموعتين تسمى نفسها، (الدامجون)، تبنت خط عدم التدخل بحرية، ويقولون: إن السياسة التحريرية يجب أن تقيد المحتوى بأقل قدر ممكن، وتتمسك بالقيم المجتمعية من الانفتاح والمشاركة، ودمج كل ما يتمنى المساهمون إضافته، مهما كان الموضوع ثانويا أو انتقائيا، وفى مقابلهم مجموعة (الحاذفون) التى تؤيد ضرورة التدخل التحريرى اليقظ من أعضاء ويكيبيديا الأكثر دراية أو خبرة من أجل تقليل المساهمات

غير الجادة، أو غير المهمة، أو الخاطئة، أو الاحتيالية، أو غير المشهورة، والحد من التخريب، وتحسين جودة المحتوى والحفاظ عليه بشكل عام، وبحلول عام ٢٠٠٧ اتسعت خلافاتهما إلى موجات من الجدل وإزالة المحتوى، مما دفع نيكلسون بيكر Nicholson Baker المؤلف وعضو مجموعة ويكيبيديا الدامجين إلى الشكوى من أن: "الكثير من العمل الجيد - الموثوق، والغنى بالمعلومات- يستبعده من هذا المجلد اللا ورقى المتمدد للغاية أشخاص لديهم تصور ضيق، ومدرسى إلى حد ما عن نوع الفضول الذى سوف تلبيه موسوعة على الإنترنت خلال السنوات القادمة" (بيكر Baker, 2008، ص١٠)، ورغم دعم لارى سانجر (٢٠٠٩) حراسة البوابات التحريرية، فإنه استمر فى الإصرار على أنه من الدامجين الراسخين، ورغم إيمانه بقوة التصحيح الذاتى التى تتمتع بها المشاركة المفتوحة يؤيد جيمى ويلز Jimmy Wales فى النهاية تكوين لجان تحريرية وإدارية موثوقة كى تبدأ صلاحيات رقابية جديدة بشكل شخصى كنوع من "محرر المرجع الأخير" خاصةً فى الحالات الصعبة أو المثيرة للجدل (كوهين Cohen, 2009).

عندما أصبحت ويكيبيديا مصدرا مباشرا متزايد الأهمية، حاول مشرفوها المواءمة بين الطاقة الفوضوية والإبداع، ومهمة التشاركية فى المشروع الأصلى أحيانا وبين اعتماد السياسات الرسمية وهياكل الحكم التى تعزز التسلط والجدارة بالثقة، لكنها تبعد ويكيبيديا عن رؤيتها الأصلية، ويصر الدامجون فى ويكيبيديا على أن قيم المجتمع، من ثقافته التشاركية المكثفة، وعمليات حكمه المشتركة القائمة على الإجماع تتكفل بمعظم مشاكل جودة المحتوى، لكن وُضعت مجموعة متنوعة من الضمانات الأكثر رسمية بمرور الوقت، بما فى ذلك برامج فحص المحتوى آليا، وفرض الحظر على تحرير صفحة السيرة الذاتية الخاصة بأى شخص، وزيادة خطوات مراجعة جميع السير الذاتية للأشخاص الأحياء، ووضع قيود على امتيازات إنشاء وحذف صفحة الامتيازات، وغيرها من المبادئ والقواعد التحريرية الرسمية (كوهين Cohen, 2009)، وغالبا ما وضعت القواعد ردا على حلقات الإساءة التى تنطوى على مواد تخريبية وتشهيرية، تعدت على حق المؤلف، أو المساهمين وشوهت مؤهلاتهم أو خبرتهم، إلا أن نيكلسون بيكر Nicholson Baker يرثى انتشار "القواعد واللافتات السياسية فى كل

مكان فى الفترة الأخيرة - هناك تحذيرات حثيثة بقوة، ومهام مطلوبة، وإجراءات عادية وإرشادات وجيهة، ومعايير معقدة لاتخاذ قرارات مختلفة، أعراض ما يسمى زحف التعليمات: مُعرَفَة فى ويكيبيديا باعتبارها شيئًا يحدث "عندما يزيد حجم وعدد التعليمات بمرور الوقت لدرجة لا يمكن السيطرة عليها" (بيكر Baker, 2008، ص ١٠

ويكيبيديا والسلطات المعرفية

فى نفس الوقت، انتشرت سمعة ويكيبيديا فى توفير معلومات موثوقة عموما (ولو أولية، أو غير مكتملة، أو غير مهضومة) حتى بين مدرسى الجامعة المتشكيين، والسلطات القانونية، ووسائل الإعلام والمؤسسات الإخبارية السائدة، وجاءت نقطة التحول الرئيسية فى سمعة ويكيبيديا فى عام ٢٠٠٥، عندما طلبت دورية نيتشر Nature من المراجعين الخبراء المقارنة بين أزواج من المقالات العلمية حول نفس الموضوعات من ويكيبيديا والموسوعة البريطانية، دون الكشف عن مصدر أى من المقالتين، واختير خمسون زوجا من المقالات مبدئيا للدراسة، منهم ٤٢ تم التحقق من أن تقييمهم صالح للاستخدام، وأفاد المراجعون بأن أخطاء الحقائق أو السهو أو البيانات المضللة فى ويكيبيديا كانت أقل من الموسوعة البريطانية (١٦٢ مقابل ١٢٣، على التوالى، أو ما معدله نحو ٣,٩ خطأ فى مقالة ويكيبيديا مقابل ٢,٩ خطأ فى الموسوعة البريطانية)، كما وجدوا أن مواد ويكيبيديا غالبا لم تكن مكتوبة ومُنظَمة مثل نظيراتها البريطانية، ومع ذلك تساوى كلا المصدرين فى قلة عدد "الأخطاء الجسيمة" فى جميع المقالات المستعرضة - فقط أربعة فى كل من ويكيبيديا والبريطانية (جايلز Giles, 2005)، وأشار النقاد إلى مشاكل فى تصميم البحث، ورفض ممثلو البريطانية تماما أى تلميح أن المصدرين متماثلان كأدوات مرجعية بأى حال من الأحوال، لكن أكد المؤيدون أن إمكانات ويكيبيديا على التعديل والتصحيح السريع سوف يجعلها تصل إلى معايير البريطانية فى نهاية المطاف.

انشغال يكيبيديا بالتفصيلات والإحصاءات، وبتوفير سجل شامل مُحدَّث حتى

اللحظة بتواريخ عمليات تحرير ويكيبيديا كي يحللها أي شخص يحمل البيانات، أثار نوعا من التهافت على دراسة ويكيبيديا كأنه تنقيب عن الذهب، وكان الباحثون عازمين على حل غموض لغز، كيف يمكن لجحافل معظمهم من الهواة المجهولين وغير الخبراء إنتاج معلومات جديرة بالثقة، وأظهرت الدراسات التجريبية على سبيل المثال: إن مواد ويكيبيديا يعدها المراجعون الخبراء في هذه المواضيع أكثر مصداقية من المراجعين غير الخبراء (تشيسني Chesney, 2006)، وقد وجد البعض أن المقالات التي تستمر فترة أطول غالبا ما يكتبها قلة من مساهمي ويكيبيديا النشطين جدا، وهيمنة تلك القلة تتزايد (بريدهورسكي Priedhorsky وآخرون، ٢٠٠٧)، ويرى آخرون أنه على الرغم من أن تاريخيا أنتجت الأقلية من "نخبة" ويكيبيديا معظم مضمونها، فقد تحول عبء العمل في الآونة الأخيرة ليشمل المزيد من المشاركين المتوسطين (ألميدا Almeida، موزافير Mozafari، تشو Cho, 2007؛ كتر Kittur وآخرون، ٢٠٠٧)، وأصبحت هناك ارتباطات بين متوسط جودة المقال وعدد التعديلات التي أجريت عليه (ويلكنسون Wilkinson، هوبرمان Huberman, 2008)، وحذر باحثون آخرو أن إضافة المحررين إلى مقال يزيد فقط من جودة المادة إذا كان هناك تنسيق بين عمل المحررين بطرق مناسبة، وإن طرق التنسيق غير المناسبة يمكن أن تضر جودة المادة (كتر Kittur، وكروت Kraut, 2004).

فيما يتعلق بالتخريب، أظهر العديد من الدراسات أن إدراج معلومات خاطئة عمدا إلى مواد ويكيبيديا يتم إصلاحها سريعا، في عام ٢٠٠٤ طور فريق من الباحثين من IBM المختبر الإعلامي بمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا أداة رسم كي تصور "حروب الإعادة" (سلسلة مكثفة من إضافات المحتوى وإزالته يقوم بها فريق من المحررين المناصرين لفكرة ما)، وأظهرت بياناتها أن نصف "الأجزاء المحذوفة" من صفحات ويكيبيديا (بلغ الحذف المؤذي ٩٠ في المائة أو أكثر من محتوى الصفحة) تم إصلاحه في أقل من ثلاث دقائق، ونصف التعديلات المؤذية التي تنطوي على إدخال بذاءات تم إصلاحها في أقل من دقيقتين (فيجاس Viégas، واتنبرج Wattenberg، ديف Dave, 2004)، ووجدت دراسة أجريت عام ٢٠٠٧ في جامعة مينيسوتا صغر احتمال

وجود مادة نموذجية تم إتلافها رغم الزيادة، وقد وجد الباحثون أيضا أن ٤٢ فى المئة من حوادث التخريب عبر جميع مشاهدات صفحات ويكيبيديا تم "إصلاحها فوريا بشكل أساسى" (بريدهورسكى Priedhorsky وآخرون، ٢٠٠٧، ص٢٦٥)، وفى حالة أخرى أكثر طرافة، تم تصحيح ٣٦ فى المائة من المعلومات الخاطئة المدرجة فى أحد مقالات السيرة الذاتية لأحد الفلاسفة خلال ثمان وأربعين ساعة (ماجنوس Magnus، ٢٠٠٩)، وتتناقض فورية الإصلاح النسبية فى ويكيبيديا بشكل كبير مع بطء إيقاع التصحيح فى الحالات المماثلة من المراجعة والنشر الأكاديمى التقليدى القائم على النظراء.

على العموم؛ ومع بعض الاستثناءات المهمة، تؤكد هذة الأدبيات أن نجاح ويكيبيديا يرجع غالبا إلى حجمها الهائل وما يمكن أن يسمى (خطوة نقد بول دوجويد Paul Duguid [2006] إلى الداروينية الضمنية التى يتبناها مؤيدو المصدر المفتوح) "الاصطفاء النوعى" المتنوع والتنافسى بكثافة داخل "بيئته" المعرفية، وعلى النقيض من الاعتماد على سلطة نظامية مركزية وخبرة النخبة التى تحدد مؤسسات العلم والمعرفة التقليدية، هناك دليل أكثر نظرية وتجريبية على أن الكثير من المشاريع التعاونية الكبيرة، مثل ويكيبيديا، يمكن فى الواقع الاعتماد عليه إلى حد ما ... عندما تكون المجموعات كبيرة ومتنوعة بشكل كاف، ويمكن فى كثير من الأحيان أن تنتج معلومات أفضل من الخبراء فى موضوع ما" (فاليس Fallis, 2009 ، ص٢)، ويكيبيديا هى توسعية ولا نهائية وفقا لتصميمها، ولا تدعأ إنها فهرس راسخ، أو مؤكد، أو شامل لجميع المعارف (ماتيوس Mattus, 2009)، وعلى هذا النحو يتم استخدامها بشكل مختلف عن الموسوعات التقليدية (ماجنوس Magnus, 2009)، وبغض النظر عن النتيجة، فإن معرفة ويكيبيديا هى معرفة الهواة، و"عشاق" موضوع ما بمعنى اشتقاقى، والهواة المتحمسين، وثقافة المعجبين، والمتطوعين المتفانين والأشخاص الذين لديهم الكثير من الوقت. (بيكر Baker, 2008).

ملخص: المعرفة المشاعية باعتبارها نوعاً

كما هو الحال مع الأنواع الأخرى التى قدمناها حتى الآن، نختتم هذا الفصل بعرض موجز للخصائص التى تميز نوع المعرفة المشاعية، فيما يتعلق بنطاقها، تعد

مشاريع المعرفة المشاعية تعاونية بوضوح - وفى الواقع على نطاق يقزم من مستويات المشاركة التى رأيناها فى أنواع وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة الأخرى التى ناقشناها فى الفصول السابقة، وفى هذا الصدد تختلف المعرفة المشاعية عن الأنواع صغيرة الحجم بشكل جوهرى مثل: تشويش الثقافة والحوسبة البديلة، أمثلة مثل ويكيبيديا، وإلى حد أقل مواقع التوسيم مثل Digg.com، قد تكون أمثلة كلاسيكية من أنظمة لديها تأثيرات شبكية أو عوامل خارجية شبكية، فكلما أصبح المورد أكثر قيمة للمستخدمين كلما أصبح أكبر وأكثر شمولا، وتعمل التأثيرات فى مشاريع المعرفة المشاعية على مستويين: عدد المشاركين المعنيين، وحجم الموارد المنتجة، وكلاهما يشتركان فى التحديد، لأن نوعية الموارد وقدرتها على التصحيح والإصلاح الذاتى تصبح أكبر عندما يزداد عدد المشاركين، كما ينجذب عدد أكبر من المشاركين إلى الاستخدام لا سيما الانجذاب إلى المساهمة فى الموارد- عندما تصبح أكثر شمولية وتنوعا، وبالطبع، آثار الشبكة "السلبية" هى خطورة الانحباس عندما تصبح الأنظمة كبيرة وراسخة لدرجة تصبح فيها التكاليف الاقتصادية والاجتماعية لبناء أو التحول إلى بديل باهظ، وبالتالى تثبط الإبداع، وهناك بالفعل دلائل على أن حجم ووصول ويكيبيديا الهائلين كليهما يسرعان تبنيها بين المستخدمين الجدد، ويثبط المنافسين المحتملين.

ويبدو موقف أو وضع مشاريع المعرفة المشاعية بالنسبة إلى المجتمع والمؤسسات السائدة انتقاليا، فعلى سبيل المثال؛ بدأت ويكيبيديا الحياة بحساسية ثقافية فرعية واضحة، وجذبت حشدا مكرسا من المطلعين المهرة، الذين تبنوا وجهة نظر متشككة من السلطة والخبرة المهنية، وأنشأوا مجتمعا مغايرا من ويكيبيديا يتحدى الأعراف المعرفية الموثوقة، مع روح جماعاتية بإخلاص، وميل واسع إلى النقاشات المفتوحة على أصغر نقاط الحقيقة أو التفسير، والتمسك بصنع القرارات التحريرية بتوافق الآراء، وعلى الرغم من أن مواد ويكيبيديا نفسها مكتوبة ومسلمة بأسلوب نثرى خالٍ من الهزل تقريبا (ربما نتيجة الاعتماد المتزايد على قواعد الأسلوب والمضمون)، فإن تفاعلات "ما وراء الكواليس" بين محررى الصفحة - التى يمكن لأى شخص عرضها باستخدام

خيار "حديث" الصفحة - كثيرا ما تكشف روح دعابة أو سخرية من المحتوى والمصادر التى يتعاملون معها، ورابطة أخوية صغيرة بين أعضاء ويكيبيديا تستمر فى لعب دور مركزى فى توجيه أنشطة الموقع ورسالته، وصنع القرار فيه، مع ذلك وكلما ازدادت صفوف المساهمين وأصبحت أكثر تنوعا، وكلما كرس المساهمون العابرون مزيدا من الوقت والجهد لهذا المشروع (حتى لو لم يكن بنفس قدر الحفنة الأعلى مرتبة من أعضاء ويكيبيديا)، فإننا نتوقع تحولات مكافئة فى عمليات الحكم والتشاور كى تعكس مجتمعًا أكثر شمولية لديه مدى واسع من وجهات النظر والقيم.

مشاريع المعرفة المشاعية بارزة أيضًا بسبب أشكال فعلها ووكالتها، أحيانا مشاريع مثل ديج Digg.com، وديليشيوس del.icio.us وويكيبيديا Wikipedia ليست تدخلية فى البداية صراحة - وبالتأكيد ليست بنفس طريقة معظم الأنواع الأخرى، ليس بالضرورة أنها مصممة لتتداخل مع أو تتطفل على المواقع والموارد الأخرى، فى الواقع، أنها غالبا ما تبدأ باعتبارها "مكملة" لأشكال التعبير الأخرى (على سبيل المثال؛ مواقع وضع العلامات كى يسهل استرجاعها لاحقا؛ وتوسيم روابط محتوى قائم على الويب على صفحة الشبكة الاجتماعية الشخصية أو المدونة، وانظر أيضا هاموند Hammond وآخرون، ٢٠٠٥)، وتأسست ويكيبيديا نفسها باعتبارها هامشا من أجل دفع المحتوى إلى مزيد من الموارد المرجعية التقليدية الأخرى، وفى هذه الحالات يتم تعيين مشاريع المعرفة المشاعية حتى تعمل كواصفات بيانات أساسا - أى كى تؤطر، أو تسمى، أو توصى أو توجه المستخدمين إلى مصادر معلومات أخرى، لذا فإن الوسوم والعلامات، والوصلات (مثل نظرائهم من فهرس المكتبة، ورؤوس الموضوعات والكلمات المفتاحية) هى علامات التشابه والاختلاف، وبالتالى تشير إلى أن المعلومات مصنفة تحت مسميات معينة لديها أيضا ترتيب أو معنى معين.

لكن، وكما هو الحال غالبا ما تؤدى ويكيبيديا، وووضع الروابط، والعلامات، والتوجيه إلى إنتاج أنظمة أكثر تفصيلا من المواد المبنية على غرض التى يتم تنظيمها وفقا إلى مخطط التصنيف الأصلى أو أنطولوجيا المشروع، التى قد تشبه التصنيف الهرمى. (شبه أحد الكتاب الفرق بين التصنيفات الرسمية والتصنيفات القائمة على

العامة بالفرق بين "الأشجار وأكوام الأوراق". اينبرجر Weinberger, 2006)، وفى أى مقالة ويكيبيديا يُقدَم إلى القراء وصلات إلى عدد لا يحصى من الروابط الأخرى داخل ويكيبيديا، بالإضافة إلى مجموعة واسعة من الموارد والمواد الأخرى خارج ويكيبيديا، وفى الواقع، مشاهدة نسخ الإصدارات الأولى من مقالات ويكيبيديا المتاحة من خلال آلة وايباك لأرشيف الإنترنت Internet Archive's Wayback Machine تكشف عن أن العديد من الصفحات الأولى اعتمدت أكثر بكثير على وصلات إلى مواقع ومصادر أخرى بالإضافة إلى النص الأصلى (انظر http://www.archive.org)، ولا توفر هذه الروابط للقارئ عمقا وسياقا إضافيا للموضوع فحسب، بل تساعد على التحقق والتثبت من صحة المعلومات الواردة فى نص مادة ويكيبيديا نفسها.

وعلاوة على ذلك؛ وكما أشار علماء المكتبات والمعلومات المتخصصين فى واصفات البيانات والتصنيف فإن مخططات واصفات البيانات، والأنطولوجيات لا تعكس ببساطة واقعا موضوعيا أكبر إلى حد ما - بمعنى مادى للغاية - أنها جمل ثقافية حول العالم وما هو معروف (وليس معروفا) حول هذا الموضوع، الأنطولوجيات ينشئها أشخاص معينون فى سياقات اجتماعية معينة، يضعون افتراضات محددة حول طبيعة العالم والمجتمع، كما أن أنظمة واصفات البيانات مبنية ومندمجة اجتماعيا تماما، وهذا حقيقى بالنسبة إلى سُحُب الوسوم على فيسبوك كما هى بالنسبة إلى نظام التصنيف العشرى العالمى الخاص بأوتلت Otlet، أو نظام رؤوس الموضوعات الخاص بمكتبة الكونجرس (أندرسون Andersen، سكوفيج Skouvig, 2006؛ أولسون Olson, 2002؛ مقدمة عامة حول تنظيم المعلومات، وراجع تايلور Taylor، جودرى Joudrey, 2008، فضلا عن صفحة ويكيبيديا حول تصنيف المكتبة http://en.wikipedia.org/wiki/Library_classification).

على الرغم من أن الفرق بين المعرفة المشاعية والأنطولوجيات الأكثر رسمية وأدوات التصنيف هى قابليتها للتلف سريعا، فإن المنصات التكنولوجية التى تجعل من ويكيبيديا والموارد التعاونية الأخرى المنتجة اعتمادا على النظراء ممكنة هى أيضا التى تجعلها متغيرة وغير مستقرة للغاية، فى المقابل، تعد الأنظمة المحكومة سلطويا مثل تلك

المستخدمة فى مكتبة الكونجرس، وأنظمة التصنيف المحوسبة القائمة على سبيل المثال فى اتحاد الحوسبة الآلية، أو المكتبة الوطنية لرؤوس الموضوعات الطبية، موثوقة ومستقرة لدرجة صعوبة تحديثها، وبالنسبة إلى مؤيدى مشاريع المعرفة المشاعية، فإن سيولة مشاريع المعرفة المشاعية ومرونتها هى قوتها المميزة، وبالنسبة إلى معارضيها فإنها مشكلة خطيرة تفتح مصادر إلى التدخل غير المصرح به، وبالتالى تصبح تلك المشاريع غير موثوق بها أساسا.

فى الفصل الختامى؛ نلخص الإطار الشامل وأنواع المشاريع المقدمة حتى الآن، كما ننتقل إلى مناقشة أكثر عمومية لآثار وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة كى نفهم الاتصال والانخراط مع وسائل الإعلام، كما أتمنى توضيح أن استقبال واستهلاك - الأشكال النموذجية من الانخراط مع أنظمة وسائل الإعلام الجماهيرية ومحتواها - يفسح المجال إلى ذخيرة أكثر تعقيدا من الانخراط القائم على إعادة تشكيل تكنولوجيات الإعلام ومعالجة المحتوى والاتصال الشخصى، ولا تزال "الجماهير" التعاونية موجودة، بالطبع، لكنها مجزأة باطراد وتُستكمَل من خلال ممارسات جديدة من "المستخدمين" الأفراد، والجماعات الصغيرة الشخصية المختارة ذاتيا، وفى الفصل التالى تعد وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة مؤشرا رئيسيًا على التحول فى منظور دراسة الاعلام، من وسائل الإعلام الجماهيرية إلى وساطة وسائل الإعلام.

الفصل الثامن

وسائل الإعلام الجديدة والوساطة

كانت وسائل الإعلام البديلة، والناشطة والمعارضة والراديكالية "هامشية" بالتعريف سابقا، واحتكرت القلة الناشطة الذين لديهم إمكانية الوصول إلى المطابع وستديوهات البث، وموجات الأثير أنظمة الاتصالات السلكية واللاسلكية، أو امتلكت بإحكام إطارات أكاديمية تستطيع بالكاد إثارة أى تهديد لصناعات وسائل الإعلام ومؤسساتها الراسخة، وحلفائها القانونيين والسياسيين. بالتأكيد، لا تزال المصالح القوية تحدد الكثير من أولويات الاتصالات اليوم، كما تحمى امتيازاتها بحرص، ولكن ينبغى عليها فعل ذلك فى بيئة ثقافية وإعلامية يمكن لأى شخص فيها لديه هاتف محمول أو كمبيوتر لوحى واتصال بشبكة الإنترنت الوصول إلى المستمعين، والمشاهدين، والقراء مثله مثل شبكة تليفزيون رئيسية أو حزب سياسى، أصبحت ثقافة الإعلام فى العصر الرقمى أكثر شخصية، وتشككا، وسخرية، وقابلية للتلف، وتفردا، وتعاونية، وتنوعا بشكل لا يصدق حتى كصناعات ومؤسسات قائمة تسعى إلى الحفاظ على قبضتها على رسائل وجماهير مستقرة وتوسيع نماذج أعمالها التجارية عبر الإنترنت.

فى الفصول السابقة، عرضنا مجموعة من أنواع ومشاريع وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة؛ كى نوضح كيف أصبح الناشطون السياسيون والثقافيون والفنانون والصحفيون والمهندسون وأمناء المكتبات والعاملون بالأرشيف والمعجبون والهواة – أساس أى شخص متحمس بشكل كاف للتعبير عن نفسه وتنظيمها بطرق تتحدى، أو

تعدل، أو تتغلب على "طرق الفعل الثقافى" السائدة - لاعبا رئيسيا فى مشهد الثقافة الرقمية المعاصرة، ومن خلال دمج الحساسية الجمالية للاشتقاق، والكولاج، والانفصال المستمدة من الدادائية والموقفية وقيم الحركات الاجتماعية المعاصرة المناهضة للتسلط والمدفوعة بالهوية، وتكتيكات اضرب واهرب من وسائل الإعلام الراديكالية والمستترة تحت الأرض، واكتشف نشطاء وسائل الإعلام الجديدة المنصات التكنولوجية المفتوحة من الحوسبة والاتصالات الشبكية كى تكون ساحات مثمرة للعمل والتعبير، وأنشأوا أنماطا مبتكرة من الانخراط الاجتماعى والثقافى تسأل وتتهكم وتناقش فرضيات وصلاحيات المؤسسات والسلطة السائدة، وفى هذة العملية، قد تعيد تعريف ما يعد "سائدا" فى عصر ما بعد وسائل الإعلام الجماهيرية.

كان الهدف الرئيسى من هذا الكتاب هو تقييم مدى ونطاق هذه البيئة المتغيرة؛ من خلال مسح فرص وجهات النظر والأجندات المعارضة والبديلة التى تقدمها تكنولوجيات وسائل الإعلام الجديدة وتكنولوجيات المعلومات، نُظمت المشاريع عموما إلى خمسة أنواع رئيسية، كل منها يناظر جانبًا معينًا من المجتمع أو الممارسة الثقافية. يستخدم تشويش الثقافة صور، وأفكار، وخطاب الثقافة الشعبية والتجارة كى ينقد ويدمر تلك الثقافة، وتصمم مشاريع الحوسبة البديلة وتكيف وتخترق وتعيد بناء البنية التحتية المادية من تكنولوجيا الحوسبة، ووسائل الإعلام، والمعلومات، بينما تتبنى الصحافة التشاركية قيم وممارسات إنتاج الأخبار والرأى العام السائدة كى تغطى القضايا والاهتمامات ووجهات النظر، والمجتمعات التى تهمشها الصحافة السائدة عادة، أما التعبئة بوساطة شبكات الكمبيوتر فتدمج العلاقات الشبكية الاجتماعية على الإنترنت و"المباشرة" كى تنظم وتمثل الحركات الاجتماعية والسياسية الجديدة على نطاق عالمى، وتوظف مشاريع المعرفة المشاعية أساليب تعاون إنتاج تعتمد على النظراء من أسفل إلى أعلى، وقائمة على العامة كى تجمع المعلومات وتنظمها وتصنفها وتقيمها فى أنظمة تتحدى، أو تعمل بمثابة نقاط معارضة إلى معرفة وتوافق الخبراء المكرسة مؤسسيا.

تختلف الأنواع (وبالتالى المشاريع) وفقا إلى ثلاثة "أبعاد" من الخصائص أو السمات الرئيسية: السمة التعاونية: صغيرة النطاق من المشاريع البديلة والناشطة

تشير إلى مداها، بينما يتضح موقف الأنواع المختلفة بالنسبة إلى المجتمع والثقافة السائدين من سماتها الساخرة والمغايرة والثقافية الفرعية، أما قدرة نوع أو مشروع على الفعل أو الوكالة فيشار إليها بالدرجة التى تتدخل بها أو مدى قابليتها إلى التلف، وبمقارنة الأنواع على طول هذه المحاور، فإن بعضها أكثر ثباتا أو يُعمر فترة أطول من غيره بوضوح، وبينما تميل بعض الأنواع إلى فصل نفسها أو خلق مزيد من المساحات المستقلة للفعل بصرف النظر عن المجتمع السائد، فإن أنواعًا أخرى تسعى إلى الاندماج فى الحياة العملية، والتعلم، والسياسة، واللعب اليومى، وتشجع بعض الأنواع التدخل أو المشاركة الاجتماعية/الثقافية/التكنولوجية المباشرة أو تشكل هذا التدخل بنفسها، كما أن بعض الأنواع أو المشاريع تعاونية على نطاق واسع، وتجند الآلاف أو حتى الملايين من المشاركين، بينما البعض الآخر قد يعكس جهود التجمعات التعاونية الصغيرة أو مجرد حفنة من المطلعين المكرسين، وتأخذ بعض الأنواع والمشاريع نفسها على محمل الجد تماما، ولكن الكثير منها هزلى تماما، ويستخدم الفكاهة والسخرية لإقناع وتجنيد المؤيدين والمشاركين.

التكنولوجيا والفعل

إعادة التشكيل والمعالجة

بالإضافة إلى هذا الإطار العام لتمييز مشاريع وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة، اقترحتُ: أن المشاريع والأنواع هى نتاج علاقة مستمرة، وتكاملية، ومحددة تبادليا بين إعادة تشكيل تكنولوجيات الاتصال ومعالجة الفعل الاتصالى، أى التعبير، والتفاعل، والعلاقات الاجتماعية، والمعنى.

إعادة التشكيل: هى عملية مستمرة من خلالها يكيف الناس، أو يعيدون اختراع، أو يعيدون تنظيم، أو يعيدون بناء تكنولوجيات وسائل الإعلام حسب الحاجة لتتناسب مع أهدافهم ومصالحهم المختلفة، وبينما يبتكرون، أو يدمجون التقنيات الجديدة والقديمة، أو يكيفون تآلفات من التكنولوجيات المألوفة فى طرق جديدة، فى الواقع، تميز هذه السمة أنظمة وسائل الإعلام التقليدية عن أنظمة وسائل الإعلام الجديدة[٤٠]، وتتجدد

تكنولوجيات وسائل الإعلام الجديدة المهجنة - المنتجة من تهجين التكنولوجيات القائمة والتقنيات المبتكرة - بشكل مستمر فى هذه العملية (ليفرو Lievrouw، ليفينجستون Livingstone, 2006)، وتسمح لنا هذه السمة بالاستمرار فى التفكير فى وسائل الإعلام الجديدة باعتبارها "جديدة"، وإن إعادة التشكيل ليست بطبيعتها غائية، على الرغم من أن مبدعيها قد يكون لديهم هدف أو استخدام فورى فى تصورهم، وغالبا ما يدرك الآخرون التكنولوجيات المعاد تشكيلها ويتبنونها ويخصصونها بطرق غير متوقعة، أى يعيدون اختراعها، أو يدمرونها، أو يكيفونها، أو يخترقونها، أو يتجاهلونها.

على سبيل المثال؛ تعرف الحوسبة البديلة افتراضيا إعادة التشكيل فى موقفها التدخلى الليبرالى تجاه النظم التكنولوجية والتزامها بإنشاء النظم المفتوحة وموارد المعلومات، والدفاع عنهم، ويلاحظ كريس كيلتى Chris Kelty (2008) إن: "المهووسين بالتكنولوجيا" (خبراء الحوسبة المهنيين والخبراء الهواة) لا يتناقشون حول التكنولوجيا فقط، بل يتناقشون "بها وعبرها" باستخدام تصميم البرمجيات والأجهزة كإقناع وبلاغة - مثلما يبنى مصمم نظاما أوليا ويسميه "إثبات المفهوم" على سبيل المثال، فى التعبئة بوساطة شبكات الكمبيوتر والحركات الاجتماعية المعاصرة، وتكنولوجيات الاتصال ليست مجرد وسائل لتمثيل ونقل أجندة سياسية، فهى نفسها ساحات ومساحات من العلاقات والفعل، وأدوات للتدخل (على سبيل المثال هجمات قطع الخدمة)، يعاد تنظيمها ويعاد تشكيلها باستمرار كلما تغيرت أولويات الحركة، كما يقول مانويل كاستلز Manuel Castells: بالنسبة إلى حركة العدالة العالمية اليوم، تعتبر شبكة الإنترنت والتكنولوجيات ذات الصلة "كلاهما شكلها التنظيمى ونمط فعلها" (كاستلز Castells, 2009، ص ٣٣٨).

المعالجة: هى العملية التى يبنى الناس من خلالها المعانى والتعبيرات الجديدة من الأشكال القائمة والجديدة من التفاعل والعلاقات الاجتماعية والمؤسسية، والأعمال الثقافية، مفهوم جاى بولتر Jay Bolter وريتشارد جروزين Richard Grusin عن المعالجة هو نقطة الانطلاق هنا بأخذ إشارتهم من جملة مارشال ماكلوهان البدهية الشهيرة حول وسائل الإعلام القديمة التى تصبح محتوى فى وسائل الإعلام الجديدة.

ويعرفان المعالجة بأنها: "تمثيل إحدى الوسائل فى وسيلة أخرى" (بولتر Bolter، جروزين Grusin , 1999، ص٤٥)، وتشمل المعالجة فى مخططهما إعادة التقديم المباشرة (على سبيل المثال، نقل الصور الثابتة أو التسجيلات الصوتية من على الشريط الصوتى إلى الأقراص المدمجة CD)، والزيادة أو التعزيز (على سبيل المثال: الصحف على الإنترنت أو الموسوعات التى تدمج ما بين روابط تشعبية لملفات صوت وصور متحركة مع النص التقليدى)، وتغيير الطراز (على سبيل المثال: نظام التشغيل ويندوز "المزين بالقرميد" على شاشة سطح مكتب الكمبيوتر أو التليفزيون يراها المشاهد ككل مُركَب)، والاستيعاب (على سبيل المثال الألعاب على الإنترنت التى توظف شخصيات وأساليب حبكة سينمائية من الأفلام الشهيرة).

بوضوح: تبرز تكنولوجيا وسائل الإعلام بروزا كبيرا فى نظرية بولتر Bolter وجروزين Grusin، وإن كانت بطريقة "غير ملموسة" إلى حد ما، وتركيزها الرئيسى هو فى الواقع تحولية وتناص المحتوى، لأن وسائل الإعلام مؤطرة كتشكيلات ثقافية واسعة تنتج أنواعا مختلفة من المحتوى أكثر كتشكيلات معينة من الأجهزة التكنولوجية، والممارسات، والتنظيمات الموجودة فى أوقات وأماكن معينة ولديها إمكانات فعل وسمات مادية محددة، وكما أشار بولتر وجروزين، تتضمن المعالجة القناة والمحتوى معا، وعلى الرغم من أن الجانب الرمزى أو التمثيلى للمعالجة له الأسبقية على طبيعتها المادية باعتبارها شيئا يفعله الناس، وبالتالى أقترح مزيدا من التركيز على المعالجة كممارسة مادية وشكلا من أشكال المشاركة الاجتماعية والثقافية، بما فى ذلك التعبير الفردى، والتفاعل، والعلاقات الاجتماعية، فضلا عن إنتاج وتداوله واستخدامه.

تشير الأمثلة فى الفصول السابقة إلى أن المعالجة تمتد إلى ما وراء تمثيل إحدى الوسائل فى أخرى إلى مجموعة متنوعة من الأشكال الأخرى، على سبيل المثال: إنتاج النظراء القائم على العامة – كما فى حالة تطوير البرمجيات مفتوحة المصدر والمشاريع التعاونية مثل ويكيبيديا – مشهور فى حالة تعبئة الإبداع والمعرفة الجماعية، ودمج "المساهمات الجزئية" من جحافل المتعاونين المنتسبين بصورة فضفاضة فى هياكل عمل ناشئة متماسكة يحكمها النقاش العام بين المتعاونين أنفسهم، كما يمكن أن يلعب

الوقت دورا فى المعالجة، قد نسترجع إستراتيجية معينة من الحركات الاجتماعية الجديدة، والتى كانت فعالة خاصةً فى سياق الإنترنت، هى النبؤة، والتى يمثل النشطاء فيها التغييرات والقيم المستقبلية التى يرغبونها فى حياتهم الحالية على الإنترنت وخارجها كى ينقلوا "رسالة: إن الممكن أصبح حقيقيا بالفعل" (ميلوكى Melucci, 1994، ص١٢٥)[٤١]، وفى سياق وسائل الإعلام الجديدة البديلة/الناشطة، لعل شكل المعالجة التقليدى هو القرصنة، وفى مغزى الإنشاء البارز لماكنزى أرك McKenzie Wark "إمكانية دخول أشياء جديدة إلى العالم، ليست دائما أشياء عظيمة، أو حتى جيدة، ولكنها أشياء جديدة ... فى أى إنتاج من المعرفة حيث يمكن جمع البيانات، واستخراج المعلومات منها، وحيث إنه فى تلك المعلومات أنتجت إمكانيات جديدة للعالم، هناك قراصنة يخترقون الجديد من القديم" (ارك Wark 2004, 400، التشديد مضاف).

من إعادة التقديم، إلى النبوءة، إلى الاختراق أو القرصنة، تستعير المعالجة، وتعدل، وتختبر، وتمزج المحتوى والأشكال، والتعبيرات القائمة لإنشاء أعمال، وعلاقات وتفاعلات، ومعانٍ جديدة، ويمكن القول: إن المعالجة تكمن فى صميم أى نوع من الإبداع، ولكن (ومرة أخرى بالتوافق مع بولتر Bolter وجروزين Grusin)، يمكننى القول: إن تكنولوجيات وسائل الإعلام الرقمية عززت المعالجة على نطاق غير مسبوق، مما جعلها سمة مميزة للعمل الإبداعى المعاصر والثقافة الإعلامية .

يوفر تشويش الثقافة بعض الأمثلة الأكثر دراماتيكية وتسلية عن المعالجة، سواء كان ذلك فى شكل التمثيل المسرحى أمام كاميرات المراقبة، أو اكتتاب علامة الفن ™® فى مواقع المحاكاة الساخرة أو التحطيم الغريب الذى تقوم به جماعة رجال نعم Yes Men، أو الرسوم المتحركة جامدة الوجه فى (احصل على حربك مشتعلة)، أو ميم جونا بريتى Jonah Peretti "مغامرة نايك الإعلامية"، وتعتمد مشاريع تشويش الثقافة على اقتطاف الصور والأفكار الثقافية العامة وتدميرها، أما مشاريع الصحافة التشاركية وإنديميديا Indymedia فتأخذ خطا أقل دعابة، لكنها أيضا تختار وتمزج الأخبار والآراء السائدة بالتغطية الإخبارية والتقارير كثيفة المحلية (والتحيز) حول القضايا والمواضيع التى يتم تجاهلها عادة من وسائل الإعلام الرئيسية.

(ومن المفارقات، وباسترجاع دورة التخصيص المتعارض بين الثقافات الفرعية والمجتمع السائد التى ناقشناها فى الفصل الثالث، فإن مواقع إنديميديا نفسها مرصودة باطراد من المؤسسات الاخبارية السائدة كى تحصل على أفكار افتتاحيات ومواضيع)، كما أن مشاريع المعرفة المشاعية تعطى مثالا لعمليات المعالجة، وتساعد شبكات متطوعيهم المرنة من المساهمين على إنشاء، المواد المتنوعة وجمعها وتقييمها وتعديلها وإعادة تنظيمها إلى موارد معلومات مفيدة وجديرة بالثقة نسبيا، وتثبت إن المعالجة تعتمد على التفاعل الحيوى بين السلوك الاجتماعى والمعرفة، والنظر إلى المعرفة بأنها ليست مجرد تراكم حقائق أو اكتشافات مجردة، بل فهما متغيرا باستمرار يعبر، ويوثق، ويعمم ويتحقق من صحتها ويراجعها، وحتى ينسى أو يفقد بشكل جماعى.

كما ناقشنا حتى هذه النقطة، تتصل كل من إعادة التشكيل والمعالجة بالتكنولوجيا والفعل على التوالى، ومع ذلك لا يوجدان بشكل مستقل، ولكن يتورطان ويعيدان تشكيل بعضهما بعضاً تبادليا فى عملية وساطة جدلية أكبر، ونناقش الوساطة كمدخل نظرى فى دراسات وعلم الإعلام بتفصيل أكبر أدناه، ولكن فيما يتعلق بمشاريع وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة، توضح الحالات المقدمة فى الفصول السابقة كيف تشكل المعالجة وإعادة التشكيل بعضهما بعضاً، على سبيل المثال، فى محاولة "المعالجة" والتدخل فى التغطية الإخبارية السائدة السلبية المنتظمة عن احتجاجات نشطاء حركة العدالة العالمية فى اجتماع منظمة التجارة العالمية فى سياتل فى عام ١٩٩٩، كيَّف التكنولوجيون المتعاطفون مع الحركة وأعادوا تشكيل الأجهزة القائمة المُتبَرع بها والبرمجيات مفتوحة المصدر لإنشاء منصة نشر جديدة قائمة على الويب، (وبالتالى أول مركز إعلام مستقل) (جوريس Juris, 2008)، وسمحت المنصة إلى للصحفيين ونشطاء الحركة على حد سواء بإنشاء المحتوى باستمرار وبينما الأحداث تتكشف فى الشارع، وغالبا ما تعارضت تغطيتهم المباشرة والبديلة مع التقديرات السائدة، وتحدت بفاعلية دورة الأخبار على مدار الأربع وعشرين ساعة فى شركات الإعلام المطبوعة والإذاعية، وفى المقابل، فإن المنصة الجديدة فى حد ذاتها، و"نموذج أخبار إنديميديا" الذى عززته (بلاتون Platon، وديوز Deuze , 2003)، وتبنته سريعا مراكز الإعلام المستقل الناشئة

الأخرى فى جميع أنحاء العالم، وأصبحت الأساس لشبكة عالمية من قنوات الأخبار التشاركية البديلة مفتوحة المصدر.

وتعد حالة فصلية هاكر /Hacker Quarterly شفرة DeCSS مثالا آخر على العلاقة التبادلية بين إعادة التشكيل والمعالجة، بالكتابة عن تقنية نظام فك تشفير محتوى التعمية التى اخترعها مراهق نرويجى لإعادة تشكيل منتجات إعلامية (أقراص الفيديو الرقمية DVD)؛ بحيث يمكن تشغيلها على أجهزة كمبيوتر تعمل بأنظمة التشغيل مفتوحة المصدر (أى عن طريق تعطيل قيود إدارة الحقوق الرقمية)، جذب إريك كورلى Eric Corley وفصلية هاكر العقوبات القانونية من استديوهات السينما الراغبة فى منع نشر المعرفة عن الأساليب المناهضة لإدارة الحقوق الرقمية، وأثار حكم المحكمة لاحقا الذى فرض قيودا على حقوق كورلى من حرية الصحافة والتعبير حالة من الغضب فى جميع أنحاء العالم داخل مجتمع التكنولوجيا، الذى رد بإطلاق حملة إعادة نشر للشفرة باعتبارها فنا بصريا ومعالجتها، وشعرا مطبوعا على القمصان، فضلا عن كونها برمجيات، وبعد فترة طويلة أصبح نظام فك تشفير محتوى التعمية نفسه متقادم وإن كان لا يزال غير قانونى.

الوساطة: ما وراء النشاط

تفاعل إعادة التشكيل والمعالجة إذن واضح عبر أنواع مختلفة من وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة، ومع ذلك، أود فيما تبقى من هذا الفصل أن أخطو خطوة أبعد من ذلك، وأشير إلى الوساطة التى تتضمن إعادة التشكيل والمعالجة كعمليات تحدد بعضها بعضا تبادليا، ويمكن أن تكون إطارا تحليليا مفيدا لدراسة العلاقة بين الاتصال والمجتمع وبين التغيير الاجتماعى/الثقافى، وما وراء السياق والمخاوف من النشاط السياسى والثقافى، وكما سنرى، تم وضع مفهوم الوساطة ومناقشته لعقود داخل مجال الاتصال، إلا إنه ظل فى محيط التنظير والبحث لفترة طويلة، ومع ذلك اجتذب فى السنوات الأخيرة اهتماما متزايدا بين العلماء الذين يبحثون عن مدخل لفهم

الاتصال والتغيير الاجتماعى أكثر ملاءمة من النماذج الخطية من تأثيرات وسائل الإعلام مثل الإنتاج – الاستهلاك والمرسل –المتلقى التى سادت فى المجال حتى الآن.

تاريخيا؛ اعتمدت دراسات وعلوم الاتصال على نظريات الإنتاج الصناعى والاستهلاك، والمجتمع الجماهيرى، والإقناع الجماهيرى، وركزت على ما تنتجه "وسائل الإعلام" – كتكنولوجيات ومؤسسات – وما تفعله تلك المنتجات فى الناس والمجتمعات، والثقافات التى تستهلكها، ومع ذلك عندما أصبحت تكنولوجيات وسائل الإعلام الجديدة، وممارساتها، وترتيباتها الاجتماعية متشابكة أكثر مما كان، لا سيما كأشكال معقدة وشبكية ومعاد تنظيمها باستمرار من التنظيم الاجتماعى والتكنولوجى الذى يمتص ويمتزج مع الهياكل الهرمية المألوفة فى كثير من الأوساط الاجتماعية (كما أكد بشدة يوشاى بينكلر Yochai Benkler [2007]، وآخرون)، فإن مفاهيم آثار وتأثيرات وسائل الاعلام الخطية التى هيمنت على دراسة الاتصالات منذ مطلع القرن العشرين بدأت تفقد قوتها التفسيرية، وبدلا من التفكير فى الاتصال كشىء تفعله "وسائل الإعلام"، قد يكون من المفيد أكثر تأطير العلاقة بين الاتصال والمجتمع من حيث الوساطة، مع الأخذ فى الاعتبار المعانى المزدوجة للمصطلح: القنوات التكنولوجية والمشاركة الاجتماعية/ الشخصية والوساطة، وبدلا من (أو ربما بالإضافة إلى) نقل الرسالة الخطى وتأثيرات القناة، ينبغى أن نأخذ فى الاعتبار إعادة تشكيل النظم التكنولوجية؛ ومعالجة كل من التعبير والتفاعل والعلاقات والهياكل الاجتماعية، والمحتوى كعمليتين ناشئتين، انعكاسيتين، مندمجتين ومترابطتين.

ويقدم القسم التالى، عرضا موجزا لكيفية تطور مفهوم الوساطة فى دراسات وعلوم الاتصال، لا سيما فى الاستجابة إلى تطور الاتصالات الشبكية وتكنولوجيات الحوسبة واستخدام أجهزة الكمبيوتر المضطرد كوسائل إعلام منذ السبعينيات (المناقشة هى ملخص النقاط الرئيسة فى عمل سابق، انظر ليفرو Lievrouw, 2009)، ويلى تلك النظرة العامة مناقشة الوساطة كإطار نظرى، ويخلص الفصل إلى بعض الملاحظات حول الآثار المترتبة على منظور الوساطة لدراسة الاتصال والإعلام فى المجتمع.

منذ السبعينيات أسهم ظهور تكنولوجيات وسائل الإعلام الجديدة، وأنماط الاتصال المبتكرة المرتبطة بها، فى تحولين داخل نظام الاتصال: أولا: ساعدت فى شيء وسيط من التقارب بين دراسات وسائل الإعلام ودراسات الاتصال الشخصى، لأن وسائل الإعلام الجديدة تدعم على حد سواء إنتاج/استقبال المحتوى و"الاتصال بوساطة الكمبيوتر" الشخصى، وثانيا: فى تقاليد الدراسات الإعلامية النقدية، فتحت تكنولوجيات وأنماط الاتصال الجديدة فرصا جديدة لدراسة التقاطعات بين السلوك والفعل البشرى، وبين الأشكال والقوى المؤسسية، أنماط الاتصال بوساطة الكمبيوتر Computer Mediated Communication CMC، بما فى ذلك عقد المؤتمرات عن بعد، ولوحات الإعلانات الكمبيوترية، والفيديو تكست videotext، والبريد الإلكترونى، وحتى الأشكال الأكثر تقليدية مثل المكالمات الهاتفية المتواضعة، لا تتناسب بسهولة مع مجالات النظام الفرعية التقليدية، كما أثارت تساؤلات جديدة حول الفروق النظرية والتجريبية بين المحتوى والشكل، وبين الرسالة والوسيلة، وبين العملية والآثار، فبينما يميل باحثو وسائل الإعلام الجماهيرية إلى اعتبار التكنولوجيا ذات دور فعال، كإدخال أنظمة فى عمليات وقنوات التفاعل الإنسانى كمتغيرات فى حد ذاتها، ورفض جزء صغير ولكنه متزايد من دارسى وسائل الإعلام الجديدة الإطارات المركزة على الوسيلة وطوروا مداخل النظرية الجديدة، أو كيفوا مفاهيم من مجالات أخرى فى تحليلاتهم مما أسماه جارى جومبيرت Gary Gumpert (1988) "رابطة إعلامية" – أى التقاطع بين تكنولوجيات الاتصال والتفاعل الشخصى.

تتوافق الخطوات نحو إعادة وضع مفاهيم العلاقة بين التكنولوجيا والاتصالات مع ثلاث "لحظات" ممتدة فى المجال: تبدأ الأولى مع صياغة اليهو كاتز Elihu Katz وبول لازرفليد Paul Lazarsfeld (2006 [1955])، نظرية آثار وسائل الإعلام "التدفق على مرحلتين"، التى على عكس نظريات الآثار القوية المباشرة لوسائل الإعلام افترضت عملية إقناع غير مباشرة "من وسائل الإعلام إلى المحادثة إلى الرأى" (كاتز

Katz, 2006 [1955]، ص xxiii)، هذا الخط من النظرية والبحث يتناقض أيضا مع نماذج الاتصال الخطية "العلمية" المتأثرة بنظرية المعلومات والاتصالات، لا سيما كتاب مهندسي الاتصالات كلود شانون Claude Shannon ووارن ويفر Warren Weaver ([1949] 1963)، بينما كيَّف ديفيد بيرلو David Berlo وآخرين نظرية المعلومات إلى النموذج الشهير "مرسل – رسالة – قناة – متلقي" (بيرلو Berlo, 1960)؛ وسريعا ما أصبح نموذج "مرسل – متلق" ونماذج نقل مماثلة عنصرا رئيسيا في مؤلفات الاتصال التمهيدية، لكنها واجهت أيضا تصاعد موجة انتقادات من العلماء الذين هاجموا تلك النماذج رغم أنها وصفت اسميا أنماط توزيع الاتجاه الواحد أو من قليلين إلى عديدين التي تتصف بها وسائل الإعلام الجماهيرية، فإنها تحمل شبها من التواصل الإنساني وتجربة التفاعل والفهم المشترك (جولدنج Golding، موردوك Murdock, 1978؛ بيترز Peters, 1986؛ ريردون Reardon، روجرز Rogers, 1988).

وكانت نظرية التدفق على مرحلتي سلف تيارين من النظريات خرجا من نماذج الاتصال والتأثير الخطية (كاتز Katz, 2006 [1955]، وركزت دراسات القرار على عملية الإقناع، وعلى "الجماهير النشطة"، واستقبالهم الانتقائي، وتفسيرهم الرسائل الإعلامية، وكيف يشكل الجماهير المعاني حول وسائل الإعلام والحياة اليومية ويتبادلونها، أما نظرية "الاستخدامات والإشباعات"، أحد أكثر الأطر تأثيرا في هذا التيار في الفترة ما بين الستينيات والثمانينيات فقد افترضت أن أفراد الجمهور نشيطون ويشاركون في إنتاج أهدافهم ومعانيهم من محتوى وسائل الإعلام، ويتخذون قرارات عقلانية من بين وسائل الإعلام والرسائل وفقا لاحتياجاتهم ومصالحهم الخاصة.

ومن ناحية أخرى ركزت دراسات الانتشار على ذيوع الأفكار الجديدة والتأثير الشخصي داخل الشبكات الاجتماعية، كيف يتشارك الناس المعلومات والبحث وتقديم المشورة، وكيف يشكلون الانتماءات والولاءات، ويبنون مجتمعات، وغير ذلك، كما أطرت دراسات الاتصال من حيث عمليات التقليد و"عدوى" التأثير، بدلا من التركيز على الإقناع بحد ذاته، وعلى الرغم من أنها تختلف في التركيز، أكد كلا التيارين على

الترابط ما بين التفاعل بين الأشخاص وبين رسائل الإعلام فى عملية الاتصال، ورفضا المفاهيم الخطية البسيطة من نقل الرسالة، و"وسائل الاعلام القوية" التى تمارس سلطة دون مقاومة على جمهور سلبى خاضع.

وكانت اللحظة الثانية هى "أزمة" فى دراسات وسائل الإعلام الجماهيرية أنتجها النمو الهائل لوسائل الإعلام الشبكية، وأنظمة الاتصالات، واسترجاع المعلومات، والحوسبة خلال السبعينيات والثمانينيات، فى البداية اهتم باحثو الإعلام قليلا بالتكنولوجيات الجديدة، لأنهم لم يأخذوا فى الاعتبار الفروق المفاهيمية بين وسائل الإعلام الجماهيرية وبين الاتصال بين الأشخاص/مجموعة صغيرة، أو الفروق بين مفاهيم تكنولوجيات الإعلام القوية والمؤسسات التى تمارس آثارا اجتماعية عامة، على سبيل المثال؛ المكالمات الهاتفية الصوتية هى تفاعلات ثنائية فورية عادة، ومع ذلك لأنها تفتقر العديد من سمات الاتصال المواجهى، اعتبرها معظم الباحثين فى مجال الاتصال الشخصى بدائل فقيرة للتفاعل "الحقيقى" حتى السبعينيات، وبالمثل، فى أوائل الثمانينيات أنظمة الفيديوتكست والتليتكست مثل خدمة سيفاكس Ceefax التابعة "لبى بى سى BBC" أو خدمة تيلدون Telidon الكندية التى ترسل المحتوى إلى المشتركين حسب الطلب، وكذلك مؤتمرات الفيديو عن بعد التى تربط المشاركين المجتمعين فى مواقع متعددة عبر وصلات الصوت والفيديو المباشر، لم تخضع هذه الأنظمة إلى التحليلات التقليدية مثل البث الإذاعى والتليفزيونى القائم على الجماهير الغفيرة والتغيرات واسعة الانتشار والقابلة للتنبؤ فى المواقف والسلوك.

ومع ذلك؛ سرعان ما بدأ تحول تركيز باحثى الاتصالات - لا سيما الذين فى دراسات الاتصال المؤسسى ودراسات سياسة الاتصال ودراسات السيكولوجية الاجتماعية لعملية تفاعل المجموعات الصغيرة- نحو تقارب أنظمة وسائل الإعلام الجماهيرية القديمة مع أحدث التقنيات الرقمية، ونحو الأنماط الناشئة من الاتصال بوساطة الكمبيوتر مثل، البريد الإلكترونى وعقد المؤتمرات عبر الكمبيوتر، وأكد البعض أن نظريات وأساليب دراسة وسائل الإعلام التقليدية يمكن تكييفها لدراسة وسائل الإعلام الجديدة، والبعض الآخر نظر خارج نظام الاتصال (على سبيل المثال؛ إلى

دراسات المنظمة أو دراسات العلوم والتكنولوجيا) بحثا عن مفاهيم وأساليب مختلفة تناسب الشبكات الاجتماعية والتقنية الناشئة والمعاد تنظيمها باستمرار، كما أن الانتقال فى إطار نظام الاتصال من الدراسات المسحية واسعة النطاق والتجريبية فى الثمانينيات نحو مناهج أكثر ذاتية وانعكاسية وكيفية قد لعب دورا مهما فى إنتاج مداخل جديدة لدراسة تكنولوجيات الاتصال الشبكية.

وصلت اللحظة الثالثة فى أوائل التسعينيات، عندما تخلت الجامعات والوكالات الأمريكية الحكومية عن الإنترنت غير الربحى، والمُدار بالمؤسسات التعليمية والبحثية إلى شركات القطاع الخاص، وأدى إدخال المتصفحات ومحركات البحث، وبُنى الخادم-العميل، وبروتوكولات الشبكة العنكبوتية العالمية إلى إمكانية الوصول إلى الإنترنت بسهولة فى معظم المنازل وأماكن العمل للمرة الأولى، وجذب اهتمام علماء الاتصال إلى مزيد من الاهتمامات النقدية والثقافية، بما فى ذلك التى من تقليد الدراسات الإعلامية[٤٢]، مثل الباحثين التنظيميين وعلماء النفس الاجتماعى من قبلهم، فى البداية؛ طبق العلماء النقديون والثقافيون المفاهيم والنظريات المألوفة على تحليل الاتصال عبر الإنترنت والمحمول، واعتمدوا خاصةً على وجهة نظر "النقل الثقافى" لوسائل الإعلام، بما فى ذلك وسائل الإعلام الجديدة، باعتبارها مؤثرات قوية على إعادة إنتاج وتعزيز الأيديولوجيات الثقافية المهيمنة، وهياكل السلطة السياسية، والمصالح الاقتصادية، وكان يُنظر إلى الإنترنت، مثل أنظمة وسائل الإعلام التى سبقتها، كقناة بشكل أساسى لتوزيع منتجات أو نصوص ثقافية وتحتاج إلى فك رموزها، ونقدها، ومقاومتها، ونوقشت بكثافة تمثيلات الجنس الاجتماعى والجنسانية والعرقية والطبقية على الإنترنت وتأثيراتهم على إدراك الناس للذات أو الهوية.

على مدى العقد الماضى، ساعد جيل جديد من باحثى وسائل الإعلام الجديدة فى قيادة مزيد من التحول الموجه ثقافيا فى التنظير والبحث التجريبى حول وسائل الإعلام الجديدة، واتجه هؤلاء العلماء الأصغر سنا، الذين نشأوا فى ظل التفاعل والثقافة عبر الإنترنت، إلى التأكيد على سمات "وسائل الإعلام الاجتماعية" الأحدث، وكونها شخصية وتشاركية، ولعوب، وأدائية بكثافة، وبالنسبة إليهم أصبحت وسائل الإعلام

الجديدة والوساطة مألوفة (سيلفرستون Silverstone, 1999, 2005, 2006)، وعادية تقريبا (ليفرو Lievrouw , 2004)، وأصبحت شبكة من التفاعل والتعبير، والعلاقات، والتنظيم الاجتماعى، والثقافة الإبداعية جزءًا من الحياة اليومية باستمرار مطرد، على الإنترنت وخارجها، لذا فبدلا من تأطير الإنترنت باعتبارها نوعًا منفصل من "عالم الفضاء الإلكترونى" يظلل أو يعكس الحياة "الحقيقية"، اعترف علماء الثقافة الرقمية المعاصرون أن المجتمع والتكنولوجيا يحددان و يتجادلان مع بعضهما بعضًا تبادليا، وفى هذا السياق، برزت الوساطة كمفهوم مركزى فى التنظير حول وسائل الإعلام الجديدة.

على سبيل المثال؛ يشير يوهان فورناس Johan Fornäs: إلى أن الوساطة ينبغى أن تكون مفهوما أساسيا فى الدراسات الإعلامية الجديدة: "... مجتمعنا الاتصالى قائم على الوساطات بين النصوص والناس، أى أن الناس تمر وتتعرف على بعضها بعضًا من خلال النصوص، تماما كما تمر النصوص وتواجه بعضها بعضًا من خلال الناس" (فوناس Fornäs, 2002، ص١٠٤)، ويشير ستيفان Stefaan Verhulst (2007) إلى "بيئة وساطة جديدة" للاتصال والسياسة الإعلامية، وناقش المشاركون فى لجنتين فى مؤتمر جمعية الاتصالات الدولية فى عام ٢٠٠٧ مجموعة من المفاهيم ذات الصلة، بما فى ذلك نظرية الوساطية، وعبر الوساطة، والوسيلة، بالإضافة إلى منطق وسائل الإعلام والمعالجة، و"التحول التوفيقى". وسمى نيك كولدرى Nick Couldry هذه "المصطلحات الجديدة لفهم كثافة تأثير وسائل الإعلام على الحياة الاجتماعية"، وفى كلمتها الرئاسية فى مؤتمر جمعية الاتصالات الدولية عام ٢٠٠٨ بعنوان: "حول وساطة كل شيء"، سردت زميلتى سونيا ليفنجستون Sonia Livingstone أدبيات "الوساطة المتزايدة، وقيمت الآثار السياسية والثقافية للتنوعات الاشتقاقية المختلفة حول الوساطة، وخلصت؛ إلى أن هناك بالفعل تحولاً مفاهيمياً يحدث فى الدراسات الإعلامية الجديدة قد يسهل استكشاف "الوساطة المحتملة والفعلية لكل شيء" (ليفينجستون Livingstone, 2009، ص١٣).

وساعد اثنان من المنظرين المؤثرين فى مجال وسائل الإعلام روجر سيلفرستون Roger Silverstone وجيسوس مارتن باربيرو Jesús Martin- Barbero على ترسيخ مفهوم الوساطة باعتبارها عنصرا أساسيا فى علم وسائل الإعلام الجديدة، على سبيل المثال انتقد سيلفرستون Silverstone وجهة النظر الحداثية التقليدية القائلة: إن تكنولوجيات وسائل الإعلام، وبالتالى الوساطة نفسها تشوه أو تفسد خبرة التفاعل بين الأشخاص المختلفة النموذجية المتجانسة، ويجب أن تشمل دراسة الاتصال كلا من تكنولوجيا الاتصال والفعل الاتصالى فى "تداول المعنى المستمر والجدلي، وهذه هى الوساطة" (سيلفرستون Silverstone, 1999، ص١٣)، ويشير سيلفرستون (٢٠٠٥) إلى أن الوساطة، باعتبارها حالة مُعرِفَة للخبرة المعاصرة هى "فكرة جدلية فى الأساس تتطلب منا التصدى لعمليات الاتصالات باعتبارها مُدارَة مؤسسيا وتكنولوجيا وتتضمن الاثنين معا على حد سواء" (ص١٨٩)، كما تتطلب من العلماء فى مجال وسائل الإعلام "العودة إلى قضية الاتصال بين الأشخاص" (ص١٩٠)، بالإضافة إلى أن المحللين لا يمكنهم " افتراض الخطية فى تأثيرات وسائل الإعلام أو آثارها ببساطة، فالوساطة ليست كلها اتجاه واحد ... والملكية لا تحدد المحتوى، والمحتوى لا يحدد الاستقبال" (ص١٩١)، وفى النهاية الوساطة هى "حرفية ومجازية على حد سواء" (ص٢٠٣).

وبالمثل؛ ينتقد مارتن باربيرو Martin- Barbero كلا من أبحاث الاتصال فى أمريكا الشمالية التى تركز على الأداة أو الوسيلة كما ينتقد الإمبريالية الثقافية المتجسدة فى نظرية الاعتمادية، التى كانت إطارا أساسيا فى أبحاث الاتصال فى أمريكا اللاتينية (مارتن باربيرو Martin- Barbero 2004, 2006)، فكما يقل كلاهما يقلص من الاتصال ودور وسائل الإعلام إلى "مجرد الاستنساخ الأيديولوجى" (مارتن باربيرو، ٢٠٠٦، ص٢٨١)، وبناء على تحليلاته لدور وسائل الإعلام فى الحركات الاجتماعية والسياسية فى أمريكا اللاتينية، يقول: إن الناس قادرون على التعامل والانخراط مع وسائل الإعلام وفقا لشروطهم، وإن الثقافة لا يمكن فرضها ببساطة عن طريق النخب من خلال القنوات الإعلامية، الثقافة (أى ممارسات الناس فى الحياة اليومية) ووسائل الإعلام يحددان بعضهما بعضاً، ويتم التفاوض على التمثيلات الثقافية المتعددة وتداولها فى

الأسواق العالمية من خلال عملية الوساطة (مارتن باربيرو Martin- Barbero, 1993)، كما يعارض باربيرو الثنائيات على غرار مدرسة فرانكفورت من الثقافة العالية والمنخفضة، والمادية والرمزية فى وسائل الإعلام، وبدلا من ذلك يوضح كيف أصبح اليومى والمحلى جزءا من عملية مستمرة من التغيير الثقافى، يتم فيها تأسيس المعنى وتعديله فى "نسيج معقد من الوساطات التى توضح العلاقات بين الاتصال والثقافة والسياسة" (مارتن باربيرو، ١٩٩٣، ص٢٨١)، بالنسبة إلى مارتن باربيرو الوساطة هى عملية اجتماعية وثقافية تعمل بين مختلف المستويات فى مجال الاتصال ... هيمنة وهيمنة مضادة ... تتداخلان من خلال عملية تداول ثقافى: أى أن هناك تفاعلاً مستمرا واستعارة أساليب، وإعادة تدويرها، ثم توسيطها كانعكاس للأسلوب الأصلى "(ثيوبالد Theobald، بيرى Berry, 2006، ص١٩٨-٩).

فى مقال منشور أخيرًا يصور مارتن باربيرو (٢٠٠٦) أربعة أنواع من الوساطات، وهذه الفئات هى جزء من إطار نظرى أكثر تعقيدا لكن يمكن تلخيصها بتبسيط مبالغ فيه كما يلى: وساطة مؤسسية بين عمليات الإنتاج و"الأصول" الثقافية أى ممارسات وأعراف إنتاج الهياكل الاجتماعية، ووساطة تقنية بين الإنتاج و"الأشكال" الصناعية لإنتاج تقنيات وأساليب جديدة، ووساطة طقوسية بين الأشكال الصناعية وبين "قدرات" استقبال/استهلاك الناس مما ينتج أنماطًا منتظمة من الفعل بمرور الوقت، ووساطة اجتماعية بين قدرات الناس وممارساتهم الثقافية، مما ينتج علاقات وألفة اجتماعية، وعلى الرغم من أن التحليل والمقارنة المفصلة ليسا ضمن نطاق هذا الفصل فإن رسم خريطة مخطط وساطات مارتن باربيرو ستكون ممارسة مفيدة. ويمكن رسم المخطط على تعريف البنية التحتية لوسائل الإعلام الجديدة والمكون من ثلاثة أجزاء كما اقترحناه فى الفصل الأول (ويضم الأدوات التكنولوجية، والممارسات الاجتماعية والثقافية، والترتيبات المؤسسية والتنظيمية)، أو لمقارنة وساطاته بالعلاقة الجدلية بين إعادة التشكيل والمعالجة المقترحة هنا، من أجل استكشاف كيفية تطبيق المناهج المختلفة على مزيد من العمل التجريبى.

الوساطة والموضوعات فى دراسة الاتصال

باعتبارها مفهومًا فى دراسة الاتصالات، تطورت الوساطة بالتوازى مع بعض الموضوعات أو الاتجاهات فى المجال، لا سيما بعدما تجاوزت الحوسبة الشبكية، والاتصالات السلكية واللا سلكية النشر على الورق، والسينما، والبث باعتبارها منصات رئيسية لتكنولوجيا الاتصالات (فى الواقع، خلقت هذه الاتجاهات الحاجة إلى أطر تحليلية جديدة إلى حد كبير) أولا: اتجه المحللون إلى الابتعاد عن اعتبارات وسائل الإعلام السائدة أو "القوية" وتأثيراتها اللاحقة أو آثارها، ونحو إعادة وضع التفاعل بين الأفراد باعتباره جزءًا لا غنى عنه ومُحددِ للانخراط مع وسائل الإعلام واستخدامها، بعبارة أخرى، ويمكن النظر إلى التفاعل باعتباره خطوة من التركيز النظرى والتجريبى على القنوات كعوامل أو متغيرات مستقلة فى عملية الاتصال، ونحو مزيد من التركيز على فعل الناس الاتصالى.

ثانيا: عبر مجالات فرعية مختلفة من أبحاث وعلوم الاتصال، كان هناك رفض تدريجي لرؤية الاتصال كمجرد نقل أو إرسال، أى النماذج التى تصور هذه العملية باعتبارها نقل أو إرسال رسالة/محتوى "أشياء" من المرسلين إلى المستقبلين والعكس (على الرغم من أن هذه الرؤية لا يزال يمكن تتبع آثارها فى النقاشات التى تشكل مستخدمى الإنترنت كمنتجين ومستهلكين "معا"، أو بعبارة أقل بلاغة، "منتجين مستهلكين prosumers)"، وعلى النقيض من هذة الرؤية، كان هناك اهتمام متزايد من تعريفات الاتصال القائمة على المعنى، متأثرة بنظريات التفاعل، والذاتية المشتركة والنماذج ذات العلاقة بالفعل الاجتماعى[٤٣]، على سبيل المثال؛ يعرف كلّ من إيفرت روجرز Everett Rogers، ولارى كينكايد Larry Kincaid، الاتصال بأنه: "العملية التى يخلق المشاركون فيها المعلومات ويتشاركونها مع بعضهم بعضًا كى يتوصلوا إلى تفاهم متبادل" (روجرز Rogers، كينكايد Kincaid, 1981، ص٦٣)، فى مكان أخر عرفتُ الاتصال بأنه: "فعل منسق يحقق التفاهم أو تشارك المعنى" (ليفرو Lievrouw, 2001، ص١٣)، هذا التركيز المتزايد على السياقات والمعانى قد يمثل أيضا "إضفاء الطابع الداخلى" على مفاهيم الاتصال، بكل من المعنيين المكانى والذاتى – أى الاتصال باعتباره ظاهرة محلية أساسا، وباعتباره خبرات الأفراد المشاركين فى الاتصال الشخصية والتشاركية والقائمة على السياق (ليفرو Lievrouw, 2004).

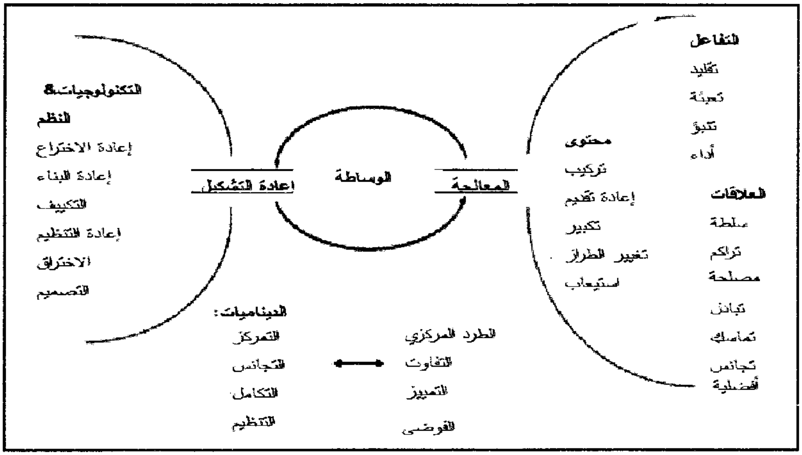
وهناك موضوع ثالث فى دراسة الاتصال يعزز وجهة نظر الوساطة هو؛ الإدراك المتزايد للاتصال باعتباره فعل يستجيب إلى موضوع فى مجالات معقدة من العلاقات والأنظمة والأدوار، بدلا من اعتباره حلقات منعزلة من التعبير/الإنتاج أو الاستقبال/الاستهلاك، أى أصبحت استعارة الشبكة إطارا حاكما لفهم الاتصال بوصفه عملية تأسيسية اجتماعيا، وكذلك كعمل فردى أو جماعى، هذا الجانب منعكس فى مواصلة علماء الاتصال البحث عن نظريات تجسر عمليات الاتصال الجماهيرى وبين الأشخاص، كما هو مقترح فى النقاش أعلاه وفى الفصل الأول (ليفرو Lievrouw , 2009)، التحول الأوسع فى النظرية الاجتماعية فى السبعينيات والثمانينيات نحو مداخل وَحَّدَت البنية الاجتماعية والفعل كظاهرة تأسيسية تبادلية لا تتجزأ[٤٤]، كما شجعت تطوير الأطر النظرية التى تفترض الإنتاج المشترك الجدلى والصياغة المعقدة من السياقات العامة والخاصة، ومن الشروط المادية والتعبيرات الرمزية، ومن التكنولوجيات والممارسات، وفى هذه التقديرات، لا تعد وسائل الإعلام مجرد نظم تقنية أو مؤسسية تتدخل فى/أو "تحتوى على" عملية غير وساطية مختلفة من التفاعل والتعبير الإنسانى[٤٥]، بل تشكل كل من تكنولوجيات الاتصال، والعلاقات الشخصية، والهياكل المؤسسية والتنظيمية، والفعل الفردى معا شبكات تكنولوجية اجتماعية معقدة تعتبر على حد سواء موارد، وهى نفسها مظاهر من الاتصال والثقافة.

وهكذا، تحول تعريف الوساطة على مدى ثلاث "لحظات" فى دراسة الاتصال وعلاقته بالاهتمامات والموضوعات الأكبر فى المجال، وما كان يفهم من قبل كتدخل تكنولوجى بين الأطراف فى التفاعل، أو بين التجربة الشخصية والواقع الأكبر، اليوم يمكن تعريف الوساطة كإعادة تشكيل متبادلة ومستمرة للفعل الاتصالى وتكنولوجيا الاتصال التى تشكل الخبرة فى الواقع (بوشكويسكى Boczkowski، ليفرو Lievrouw, 2008؛ انظر أيضا جويت JOUET, 1994)، وتستلزم أدوات تكنولوجية وتدخلا شخصيا واجتماعيا، وتفاوض، وتنظيما، وبالتالى الوساطة يُعاد صياغتها باعتبارها مجال الصياغة والإنتاج المشترك بين العام والخاص، والعالم والوطن، والبنية والفعل، والمادية والرمزية، والتكنولوجيا والخبرة.

الوساطة باعتبارها إطارًا نظريا:

لنلخص؛ تنطوى الوساطة على علاقة تشكيل تبادلى مستمرة بين استخدامات الناس من تكنولوجيا الاتصال (إعادة التشكيل)، وفعلهم الاتصالى (المعالجة) مما ينتج تغييرا اجتماعيا وتكنولوجيا، وعلى النقيض من المفاهيم التقليدية من"وسائل الإعلام" التى تؤكد على تأثير التكنولوجيات والمؤسسات القوية على الأفراد والمجتمع، فإن الوساطة فى الواقع تشكل العلاقات والخبرة الاجتماعية، ومن خلال إعادة التشكيل والمعالجة، وأدوات وسائل الإعلام، والممارسات، والترتيبات تصبح الوساطة هى وسائل وغايات الاتصال، و"المواد الثقافية والثقافة المادية" (بوشكويسكى Boczkowski، وليفرو Lievrouw, 2007، ص٩٥٥).

ويوضح الشكل (٨-١) العناصر الأساسية لإطار الوساطة المقترح هنا، ويقترح بعض ديناميات العملية، الجزء المركزى من الشكل يوضح الترابط التأسيسى التبادلى المستمر بين إعادة التشكيل والمعالجة، وإعادة تشكيل التكنولوجيات والنظم الموضحة على اليسار يمكن أن تتخذ عددا من الأشكال، مثل إعادة الاختراع، وإعادة البناء، والتكييف، وإعادة التنظيم، والاختراق، والتصميم، إلى آخره، وعلى اليمين تنتظم عمليات المعالجة فى ثلاث مجموعات: معالجة المحتوى، والتفاعل، والعلاقات، وتشمل معالجة المحتوى، عمليات مماثلة للأنواع التى اقترحها بولتر Bolter وجروزين Grusin، مثل التركيب، وإعادة التعبئة، والتكبير، وإعادة تشكيل، والاستيعاب، وتشمل معالجة التفاعل عمليات التقليد أو النمذجة والأداء؛ وهناك أمثلة أخرى أكثر تحديدا للنشاط تم تقديمها فى الفصول السابقة بما فى ذلك التعبئة والنبوءة، أما معالجة العلاقات فممثلة من خلال عمليات مثل التماسك الاجتماعى أو التبادل، وتفاوض السلطة، أو الميزات المتراكمة أو عمليات "الذيل الطويل" التى تميز الشبكات الاجتماعية، التى قد تجذب فيها بعض العوامل علاقات أو سمعة محسنة أكثر من غيرها.



يوضح شكل (٨-١) وسائل الإعلام الجديدة والمعالجة

كما تخضع الوساطة أيضا إلى ديناميات يمكن أن "تدفع" التغيير الثقافى فى اتجاهات مختلفة، على سبيل المثال؛ اقترح هنرى جنكينز **Henry Jenkins(2006)** أن "تقارب" وسائل الإعلام يمكن أن يؤدى إما إلى انجذاب مركزى (تمركز) أو طرد مركزى (تفرق) أنواع التغيير، كما يمكن أن تشجع الوساطة على التجانس الثقافى من ناحية، أو مزيد من التفاوت من جهة أخرى: على سبيل المثال؛ غالبا ما تعتبر وسائل الإعلام الجماهيرية متجانسة ثقافيا فى حين أن تكنولوجيات المعلومات والاتصالات الأحدث وبخاصة ويب٢ تعد متفاوتة أكثر اجتماعيا وثقافيا ومغايرة (ليفرو **Lievrouw, 1998**)، كما قد تنتج الوساطة اندماجا اجتماعيا أكبر فى أحد المستويات أو تمايزا أكثر فى الآخر (ليفرو **Lievrouw, 2001**)، وعلى الصعيد الأوسع، قد تُرى الوساطة أيضا فى الموجات المتتالية من التنظيم الاجتماعى، والثقافى، والتكنولوجى مقابل الفوضى، أو النشأة، كما اقترحت نظرية أنظمة التنظيم الذاتى (مونجى **Monge**، وكونتراكتور **Contractor, 2003**).

وتشير هذه الديناميات إلى أن العلاقة بين إعادة التشكيل والمعالجة ليست دائما متناظرة أو يمكن التنبؤ بها، كلتا العمليتين يمكن أن تؤكد أو تعزز أو تنشئ تحالفات

جديدة بين هياكل التكنولوجيا/الأنظمة والمحتوى أو الفعل الاتصالى، ومع ذلك، لأنهما يتدخلان فى الممارسات المعتادة أو المقبولة، فإنهما أيضا قد يعطلان التحالفات القائمة أو الراسخة، على سبيل المثال تَبَنّي نوبيديا Nupedia برمجيات الويكى المبتكرة فى عام ٢٠٠١ فشل كتكتيك لإنتاج مساهمات من الخبراء لصالح عمل مرجعى على الإنترنت، على الرغم من أنها أنشأت أيضا بالصدفة مساحة مشتركة يمكن فيها لمجتمع عالمى هائل من المساهمين الهواة (ومعظمهم غير معتمدين) التجمع والتنازع على فتات من المعلومات الموثوقة أحيانا، والمتفردة غالبا، والمتنوعة للغاية، فإن النتيجة - ويكيبيديا - أصبحت أحد أكثر موارد الإنترنت استخداما على نطاق واسع طوال العقد الماضى، إلا أن الأمر لا يزال مثيرا للجدل بين السلطات المؤسسية والنقاد الذين يشعرون بالقلق من تقوض الخبرة والمعرفة المشروعة، ومن أن مصدراً سهل التلاعب فيه أو تخريبه يمكن أن يكون مصدر معلومات حاسماً وموثوقاً.

وضع نظرية كاملة حول الوساطة أمر خارج نطاق هذا الفصل القصير، ولكن كنقطة نهائية يمكننا القول: إن الوساطة ليست فريدة من نوعها بالنسبة إلى وسائل الإعلام الجديدة وتكنولوجيات المعلومات والاتصالات، ومن الواضح أن التكنولوجيات (نظام الإشارة بالإعلام، والنشر وتويتر) والأفعال (الخطاب، والأزياء، والحملات السياسية، والأعمال الفنية) متورطة دائما فى الاتصال عبر السياقات الاجتماعية والثقافية والزمانية والمكانية، ومع ذلك، قد تنشأ أساليب أو أنماط مختلفة من الوساطة فى ظل ظروف مختلفة، من خلال التركيز على الوساطة، بدلا من "وسائل الإعلام" نفسها، قد نفتح الطريق إلى مرحلة جديدة من البحث النقدى والتجريبى فى دراسة الاتصالات.

استخدمنا فى هذا الكتاب مدخل الوساطة كى يساعدنا فى التنظير إلى مشاريع وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة، كما أشرتُ أيضا إلى أنه وفر طريقة جديدة وربما قوية من أجل التفكير فى الترابط والتشكيل المتبادلين بين الفعل الاتصالى وتكنولوجيا الاتصال فى المجتمع عموما، والنقطة الأساسية: هى أن تعبيرات الناس وتفاعلاتهم جزء لا يتجزأ من الأجهزة والأساليب التى يستخدمونها لإنشائها أو

إدامتها، أو تغييرها، هذه العلاقة هى هدف متحرك، أو ربما بشكل أكثر دقة نافذة متحركة، لعرض الاتصال باعتباره آلية أساسية للتغيير الاجتماعى، وعلى الرغم من أن أساليب الاتصال، أو الهياكل المؤسسية، أو النظم التكنولوجية المختلفة قد تبدو مستقرة على مر الزمن، فإن الوساطة فى الحقيقة عملية مستمرة من عدد لا يحصى من التعديلات الصغيرة - أى أن عملية إعادة التشكيل والمعالجة المترابطتين تنتجان تدريجيا ممارسات، وأدوات، وترتيبات اجتماعية جديدة، وبالتالى البنى التحتية بأكملها، مثل التغييرات التى تحدث عندما يتم استبدال أجزاء صغيرة من مبنى أو آلة مع مرور الوقت، لا يُدمر الهيكل أو الآلة أبدا أو يُهمل إجمالا، بل فى مرحلة ما ينشئ الاستبدال التدريجى كائنا جديدا، ويعتمد حدوث هذه العملية بسرعة أو ببطء على المدى الذى يجد فيه الناس طرقا مختلفة لإعادة تشكيل أدوات تكنولوجية أو معالجة تعبيراتهم، وتفاعلاتهم وعلاقاتهم الاتصالية بمرور الوقت.

الكلمة الأخيرة: قد تكون لجاى بولتر Jay Bolter وريتشارد جروزين Richard Grusin، اللذين أثَّرَت أفكارهما المناقشة الحالية وأضائتها، وأكدا أنه ليس من الممكن فصل الوساطة عن الواقع، أو فصل بعض أنواع الوساطات عن الأخرى: "وتتكون مجريات ثقافتنا الوساطية من توليفات من الموضوعات، ووسائل الإعلام، والأهداف، التى لا تتواجد فى أشكال منفصلة، وبالتالى ليس هناك شىء قبل أو خارج فعل الوساطة" (بولتر Bolter، جروزين Grusin, 1999، ص٥٨)، ومن وجهة نظر عند أطراف أو "حدود" الثقافة قد تكون مشاريع وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة نماذج لهذا الفهم الجديد للوساطة، والاتصال، والتغيير الاجتماعى فى المركز.

ملاحظات

(١) استخدمتُ مصطلح "البيئة Ecology" بالمعنى الاشتقاقى المذكور فى قاموس أوكسفورد الإنجليزى، أى ضبط أو "ترتيب البيت"، على النقيض من الاستخدام البيولوجى الشائع الدال على الترابط بين النباتات والحيوانات مع محيطها الطبيعى، ويكمن المعنى الأخير فى كثير من المؤلفات المؤثرة فى دراسات البيئة الإعلامية، ولكن هدفى هنا أكثر محدودية، وأريد تمييز النقاش الحالى عن المساهمات والإطارات النظرية الأكبر حول البيئة الإعلامية، واتصالها بنظرية نوع الوسيلة - مدرسة تورنتو .

(٢) تشديدى على إعادة التشكيل والمعالجة فى سياق وسائل الإعلام الجديدة يشابه أطروحة كريستوفر كيلتى Christopher Kelty: إن المصممين ومستخدمى الإنترنت الخبراء والتكنولوجيات ذات الصلة يشكلون جمهورا متكررا لا ينخرط فقط فى الخطاب حول التكنولوجيا ولكن أيضا معه وعبره (انظر الفصل الرابع؛كيلتى Kelty, 2008) وأزعمُ أن هذا المفهوم لا ينطبق فقط على خبراء التكنولوجيا، ولكن أيضا على كثير من مستخدمى تكنولوجيات الإعلام والمعلومات "العاديين"، وإن كان بطريقة أكثر محدودية أو أقل تطورا .

(٣) على سبيل المثال؛ يحذر زيتراين (2008) Zittrain من أن الانتشار الأخير للأجهزة الرقمية المبنية أكثر حول هدف مثل أجهزة الهواتف المحمولة المتصلة بالإنترنت أو "كمبيوترات القراءة اللوحية" مثل كيندل Kindle أمازون أو آبل ايباد iPad هى استراتيجية متعمدة تسمح إلى المُصنَعين تقييد قدرات المستخدمين على تكييف الأجهزة مع استخدامات أو تطبيقات جديدة.

(٤) تواجد وسائل الإعلام الجديدة فى كل مكان يمنحها سمة "الجاهزية الدائمة"، وهى فكرة تتعلق بمفهوم هيدجر Heidegger عن الوجود أو الكينونة فى العالم، وتحليله للتكنولوجيا باعتبارها جاهزة للاستخدام، أو مضمونة حتى انهيارها، وبالتالى تصبح "مرئية" إلى المستخدم، والفكرة التى طورها لاحقا جاك دريدا (Jacques Derrida دائما بالفعل)، كسمة للخبرة تجعل من الصعب تخيل أن العالم كان مختلفا سابقا عن الحاضر - أى إحساس شائع بين الشباب مستخدمى وسائل الإعلام الجديدة، الذين قد لا يتذكرون زمن ما قبل متصفحات الويب أو الهواتف ذات الأزرار على سبيل المثال، أو زمن الصفحات الاحتفالية فى المطبوعات الصناعية مثل مجلة وايرد (سلكى)

Wired، كما كيَّفت عالمة الاجتماع لاى ستار Leigh Star، مع زملائها، العديد من أفكار هايدجر بشأن التكنولوجيا فى نقاشاتها النظرية حول البنية التحتية للتكنولوجيا (ستار Star، وبوكر Bowker, 2006؛ ستار Star، روهلدر Ruhleder, 1996)، وتعريف وسائل الإعلام الجديدة المطور هنا مبنى على عدد من الأفكار الرئيسة من كتاب ستار.

(٥) فى الحقيقة، تم أخيراً إضافة المعدلات الوطنية للاتصال "عريض النطاق" (أى السرعة العالية للاتصال بالإنترنت عن طريق كابل محورى، أو أقمار صناعية، أو اتصال الخط المُشترِك الرقمى [DSL]) إلى قائمة مؤشرات التنمية الوطنية أو الاقتصادية التى تستخدمها الوكالات الدولية مثل اليونسكو ومنظمة التعاون الاقتصادى والتنمية (انظر الايكونوميست، 2008b، OECD, 2008؛ وبوابة OECD عريض النطاق http://www.oecd.org/sti/ict/broadband.).

(٦) توفر المناقشة الحالية مخططا عاما فقط حول مجال أوسع بكثير من دراسات وتحيلات النوع فى مجال الاتصال وغيره من التخصصات، ويمكن الاطلاع على لمحات عامة أكثر تفصيلا فى بازرمان Bazerman (1985, 1988)، تشاندلر Chandler (2000)، وفريدمان Freedman، وميدواى Medway (1994)، وماكويل McQuail (2005)، وميلر Miller (1984)؛ وييتس Yates، وأورليوسكى Orlikowski (1992) للنقاشات حول الأنواع فى سياق الشبكة العنكبوتية العالمية، وانظر آجر Agre (1998)، وكروستون Crowston، ويليامز Williams (2000)، وديلون Dillon وجيشوسكى Gushrowski (2000)، وميلر Miller، وشيفرد Shepherd(2004)، وييتس Yates، وأورليوسكى Orlikowski، وأوكامورا Okamura (1999)، النقاط فى هذا القسم مأخوذة أساسا من هذه المصادر.

(٧) فى السبعينيات وأوائل الثمانينيات، ما قبل وجود الإنترنت كوسيلة شعبية، تم إحياء الاقتباس détournement وأعيد تخصيصه كعنصر أساسى فى أسلوب البانك punk، وخاصة فى المملكة المتحدة، لمزيد من التفاصيل حول تأثير أفكار ديبورد Debord والموقفية Situationism فى أسلوب البانك Punk والثقافات الفرعية الشبابية الأخرى، انظر شالوت Chollet (2004)، فورد Ford (2005)، وهيبدج Hebdige (1979)، وماركوس Marcus1989, 2002).

(٨) فى أواخر عام ١٩٩٠، فى نظرة شاملة حول النظرية الاجتماعية، عَدَّ عالم الاجتماع الأمريكى البارز جيمس كولمان James Coleman أن العاطفة والتلقين عوامل أساسية فى العمل الجماعى الذى يتضمن "ظواهر مثل سلوك الغوغاء، وأنظمة الثقة، والرأى العام، والحركات الاجتماعية، والسلطة الناشئة الكاريزمية، وسلوك الجمهور، والبدع، والموضة" (كولمان Coleman,1990، ص ٤٣).

(٩) بطريقة ما يشبه الاندماج بين نشطاء مشروع والمجتمعات التى يتفاعلون معها مفهوم التفاعل شبه الاجتماعى، الذى استخدمه علماء وسائل الإعلام منذ الخمسينيات لوصف تورط الجمهور عاطفيا مع شخصيات إعلامية معينة أو تعلقهم بها (لمزيد من المناقشة، انظر ماكويل McQuail, 2005)

وعلى الرغم من أن الإحساس بالانتماء إلى مجتمع على الإنترنت يختلف فى بعض النواحى، لا سيما أنه فى مجتمعات الإنترنت هناك فرصة لـ"اللقاء" والتفاعل مع الآخرين أكثر بكثير مما فى سياقات وسائل الإعلام التقليدية، فإن مشاريع الإنترنت غالبا ما تكون مصممة عمدا باعتبارها "مساحات اجتماعية" تسمح أيضا لأفراد المجتمع بنشر، أو تقييم، أو توصية، أو "وسم" الموارد الإعلامية، وبإعطاء وطلب المشورة، واعتماد الأسماء المستعارة والتجسيدات الجرافيكية Avatars، وأكثر من ذلك بكثير (يمكن الإطلاع على لمحة عامة جيدة عن فكرة مجتمع الإنترنت فى جونز Jones, 1998)، وعلى النقيض فى برامج وسائل الإعلام التقليدية، التى يقتصر "تورط" الجمهور فيها عادة على سيكولوجية الاستقبال وبعض التفاعل العَرَضى أحيانا بين أفراد الجمهور، بدلا من التفاعل مع منتجى البرنامج أو شخصياته، وفى الحقيقة؛ غالبا ما تُعد جهود المعجبين خاصةً الحريصين أو المصرين على المتابعة، أو الاتصال، أو التفاعل مع الشخصيات الإعلامية الشعبية مرضية، ومحظورة فى معظم الولايات القضائية الأميركية، لا سيما كاليفورنيا ونيويورك.

(١٠) فى الكتاب السابق (ليفرو Lievrouw ,1998, 2001) اقترحت أن المساحات المغايرة مثل مواقع ومشاريع الإنترنت، هى بالتالى مواقع من أجل الاتصال المغاير، وأسلوب مميز من الفعل الاتصالى الذى يسهل اتصال الاختلاف، كما يوظف الاتصال المغاير المحاكاة والمشهدية كمصادر للمعلومات، والاستعراض/التلصص باعتبارها أساليب اتصالية مرتبطة بوعى المراقبة، والاستخدام التنافسى للمعرفة كسلعة قائمة على تفاوت معلومات واسعة النطاق أفقيا ورأسيا، وتقديم "التعبير" العالمى أو الكونى حول المصالح الضيقة بشكل أساسى، والاستخدام الإستراتيجى للمجالات العامة والخاصة كإطارات للمشاركة.

(١١) يقول بعض النقاد: إن مصطلح "الأرشيف الرقمى" ينبغى اعتباره تناقض لفظى لأنه يرتبط بمفهومين معا تعريفهما على طرفى نقيض فى الواقع: اللامادية الافتراضية للمعلومات الرقمية، والمادية الملموسة للأرشيف المادى (لارمانس Laermans، جيلن Gielen, 2007).

(١٢) تقييم ويكيبيديا للمقال مدعوم جزئيا بمساهمات ديرى Dery الخاصة فى مدخل نقاش "صفحة الحديث" (انظر http://en.wikipedia.org/wiki/Talk:Culture_jamming).

(١٣) كان دوكينز Dawkins على ما يبدو غير مدرك للأدبيات الكثيفة التى كانت موجودة بالفعل فى الاقتصاد وعلم الاجتماع، والاتصالات حول نشر الابتكارات، التى تمثل الطرق التى تنتشر بها الأفكار والممارسات الجديدة بين المعارف فى نظام اجتماعى ما بمرور الزمن (روجرز Rogers، ٢٠٠٣)، مفضلا بدلا من ذلك تصوير العملية باعتبارها تكيفًا وحتمية بشكل أساسى، ومستخدما الاستعارة البيولوجية.

(١٤) فى محاكاة ساخرة لاذعة تردد تكتيكات علامة الفن ark®™، يقدم فرانك Frank وملوكى Mulcahey (2000) نشرة شركة تعزز الانحراف باسم: "نمط الحياة والانحراف التجارى"، التى

تصف نفسها: "... قائدة الأمة ... فى تلفيق، وتوصية، وترخيص، وترويج الممارسات الثقافية الفرعية المنحرفة"، والمنتجات الرئيسية لشركة الانحراف التجارى هى الثقافة الفرعية SubCults™ ، بما فى ذلك عامية موسيقى الجرونج™ ، وما بعد البنيوية™ ، وما بعد الروك™ ، (فى الواقع، ساعد فرانك وزملاؤه فى الكشف عن قائمة من مصطلحات "عامية موسيقى الجرونج grunge speak" التى نشرت فى صحيفة نيويورك تايمز فى عام ١٩٩٧، باعتبارها خدعة، انظر مدخل إلى كلام الجرونج على ويكيبيديا، (http://en.wikipedia.org/wiki/Grunge_speak، وتزعم نشرة الانحراف التجارى: إن أعظم أصول الشركة هى قوة العمل من المتعلمين تعليما عاليا والمتحمسين، وقد تلازمت موضة الدراسات الثقافية بشكل رائع مع خليط من صناعة الثقافة والهجوم العالمى على الأجور، مما أدى إلى وفرة من نقاد الثقافة الشعبية الفطنين العاملين بالقطعة، وهذة قوة العمل – على الرغم من أنها متميزة حصريا ومتعلمة تعليما عاليا ومديونة بشدة – على استعداد للعمل مقابل أجور منخفضة ومزايا قليلة عموما، كما أنها غير مبالية بجهود تنظيم العمالة حتى تعاديها، وعلى عكس مستوى العمال المتدنى فى معظم الصناعات، فإن الشركة تقدر موظفيها خريجى الجامعة الجدد لشبابهم، وقلة خبرتهم واتجاهاتهم السيئة (ص٧٣، ٧٧) هذة المعالجة الهزلية تتنبأ لاحقا، بتحليلات أكثر بؤسا عن "العمالة الحرة" المشاركة فى إنشاء وصيانة المواقع والمحتوى على شبكة الإنترنت، بما فى ذلك المدونات، والشبكات الاجتماعية، والألعاب متعددة المستخدمين، والويكى، وغيرها (كاسترونوفا Castronova, 2003؛ ولوفينك Lovink، وروسيتر Rossiter,2007b، تيرانوفا (Terranova, 2009 [2000].

(١٥) نشأ مصطلح "أعمال كريهة" مع تثبيت R&D الشهير الذى أنشأته شركة لوكهيد مارتن Lockheed Martin لتطوير طائرات عسكرية جديدة خلال الحرب العالمية الثانية، الذى استمر فى تصميم أنظمة الطائرات المتقدمة اليوم (بنيس Bennis، بيدرمان Biederman, 1997، وانظر أيضا http://www.lockheedmartin.com/aeronautics/skunkworks/index.html

(١٦) لا تزال شركة الشىء The Thing تخدم منظمات الفنون فى مدينة نيويورك، ولكن تكتيك NTT /Verio المتمثل فى قطع خدمة الإنترنت عن المنظمات التى تراها غير مرغوب فيها لا يزال مستمرا، وفى عام ٢٠٠٧ أوقف Verio الوصول إلى موقع cryptome.org، "موقع على شبكة الإنترنت معنى بالتشفير والخصوصية والسرية الحكومية" ومتخصص فى نشر الوثائق التى تعتبرها الحكومات حساسة أو تجرم نشرها (سلاش دوت Slashdot, 2007؛ وانظر أيضا استجابة كريبتوم على (http://cryptome.org/cryptome-shut.htm

(١٧) أدين بالفضل إلى ديفيد هاكين David Hakken، الذى قدم لى عبارة "الحوسبة بديلة" فى اجتماع جمعية الدراسات الاجتماعية فى باريس عام ٢٠٠٤، خلال حلقة نقاش حول مشاريع البرمجيات مجانية/ حرة/ مفتوحة المصدر فى مناطق العالم النامى، فى أوائل التسعينيات تتبع

هاكين Hakken جذور مدخل "بديل" إلى ممارسة الحوسبة من خلال كلٍّ من وجهة النظر المثالية لتكنولوجيا الكمبيوتر واسعة النطاق فى الثقافة الشعبية، ومنظور أكثر واقعية حول تطوير وتنفيذ البرمجيات فى مكان العمل، والتصميم التشاركى الذى نشأ فى بلدان الشمال الأوروبى فى السبعينيات والثمانينيات وانخرط فيه كل من الإدارة والعاملين فى عملية تصميم أنظمة الأتمتة الصناعية (انظر هاكين Hakken, 1993؛ هاكين Hakken، أندروز Andrews, 1993)، ومنذ عام ١٩٩٢، كانت تقنيات ومشاريع التصميم التشاركى هى البؤرة المركزية لمؤتمرات التصميم التشاركى برعاية مشاركة من جمعية (متخصصى الكمبيوتر من أجل المسئولية الاجتماعية) Computer Professionals for Social Responsibility، وجمعية الحوسبة الآلية Association for Computing Machinery.

(١٨) للاطلاع على مناقشة أوفى حول التركيز على المشاريع التقدمية/ اليسارية مقابل المشاريع المحافظة/اليمينية فى دراسة وسائل الإعلام البديلة، انظر أتون (2004) Atton؛ وبيلى Bailey، وكاميرتس Cammaerts، وكاربنتير (2008) Carpentier، وداونينج Downing وآخرين (٢٠٠١).

(١٩) هناك خلفية حول برمجيات بيض عيد الفصح وتاريخها متاحة فى http://www.mackido.com/EasterEggs/HistoryOfEggs.html، وأرشيف بيض عيد الفصح "الموجود" فى مجال البرمجيات، والألعاب، وأقراص الفيديو الرقمية DVDs، وغيرها من وسائل الإعلام، وتوجيهات إطلاقها متاح فى أرشيف بيضة عيد الفصح http://www.eeggs.com على سبيل المثال؛ يمكن إطلاق لعبة محاكى الطيران flight simulator المخبأة فى الإصدارات الأخيرة من برنامج Google Earth بالضغط على عدة مفاتيح معا Ctrl + Alt + A فى أنظمة تشغيل ويندوز Windows أو الضغط على + Command + Option + A فى نظام تشغيل ماك Mac OS X.)، ويحتوى مدخل بيض عيد الفصح فى ويكيبيديا (en.wikipedia.org/wiki/Easter_egg_(media على تاريخ مختصر لبعض برمجيات بيض عيد الفصح الأولى فى برمجيات وأجهزة الكمبيوتر، بما فى ذلك تلك التى بنيت فى إصدارات نظام تشغيل يونكس Unix، وأعلى ١٠ أنظمة تشغيل من شركة المعدات الرقمية PDP، و١٠ أجهزة كومبيوتر كبيرة، وجميع أنظمة مايكروسوفت قبل نظام أكس بى XP، وحتى طابعة الحبر هيوليت باكارد Hewlett- Packard Scanjet 5P ، وفى السنوات الأخيرة استأثرت صناعة الترفيه بفكرة "بيض عيد الفصح" والآن تبنى استديوهات السينما وشبكات التليفزيون وشركات التسجيلات الموسيقية بشكل روتينى ملامح خفية فى منتجاتها كتكتيك تسويق.

(٢٠) بعض الكتاب يتبعون أصول معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا فى الستينيات، عندما كان مصطلح "قرصنة " يشير إلى أى نوع من أنواع مقالب الحرم الجامعى المذهلة، وخصوصا التى تتضمن البنية المعمارية الأيقونية للكلية (انظر بيترسون Peterson ,2003؛ وتوماس Thomas, 2002).

(٢١) قضية شفرة DeCSS/2600 مفحوصة بإسهاب ضمن أشياء أخرى فى إيشفيلدر Eschenfelder وديساى (2004) Desai، وليسيج (2001) Lessig، وليتمان (2001) Litman، وتستند المناقشة الحالية على هذه المصادر، فضلا عن تفاصيل القضية المقدمة فى الوثائق القانونية، وأرشيف ٢٦٠٠ فى مؤسسة الحدود الإلكترونية Electronic Frontier Foundation، وغيرها.

(٢٢) منذ ما يقرب من ثلاثة عقود، وهذا الجانب "الخارجى" من ثقافة الكمبيوتر، والآثار المترتبة على الاتصال بوساطة الكمبيوتر من أجل الهوية وثقها وحللها بوضوح عالمة النفس شيرى تاركل Sherry Turkle، فى مقال مبدع بعنوان: "الكمبيوتر باعتباره اختبارًا رورسكاتش Rorschach" (تاركل Turkle, 1980)، زعمت شيرى أن أجهزة الكمبيوتر كوسيلة إعلام هى "أجهزة اسقاطية" تسمح للأفراد غير اللبقين اجتماعيا مثل بعض طلاب الهندسة وخريجى علوم الكمبيوتر الذين دَرَستَهم فى معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا ، بالتعبير عن أنفسهم وتقديم أنفسهم بثقة أكبر من مواقف التفاعل وجها إلى وجه (انظر أيضا تاركل Turkle, 1984, 1995)، فى الواقع، أصبحت "لعبة الهوية" التى يوفرها استخدام الأسماء المستعارة، والمجسدات الجرافيكية، والهويات والشخصيات البديلة سمة مشتركة للاتصال بوساطة الكمبيوتر، حتى بين مستخدمى الإنترنت المبتدئين، وفى أوائل التسعينيات كانت مركزا شعبيا للدراسة ما بين الأكاديميين والمعلقين الاجتماعيين، وعلى الرغم من أن هذه الظاهرة ربما لم تنتشر أبدا كما قد تشير أدبيات الدراسات الثقافية، فإنها لا تزال قائمة بالتأكيد اليوم فى أشكال شعبية مثل الألعاب متعددة الأدوار والعوالم الافتراضية، مثل سكند لايف Second Life على سبيل المثال.

(٢٣) فى المناقشة الحالية استخدام مصطلح "القراء" على نطاق واسع للدلالة على الأشخاص الذين يختارون ويتابعون الأخبار عبر أى منبر إعلامى - النصوص والصور الثابتة والمتحركة، والصوت - والذين قد يساهمون أيضا فى التغطية الإخبارية أو يعلقون عليها، فضلا عن "استهلاكها"، أفضل هذا المصطلح لأنه يشير إلى المشاركة الفعالة مع الأخبار، وعلى النقيض من مفاهيم أخرى مثل "الجمهور" (الذى يركز على الاستقبال، خاصة بمعنى وسائل الإعلام التجارية) أو "المستخدم" (الذى يحمل دلالة أكثر انسياقا للتكنولوجيا، أو متمركزة حول الكمبيوتر، أو أداتية)، لمزيد من المناقشة حول الصعوبات المرتبطة بتصنيف انخراط الناس مع وسائل الإعلام الجديدة، انظر مقدمة الطبعة الثانية من دليل وسائل الإعلام الجديدة (ليفرو Lievrouw، ليفينجستون Livingstone, 2006).

(٢٤) بالمعنى الدقيق للكلمة، فإن مصطلح "إنديميديا Indymedia"- بادئة بحرف كبير - ينطبق فقط على مواقع الأخبار والرأى التابعة إلى مراكز الإعلام المستقل، ومع ذلك فى الآونة الأخيرة أصبحت كلمة "إنديميديا indymedia" - بادئة بحرف صغير- تنطبق على مجموعة متنوعة من مواقع الأخبار البديلة أوالراديكالية أو الناقدة التى توظف ممارسات أو فلسفات الصحافة العامة، أو المدنية، أو صحافة المواطن، أو التشاركية، أو مفتوحة المصدر، ولأن الفصل الحالى يستخدم الحركة القائمة

على مراكز الإعلام المستقلة الأصلية كمثاله الأساسى، فالكلمة التى نعنيها فى المناقشة هنا هى التى تبدأ بالحرف الكبير.

(٢٥) تقديم ببليوجرافيا كاملة أمر خارج نطاق هذا الفصل، ومع ذلك الملخص ودراسة الحالة هنا مأخوذة من وثائق إنديميديا المؤرشفة فى http://docs.indymedia.org، فضلا عن العديد من الدراسات والتعليقات الأكاديمية (انظر، على سبيل المثال أتون Atton, 2002, 2003, 2004؛ وبيلى Bailey، وكاميرت Cammaerts، وكاربنتير Carpentier, 2008؛ وبيكرمان Beckerman, 2003؛ وبينيت Bennett, 2003؛ ودييز Deuze؛ وداونينج Downing, 2003, 2008؛ وداونينج Downing وآخـــــــرون، ٢٠٠١؛ وهاليك Halleck, 2002, 2003؛ وهايد Hyde, 2002؛ ويانكوفسكى Jankowski، ويانسن Jansen, 2003؛ وكيد Kidd, 2003؛ وموريس Morris, 2004؛ وبافيز Pavis, 2002؛ وبيكارد Pickard,, 2006a, 2006b, 2008؛ وبلاتون Platon، ودييز Deuze, 2003؛ وتارليتون Tarleton, 2000).

(٢٦) وصف عام لسياسة النشر المفتوح فى إنديميديا متاح على موقع https://docs.indymedia.org/Global/FrequentlyAskedQuestionEn#newswire، والسياسة التحريرية منشورة بتفصيل أكثر على موقع إنديميديا المملكة المتحدة http://www.indymedia.org.uk/en/static/editorial.html

(٢٧) انظر المنشور من تشاك Chuck0 على القائمة البريدية الخاصة بعملية مركز الإعلام المستقل إنديميديا على: http://archives.lists.indymedia.org/imc- process/2000-December/000261.html

(٢٨) القضية مناقشة بالتفصيل والوثائق الداعمة على موقع مؤسسة EFF http://www.eff.org/cases/indymedia-server-takedown، وفى وثائق أرشيف إنديميديا https://docs.indymedia.org/Global/AhimsaAnalyticRe?ection

(٢٩) للمحة موجزة بشأن أصول الحرب الباردة من نقد الإمبريالية الثقافية، انظر ستوركين Sturken وكارترايت (Cartwright 2009، ص٢٩٧-٩)، والنقاش بين وجهة نظر "التدفق الحر" المُساق بالسوق ووجهة النظر المعارضة "نظام المعلومات العالمى الجديد" التى تعتنقها الدول النامية ودول عدم الانحياز التى تدافع عن الحق فى الاتصال كحق أساسى من حقوق الإنسان موثق فى تقرير أعده لليونسكو فى عام ١٩٨٠ لجنة خاصة يرأسها شون ماك برايد Sean MacBride) لجنة ماك برايد ٢٠٠٤ [1980])، وفى الآونة الأخيرة، اعترف بعض النقاد من اليسار بأن فى الممارسة العملية استخدمت الحكومات الاستبدادية نظام المعلومات العالمى الجديد مبرراً من أجل إقناع شعوبها دعائيا أو منعهم من الوصول إلى الأخبار أو المعلومات من مصادر خارجية (تيير-توماسيلى Teer-Tomaselli, 2007).

(٣٠) دراسة الحالة المعروضة هنا مأخوذة من عدد من المصادر المختارة، بما فى ذلك ألميدا Almeida،

وليـشـبــاش (Lichbach (2003؛ وبينيت (Bennett (2003؛ وكـاسـتلز (Castells 2009؛ وجـوريس Juris, 2005, 2008)؛ وخـان Kahn، وكـيلنر (Kellner 2004, 2005)؛ وانجـمـان Langman (2005؛ وفـان أليـست Van Aelst، ولجـراف Walgrave (2002، من بين أعـمـال أخرى.

(٣١) يصف أندرو كالابريس (Andrew Calabrese (2004 خصائص العصيان المدنى السلمى، الذى لديه تاريخ قائم كشكل من أشكال الاتصال السياسى وحرية التعبير المحمية فى تقاليد الولايات المتحدة القانونية، ويقول: إن معظم ما أطلق عليه "العصيان المدنى الإلكترونى" لا يصلح لأن يكون كذلك لأنه لا يفى بمتطلبين أساسيين، أولا: أن الشخص فى ظل العصيان المدنى يجب أن يكون معروفا وخاضعا للمساءلة علنا عن أفعاله (وبالتالى مُعرَّض لخطر الملاحقة القضائية وكونه ضحية الظلم المحدد الذى نحن بصدده)، وثانيا: قد يكون العصيان المدنى تخريبيا، ولكن لا يمكن أن يكون عنيفا، أو متعمدا إيذاء الأشخاص أو تدمير الممتلكات؛ وإلا فإنه يهدر سلطته المعنوية باعتباره احتجاجًا، أما أفعال ما يسمى العصيان المدنى الإلكترونى فهى غالبا مجهولة الفاعل، وخطر معاقبة النشطاء الأفراد فيها ضئيل، وبعض أفعالها تخريبية عمدا، وليست تخريبية فقط، ومع ذلك - يقول كالابريس Calabrese - إلى الدرجة التى يفى بها العصيان المدنى الإلكترونى بهذين المتطلبين ينبغى اعتباره تعبيرا سياسيا مشروعا ويجب حمايته فى أى نظام سياسى ديمقراطى.

(٣٢) رغم الشكاوى الشهيرة أن الإنترنت تسببت فى "فيض" أو "حمل زائد" من المعلومات، فإن علماء المكتبات والمعلومات يقولون إن كمية المعلومات المتاحة على الإنترنت هى فقط جزء صغير من كل المعلومات التى تحويها المكتبات، ومحفوظات العالم، وأقل كثيرا مما هو محفوظ فى المنظمات والمجموعات الأخرى، وكما ذكرنا فى الفصل الثانى تشمل الويب "العميقة"، أو "المظلمة"، أو "غير المرئية" مواقع معطلة أو يصعب الوصول إليها، كما تشمل أيضا مصادر المعلومات مثل قواعد البيانات الإحصائية، وبيانات علمية، وملفات وسائط متعددة، ومحتوى مستمد من أشكال، أو محتوى مجمد خلف جدران نارية تجارية وأمنية (انظر شيرمان Sherman، برايس Price, 2001؛ مدخل ويكيبيديا، "الويب العميقة" http://en.wikipedia.org/wiki/deep_web).

(٣٣) دراسة العمل التعاونى المدعوم بالكمبيوتر computer-supported cooperative work (CSCW) هو تخصص أكاديمى فى حد ذاته طوره فى الثمانينيات والتسعينيات علماء من مختلف المجالات، بما فيها دراسات التنظيم، والإدارة، والاتصال التنظيمى، وهندسة العوامل البشرية والتفاعل بين الإنسان والكمبيوتر، والأنثروبولوجيا، ضمن مجالات أخرى، يمكن العثور على لمحة عامة عن تطورات دراسة المجال فى تقارير المؤتمرات السنوية حول العمل التعاونى المدعوم بالكمبيوتر التى ترعاها جمعية الحوسبة الآلية Association for Computing Machinery (الأرشيف متاح من خلال بوابة الجمعية، http://portal.acm.org) والمؤتمرالأوربى السنوى حول العمل التعاونى المدعوم بالكمبيوتر؛ (انظر http://www.ecscw.org)، كما يوفر مدخل ويكيبيديا

حول "العمل التعاونى المدعوم بالكمبيوتر" مقدمة عامة جيدة عن الأفكار الرئيسة فى المجال وتاريخه (http://en.wikipedia.org/wiki/Computer_supported_cooperative_work).

(٣٤) المقابلات مع ريموند Raymond، وريتشارد ستالمان Richard Stallman و لينوس تورفالدس Linus Torvalds، وغيره من قادة حركة البرمجيات المجانية والبرمجيات مفتوحة المصدر موجودة فى الفيلم الوثائقى الثورة OS Revolution OS الذى صنعه جى تى أس مور .J.T.S. Moore ((2003.

(٣٥) وعلى نقيض الممتلكات الخاصة، تعد السلع العامة مواردا مشتركة لصالح أفراد المجتمع المحلى لأنها غير مستبعدة (أى ليس عمليا أو مستحيل حجبها عن أى عضو) وغير متنافسة فى الاستهلاك (أى استخدامها من شخص أو من الجميع لا "يستهلك" المورد أو يمنع الآخرين من استخدامه)، الأمثلة الكلاسيكية من السلع العامة هى الطرق العامة، وعلامات أو إشارات المرور، والهواء، أو – فيما قبل عصر التليفزيون الكابلى – إشارات الراديو والبث التلفزيونى، وتعد السلع التى لا تمتاز بأحد هاتين الخاصيتين فقط، بل ولا غنى عنها لأعضاء المجتمع أو لصالحهم سلعا عامة بالممارسة العملية: وتشمل الأمثلة أنظمة المياة، والصرف الصحى، والكهرباء المحدودة فى الإمداد ولكن ضرورية من أجل بقاء الأعضاء وأخلاقيا لا يمكن حجبها، منذ التسعينيات أشار البعض إلى أن الإنترنت، وخدمات الإنترنت مثل جوجل، وبالطبع المعرفة المجمعة نفسها لديها نفس الخاصيتين وينبغى اعتبارها سلعا عامة على النطاق العالمى (انظر، على سبيل المثال، سبار Spar, 1999؛ ستيجليتز Stiglitz, 1999).

(٣٦) ازداد تشارك الموارد الإلكترونية، وأصبح الوضع القانونى للمكتبات والمجموعات الأخرى أكثر تعقيدا وتقييدا، وأقيمت حواجز قانونية جديدة على التشارك عبر المؤسسى فى شكل عقود مع دور النشر والبائعين الآخرين الذين يتجاوزون بيع المكتبات الأول التقليدى، وحقوق الاستخدام العادل (فارب Farb, 2006)، وضمنت هذه العناصر من قانون حق المؤلف التقليدى أن المكتبات والمؤسسات الأخرى يمكن أن تقترض مواد وتسمح إلى الرعاة بامتيازات نسخ محدودة من أجل الاستخدام الشخصى والتعليمى، ومع ذلك، تُهمش هذه الأحكام باطراد كلما حاول أصحاب حقوق الطبع والنشر ممارسة قدر أكبر من السيطرة عليها، وبالتالى توليد دخل من المنشورات الرقمية أكبر مما كانوا يحصلونه من الكتب، والمجلات، والتسجيلات الصوتية، والأشكال المادية الأخرى، من خلال مطالبة المستخدمين بالموافقة على اتفاقات الترخيص التعاقدية المُقيِّدة.

(٣٧) نظرية المعرفة هى فرع من فروع الفلسفة التى تتعامل مع كيفية خلق المعرفة والحصول عليها، وتعتمد القيمة المعرفية لمصدر المعلومات – أى ما إذا كان ينبغى اعتبار مصدر معرفة "صحيحا" أو موثوقا فيه، وليس مضللا أو خاطئا – على مجموعة متنوعة من العوامل، منها الأدلة التى تدعمه (تبريرها)، ودقته أو قابلية التحقق من صحته، والاتفاق بين الخبراء حول قيمته، وتشمل القيم المعرفية الأخرى قوة مصدر المعلومات (أى مقدار المعرفة التى يقدمها)، وسرعته (مدى سرعة توفيره

المعرفة)، وخصوصيته (كم الناس الذين يمكنهم اكتساب المعرفة من ذلك المصدر، جولدمان Goldman, 1999)، ويقول دون فاليس Don Fallis (2008): إن ويكيبيديا، وديج Digg.com، وغيرهما من مصادر المعلومات المنتجة تعاونيا ينبغى ألا تخضع إلى الحكم على أساس موثوقيتها المطلقة فقط، بل على أساس مجموعة متنوعة من القيم المعرفية.

(٣٨) بالتوازى مع نزاع فك الشفرة السابق (انظر الفصل الرابع) الذى قاده المدون كريس شيفت Chris Shiflett سنصف نزاع أقراص ديج الرقمية DiggHD-DVD باسم DeCSS2.0 (انظر http://shi?ett.org/blog/2007/may/learning-from-Digg- decss- 2.0

(٣٩) التزام ويكيبيديا بتقديم كل المعلومات حول عملياتها العامة، وولع ويكيبيديا بالحقائق والأرقام يمكن اعتباره فى العديد من صفحات ويكيبيديا المكرسة لإحصاءاتها الحيوية، انظر على سبيل المثال؛
http://en.wikipedia.org/wiki/Wikipedia:Statistics.
http://en.wikipedia.org/wiki/Wikipedia:Modelling_Wikipedia%27s_growth.

(٤٠) ويبقى أن نرى؛ ما إذا كانت أنظمة وسائل الإعلام الجماهيرية التى تواجه تحديات سوق خطيرة، مثل الطباعة أو البث، مستعدة أو قادرة على التكيف مع البنى التقنية/المؤسسية المستقرة نسبيا و"تعلم خدعة" إعادة التشكيل التكنولوجية والتهجين كوسيلة للبقاء على قيد الحياة فى المشهد الإعلامى المعاصر، ويبدو هذا هو الأمل الكامن خلف تقديم أجهزة ومنصات جديدة أخيراً مثل آبل آى باد iPad، وقارئ الكتاب الإلكترونى كيندل Kindle أمازون، وخطط توزيع التليفزيون على الإنترنت مثل هولو Hulu على سبيل المثال؛ وعلى الرغم من أن هذه الأنظمة صُممت لتكون صعبة فى إعادة التشكيل وتظل كنماذج إيرادات من نوع "الدفع مقابل المحتوى" المستمر من النشر المطبوع والتليفزيون المدفوع.

(٤١) كما تميز النبوءة أيضا كلا من المحاكاة، والمحاكاة الافتراضية، وتقنيات التصور الأخرى التى يتم تطبيقها بفاعلية فى وسائل الإعلام الجديدة، سواء فى الدراسات العلمية حول تغير المناخ، أو فيزياء الطاقة العالية، أو البروتينات، أو فى أشكال أكثر تسلية مثل ألعاب الإنترنت متعددة اللاعبين أو التأثيرات الخاصة المنتجة بالكمبيوتر فى الصور المتحركة، وأصبح إنشاء "العوالم" الجديدة كنماذج مثالية أو بدائل إلى ظروف "العالم الحقيقى" القائم من دعائم ثقافة ودراسات الإنترنت، وهو أحد الأمور الذى يمكن أن يشارك فيه عامة الناس فضلا عن نخبة العلماء ومصممى المؤثرات الخاصة.

(٤٢) فى مقابلة عام ١٩٩٩ مع شبكة مبادرة الاتصال، لاحظ باحث الاتصال الكولومبى جيسوس مارتن باربيرو Jesús Martin- Barbero أن "توسع وتغلغل الدراسات الثقافية والاتصال" والتحول العام نحو التحليل الثقافى كان التطور الفكرى الأكثر أهمية فى نظام الاتصال فى ذلك الوقت (انظر http://www.comminit.com/en/node/149538)، مارتن باربيرو هو أيضا منظر رائد فى مجال الوساطة الذى ناقشنا كتابه بتفصيل أكبر لاحقا فى هذا القسم.

(٤٣) إلى حد ما هذا التطور قد يكون إشارة إلى إحياء الاهتمام فى مدرسة شيكاغو التفاعلية، التى كانت مؤثرا رئيسيًا فى نظام الاتصال منذ البداية (انظر روجرز Rogers, 1994).

(٤٤) فى النظرية الاجتماعية، لعل المثال النموذجى هو نظرية أنتونى جيدنز Anthony Giddens حول البنيوية (جيدنز Giddens, 1979, 1984).

(٤٥) نظرية الشبكة الفاعلة التى تعزو الوكالة إلى كل من: الناس، والنظم التكنولوجية المتورطة فى شبكات معقدة من العلاقات، هى مثال مهم آخر على هذا النوع من النظريات (انظر لاتور Latour, 2005؛ لو Law، هاسارد Hassard 1999)، ومتاح مقدمة أساسية فى ويكيبيديا (http://en.wikipedia.org/wiki/Actor_network_theory).

المراجع

Abbate, J. (1999). *Inventing the Internet*. Cambridge, MA: MIT Press.

ADILKNO (Foundation for the Advancement of Illegal Knowledge) (1994). *Cracking the movement: Squatting beyond the media* (trans. L. Martz). New York: Autonomedia. (Originally published as *Bewegingsleer: Kraken aan gene zijde van de media*. Amsterdam: Uitgeverij Ravijn, 1990.)

Agre, P.E. (1998). "Designing genres for new media: Social, economic, and political contexts." In S.G. Jones (ed.), *Cybersociety 2.0: Revisiting computer-mediated communication and community*, pp. 69–99. Thousand Oaks, CA: Sage.

Alexander, J.C. (1996). "Collective action, culture and civil society: Secularizing, updating, inverting, revising and displacing the classical model of social movements." In J. Clark and M. Diani (eds.), *Alain Touraine*, pp. 205–234. London and Washington, DC: Falmer Press. (Originally published by Routledge, transferred to digital printing 2006.)

Alexander, J.C. (2006). *The civil sphere*. New York and Oxford: Oxford University Press.

Allen, D.W. (2003). "Rtmark: Viral activism and the meaning of 'post-identity.'" *Journal of the Midwest Modern Language Association*, 36(1), 6–24.

Almeida, P.D. and Lichbach, M.I. (2003). "To the Internet, from the Internet: Comparative media coverage of transnational protests." *Mobilization: An International Journal*, 8(3), 249–72.

Almeida, R.B., Mozafari, B., and Cho, J. (2007). *On the evolution of Wikipedia*. Presented at the first International Conference on Weblogs and Social Media, ICWSM 2007, Boulder, CO, March 26–8. Association for the Advancement of Artificial Intelligence.

Altheide, D.L. and Snow, R.P. (1988). "Toward a theory of mediation." In J.A. Anderson (ed.), *Communication Yearbook 11*, pp. 194–223. Newbury Park, CA: Sage.

Anarchy and the AoC (1993). *Declaration of digital independence*. Retrieved May 11, 2010: http://en.thehackademy.net/madchat/esprit/tetes/fuck/fuck0314.txt.

Andersen, J. and Skouvig, L. (2006). "Knowledge organization: A socio-historical analysis and critique." *Library Quarterly*, 76(3), 300–22.

Anderson, C. (2006). *"Actually existing" citizen journalism projects and typologies: Part 1. Blog post, Unpacking My Library*, July 31. Retrieved May 5, 2010: http://indypendent.typepad.com/academese/2006/07/index.html.

Anderson, C. (2008). *The long tail: Why the future of business is selling less of more* (1st paperback edn). New York: Hyperion.

Anderson, J.A. and Meyer, T. P. (1988) *Mediated communication: A social action perspective*. Newbury Park, CA: Sage.

Asen, R. (2000). "Seeking the 'counter' in counterpublics." *Communication Theory*, 10(4), 424–46.

Atton, C. (2002). *Alternative media*. London: Sage.

Atton, C. (2003). "Reshaping social movement media for a new millennium." *Social Movement Studies*, 2(1), 3–15.

Atton, C. (2004). *An alternative Internet*. New York: Columbia University Press.

Bailey, O., Cammaerts, B., and Carpentier, N. (2008). *Understanding alternative media*. London: Open University Press.

Baker, N. (2008). "The charms of Wikipedia." *New York Review of Books*, March 20, 6–10.

Barbrook, R. (2001). "HyperMedia freedom." In P. Ludlow (ed.), *Crypto anarchy, cyberstates, and pirate utopias*, pp. 47–58. Cambridge, MA: MIT Press.

Bazerman, C. (1988). *Shaping written knowledge: The genre and activity of the experimental article in science*. Madison: University of Wisconsin Press.

Bazerman, C. (1995). "Systems of genres and the enactment of social intentions." In A. Freedman and P. Medway (eds.), *Genre and the new rhetoric*, pp. 79–88. London: Taylor & Francis.

Beckerman, G. (2003). "Edging away from anarchy: Inside the Indymedia collective, passion vs. pragmatism." *Columbia Journalism Review*, September/October, 27–30.

Benjamin, W. (1968). "On some motifs in Baudelaire." In *Illuminations* (trans. H. Zohn; ed. and with an introduction by H. Arendt), pp. 155–94. New York: Schocken Books. (Originally published as *Illuminationen*. Frankfurt am Main: Suhrkamp Verlag, 1955.)

Benkler, Y. (2007). *The wealth of networks: How social production transforms markets and freedom*. New Haven, CT and London: Yale University Press.

Bennett, W.L. (2003). "Communicating global activism: Strengths and vulnerabilities of networked politics." *Information, Communication & Society*, 6(2), 143–68.

Bergman, M.K. (2001). "The deep web: Surfacing hidden value." *Journal*

of Electronic Publishing, 7(1). Online journal DOI, retrieved May 5, 2010: http://dx.doi.org/10.3998/3336451.0007.104.

Berlo, D.K. (1960). *The process of communication: An introduction to theory and practice.* New York: Holt.

Berry, D. and Theobald, J. (2006). *Radical mass media criticism: A cultural genealogy.* New York: Black Rose Books.

Beschastnikh, I., Kriplean, T., and McDonald, D.W. (2008) *Wikipedian self-governance in action: Motivating the policy lens.* ICWSM 2008: Proceedings of the Second International Conference on Weblogs and Social Media. Seattle, WA, March 30–April 2, pp. 27–35. Association for the Advancement of Artificial Intelligence.

Best, S. and Kellner, D. (1999). "Debord, cybersituations, and the interactive spectacle." *SubStance*, 28(3), Issue 90, 129–56.

Bey, H. (2003). *The Temporary Autonomous Zone, ontological anarchy, poetic terrorism* (2nd edn with new preface). Brooklyn, NY: Autonomedia. Retrieved May 5, 2010: http://www.hermetic.com/bey/taz_cont.html.

Bimber, B. (2000). "The study of information technology and civic engagement." *Political Communication*, 17, 329–33.

Bimber, B. (2003). *Information and American democracy: Technology in the evolution of political power.* Cambridge and New York: Cambridge University Press.

Boczkowski, P.J. (2004). *Digitizing the news: Innovation in online newspapers.* Cambridge, MA: MIT Press.

Boczkowski, P.J. and Lievrouw, L.A. (2008). "Bridging STS and communication studies: Scholarship on media and information technologies." In E. Hackett, O. Amsterdamska, M. Lynch, and J. Wajcman (eds.), *New handbook of science, technology and society*, pp. 951–77. Cambridge, MA: MIT Press (published in cooperation with the Society for Social Studies of Science).

Bolter, J.D. and Grusin, R. (1999). *Remediation: Understanding new media.* Cambridge, MA: MIT Press.

Borgman, C.L. (2007). *Scholarship in the digital age: Information, infrastructure, and the Internet.* Cambridge, MA: MIT Press.

Bourges, H. (ed.) (1968). *The French student revolt: The leaders speak.* New York: Hill and Wang.

Bowman, S. and Willis, C. (2003). *WeMedia: How audiences are shaping the future of news and information.* Reston, VA: The Media Center at the American Press Institute. Retrieved May 5, 2010: http://www.hypergene.net/wemedia/.

Boyd, A. (2003). "The web rewires the movement." *The Nation*, July 17. Retrieved May 5, 2010: http://www.thenation.com/issue/august-4-2003

Braman, S. (2002). *Defining tactical media: An historical overview.* New

York: Virtual Casebook Project, New York University. Retrieved May 5, 2010: http://www.nyu.edu/fas/projects/vcb/case_911/reverberations/braman2.html.
Brock, G. (2008). "Pencilled out." *Times Literary Supplement*, November 28, 23.
Broder, A., Kumar, R., Maghoul, F., Raghavan, P., Rajagopalan, S., Stata, R., Tomkins, A., and Wiener, J. (2000). *Graph structure in the Web*. IBM Almaden Research Center. Retrieved May 5, 2010 from the Internet Archive: http://web.archive.org/web/20000815202357/www.almaden.ibm.com/cs/k53/www9.final.
Bush, V. (1945). "As we may think." *The Atlantic*, July, 101–8. Retrieved May 5, 2010: http://www.theatlantic.com/doc/194507/bush.
Calabrese, A. (2004). "Virtual nonviolence? Civil disobedience and political violence in the information age." *Info: The Journal of Policy, Regulation and Strategy for Telecommunications*, 6(5), 326–38.
Caldwell, R. (2003). "The guru of conscientious consumption." *Toronto Globe & Mail*, January 18, R11.
Cammaerts, B. and van Audenhove, L. (2005). "Online political debate, unbounded citizenship, and the problematic nature of a transnational public sphere." *Political Communication*, 22(2), 179–96.
Carducci, V. (2006). "Culture jamming: A sociological perspective." *Journal of Consumer Culture*, 6(1), 116–38.
Carr, C. (2003). "Dow v. Thing: A free-speech infringement that's worse than censorship." *Village Voice*, January 17. Retrieved May 5, 2010: http://www.villagevoice.com/2003-01-21/news/dow-v-thing/1.
Carr, D. (2008). "Mourning old media's decline." *New York Times*, October 29, B1.
Carroll, W.K. and Hackett, R.A. (2006). "Democratic media activism through the lens of social movement theory." *Media, Culture & Society*, 28(1), 83–104.
Castells, M. (1996). *The rise of the network society. The information age: Economy, society and culture, vol. 1*. Oxford: Blackwell.
Castells, M. (1997). *The power of identity. The information age: Economy, society and culture, vol. 2*. Oxford: Blackwell.
Castells, M. (2009). *Communication power*. Oxford and New York: Oxford University Press.
Castronova, E. (2003). "On virtual economies." *Game Studies*, 3(2). Retrieved May 5, 2010: http://www.gamestudies.org/0302/castronova/.
Chadwick, A. (2006). *Internet politics: States, citizens, and new communication technologies*. New York and Oxford: Oxford University Press.
Chandler, D. (2000). *An introduction to genre theory*. Retrieved May 5, 2010: http://www.aber.ac.uk/media/Documents/intgenre/intgenre1.html.

Chavoya, C.O. (2004). "The Surveillance Camera Players." In N. Thompson and G. Sholette (eds.), *The interventionists: Users' manual for the creative disruption of everyday life*, pp. 83–6. North Adams, MA: MASS MoCA Publications, distributed by MIT Press.

Chesney, T. (2006). "An empirical examination of Wikipedia's credibility." *First Monday, 11*(11), November 6. Retrieved October 17, 2009: http://firstmonday.org/issues/issue11_11/chesney/index.html.

Chollet, L. (2004). *Les situationnistes: L'utopie incarnée.* Paris: Gallimard.

Ciffolilli, A. (2003). "Phantom authority, self-selective recruitment and retention of members in virtual communities: the case of Wikipedia." *First Monday*, 8(12). Retrieved May 5, 2010: http://firstmonday.org/htbin/cgiwrap/bin/ojs/index.php/fm/issue/view/165.

Cleaver, H. (1994). "The Chiapas uprising." *Studies in Political Economy*, 44, 141–57.

Cleaver, H. (1998). *The Zapatistas and the international circulation of struggle: Lessons suggested and problems raised.* Paper presented at the INET98 Conference, Geneva, Switzerland, July. Retrieved August 8, 2010: http://www.eco.utexas.edu/faculty/Cleaver/lessons.html.

Cohen, J.E. (2003). "DRM and privacy." *Berkeley Technology Law Journal*, 18, 575–617.

Cohen, J.E. (2006). "Pervasively distributed copyright enforcement." *Georgetown Law Journal*, 95(1), 1–48.

Cohen, N. (2009). "Slowing down wiki writers." *New York Times*, August 25, B1, B5.

Coleman, J.S. (1990). *Foundations of social theory.* Cambridge, MA: The Belknap Press of Harvard University Press.

Coleman, S. (2005). "The lonely citizen: Indirect representation in the age of networks." *Political Communication*, 22(2), 197–214.

Collins, J. (1995). *Architectures of excess: Cultural life in the information age.* London: Routledge.

Couldry, N. (2008). "Mediatization or mediation? Alternative understandings of the emergent space of digital storytelling." *New Media & Society*, 10(3), 373–91.

Cramer, F. (2009). "Ubermorgen.com's hyperactive melancholy." In A. Ludovico (ed.), *Ubermorgen.com: Media hacking vs. conceptual art/Hans Bernhard and LIZVLX*, pp. 186–7. Basel: Christoph Merian Verlag.

Critical Art Ensemble (1994). "Nomadic power and cultural resistance." In *The electronic disturbance*, pp. 11–30. New York: Autonomedia. Retrieved May 5, 2010: http://www.critical-art.net/books/ted/.

Crowston, K. and Williams, M. (2000). "Reproduced and emergent genres of communication on the World Wide Web." *The Information Society*, 16, 201–15.

Crozier, M. (1996). "Alain Touraine: A pioneer in the new French sociology." In J. Clark and M. Diani (eds.), *Alain Touraine*, pp. 9–16. London and Washington, DC: Falmer Press. (Originally published by Routledge, transferred to digital printing 2006).

Cubitt, S. (2006). "Tactical media." In K. Sarikakis and D.K. Thussu (eds.), *Ideologies of the Internet*, pp. 35–46. Cresskill, NJ: Hampton Press.

Cudmore, J. (2009). *Who's behind the hoax?* CBC News, December 14. Retrieved May 5, 2010: http://www.cbc.ca/politics/insidepolitics/2009/12/whos-behind-the-hoax.html.

Dachy, M. (2006). *Dada: The revolt of art* (trans. L. Nash). New York: Abrams. (Originally published as *Dada, la révolte de l'art*. Paris: Gallimard, 2005.)

Dahlgren, P. (2005). "The Internet, public spheres, and political communication: Dispersion and deliberation." *Political Communication*, 22(2), 147–62.

Dalby, A. (2007). "Wikipedia(s) on the language map of the world." *English Today* 90, 23(2), 3–8.

Darnton, R. (2009). *The case for books: Past, present and future*. New York: PublicAffairs.

Dawkins, R. (1976). *The selfish gene*. Oxford: Oxford University Press.

Debord, G. (1981a). "Theory of the dérive." In K. Knabb (ed. and trans.), *Situationist International anthology*, pp. 50–4. Berkeley, CA: Bureau of Public Secrets. (Originally published in *Internationale Situationniste*, 2, 1958.)

Debord, G. (1981b). "Detournement as negation and prelude." In K. Knabb (ed. and trans.), *Situationist International anthology*, pp. 55–6. Berkeley, CA: Bureau of Public Secrets. (Originally published in *Internationale Situationniste*, 3, 1959.)

Debord, G. (1981c). "Instructions for taking up arms." In K. Knabb (ed. and trans.), *Situationist International anthology*, pp. 63–4. Berkeley, CA: Bureau of Public Secrets. (Originally published in *Internationale Situationniste*, 6, 1961.)

Debord, G. (1994). *The society of the spectacle* (trans. D. Nicholson-Smith). New York: Zone Books. (Originally published as *La société du spectacle*. Paris: Buchet-Chastel, 1967.)

Debord, G. (2003). *In girum imus nocte et consumimur igni* (film soundtrack). Trans. K. Knabb (from the original film, released 1978). Retrieved May 5, 2010: http://www.bopsecrets.org/SI/debord.films/ingirum.htm.

Debord, G. and Wolman, G.J. (1981). "Methods of detournement." In K. Knabb (ed. and trans.), *Situationist International anthology*, pp. 8–14. Berkeley, CA: Bureau of Public Secrets. (Originally published in *Les Lèvres Nues*, 8, May 1956.)

Deleuze, G. and Guattari, F. (1987). *A thousand plateaus: Capitalism and schizophrenia* (trans. B. Massumi). Minneapolis: University of Minnesota Press. (Originally published as *Mille plateaux*, Vol. 2 of *Capitalisme et schizophrénie*. Paris: Les Éditions de Minuit, 1980.)

Delio, M. (2002). "DMCA: Dow what it wants to do." *Wired*, December 31. Retrieved August 1, 2010: http://www.wired.com/politics/law/news/2002/12/57011.

della Porta, D. and Diani, M. (2006). *Social movements: An introduction* (2nd edn). Malden, MA and Oxford: Blackwell.

DeLong, J.B. (2003). "Any text. Anytime. Anywhere. (Any volunteers?) The mechanics of a universal library are simple. The tricky part: Harnessing the free labor." *Wired* 11.2. Retrieved January 14, 2010: http://www.wired.com/wired/archive/11.02/view.html?pg=5.

Dery, M. (1990). "The Merry Pranksters and the art of the hoax." *New York Times*, December 23. Retrieved August 16, 2010: http://www.nytimes.com/1990/12/23/arts/the-merry-pranksters-and-the-art-of-the-hoax.html.

Dery, M. (1993). "Culture jamming: Hacking, slashing and sniping in the empire of signs." Westfield, NJ: *Open Magazine Pamphlet Series*. Retrieved May 5, 2010: http://www.markdery.com/archives/books/culture_jamming/#000005#more.

Deuze, M. (2001). "Online journalism: Modelling the first generation of news media on the World Wide Web." *First Monday*, 6(10). Retrieved September 15, 2009: http://firstmonday.org/issues/issue6_10/deuze/index.html

Deuze, M. (2003). "The web and its journalisms: Considering the consequences of different types of newsmedia online." *New Media & Society*, 5(2), 203–30.

Deuze, M. (2006). "Participation, remediation, bricolage: Considering principal components of a digital culture." *The Information Society*, 22(2), 63–76.

Diani, M. (2003). "Networks and social movements: A research programme." In M. Diani and D. McAdam (eds.), *Social movements and networks: Relational approaches to collective action*, pp. 299–319. Oxford and New York: Oxford University Press.

Diani, M. and Eyerman, R. (1992). "The study of collective action: Introductory remarks." In M. Diani and R. Eyerman (eds.), *Studying collective action*, pp. 1–21. London and Newbury Park, CA: Sage.

Dickerman, L. (2005). "Introduction." In *Dada: Zurich, Berlin, Hannover, Cologne, New York, Paris* (with essays by B. Doherty, D. Dietrich, S.T. Kriebel, M.R. Taylor, J. Mileaf, and M.S. Witkovsky), pp. 1–15. (Catalogue of an exhibition held at the Centre Pompidou, Paris, October 5, 2005–January 9, 2006; the National Gallery of Art, Washington, February

19–May 14, 2006; and the Museum of Modern Art, New York, June 18–September 11, 2006.) Washington, DC: National Gallery of Art.
Dillon, A. and Gushrowski, B.A. (2000). "Genres and the Web: Is the personal home page the first uniquely digital genre?" *Journal of the American Society for Information Science*, 51(2), 202–5.
Downey, J. and Fenton, N. (2003). "New media, counter publicity and the public sphere." *New Media & Society*, 5(2), 185–202.
Downing, J. (2003). "The independent media center movement and the anarchist socialist tradition." In N. Couldry and J. Curran (eds.), *Contesting media power: Alternative media in a networked world*, pp. 243–57. Lanham, MD: Rowman & Littlefield.
Downing, J. (2008). "Social movement theories and alternative media: An evaluation and critique." *Communication, Culture & Critique*, 1(1), 40–50.
Downing, J., with Ford, T.V., Gil, G., and Stein, L. (2001). *Radical media: Rebellious communication and social movements*. London: Sage.
Duguid, P. (2006). "Limits of self-organization: Peer production and 'laws of quality.'" *First Monday*, 11(10). Retrieved May 5, 2010: http://firstmonday.org/htbin/cgiwrap/bin/ojs/index.php/fm/issue/view/204.
Durlak, J.T. (1987). "A typology for interactive media." In M.L. McLaughlin (ed.), *Communication Yearbook 10*, pp. 743–56. Newbury Park, CA: Sage.
Dutton, W.H. (2009). "The fifth estate emerging through the network of networks." *Prometheus*, 27(1), 1–15.
Eco, U. (1986). "Towards a semiological guerrilla warfare." In *Travels in hyperreality* (trans. W. Weaver), pp. 135–50. New York: Harcourt Brace Jovanovich.
Economist (2006a). "The wiki principle (in: Among the audience: A survey of new media)." April 22, 14–15.
Economist (2006b). "Who killed the newspaper?" August 26, 9–10.
Economist (2006c). "More media, less news." August 26, 52–4.
Economist (2008a). "Nomads at last: A special report on mobile telecoms." April 12, Technology Quarterly section, 3–5.
Economist (2008b). "The broadband myth." May 23.
Egbert, D.D. (1970). *Social radicalism and the arts: Western Europe*. New York: Alfred A. Knopf (a Borzoi Book).
Eschenfelder, K.R. (2005). "Chasing down the social meaning of DeCSS: Investigating the Internet posting of DVD circumvention software." *Bulletin of the American Society for Information Science & Technology*, 31(5), 21–4.
Eschenfelder, K.R. and Desai, A.C. (2004). "Software as protest: The unexpected resiliency of U.S.-based DeCSS posting and linking." *The Information Society*, 20(2), 101–16.
Eyerman, R. (1992). "Modernity and social movements." In H. Haferkamp

and N.J. Smelser (eds.), *Social change and modernity*, pp. 37–54. Berkeley, Los Angeles, and Oxford: University of California Press.
Fallis, D. (2008). "Toward an epistemology of Wikipedia." *Journal of the American Society for Information Science and Technology*, 59(10), 1662–74.
Fallis, D. (2009). "Introduction: The epistemology of mass collaboration." *Episteme*, 6(1), 1–7.
Farb, S.E. (2006). *Negotiating use, persistence and archiving: A study of academic library and publisher perspectives on licensing digital resources.* Unpublished Ph.D. dissertation. Los Angeles, CA: University of California, Los Angeles, Department of Information Studies.
Flanagin, A.J., Stohl, C., and Bimber, B. (2006). "Modeling the structure of collective action." *Communication Monographs*, 73(1), 29–54.
Ford, S. (2005). *The Situationist International: A user's guide*. London: Black Dog Publishing.
Ford, T.V. and Gil, G. (2001). "Radical internet use." In J. Downing, with T.V. Ford, G. Gil, and L. Stein, *Radical media: Rebellious communication and social movements*, pp. 201–34. Thousand Oaks, CA and London: Sage.
Fornäs, J. (2002). "Passages across thresholds: Into the borderlands of mediation." *Convergence*, 8(4), 89–106.
Foucault, M. (1986). "Of other spaces." *Diacritics*, 16(1), 22–7.
Foucault, M. (2002). *The order of things: An archaeology of the human sciences*. Oxford and New York: Routledge Classics. (Originally published as *Les mots et les choses*. Paris: Éditions Gallimard, 1966.)
Frank, T. (1997). "Why Johnny can't dissent." In T. Frank and M. Weiland (eds.), *Commodify your dissent: The business of culture in the new Gilded Age*, pp. 31–45. New York: W.W. Norton.
Frank, T. (2000). "New consensus for old: Cultural studies from left to right." In *One market under God: Extreme capitalism, market populism, and the end of economic democracy*, pp. 276–306. New York: Doubleday.
Frank, T. and Mulcahey, D. (1997). "Consolidated Deviance, Inc." In T. Frank and M. Weiland (eds.), *Commodify your dissent: The business of culture in the new Gilded Age*, pp. 72–8. New York: W.W. Norton.
Freedman, A., and Medway, P. (eds.) (1994). *Genre and the new rhetoric*. London: Taylor & Francis.
Gamson, J. (2003). "Gay Media, Inc.: Media structures, the new gay conglomerates, and collective sexual identities." In M. McCaughey and M.D. Ayers (eds.), *Cyberactivism: Online activism in theory and practice*, pp. 255–78. New York and London: Routledge.
Garcia, D. and Lovink, G. (1997). *The ABC of tactical media*. Retrieved May 5, 2010: http://subsol.c3.hu/subsol_2/contributors2/garcia-lovinktext.html.
Garrett, R.K. (2006). "Protest in an information society: A review

of literature on social movements and new ICTs." *Information, Communication & Society*, 9(2), 202–24.
Garrido, M. and Halavais, A. (2003). "Mapping networks of support for the Zapatista movement: Applying social-networks analysis to study contemporary social movements." In M. McCaughey and M.D. Ayers (eds.), *Cyberactivism: Online activism in theory and practice*, pp. 165–84. New York and London: Routledge.
Getty Center (2006). *Agitated images: John Heartfield and German photomontage, 1920–1938*. Exhibition at the Getty Center Research Institute, February 21–June 25. Los Angeles: The Getty Center. Abstract and images from the exhibition online, retrieved May 5, 2010: http://www.getty.edu/art/exhibitions/heartfield/.
Giddens, A. (1979). *Central problems in social theory: Action, structure and contradiction in social analysis*. Berkeley and Los Angeles: University of California Press.
Giddens, A. (1984). *The constitution of society: Outline of the theory of structuration*. Berkeley and Los Angeles: University of California Press.
Giles, J. (2005). "Internet encyclopaedias go head to head." *Nature*, 438(15), 900–1.
Gillespie, T. (2007). *Wired shut: Copyright and the shape of digital culture*. Cambridge, MA: MIT Press.
Gladwell, M. (2002). *The tipping point: How little things can make a big difference*. New York: Random House.
Glazer, M. (2006). "Your guide to citizen journalism." *PBS Mediashift* (weblog hosted by the Public Broadcasting Service), September 27. Retrieved May 5, 2010: http://www.pbs.org/mediashift/2006/09/your-guide-to-citizen-journalism270.html.
Godwin, M. (1999). "Who's a journalist? – II." *Media Studies Journal*, 13(2), 38–42.
Golding, P. and Murdock, G. (1978). "Theories of communication and theories of society." *Communication Research*, 5(3), 320–9.
Goldman, A.I. (1999). *Knowledge in a social world*. New York and Oxford: Oxford University Press.
Goodchild, M.F. (2004). "The Alexandria Digital Library Project." *D-Lib Magazine*, 10(5). Retrieved May 5, 2010: http://www.dlib.org/dlib/may04/goodchild/05goodchild.html.
Goodrum, A. and Manion, M. (2000). "The ethics of hacktivism." *Journal of Information Ethics*, 9(2), 51–9.
Graham, M. (2000). "The threshold of the information age: Radio, television and motion pictures mobilize the nation." In A.D. Chandler, Jr. and J.W. Cortada (eds.), *A nation transformed by information*, pp. 137–76. Oxford and New York: Oxford University Press.

Graham, P. (2005). *What business can learn from open source.* Essay based on a talk at OSCON (O'Reilly Open Source Convention), August 1–5, Portland, OR. Retrieved May 5, 2010: http://paulgraham.com/opensource.html.

Gray, C. (ed. and trans.) (1998). *Leaving the 20th century: The incomplete work of the Situationist International.* London: Rebel Press. (Originally published by Free Fall Press, 1974.)

Guerrero, F., Myerson, S., and Jain, V. (2003). "The art of confusion." (Interview with Frank Guerrero of ®™ark.) In J. Richardson (ed.), *Anarchitexts: A Subsol Anthology,* pp. 129–33. Brooklyn, NY: Autonomedia.

Gumpert, G. (1988). "Linguistic character and a theory of mediation." In J.A. Anderson (ed.), *Communication Yearbook 11,* pp. 230–6. Newbury Park, CA: Sage.

Gumpert, G. and Cathcart, R. (1986) *Inter/Media: Interpersonal communication in a media world* (3rd edn). Oxford and New York: Oxford University Press.

Gumpert, G. and Cathcart, R. (1990) "A theory of mediation." In B.D. Ruben and L.A. Lievrouw (eds.), *Mediation, information, and communication: Information & behavior, vol. 3,* pp. 21–36. New Brunswick, NJ: Transaction.

Gusfield, J.R. (1994). "The reflexivity of social movements: Collective behavior and mass society theory revisited." In E. Laraña, H. Johnston, and J.R. Gusfield (eds.), *New social movements: From ideology to identity,* pp. 58–78. Philadelphia, PA: Temple University Press.

Habermas, J. (1981). "New social movements." *Telos,* 49, 33–7.

Hakken, D. (1993). "Computing and social change: New technology and workplace transformation, 1980–1990." *Annual Review of Anthropology,* 22, 107–32.

Hakken, D. and Andrews, B. (1993). *Computing myths, class realities: An ethnography of technology and working people in Sheffield, England.* Boulder, CO: Westview Press.

Halleck, D. (2002). *Hand-held visions.* New York: Fordham University Press.

Halleck, D. (2003). "Indymedia: Building an international activist Internet network." *Media Development,* 12–16. Retrieved May 5, 2010: http://newmedia.yeditepe.edu.tr/pdfs/isimd_04/12.pdf.

Hammond, T., Hannay, T., Lund, B., and Scott, J. (2005). "Social bookmarking tools (I)." *D-Lib Magazine,* 11(4). Retreived May 5, 2010: http://www.dlib.org//dlib/april05/hammond/04hammond.html.

Hampton, K.N. (2003). "Grieving for a lost network: Collective action in a wired suburb." *The Information Society,* 19, 417–28.

Hardt, M. and Negri, A. (2000). *Empire*. Cambridge, MA: Harvard University Press.
Hardt, M. and Negri, A. (2002). "Marx's mole is dead! Globalization and communication." *Eurozine*, February 13. Retrieved September 1, 2009: http://www.eurozine.com/articles/2002-01-13-hardtnegri-en.html.
Hardt, M. and Negri, A. (2004). *Multitude: war and democracy in the age of empire*. New York: Penguin Books.
Harold, C. (2004). "Pranking rhetoric: 'Culture jamming' as media activism." *Critical Studies in Media Communication*, 21(3), 189–211.
Hartmann, M. (2004). *Technologies and utopias: The cyberflâneur and the experience of "being online."* Munich: R. Fischer.
Hawkins, R.P., Wiemann, J.M., and Pingree, S. (eds.) (1988). *Advancing communication science: Merging mass media and interpersonal processes*. Newbury Park, CA: Sage.
Hebdige, D. (1979). *Subculture: The meaning of style*. London and New York: Routledge.
Helfand, G. (2001). "Q&A with RTMark, media activists: Raging against the corporate machine." *San Francisco Chronicle/SFGate*, June 12. Retrieved May 5, 2010: http://www.sfgate.com/cgi-bin/article.cgi?file=/gate/archive/2001/06/12/rtmark.DTL.
Helft, M. (2010). "Despite changes, many still oppose Google Books deal." *New York Times*, January 28. Retrieved May 10, 2010: http://bits.blogs.nytimes.com/2010/01/28/despite-changes-many-still-oppose-google-books-deal/.
Henning, J. (2003). "The blogging iceberg: Of 4.12 million weblogs, most little seen and quickly abandoned." *Bnet business blog*, October 6. Retrieved May 5, 2010: http://findarticles.com/p/articles/mi_m0EIN/is_2003_Oct_6/ai_108559565/.
Herring, S. (2004). "Slouching toward the ordinary: Current trends in computer-mediated communication." *New Media & Society*, 6(1), 26–36.
Holmes, B. (2007). "Do-it-yourself geopolitics: Cartographies of art in the world." In B. Stimson and G. Sholette (eds.), *Collectivism after modernism: The art of social imagination after 1945*, pp. 272–93. Minneapolis: University of Minnesota Press.
Hopkins, D. (2004). *Dada and Surrealism: A very short introduction*. Oxford and New York: Oxford University Press.
Howe, J. (2008). *Crowdsourcing: Why the power of the crowd is driving the future of business*. New York: Crown Business.
Huesca, R. (2001). "Conceptual contributions of new social movements to development communication research." *Communication Theory*, 11(4), 415–33.

Hughes, R. (1991). *The shock of the new* (rev. edn). New York: Alfred A. Knopf.

Hyde, G. (2002). "Independent Media Centers: Cyber-subversion and the alternative press." *First Monday*, 7(4). Retrieved May 5, 2010: http://firstmonday.org/htbin/cgiwrap/bin/ojs/index.php/fm/issue/view/144.

Irr, C. (2003). "On ®™ark, or the limits of intellectual property activism." In M. Bousquet and K. Wills (eds.), *The politics of information: The electronic mediation of social change*, pp. 195–203. Alt-X Press/Electronic Book Review. Retrieved May 5, 2010: http://www.altx.com/ebooks/download.cfm/infopol.pdf.

Ito, M. (2009). "Mobilizing the imagination in everyday play: The case of Japanese media mixes." In L.A. Lievrouw and S. Livingstone (eds.), *Sage Benchmarks in Communication: New Media, vol. 3*, pp. 384–403. London: Sage. (Originally published in K. Drotner and S. Livingstone (eds.), *The international handbook of children, media and culture*, pp. 397–412, London: Sage, 2008.

Jankowski, N.W. and Jansen, M. (2003). *Indymedia: Exploration of an alternative Internet-based source of movement news.* Paper presented at the Digital News, Social Change and Globalization Conference, Hong Kong Baptist University, December 11–12. Retrieved May 5, 2010: http://www.hkbu.edu.hk/~jour/DN2003/Nicholas.html.

Jappe, A. (1999). *Guy Debord* (trans. D. Nicholson-Smith, with foreword by T.J. Clark and new afterword by the author). Berkeley and Los Angeles: University of California Press.

Jeanneney, J.-N. (2007). *Google and the myth of universal knowledge: A view from Europe.* Chicago and London: University of Chicago Press.

Jenkins, H. (2006). *Convergence culture: Where old and new media collide.* New York: New York University Press.

Jenkins, H. and Thorburn, D. (2003). "Introduction: the digital revolution, the informed citizen, and the culture of democracy." In H. Jenkins and D. Thorburn (eds.), *Democracy and new media*, pp. 1–17. Cambridge, MA: MIT Press.

Johnston, H., Laraña, E., and Gusfield, J.R. (1994). "Identities, grievances, and new social movements." In E. Laraña, H. Johnston, and J.R. Gusfield (eds.), *New social movements: From ideology to identity*, pp. 3–35. Philadelphia, PA: Temple University Press.

Johnston, H. and Noakes, J.A. (2005). *Frames of protest: Social movements and the framing perspective.* Lanham, MD: Rowman & Littlefield.

Jones, S.G. (1998). "Information, internet, and community: Notes toward an understanding of community in the information age." In S.G. Jones (ed.), *Cybersociety 2.0: Revisiting computer-mediated communication and community*, pp. 1–34. Thousand Oaks, CA: Sage.

Jordan, T. and Taylor, P.A. (2004). *Hacktivism and cyberwars: Rebels with a cause?* London: Routledge.
Jouet, J. (1994). "Communication and mediation." *Reseaux*, 2(1), 73–90.
Juris, J.S. (2005). "The new digital media and activist networking within anti-corporate globalization movements." *Annals of the American Academy of Political and Social Science*, 597, 189–208.
Juris, J.S. (2008). *Networking futures: The movements against corporate globalization*. Durham, NC: Duke University Press.
Kahn, R. and Kellner, D. (2003). "Internet subcultures and oppositional politics." In D. Muggleton and R. Weinzierl (eds.), *The post-subcultures reader*, pp. 299–314. Oxford and New York: Berg.
Kahn, R. and Kellner, D. (2004). "New media and internet activism: From the 'Battle of Seattle' to blogging." *New Media & Society*, 6(1), 87–95.
Kahn, R. and Kellner, D. (2005). "Oppositional politics and the Internet: A critical/reconstructive approach." *Cultural Politics*, 1(1), 75–100.
Katz, E. (2006). "Introduction to the Transaction edition: Lazarsfeld's legacy – The power of limited effects." In E. Katz and P.F. Lazarsfeld, *Personal influence: The part played by people in the flow of mass communications* (2nd edn), pp. xv–xxvii. New Brunswick, NJ and London: Transaction. (Originally published by The Free Press, 1955.)
Katz, E. and Lazarsfeld, P.F. (2006). *Personal influence: The part played by people in the flow of mass communications* (2nd edn). New Brunswick, NJ and London: Transaction. (Originally published by Free Press, 1955.)
Kaufmann, V. (2006). *Guy Debord: Revolution in the service of poetry* (trans. R. Bononno). Minneapolis: University of Minnesota Press. (Originally published as *Guy Debord: La révolution au service de la poésie*. Paris: Librairie Arthème Fayard, 2001.)
Keane, J. and Mier, P. (1989). "Editors' preface." In A. Melucci, *Nomads of the present: Social movements and individual needs in contemporary society* (ed. J. Keane and P. Mier), pp. 1–9. London: Hutchinson Radius, an imprint of Century Hutchinson Ltd.
Keck, M.E. and Sikkink, K. (1998). *Activists beyond borders: Advocacy networks in international politics*. Ithaca, NY: Cornell University Press.
Keen, A. (2007). *The cult of the amateur: How blogs, MySpace, YouTube, and the rest of today's user-generated media are destroying our economy, our culture, and our values*. New York: Doubleday.
Kelty, C. (2008). *Two bits: The cultural significance of free software and the internet*. Durham, NC: Duke University Press.
Kershaw, S. (2008). "A different way to pay for the news you want." *New York Times*, August 24, Week in Review section, p. 1.
Khamis, S. (2003). "Jamming at work: The politics and play of ®™ark."

M/C Journal, 6(3). Retrieved May 5, 2010: http://journal.media-culture.org.au/0306/04-jamming.php.

Kidd, D. (2003). "Indymedia.org: A new communications commons." In M. McCaughey and M.D. Ayers (eds.), *Cyberactivism: Online activism in theory and practice*, pp. 47–69. New York and London: Routledge.

Kittur, A., Chi, E., Pendleton, B.A., Suh, B., and Mytkowicz, T. (2007). *Power of the few vs. wisdom of the crowd: Wikipedia and the rise of the bourgeoisie*. Alt.CHI at the 25th Annual ACM Conference on Human Factors in Computing Systems (CHI '07). Retrieved August 9, 2010: http://www.parc.com/publication/1749/power-of-the-few-vs-wisdom-of-the-crowd.html.

Kittur, A. and Kraut, R.E. (2008). "Harnessing the wisdom of crowds in Wikipedia: Quality through coordination." *CSCW '08: Proceedings of the ACM 2008 Conference on Computer Supported Cooperative Work*, San Diego, CA, November 8–12, pp. 37–46.

Klandermans, B. (1991). "New social movements and resource mobilization: The European and the American approach revisited." In D. Rucht (Ed.), *Research on social movements: The state of the art in Western Europe and the USA*, pp. 17–44. Frankfurt am Main and Boulder, CO: Campus Verlag/Westview Press.

Laermans, R. and Gielen, P. (2007). "The archive of the digital an-archive." *Image & Narrative*, 17. Retrieved May 5, 2010: http://www.imageandnarrative.be/digital_archive/laermans_gielen.htm.

Langman, L. (2005). "From virtual public spheres to global justice: A critical theory of internetworked social movements." *Sociological Theory*, 23(1), 42–74.

Lasica, J.D. (2003). "What is participatory journalism?" *Online Journalism Review*, August 7. Retrieved May 5, 2010: http://www.ojr.org/ojr/workplace/1060217106.php

Lasn, K. (2000). *Culture jam: How to reverse America's suicidal consumer binge – and why we must*. New York: HarperCollins.

Latour, B. (2005). *Reassembling the social: An introduction to actor-network theory*. Oxford: Oxford University Press.

Law, J. and Hassard, J. (1999). *Actor network theory and after*. Oxford: Blackwell/The Sociological Review.

Lefebvre, H. (1971). *Everyday life in the modern world* (trans. S. Rabinovitch). New York: Harper & Row. (Originally published as *Vie quotidienne dans le mode moderne*. Paris: Gallimard "Idées," 1968.)

Leibowitz, B. (2003). "Hack, hacker, hacking." In T.F. Peterson, *Nightwork: A history of hacks and pranks at MIT*, p. 4. Cambridge, MA: MIT Press.

Lemann, N. (2006). "Amateur hour: Journalism without journalists." *The New Yorker*, August 7 and 14, 44–9.

Leonard, A. (1999). "Open-source journalism." *Salon.com*, October 8. Retrieved May 5, 2010: http://www.salon.com/tech/log/1999/10/08/geek_journalism/.

Lessig, L. (2001). *The future of ideas*. New York: Random House.

Lévy, P. (1999). *Collective intelligence: Mankind's emerging world in cyberspace* (trans. R. Bononno). New York and London: Plenum Trade.

Levy, S. (1984). *Hackers: Heroes of the computer revolution*. Garden City, NY: Anchor/Doubleday.

Lievrouw, L.A. (1994). "Information resources and democracy: Understanding the paradox." *Journal of the American Society for Information Science*, 45(6), 350–7.

Lievrouw, L.A. (1998). "Our own devices: Heterotopic communication, discourse and culture in the information society." *The Information Society*, 14(2), 83–96.

Lievrouw, L.A. (2001). "New media and the 'pluralization of life-worlds': A role for information in social differentiation." *New Media & Society*, 3(1), 7–28.

Lievrouw, L.A. (2004). "What's changed about new media? Introduction to the fifth anniversary issue." *New Media & Society*, 6(1), 9–15.

Lievrouw, L.A. (2006a). "Oppositional and activist new media: Remediation, reconfiguration, participation." In I. Wagner and J. Blomberg (eds.), *Proceedings of the Participatory Design Conference '06*, Trento, Italy, July 31–August 5, pp. 115–24. Seattle: Computer Professionals for Social Responsibility.

Lievrouw, L.A. (2006b). "New media design and development: Diffusion of innovations v. social shaping of technology." In L.A. Lievrouw and S. Livingstone (eds.), *Handbook of new media* (updated student edn), pp. 246–65. London: Sage.

Lievrouw, L.A. (2008). "Oppositional new media, ownership, and access: From consumption to reconfiguration and remediation." In R.E. Rice (ed.), *Media ownership: Research and regulation*, pp. 391–416. Cresskill, NJ: Hampton Press.

Lievrouw, L.A. (2009). "New media, mediation, and communication study." *Information, Communication & Society*, 12(3), 303–25.

Lievrouw, L.A. and Livingstone, S. (2002). "Introduction." In L.A. Lievrouw and S. Livingstone (eds.), *Handbook of new media* (1st edn), pp. 1–15. London: Sage.

Lievrouw, L.A. and Livingstone, S. (2006). "Introduction to the updated student edition." In L.A. Lievrouw and S. Livingstone (eds.), *Handbook of new media* (updated student edn), pp. 1–14. London: Sage.

Lievrouw, L.A. and Ruben, B.D. (1990) "Introduction to Part I: Theories of mediation – Views of the communication process." In B.D. Ruben

and L.A. Lievrouw (eds.), *Mediation, information and communication: Information & behavior, vol. 3*, pp. 3–7. New Brunswick, NJ: Transaction.

Lih, A. (2004). *Wikipedia as participatory journalism: Reliable sources? Metrics for evaluating collaborative media as a news resource.* Paper presented at the 5th International Symposium for Online Journalism, Austin, TX, April 16–17. Retrieved May 5, 2010: http://citeseerx.ist.psu.edu/viewdoc/download?doi=10.1.1.117.9104&rep=rep1&type=pdf.

Lippard, L. (ed.) (1971). "Introduction." In L. Lippard (ed.), *Dadas on art: Tzara, Arp, Duchamp, and others*, pp. 1–12. Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.

Litman, J. (2001). *Digital copyright.* Amherst, NY: Prometheus Books.

Livingstone, S. (1990). *Making sense of television: The psychology of audience interpretation.* London: Pergamon.

Livingstone, S. (2009). "On the mediation of everything." *Journal of Communication*, 59(1), 1–18.

Lovink, G. (1997). "The data dandy and sovereign media: An introduction to the media theory of ADILKNO." *Leonardo*, 30(1), 57–65.

Lovink, G. (2008). *Zero comments: Blogging and critical Internet culture.* New York: Routledge.

Lovink, G. and Richardson, J. (2001). *Notes on sovereign media.* Retrieved May 5, 2010: http://subsol.c3.hu/subsol_2/contributors0/lovinkrichardsontext.html.

Lovink, G. and Rossiter, N. (2007a). "Proposals for creative research: Introduction to the MyCreativity Reader." In G. Lovink and N. Rossiter (eds.), *MyCreativity reader: A critique of creative industries*, pp. 9–16. Amsterdam: Institute of Network Cultures. Retrieved May 5, 2010: http://networkcultures.org/wpmu/portal/archive/.

Lovink, G. and Rossiter, N. (eds.) (2007b). *MyCreativity reader: A critique of creative industries.* Amsterdam: Institute of Network Cultures. Retrieved May 5, 2010: http://networkcultures.org/wpmu/portal/archive/.

Ludlow, P. (ed.) (2001). *Crypto anarchy, cyberstates, and pirate utopias.* Cambridge, MA: MIT Press.

Ludovico, A. (ed.) (2009). *Ubermorgen.com: Media hacking vs. conceptual art/Hans Bernhard and LIZVLX.* Basel: Christoph Merian Verlag.

Lunenfeld, P. (forthcoming). *The secret war between uploading and downloading: How the computer became our culture machine.* Cambridge, MA: MIT Press. (Excerpt retrieved May 5, 2010: http://www.peterlunenfeld.com/publications/.)

McAdam, D. (2003). "Beyond structural analysis: Toward a more dynamic understanding of social movements." In M. Diani and D. McAdam

(eds.), *Social movements and networks: Relational approaches to collective action*, pp. 281–98. Oxford and New York: Oxford University Press.
McAdam, D., McCarthy, J.D., and Zald, M.N. (1988). "Social movements." In N. Smelser (ed.), *Handbook of sociology*, pp. 696–737. Newbury Park, CA and London: Sage.
MacBride Commission (2004). *Many voices, one world: Toward a new, more just, and more efficient world information and communication order*. Report by the International Commission for the Study of Communication Problems for UNESCO. (Introduction by A. Calabrese.) Lanham, MD: Rowman & Littlefield. (Originally published by the United Nations Educational, Scientific, and Cultural Organization [UNESCO], Unipub, and Kogan Page, 1980.)
McCaughey, M. and Ayers, M.D. (eds.) (2003). *Cyberactivism: Online activism in theory and practice*. New York and London: Routledge.
McDonough, T. (2002). "Introduction: Ideology and the Situationist utopia." In T. McDonough (ed.), *Guy Debord and the Situationist International: Texts and documents*, pp. ix–xx. Cambridge, MA: MIT Press (an October Book).
McHenry, R. (2004). "The faith-based encyclopedia." *TCS Daily*, November 15. Retrieved May 5, 2010: http://www.tcsdaily.com/article.aspx?id=111504A.
MacLeod, R. (ed.) (2004). *The Library of Alexandria: Centre of learning in the ancient world*. London: I.B. Tauris & Co.
McLeod, K. (2005). *Freedom of expression®: Overzealous copyright bozos and other enemies of creativity*. New York: Doubleday.
McQuail, D. (2005). *McQuail's mass communications theory* (5th edn). London: Sage.
Madden, M., Fox, S., Smith, A., and Vitak, J. (2007). *Digital footprints: Online identity management and search in the age of transparency*. Washington, DC: Pew Internet and American Life Project, December 16. Retrieved May 1, 2010: http://www.pewinternet.org.
Magnus, P.D. (2009). "On trusting Wikipedia." *Episteme*, 6(1), 74–90.
Maher, V. (2005). *Citizen media is dead*. Blog posting, May 8. Retrieved May 5, 2010: http://www.vincentmaher.com/?p=400.
Manovich, L. (2007). *What comes after remix?* Retrieved May 5, 2010: http://manovich.net/DOCS/remix_2007_2.doc.
Marcus, G. (1989). *Lipstick traces: A secret history of the twentieth century*. Cambridge, MA: Harvard University Press.
Marcus, G. (2002). "The long walk of the Situationist International." In T. McDonough (ed.), *Guy Debord and the Situationist International: Texts and documents*, pp. 1–20. Cambridge, MA: MIT Press (an October Book).

Markoff, J. (2002). "Protesting the Big Brother lens, Little Brother turns an eye blind." *New York Times*, October 7, C1.

Marlow, C., Naaman, M., Boyd, D., and Davis, M. (2006). "HT06, tagging paper, taxonomy, Flickr, academic article, ToRead." In *Proceedings of the 17th ACM Conference on Hypertext and Hypermedia*, Odense, Denmark, pp. 31–40. Washington, DC: Association for Computing Machinery. Retrieved May 1, 2010: http://doi.acm.org/10.1145/1149941.1149949/.

Martín-Barbero, J. (1993). *Communication, culture and hegemony: From the media to mediations* (trans. E. Fox and R.A. White). London and Newbury Park, CA: Sage.

Martín-Barbero, J. (2004). "Cultural change: The perception of media and the mediation of its images." *Television & New Media*, 4(1), 85–106.

Martín-Barbero, J. (2006). "A Latin American perspective on communication/cultural mediation." *Global Media & Communication*, 2(3), 279–97.

Mattus, M. (2009). "Wikipedia – free and reliable? Aspects of a collaboratively shaped encyclopedia." *Nordicom Review*, 30(1), 155–71.

May, T.C. (2001). "Crypto anarchy and virtual communities." In P. Ludlow (ed.), *Crypto anarchy, cyberstates, and pirate utopias*, pp. 65–79. Cambridge, MA: MIT Press.

Meikle, G. (2000). "gwbush.com: Tactical media strike." *M/C Reviews*, April 12. Retrieved May 5, 2010: http://reviews.media-culture.org.au/modules.php?name=News&file=article&sid=1750.

Meikle, G. (2002). *Future active: Media activism and the Internet*. London and New York: Routledge, in association with Pluto Press Australia.

Melucci, A. (1980). "The new social movements: A theoretical approach." *Social Science Information*, 19, 199–226.

Melucci, A. (1989). *Nomads of the present: Social movements and individual needs in contemporary society* (ed. J. Keane and P. Mier). London: Hutchinson Radius, an imprint of Century Hutchinson Ltd.

Melucci, A. (1994). "A strange kind of newness: What's 'new' in new social movements?" In E. Laraña, H. Johnston, and J.R. Gusfield (eds.), *New social movements: From ideology to identity*, pp. 101–30. Philadelphia, PA: Temple University Press.

Melucci, A. (1996). *Challenging codes: Collective action in the information age*. Cambridge: Cambridge University Press.

Mentor [L. Blankenship] (1986). The conscience of a hacker. *Phrack*, *1*(7), phile 3. Retrieved April 15, 2010: http://www.phrack.org/issues.html?issue=7&id=3&mode=txt.

Meyer, T.P. (1988) "On mediated communication theory: The rise of format." In J.A. Anderson (ed.), *Communication Yearbook 11*, pp. 224–9. Newbury Park, CA: Sage.

Miller, C.R. (1984). "Genre as social action." *Quarterly Journal of Speech*, 70, 151–67.

Miller, C.R. and Shepherd, D. (2004). "Blogging as social action: A genre analysis of the weblog." In L. Gurak, S. Antonijevic, L. Johnson, C. Ratliff, and J. Reyman (eds), *Into the blogosphere: Rhetoric, community, and culture of weblogs*. Retrieved May 5, 2010: http://blog.lib.umn.edu/blogosphere/blogging_as_social_action_a_genre_analysis_of_the_weblog.html.

Mirapaul, M. (2000). "Now anyone can be in the Whitney Biennial." *New York Times Online*, March 23. Retrieved May 5, 2010: http://partners.nytimes.com/library/tech/00/03/cyber/artsatlarge/23artsatlarge.html?scp=5&sq=Mirapaul%20Whitney&st=cse.

Mische, A. (2003). "Cross-talk in movements: Reconceiving the culture–network link." In M. Diani and D. McAdam (eds.), *Social movements and networks: Relational approaches to collective action*, pp. 258–80. Oxford and New York: Oxford University Press.

Mitchell, W.J.T. (2003). *Me++: The cyborg self and the networked city*. Cambridge, MA: MIT Press.

Monahan, T. (2006). "Counter-surveillance as political intervention?" *Social Semiotics*, 16(4), 515–34.

Monge, P.R. and Contractor, N.S. (2003). *Theories of communication networks*. Oxford and New York: Oxford University Press.

Moore, A.W. (2007). "Artists' collectives: Focus on New York, 1975–2000." In B. Stimson and G. Sholette (eds.), *Collectivism after modernism: The art of social imagination after 1945*, pp. 192–221. Minneapolis: University of Minnesota Press.

Moore, J.T.S. (2003). *Revolution OS*. (Video, 85 min.) Wonderview Productions. Available: http://www.revolution-os.com/.

Morris, A. (2000). "Reflections on social movement theory: Criticisms and proposals." *Contemporary Sociology*, 29(3), 445–54.

Morris, A. and Herring, C. (1987). "Theory and research in social movements: A critical review." In S. Long (ed.), *Annual Review of Political Science*, 2, pp. 138–98. Norwood, NJ: Ablex.

Morris, A. and Mueller, C.M. (eds.) (1992). *Frontiers in social movement theory*. New Haven, CT: Yale University Press.

Morris, D. (2004). "Globalization and media democracy: The case of Indymedia." In D. Schuler and P. Day (eds.), *Shaping the network society: The new role of civil society in cyberspace*, pp. 325–52. Cambridge, MA: MIT Press.

Mueller, C.M. (1992). "Building social movement theory." In A.D. Morris and C.M. Mueller (eds.), *Frontiers in social movement theory*, pp. 3–25. New Haven, CT: Yale University Press.

Naimark, M. (2002). *How to ZAP a camera: Using lasers to temporarily neutralize camera sensors.* Retrieved May 5, 2010: http://www.naimark.net/projects/zap/howto.html.

Nalle, D. (2008). "Netroots Nation: A fly on the wall." *BC: Blogcritics Magazine,* July 18. Retrieved May 5, 2010: http://blogcritics.org/archives/2008/07/18/085517.php.

Negativland (2003). "Two relationships to a cultural public domain." *Law & Contemporary Problems,* 66, 239–62. Retrieved May 5, 2010: http://law.duke.edu/journals/66LCPNegativland.

Negroponte, N. (1995). *Being digital.* New York: Alfred A. Knopf.

Newell, A. and Sproull, R.F. (1982). "Computer networks: Prospects for scientists." *Science,* 215, 843–52.

Neidhardt, F. and Rucht, D. (1991). "The analysis of social movements: The state of the art and some perspectives for further research." In D. Rucht (ed.), *Research on social movements: The state of the art in Western Europe and the USA,* pp. 421–64. Frankfurt am Main and Boulder, CO: Campus Verlag/Westview Press.

Niles, R. (2007). "Lessons from the 'Talking Points Memo' and the U.S. attorney scandal." *Online Journalism Review,* March 20. Retrieved May 5, 2010: http://www.ojr.org/ojr/stories/070320niles/.

Nissenbaum, H. (2004). "Hackers and the contested ontology of cyberspace." *New Media & Society,* 6(2), 195–217.

Norris, P. (2001). *Digital divide: Civic engagement, information poverty, and the internet worldwide.* Cambridge: Cambridge University Press.

Nunberg, G. (2004). "Blogging in the global lunchroom." Commentary broadcast on *Fresh Air,* National Public Radio, April 20. Transcript retrieved May 5, 2010: http://people.ischool.berkeley.edu/~nunberg/lunchroom.html.

OECD (Organization for Economic Cooperation and Development) (2008). *Broadband growth and policies in OECD countries.* Committee for Information, Computer and Communications Policy, Directorate for Science, Technology, and Industry. Prepared for the OECD Ministerial Meeting on the Future of the Internet Economy, Seoul, Korea, 17–18 June. Paris: OECD. Retrieved May 5, 2010: www.oecd.org/sti/ict/broadband/growth.

Offe, C. (1985). "New social movements: Challenging the boundaries of institutional politics." *Social Research,* 52(4), 817–68.

Olesen, T. (2003). "Globalization in movement(s): A review essay." *Social Movement Studies,* 2(2), 229–43.

Olson, H.A. (2002). *The power to name: Locating the limits of subject representation in libraries.* Dordrecht and Norwell, MA: Kluwer Academic Publishers.

Olson, H.A. (2004). "The ubiquitous hierarchy: An army to overcome the threat of a mob." *Library Trends*, 52(3), 604–16.

OpenBusiness (weblog) (2006). *The future of journalism* (interview with Kenneth Neil Cukier), June 24. Retrieved May 5, 2010: http://www.openbusiness.cc/2006/0/24/the-future-of-journalism/.

Orlikowski, W.J. and Yates, J. (1994). "Genre repertoire: Examining the structuring of communicative practices in organizations." *Administrative Science Quarterly*, 39(4), 541–74.

Outing, S. (2005). "The 11 layers of citizen journalism." *Poynter Online* blog, June 15. Retrieved May 5, 2010: http://www.poynter.org/content/content_view.asp?id=83126.

Pasquale, F. (2007). "Conditions for the digital library of Alexandria." *Madisonian.net* (blog on law, technology and society), November 24. Retrieved May 5, 2010: http://www.madisonian.net/2007/11/24/conditions-for-the-digital-library-of-alexandria/.

Paton, D. (1999). "War of words: Virtual media versus mainstream press." *Christian Science Monitor*, December 3, 3. Retreived May 5, 2010: http://www.csmonitor.com/1999/1203/p3s1.html.

Pavis, T. (2002). "Modern day muckrakers: The rise of the Independent Media Center movement." *Online Journalism Review*, April 3. Retrieved May 5, 2010: http://www.ojr.org/ojr/business/1017866594.php.

Peretti, J. (2001a). "My Nike media adventure." *The Nation*, April 9. Retrieved May 5, 2010: http://www.thenation.com/article/my-nike-media-adventure.

Peretti, J. (2001b). *Culture jamming, memes, social networks, and the emerging media ecology: The "Nike Sweatshop Email" as object-to-think-with.* Unpublished manuscript, MIT Media Lab. Retrieved May 5, 2010 from the Internet Archive: http://web.archive.org/web/20030802192323/xenia.media.mit.edu/~peretti/nike/. (Original Peretti/Nike correspondence is available from the Internet Archive at http://web.archive.org/web/20030811071630/www.shey.net/niked.html.)

Peters, J.D. (1986). "Institutional sources of intellectual poverty in communication research." *Communication Research*, 13(4), 527–59.

Peterson, T.F. *Nightwork: A history of hacks and pranks at MIT.* Cambridge, MA: MIT Press.

Pickard, V.W. (2006a). "Assessing the radical democracy of indymedia: Discursive, technical, and institutional constructions." *Critical Studies in Media Communication*, 23(1), 19–38.

Pickard, V.W. (2006b). "United yet autonomous: Indymedia and the struggle to sustain a radical democratic network." *Media, Culture & Society*, 28(3), 315–36.

Pickard, V.W. (2008). "Cooptation and cooperation: Institutional

exemplars of democratic internet technology." *New Media & Society*, 10(4), 625–45.

Platon, S. and Deuze, M. (2003). "Indymedia journalism: A radical way of making, selecting and sharing news?" *Journalism*, 4(3), 336–55.

Plewe, D.A. (2008). "Transactional arts – interaction as transaction." In *MM '08, Proceedings of the ACM International Conference on Multimedia, Multimedia '08*, Vancouver, British Columbia, Canada, October 26–31, pp. 977–9.

Pool, I. de S. (1983). *Technologies of freedom*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Posener, J. (1982). *Spray it loud*. London: Routledge & Kegan Paul.

Poster, M. (1998). "Cyberdemocracy: The Internet and the public sphere." In D. Holmes (ed.), *Virtual politics: Identity and community in cyberspace*, pp. 212–28. London and Thousand Oaks, CA: Sage.

Priedhorsky, R., Chen, J., Lam, S.K., Panciera, K., Terveen, L., and Riedl, J. (2007). "Creating, destroying, and restoring value in Wikipedia." *GROUP '07: Proceedings of the 2007 International ACM Conference on Supporting Group Work*, Sanibel Island, FL, November 4–7, pp. 259–68.

Quattrocchi, A. and Nairn, T. (1998). *The beginning of the end* (with a preface by Tariq Ali). London and New York: Verso. (Originally published by Panther Books, 1968.)

Rafaeli, S. (1988). "Interactivity: From new media to communication." In R. Hawkins, J.M. Wiemann, and S. Pingree (eds.), *Advancing communication science: Merging mass and interpersonal processes*, pp. 124–181. Newbury Park, CA: Sage.

Rainie, L. (2007). "28% of online Americans have used the Internet to tag content." Washington, D.C.: *Pew Internet & American Life Project*, January 31. Retrieved December 15, 2009: http://www.pewinternet.org/Reports/2007/Tagging.aspx?r=1.

Ray, G. (2006). "Tactical media and the end of the end of history." *Afterimage*, 34(1–2), 31–7.

Raymond, E.S. (2001). *The cathedral and the bazaar: Musings on Linux and open source by an accidental revolutionary* (rev. edn). Sebastopol, CA: O'Reilly & Associates.

Rayward, W.B. (1999). "H.G. Wells's idea of a World Brain: A critical reassessment." *Journal of the American Society for Information Science*, 50(7), 557–73.

Rayward, W.B. (2003). "Knowledge organization and a new world polity: The rise and fall and rise of the ideas of Paul Otlet." *Transnational Association*, 1–2, 4–15.

Rayward, W.B. (2008). "The march of the modern and the reconstitution of the world's knowledge apparatus: H.G. Wells, encyclopedism and the

World Brain." In W.B. Rayward (ed.), *European modernism and the information society: Informing the present, understanding the past*, pp. 223–56. Aldershot and Burlington, VT: Ashgate.

Reardon, K.M. and Rogers, E.M. (1988). "Interpersonal versus mass media communication: A false dichotomy." *Human Communication Research*, 15(2), 284–303.

Rheingold, H. (2002). *Smart mobs: The next social revolution*. Cambridge, MA: Perseus Books.

Rice, R.E. and Associates (1984). *The new media: Communication, research and technology*. Beverly Hills, CA: Sage.

Richardson, J. (2003). "The language of tactical media." In J. Richardson (ed.), *Anarchitexts: Voices from the global digital resistance*, pp. 123–8. Brooklyn, NY: Autonomedia.

Rimensnyder, S. (2001). "Mugging for the cameras: Tune in to International Surveillance Camera Awareness Day." *Reason*, September 6. Retrieved May 5, 2010: http://reason.com/hod/sr090601.shtml.

Rogers, E.M. (1986). *Communication technology: The new media in society*. New York: Free Press.

Rogers, E.M. (1994). *A history of communication study*. New York: Free Press.

Rogers, E.M. (2003). *Diffusion of innovations* (5th edn). New York: Free Press.

Rogers, E.M. and Kincaid, D.L. (1981). *Communication networks: Toward a new paradigm for research*. New York: Free Press.

Rolfe, B. (2005). "Building an electronic repertoire of contention." *Social Movement Studies*, 4(1), 65–74.

Rosen, J. (2004). "Top ten ideas of 2004: Open-source journalism, or 'My readers know more than I do.'" *PressThink* blog, December 28. Retrieved May 5, 2010: http://journalism.nyu.edu/pubzone/weblogs/pressthink/2004/12/28/tptn04_opsc.html.

Rosen, J. (2006). "The people formerly known as the audience." *PressThink blog*, June 27. Retrieved May 5, 2010: http://journalism.nyu.edu/pubzone/weblogs/pressthink/2006/06/27/ppl_frmr.html#more.

Rosenzweig, R. (2006). "Can history be open source? Wikipedia and the future of the past." *Journal of American History*, 93(1), 117–46.

Ross, K. (2002a). "Lefebvre on the Situationists: An interview." In T. McDonough (ed.), *Guy Debord and the Situationist International: Texts and documents*, pp. 267-83. Cambridge, MA: MIT Press (an October Book).

Ross, K. (2002b). *May '68 and its afterlives*. Chicago: University of Chicago Press.

Rucht, D. (2004). "The quadruple 'A': Media strategies of protest movements since the 1960s." In W. van de Donk, B.D. Loader, P.G. Nixon,

Star, S.L. and Bowker, G. (2006). "How to infrastructure." In L.A. Lievrouw and S. Livingstone (eds.), *Handbook of new media* (updated student edn), pp. 230–45. London: Sage.

Star, S.L. and Ruhleder, K. (1996). "Steps toward an ecology of infrastructure: Design and access for large information spaces." *Information Systems Research*, 7, 111–34.

Stein, L. (2009). "Social movement web use in theory and practice: A content analysis of US movement websites." *New Media & Society*, 11(5), 749–71.

Stelter, B. (2010). "A Pulitzer winner gets Apple's reconsideration." *New York Times*, April 17. Retrieved May 1, 2010: http://www.nytimes.com/2010/04/17/books/17cartoonist.html.

Steuer, J. (1995). "Defining virtual reality: Dimensions determining telepresence." In F. Biocca and M.R. Levy (eds.), *Communication in the age of virtual reality*, pp. 33–56. Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum.

Stiglitz, J.E. (1999). "Knowledge as a global public good." In I. Kaul, I. Grunberg, and M.A. Stern (eds.), *Global public goods: International cooperation in the 21st century*, pp. 308–25. New York and Oxford: Oxford University Press, for the United Nations Development Programme (UNDP).

Stimson, B. and Sholette, G. (2007a). "Introduction: Periodizing collectivism." In B. Stimson and G. Sholette (eds.), *Collectivism after modernism: The art of social imagination after 1945*, pp. 1–15. Minneapolis: University of Minnesota Press.

Stimson, B. and Sholette, G. (eds.) (2007b). *Collectivism after modernism: The art of social imagination after 1945*. Minneapolis: University of Minnesota Press.

Sturken, M. and Cartwright, L. (2009). *Practices of looking: An introduction to visual culture*. New York and Oxford: Oxford University Press.

Sunstein, C. (2007). *Republic.com 2.0*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Surowiecki, J. (2004). *The wisdom of crowds*. New York: Doubleday.

Tambini, D. (1999). "New media and democracy: The civic networking movement." *New Media & Society*, 1(3), 305–29.

Tapscott, D. and Williams, A.D. (2008). *Wikinomics: How mass collaboration changes everything* (expanded edn). New York: Portfolio.

Tarleton, J. (2000). "Protesters develop their own global Internet news service." *Nieman Reports*, 54(4), 53–5.

Taylor, A.G. and Jourdrey, D.N. (2008). *The organization of information* (3rd edn). Santa Barbara, CA: Libraries Unlimited.

Teer-Tomaselli, R.E. (2007). Round-table remarks for plenary session, "Fifty Years of Research and Beyond," presented at the 50th

anniversary conference of the International Association for Media and Communication Research (IAMCR), held at the headquarters of the United Nations Educational, Scientific, and Cultural Organization (UNESCO), Paris, July 25.

Terranova, T. (2009). "Free labor: Producing culture for the digital economy." In L.A. Lievrouw and S. Livingstone (eds.), *Sage benchmarks in communication: New media, vol. IV,* pp. 219–240. London: Sage. (Originally published in *Social Text 63*, 18(2), 2000, 33–58.)

Thomas, D. (2002). *Hacker culture*. Minneapolis: University of Minnesota Press.

Thompson, J. (2004). "Foreword." In N. Thompson and G. Sholette (eds.), *The interventionists: users' manual for the creative disruption of everyday life*, p. 10. North Adams, MA: MASS MoCA Publications, distributed by MIT Press.

Thompson, M. (2005). "EPIC 2014: The future is now." *Poynter Online*, July 21. Retrieved May 5, 2010. http://www.poynter.org/content/content_view.asp?id=85631.

Thompson, N. and Sholette, G. (eds.) (2004). *The interventionists: users' manual for the creative disruption of everyday life*. North Adams, MA: MASS MoCA Publications, distributed by MIT Press.

Tilly, C. (2004). *Social movements, 1768–2004*. Boulder, CO and London: Paradigm.

Touraine, A. (1971a). *The May movement: Revolt and reform* (trans. L.F.X. Mayhew). New York: Random House. (Originally published as *Le Mouvement de mai ou le communisme utopique*. Paris: Éditions du Seuil, 1968.)

Touraine, A. (1971b). *The post-industrial society* (trans. L.F.X. Mayhew). New York: Random House. (Originally published as *La société post-industrielle*. Paris: Éditions Denoël SARL, 1969.)

Touraine, A. (1977). *The self-production of society* (trans. D. Coltman). Chicago: University of Chicago Press. (Originally published as *Production de la société*. Paris: Éditions du Seuil, 1973.)

Touraine, A. (1981). *The voice and the eye: An analysis of social movements* (trans. A. Duff, with foreword by R. Sennett). Cambridge and New York: Cambridge University Press. (Originally published as *La voix et le regard*. Paris: Éditions du Seuil,1978.)

Touraine, A. (1988). *Return of the actor: Social theory in postindustrial society*. (trans. M. Godzich, foreword by S. Aronowitz). Minneapolis: University of Minnesota Press. (Originally published as *Le retour de l'acteur: Essai de sociologie*. Paris: Librairie Arthème Fayard, 1984.)

Touraine, A. (1992). "Two interpretations of contemporary social change." In H. Haferkamp and N.J. Smelser (eds.), *Social change and modernity*,

Star, S.L. and Bowker, G. (2006). "How to infrastructure." In L.A. Lievrouw and S. Livingstone (eds.), *Handbook of new media* (updated student edn), pp. 230–45. London: Sage.

Star, S.L. and Ruhleder, K. (1996). "Steps toward an ecology of infrastructure: Design and access for large information spaces." *Information Systems Research*, 7, 111–34.

Stein, L. (2009). "Social movement web use in theory and practice: A content analysis of US movement websites." *New Media & Society*, 11(5), 749–71.

Stelter, B. (2010). "A Pulitzer winner gets Apple's reconsideration." *New York Times*, April 17. Retrieved May 1, 2010: http://www.nytimes.com/2010/04/17/books/17cartoonist.html.

Steuer, J. (1995). "Defining virtual reality: Dimensions determining telepresence." In F. Biocca and M.R. Levy (eds.), *Communication in the age of virtual reality*, pp. 33–56. Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum.

Stiglitz, J.E. (1999). "Knowledge as a global public good." In I. Kaul, I. Grunberg, and M.A. Stern (eds.), *Global public goods: International cooperation in the 21st century*, pp. 308–25. New York and Oxford: Oxford University Press, for the United Nations Development Programme (UNDP).

Stimson, B. and Sholette, G. (2007a). "Introduction: Periodizing collectivism." In B. Stimson and G. Sholette (eds.), *Collectivism after modernism: The art of social imagination after 1945*, pp. 1–15. Minneapolis: University of Minnesota Press.

Stimson, B. and Sholette, G. (eds.) (2007b). *Collectivism after modernism: The art of social imagination after 1945*. Minneapolis: University of Minnesota Press.

Sturken, M. and Cartwright, L. (2009). *Practices of looking: An introduction to visual culture*. New York and Oxford: Oxford University Press.

Sunstein, C. (2007). *Republic.com 2.0*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Surowiecki, J. (2004). *The wisdom of crowds*. New York: Doubleday.

Tambini, D. (1999). "New media and democracy: The civic networking movement." *New Media & Society*, 1(3), 305–29.

Tapscott, D. and Williams, A.D. (2008). *Wikinomics: How mass collaboration changes everything* (expanded edn). New York: Portfolio.

Tarleton, J. (2000). "Protesters develop their own global Internet news service." *Nieman Reports*, 54(4), 53–5.

Taylor, A.G. and Jourdrey, D.N. (2008). *The organization of information* (3rd edn). Santa Barbara, CA: Libraries Unlimited.

Teer-Tomaselli, R.E. (2007). Round-table remarks for plenary session, "Fifty Years of Research and Beyond," presented at the 50th

anniversary conference of the International Association for Media and Communication Research (IAMCR), held at the headquarters of the United Nations Educational, Scientific, and Cultural Organization (UNESCO), Paris, July 25.

Terranova, T. (2009). "Free labor: Producing culture for the digital economy." In L.A. Lievrouw and S. Livingstone (eds.), *Sage benchmarks in communication: New media, vol. IV*, pp. 219–240. London: Sage. (Originally published in *Social Text 63*, 18(2), 2000, 33–58.)

Thomas, D. (2002). *Hacker culture*. Minneapolis: University of Minnesota Press.

Thompson, J. (2004). "Foreword." In N. Thompson and G. Sholette (eds.), *The interventionists: users' manual for the creative disruption of everyday life*, p. 10. North Adams, MA: MASS MoCA Publications, distributed by MIT Press.

Thompson, M. (2005). "EPIC 2014: The future is now." *Poynter Online*, July 21. Retrieved May 5, 2010. http://www.poynter.org/content/content_view.asp?id=85631.

Thompson, N. and Sholette, G. (eds.) (2004). *The interventionists: users' manual for the creative disruption of everyday life*. North Adams, MA: MASS MoCA Publications, distributed by MIT Press.

Tilly, C. (2004). *Social movements, 1768–2004*. Boulder, CO and London: Paradigm.

Touraine, A. (1971a). *The May movement: Revolt and reform* (trans. L.F.X. Mayhew). New York: Random House. (Originally published as *Le Mouvement de mai ou le communisme utopique*. Paris: Éditions du Seuil, 1968.)

Touraine, A. (1971b). *The post-industrial society* (trans. L.F.X. Mayhew). New York: Random House. (Originally published as *La société post-industrielle*. Paris: Éditions Denoël SARL, 1969.)

Touraine, A. (1977). *The self-production of society* (trans. D. Coltman). Chicago: University of Chicago Press. (Originally published as *Production de la société*. Paris: Éditions du Seuil, 1973.)

Touraine, A. (1981). *The voice and the eye: An analysis of social movements* (trans. A. Duff, with foreword by R. Sennett). Cambridge and New York: Cambridge University Press. (Originally published as *La voix et le regard*. Paris: Éditions du Seuil,1978.)

Touraine, A. (1988). *Return of the actor: Social theory in postindustrial society*. (trans. M. Godzich, foreword by S. Aronowitz). Minneapolis: University of Minnesota Press. (Originally published as *Le retour de l'acteur: Essai de sociologie*. Paris: Librairie Arthème Fayard, 1984.)

Touraine, A. (1992). "Two interpretations of contemporary social change." In H. Haferkamp and N.J. Smelser (eds.), *Social change and modernity*,

pp. 55–77. Berkeley, Los Angeles, and Oxford: University of California Press.

Turkle, S. (1980). "Computer as Rorschach." *Society/Transaction*, 17(2), 15–24.

Turkle, S. (1984). *The second self: Computers and the human spirit.* New York: Simon & Schuster.

Turkle, S. (1995). *Life on the screen: Identity in the age of the Internet.* New York: Simon & Schuster.

Turner, F. (2006). *From counterculture to cyberculture: Stewart Brand, the Whole Earth Network, and the rise of digital utopianism.* Chicago: University of Chicago Press.

Turner, R.H. (1969). "The theme of contemporary social movements." *British Journal of Sociology*, 20(4), 390–405.

Turner, R.H. and Killian, L.M. (1957). *Collective behavior.* Englewood, NJ: Prentice-Hall.

Tzara, T. (1971). "Dada Manifesto 1918." In L. Lippard (ed.), *Dadas on art: Tzara, Arp, Duchamp, and others*, pp. 13–20. Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall. (Originally published in 1918.)

Vamosi, R. (2007). "iPhone hack enables wireless without AT&T." *C/NET News*, July 5. Retrieved May 5, 2010: http://news.cnet.com/8301-10784_3-9739828-7.html.

Van Aelst, P. and Walgrave, S. (2002). "New media, new movements? The role of the Internet in shaping the 'anti-globalization' movement." *Information, Communication & Society*, 5(4), 465–93.

van de Donk, W., Loader, B.D., Nixon, P.G., and Rucht, D. (eds.) (2004). *Cyberprotest: New media, citizens, and social movements.* London: Routledge.

Vegh, S. (2003). "Classifying forms of online activism: The case of cyber-protests against the World Bank." In M. McCaughey and M.D. Ayers (eds.), *Cyberactivism: Online activism in theory and practice*, pp. 71–96. New York and London: Routledge.

Verhulst, S.G. (2007). "Mediation, mediators and new intermediaries: Implications for the design of new communications policies." In P.M. Napoli (ed.), *Media diversity and localism: Meaning and metrics*, pp. 180–219. Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum Associates.

Viégas, F.B., Wattenberg, M., and Dave, K. (2004). "Studying cooperation and conflict between authors with history flow visualizations." *CHI 2004: Conference on Human Factors in Computing Systems*, Vienna, Austria, April 24–9. *CHILetters*, 6(1), 575–82. Retrieved May 5, 2010: http://alumni.media.mit.edu/~fviegas/papers/history_flow.pdf.

Viénet, R. (1981). "The Situationists and the new forms of action against politics and art." In K. Knabb (ed. and trans.), *Situationist International*

anthology, pp. 213–15. Berkeley, CA: Bureau of Public Secrets. (Originally published in *Internationale Situationniste*, 11, 1967.)

Viénet, R. (1992). *Enragés and Situationists in the occupation movement, France, May '68.* New York: Autonomedia (in association with Rebel Press, London). (Originally published as *Enragés et situationnistes dans le mouvement des occupations.* Paris: Éditions Gallimard, 1968.)

Wark, M. (2004). *A hacker manifesto.* Cambridge, MA: Harvard University Press.

Wark, M. (2009). "Introduction: The secretary." In G. Debord, *Correspondence: The foundation of the Situationist International (June 1957–August 1960)* (trans. S. Kendall and J. McHale), pp. 5–27. Los Angeles, CA: Semiotext(e).

Warschauer, M. (2004). *Technology and social inclusion: Rethinking the digital divide.* Cambridge, MA: MIT Press.

Wasik, B. (2009). *And then there's this.* New York: Viking.

Webster, F. (2001). "A new politics?" In F. Webster (ed.), *Culture and politics in the information age: A new politics?*, pp. 1–14. London and New York: Routledge.

Weinberger, D. (2006). *Taxonomies and tags: From trees to piles of leaves.* Retrieved May 1, 2010: http://hyperorg.com/blogger/misc/taxonomies_and_tags.html.

Weinberger, D. (2008). *Everything is miscellaneous: The power of the new digital disorder.* New York: Henry Holt.

Wells, H.G. (1938). "World brain: The idea of a permanent world encyclopedia." In *World brain*, pp. 83–8. New York: Doubleday.

Wettergren, Å. (2009). "Fun and laughter: Culture jamming and the emotional regime of late capitalism." *Social Movement Studies*, 8(1), 1–15.

"What's Next?" (1999). *Media Studies Journal*, 13(2), Spring/Summer. (Special issue on the future of journalism and the internet.)

Wieviorka, M. (2005). "After new social movements." *Social Movement Studies*, 4(1), 1–19.

Wilkinson, D.M. and Huberman, B.A. (2008). *Assessing the value of cooperation in Wikipedia.* ArXiv preprint, retrieved October 15, 2009: http://arxiv.org/abs/cs/0702140.

Williams, R.H. (2004). "The cultural contexts of collective action: Constraints, opportunities, and the symbolic life of social movements." In D.A. Snow, S.A. Soule, and H. Kriesi (eds.), *The Blackwell companion to social movements*, pp. 91–115. Malden, MA and Oxford: Blackwell.

Wray, S. (1998). "Electronic civil disobedience and the world wide web of hacktivism: A mapping of extraparliamentarian direct action net politics." *SWITCH* (online journal), 4(2). Retrieved May 5, 2010: http://switch.sjsu.edu/web/v4n2/stefan.

Wright, A. (2008). "The web time forgot." *New York Times*, June 17. Retrieved August 16, 2010: http://www.nytimes.com/2008/06/17/science/17mund.html.

Wright, S. (2004). "Informing, communicating and ICTs in contemporary anti-capitalist movements." In W. van de Donk, B.D. Loader, P.G. Nixon, and D. Rucht (eds.), *Cyberprotest: New media, citizens, and social movements*, pp. 77–93. London: Routledge.

Yates, J. and Orlikowski, W.J. (1992). "Genres of organizational communication: A structurational approach to studying communication and media." *Academy of Management Review*, 17(2), 299–326.

Yates, J., Orlikowski, W.J., and Okamura, K. (1999). "Explicit and implicit structuring of genres in electronic communication: Reinforcement and change of social interaction." *Organization Science* 10(1), 83–103.

Yes Men (n.d.). *Dow does the wrong thing*. Retriev May 5, 2010: http://theyesmen.org/hijinks/bhopalpressrelease.

Zittrain, J. (2008). *The future of the Internet – and o stop it*. New Haven, CT and London: Yale University Press.

المؤلفة فى سطور:

ليا ليفرو Leah A. Livrouw

أستاذة بقسم دراسات الإعلام فى جامعة كاليفورنيا منذ عام ١٩٩٥، تركز دراساتها وأبحاثها على العلاقة بين وسائل الإعلام وتكنولوجيا المعلومات والتغيير الاجتماعى، صدرت لها عدة كتب أحدثها "وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة" فى عام ٢٠١١ عن دار بوليتى، وكتاب وسائل الإعلام الجديدة: التشكيل الاجتماعى والنتائج المترتبة على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات" فى عام ٢٠٠٢، "ملكية وسائل الإعلام" فى عام ٢٠٠٨، حصلت على درجة الدكتوراه فى نظرية الاتصال فى عام ١٩٨٦.

المترجمة فى سطور:

هبة ربيع

مترجمة وصحفية وباحثة في مجال الإعلام، صدرت لها عدة كتب مترجمة منها: "شبكات التواصل الاجتماعي والممارسة الإعلامية" عن دار الفجر، ولاحدث وسائل الإعلام الجديدة" عن دار الفجر، ورواية "المُبعدون" عن دار العربى للنشر والتوزيع.

حاصلة على دبلوم الترجمة من الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وحاصلة على درجة الماجستير فى الإعلام بتقدير امتياز، وتدرس للحصول على درجة الدكتوراه فى الإعلام من كلية الآداب بجامعة عين شمس.

عملت فى عدد من الصحف والمواقع الإخبارية منها: الدستور والبديل وموقع إسلام أونلاين وموقع ياهو مكتوب، وعضو نقابة الصحفيين المصريين.

يقدم الكتاب لمحة غنية عن الطرق التي يستخدم بها الناشطون والفنانون والمواطنون من مختلف أنحاء العالم وسائل الإعلام الجديدة وتكنولوجيا المعلومات كي يحصلوا على رؤية وصوت، ويقدموا وجهات نظر بديلة أو هامشية، ويتشاركوا محتوى وأنظمة معلوماتهم حول طرق اصنع بنفسك، وغير ذلك من طرق مقاومة ثقافة الإعلام السائدة، أو الرد عليها، أو مواجهتها، وأصبح هناك اليوم دورة حية ومثيرة للجدل تميز العلاقة بين ثقافة وسائل الإعلام السائدة "المركزية" وبين ثقافة وسائل الإعلام "الطرفية" التفاعلية التشاركية، وتبدأ الدورة من التقاط المعلومات والمحتوى والنظم، واستقطابهم، وتدميرهم.

يقدم الكتاب خمسة أشكال رئيسية من مشاريع وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة، بما في ذلك الخصائص التي تميزها عن أكثر أشكال ومحتوى وسائل الإعلام التقليدية، متتبعًا الجذور التاريخية لهذه المشاريع في وسائل الإعلام البديلة، والحركات الاجتماعية، والفن الناشط، ومتضمنًا تحليل دراسات حالة رئيسية ووصلات إلى الموارد الإلكترونية المتصلة، ويمثل الكتاب إضافة مفيدة إلى دراسات وسائل الإعلام الجديدة والمجتمع.



تصميم الغلاف : جاسر ممدوح